أمينة التيتون

كيف نكتب؟

شرح وتحليل

لمراحل عملية الكتابة



كيف نكتب؟

شرح وتحليل لمراحل عملية الكتابة

إعداد

أمينة التيتون

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

٩٤ شارع عباس العقاد- مدينة نصر- القاهرة

ت: ٢٢٧٥٢٧٩٤- فاكس: ٢٢٧٥٢٧٣٥

٦ أ شارع جواد حسني - ت: ٢٣٩٣٠١٦٧

www.darelfikrelarabi.com

INFO@darelfikrelarabi.com

٨٠٨,٤ أمينة التيتون.

أ م ك ي كيف نكتب شرح وتحليل لمراحل عملية الكتابة/ إعداد أمينة التيتون. ـ القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م.

٣٧٢ ص: إيض؛ ٢٤ سم.

يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية.

تدمك: ١ ـ ٢٥١٧ ـ ١٠ ـ ٩٧٧.

١ ـ الكتابة - خبرات حياتية. ٢ ـ الكتابة - بيان. ٣ ـ الكتابة - مخطوط. ٤ ـ الكتابة - أنماط. أ ـ العنوان.

تنفيذ وطباعة الكتاب: مطبعة البردي بالعاشر من رمضان

التصميم والإخراج الفني

محيى الدين فتحى الشلودى

رقم الإيداع

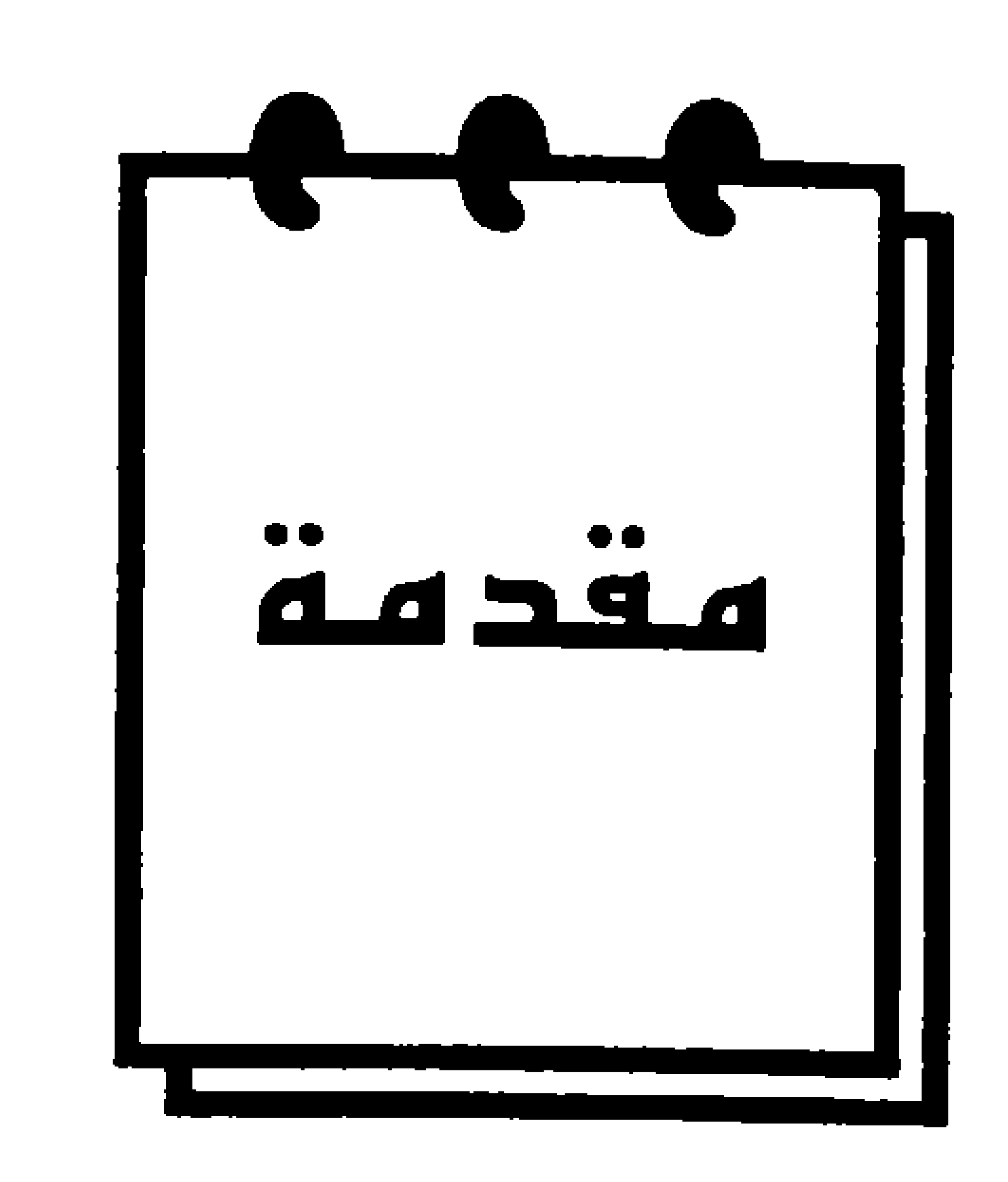
١٤٢١٤/ ٢٠٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم



إهداء

إلى من علموني



منذ أن بدأت بالقراءة للعديد من الكتاب الكبار مثل (ميخائيل نعيمة) و(العقاد) و(توفيق الحكيم) و(نجيب محفوظ) وسواهم، وأنا في المرحلة الثانوية، حيث بدأت أول محاولاتي البسيطة في الكتابة والتي كانت تتراوح ما بين موضوع أقرأه في الإذاعة المدرسية أو أنشره في صحيفة حائطية ومسرحيتين نلت عليهما جائزتين في عامين متتاليين على مستوى المدارس الثانوية في البحرين، صار لدى تطلع لمعرفة كيفية الكتابة وأسرارها، ورغبة جامحة في أن أكتب ليقرأ الآخرون.

هكذا تركت كلية الهندسة لأبدأ العمل في الصحافة ظنًا مني أن الصحافة تعلم الكتابة، وبعد احترافي للعمل الصحفي لثمانية أعوام، لم أظفر بما أردت ولم أحقق ما قصدت؛ لأن إيقاع صاحبة الجلالة السريع كان يضطرنا في كثير من الأحيان لأن نعيش على أحاديث الآخرين، كما قالت الدكتورة (بنت الشاطئ)، ولا يعني هذا أنني لم أتعلم الكتابة، بل قطعت شوطًا كبيرًا في كتابة الأعمدة التي كانت تنشر في الصفحة الأخيرة في صحيفتي (الخليج) الإماراتية و(الأيام) البحرينية بالإضافة إلى مجلات أخرى.

ولكن ظل لدى شوق للكتابة من نوع خاص، ربما كانت الكتابة الأدبية أو الكتابة التي تنطوي على فكر ولكن، لم أكن أعرف على وجه التحديد.

ولذلك قدمت استقالتي من صحيفة (الخليج) دون أن أفكر كثيرًا لألتحق بالدراسات العليا. ظنًا مني - مرة أخرى - بأن الدراسة الأكاديمية تعلم الكتابة، وخاب ظني، لأن كل ما فعلته هو إعداد أوراق بحثية، إجبارية، بلا روح تمت كتابة معظمها تحت ضغط ضيق الوقت، والشعور بالملل.

ولكني إبان هذه الفترة، وأثناء جولاتي المستمرة في المكتبات العامة والخاصة، وجدت ضالتي، في كتاب قيم يدور حول عملية الكتابة بعنوان: «من البصر إلى البصيرة»، لأستاذين جامعيين هما (جف راكهام) و(أوليفا بيرتانوللي) بجامعة (نورث كارولينا) قرأته بشغف وفرح، ثم أعدت قراءته أكثر من مرة.

ومرت الأعوام ولا تزال رغبة الكتابة تمور بداخلي. وجاء وقتها حينما اضطرتني بعض الظروف للتوقف عن الدراسة وملازمة البيت - وهو ما أراه اليوم أفضل ما حدث لي - وصار من تسبب لي في هذا، شخصًا أهداني الكثير، الأمر الذي ظل يذكرني بمقولة: «ربما المنع عطاء» وبمساعدة هذا الكتاب، وبعض الأصدقاء، وكثير من الكتاب الذين قرأت لهم في تلك المرحلة، كتبت قصتي الأولى «صوتي الأثير» التي نشرت في صحيفة (أخبار الأدب) وأتبعت ذلك بمجموعة قصصية، ورواية، ومجموعة قصائد، وقصص للأطفال، وبالإضافة إلى ترجمة العديد من الكتب. وأثناء انشغالي الممتع بالترجمة، خطر ببالي أن أترجم ذلك الكتاب العزيز، ليتعلم منه القارئ العربي الراغب في تعلم الكتابة، مثلما تعلمت أنا. وظلت هذه الفكرة تراودني لسنوات طويلة حتى قررت تنفيذها.

ولكني وجدت بأن هناك الكثير من خصائص اللغة الإنجليزية مما لا ينطبق على اللغة العربية، والكثير من نماذج الكتابة، قد تفقد الكثير من جمالها إذا ما ترجمت. بالإضافة إلى كثير من الأسماء الأجنبية التي قد يصعب نطقها من ناحية والتي قد تعيق تدفق القراءة بالنسبة للقارئ العربي من ناحية أخرى.

ولهذا قمت بمحاولة تخفيف النبرة الغربية للكتاب والعمق الأكاديمي، وذلك بتقديم بعض النماذج العربية من مصادر مختلفة يألفها القارئ العربي، وتأليف بعض النصوص الواردة في متن الكتاب أو في التدريبات، واستبدال الفصول المتعلقة بقواعد اللغة الإنجليزية بأخرى تتعلق باللغة العربية، وذلك بالاستعانة ببعض كتب النحو، أو الكتب العربية المهتمة بالكتابة. كما استبعدت بعض الفصول المتخصصة في النقد الفني وكتابة الأوراق الأكاديمية، لأنني أردت من إعدادي لهذا الكتاب تقديم عمليات الكتابة الأساسية لعون عموم القراء ممن يرغبون في ممارسة الكتابة.

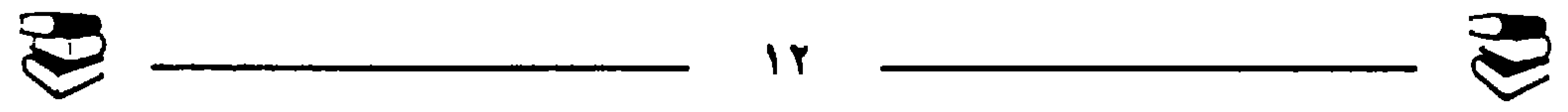
وأخيرًا، ما أوصيك به أيها القارئ الكريم، هو القراءة المتأنية، واتباع مراحل الكتابة المتعددة، بمعاناتـها الحلوة، حتى يتسنى لك جني ثمار تسعدك، وتسعد من يقرأ لك وتفيده، بإذن الله.

والله ولي التوفيق،،

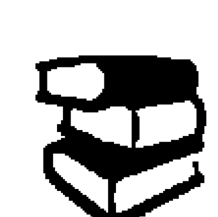
أمينة التيتون

محتويات الكتاب

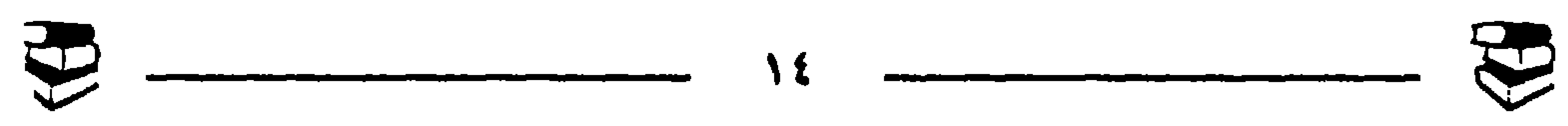
الموضوع	الصفحة



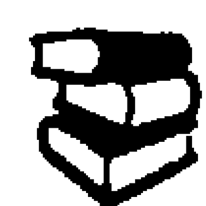

الموضوع	الصفحة

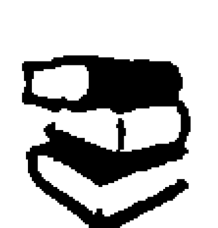
الموضوع	الصفحة




الموضوع	الصفحة

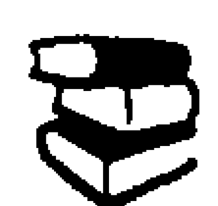








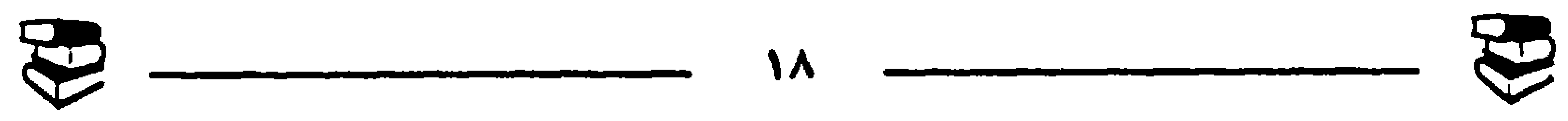
الموضوع	الصفحة



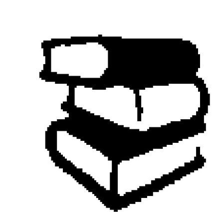


الموضوع	الصفحة

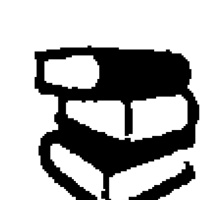




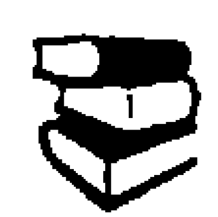
الموضوع	الصفحة



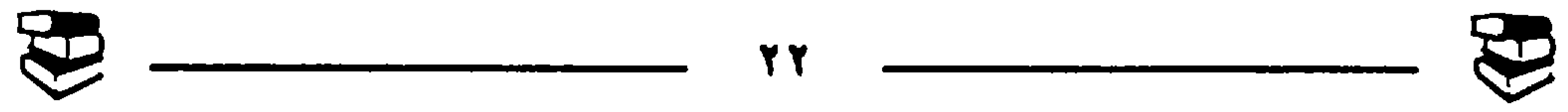


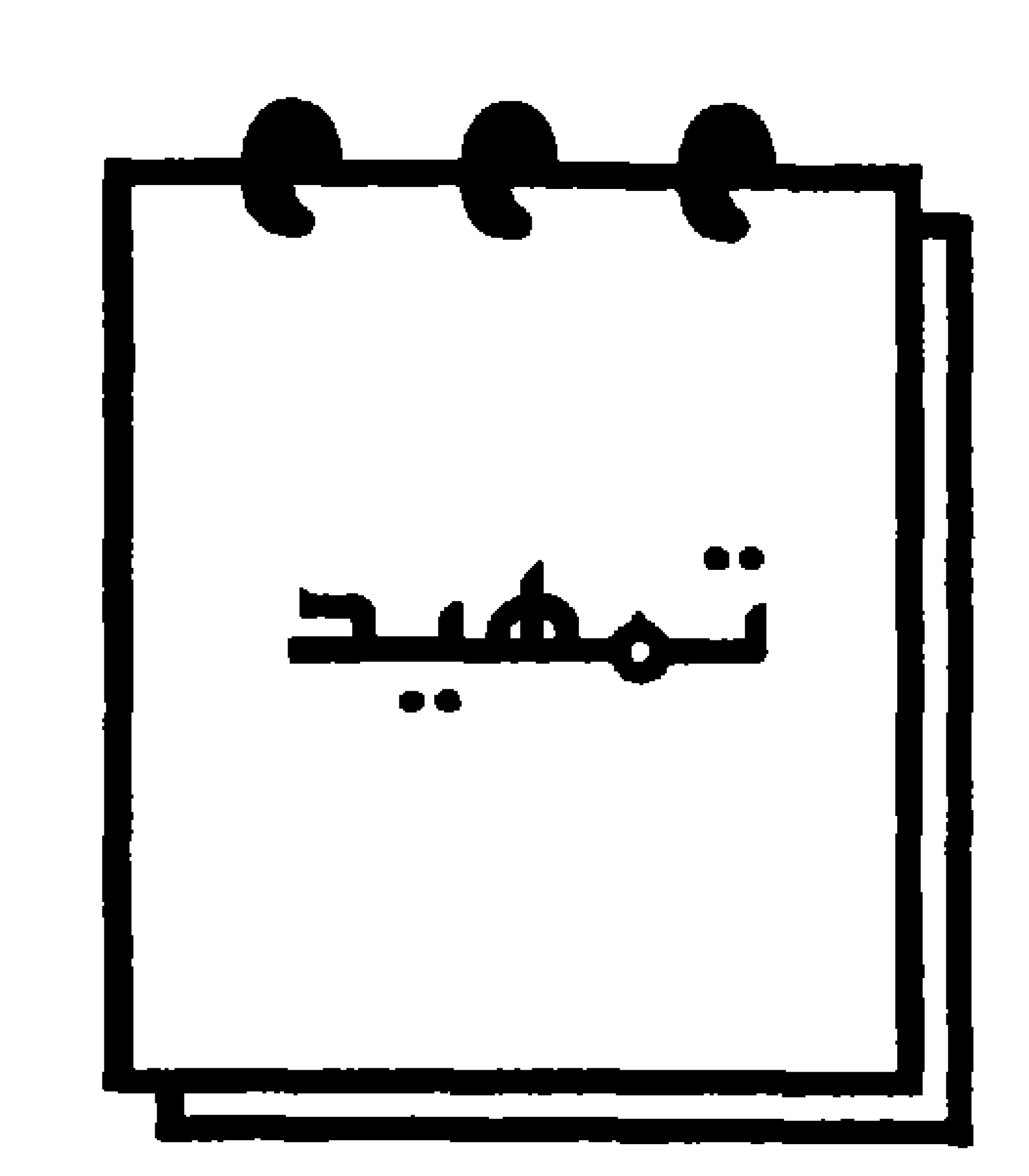



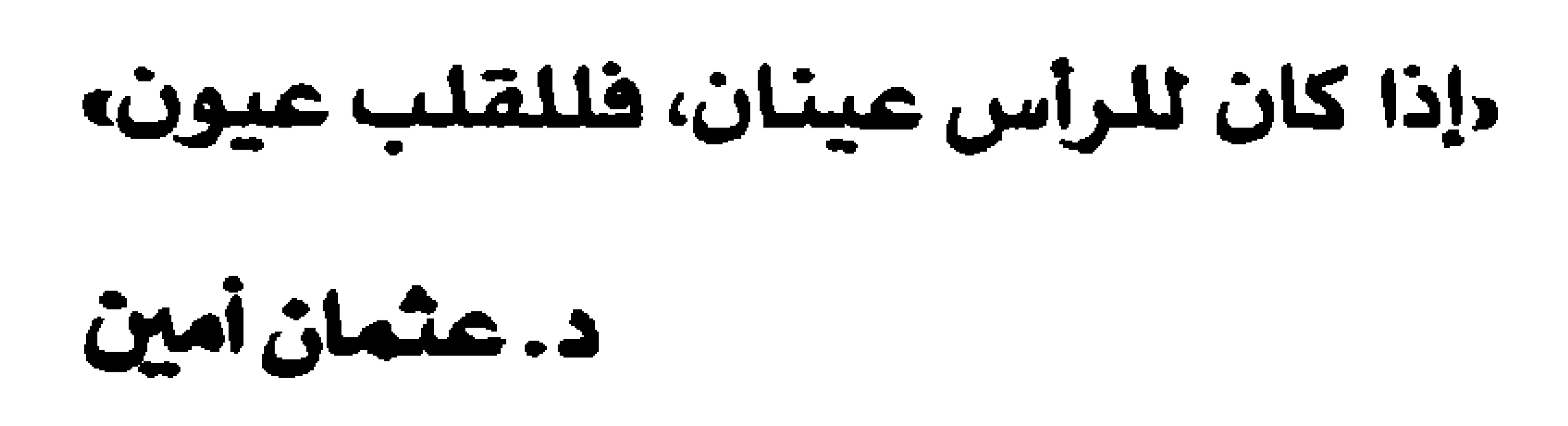
الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة





عملية الكتابة

بدأ رجل في الأربعين من عمره تعلم التنس لأول مرة، ورغم أنه بذل جهدًا كبيرًا في محاولة تطبيق ما تعلمه من مدربته من قوانين وقواعد، إلا أنه كان محبطًا ومنقطع الأنفاس وغاضبًا من نفسه لأنه اعتقد بأنه قادر على تعلم لعبة تحتاج إلى مهارة عالية.

وذات يوم سألته المدربة قائلة: «أتدري ما هي مشكلتك؟»، ثم أجابت دون أن تنتظر منه ردًا: «لأنك تحاول أن تتذكر جميع القواعد والحركات وأنت تلعب».

فهز الرجل رأسه بالموافقة.

فقالت المدربة: لقد نسيت السر الداخلي، ذلك الأمر الأهم، «العملية الجوانية، والجهد الجواني الميتافيزيقي».

ربما تتعرض أثناء الكتابة لنفس القدر من الإحباط، ولا سيما إذا كنت واحدًا من الأشخاص الذين تبدو الكتابة مستحيلة بالنسبة لهم، أو ممن يكرهون الكتابة كراهية شديدة، والسبب في ذلك أن معظم من يعلمون الكتابة يشرحون قواعد الكتابة الجيدة من خلال نماذج لكتاب مشهورين، حيث حللوا هذه النماذج ووجدوا عناصر أساسية للكتابة ورصدوا كيفية تنظيم مادة الكتابة، ثم أطلقوا عليها النماذج الناجحة. ولكن عندما يستخدم الطلاب مثل تلك النماذج أثناء عملهم، ربما يشعرون بالإحباط وقلة الحيلة. لأن ما يريدون قوله لا يتلاءم مع هذه الأنماط البلاغية شديدة الاحتراف مطلقًا. وهكذا صار الكثير من الطلاب يشعرون بالغضب وقلة الشجاعة. وتبدو كتابتهم، بالمقارنة بالقطع الأدبية المشهورة، سيئة، وخالية من الرشاقة ومن الأسلوب. وكما هو الحال مع لعبة التنس، ربما نكون قد

أفرطنا في النظر إلى القواعد والأشكال، مقارنة بتمعننا في العملية. فأفضل تحليل لرواية متقنة، أو تقرير، أو ورقة بحثية، لا يكشف البدايات الخاطئة، ولا الكلمات المستبعدة ولا الفقرات المشطوبة، ولا الصراع العنيف الذي مر به الكاتب عندما كان في مواجهة الصفحة البيضاء. كما لا يظهر كيف اكتشف الكاتب في النهاية، وبعد معاناة ما يود قوله.

هذا الكتاب إذن حول العملية، وجميع ما يضمه من تحليل ونقاشات فنية لنماذج متعددة لا يأتي إلا في سياق مساعدة القارئ على إيجاد طريقة لوضع الأفكار على الورق - أي أن تجد طريقك، فنحن متفردون، ولا يمكن أن تصلح العملية لكل منا بنفس الطريقة، مثلما لا يمكن أن تكون هناك عشر قواعد للعب التنس مثل المحترفين، ولا ست عشرة قاعدة لعزف البيانو كأمهر العازفين.

ولكن من خلال البحث والتنقيب وفحص الطرق التي اتبعها الكُتَّاب الناجحون، نجد أن هناك مراحل معينة يتم الرجوع إليها، وهي تكفي لأن تجعلنا قادرين على تبين خطوات عامة يتبعها معظم الكُتَّاب. فعادة ما يراوح الكاتب ما بين الخلف والأمام، والمقدمة والوسط، في عملية فوضوية ومرتدة إلى الوراء، ولكن متى ما تم فهم العملية كعملية ضرورية لنا جميعًا، نعمل من خلالها ونثبتها، يمكننا تحرير قدراتنا.

استكشاف المادة

الفهم

يحتاج جميع الكُتَّاب إلى معرفة مادتهم، وإلى تعلم كيفية التعرف عليها، وكيفية النظر إليها، وكيفية البحث حولها، وكيفية رؤية العلاقات الداخلية بينها. وتعد هذه أول مرحلة في عملية الكتابة هذه، لأنها أهم عنصر لبلوغ كتابة ذكية، وذات معنى. وعملية الاستكشاف تبدأ بالفهم المخلص. وعليك أن ترى مادتك - وتسمعها وتتذوقها، وتلمسها وتشمها، في بعض الأحيان - وتبحث في الأساليب، وفي القيام بربط الأجزاء التي تبدو غير مرتبطة.





ولذلك، فإن الكاتب التنفيذي قبل أن يكتب ربما عليه أن يقوم برحلة خاصة لملاحظة منتج ما في السوق، والاستماع لآراء الناس من حوله، والقيام بعملية مسح شاملة لاحتياجات المجتمع، وتسجيل الملاحظات الواردة في تقرير حكومي، ودراسة الإحصائيات المتوفرة، عند ذلك يصبح بإمكانه أن يكتب تماما كما يبحث العامل في الحقل الاجتماعي، الذي يحتاج إلى تمويل لإنشاء مشاريع سكنية للمسنين، على سبيل المثال، عن أدلة تساند فكرته وتؤيد مشروعه، وقد يختار مثالين جيدين من بين خمسين دراسة حالة، ويقوم بمقابلة الجيران لاستطلاع آرائهم، ثم يبدأ كتابة مقترحة.

وبغض النظر عن هدفك من الكتابة، فإن أول خطوة في الكتابة هي أن ترى مادتك بوضوح.

وهنا يمكن أن يغمر العقل بالعديد من التفصيل، ويصبح جزءًا من عملية الفهم معرفة كيفية التركيز على جزء معين من المادة، جزء يسهل التعامل معه، ثم يتم اختيار التفاصيل الأكثر أهمية دون سواها، من ذلك الجزء الأصغر. ويتطلب كل من التركيز والاختيار شيئًا من الممارسة. فمعظم واجبات الكتابة، سواء في قاعات الدراسة أو في العمل، تتمتع بدرجة من التركيز، كأن يكون المطلوب: «اكتب تحليلاً مكونًا من عشر صفحات حول العلاقات الاقتصادية بين أمريكا ومصر»، أو «اكتب مقالاً عن النمو الاقتصادي في بلدك»، وإذا كانت مثل هذه المواضيع شديدة الاتساع، تقع على عاتق الكاتب مسئولية تضييق المادة، وتركيزها، وإلا صار ما يكتبه مجرد خليط من الانطباعات لا يفضى إلا إلى ورقة مربكة، وغير مركزة، تقفز من نقطة لأخرى بلا منطق؛ ولهذا يجب أن يكون التركيز والاختيار خطوات آلية بالنسبة لكل كاتب.

الفهم في النهاية مصدر لأفكارك، وبالعمل من خلال تجميع الحقائق والتفاصيل، والإحصائيات، والاستماع لآراء الآخرين، والملاحظات الشخصية، تبدأ بالربط والمقاربة، والمفاضلة، فترى العلاقات والأساليب. ويمكن أن يحدث فهم المادة، وتبلور الأفكار والتوصل إلى الاستبصارات بالنسبة للبعض قبل البدء

بالكتـابة، بينما يكون فعل الكتـابة بالنسبة لآخرين هو الـطريقة الوحيدة لبدء فعل صيـاغة المادة وتنظيمـيها. ومن الواضح، أن استخدام مصطـلح «الفهم» هنا بمعناه العام يتضمن العديد من الأفعال الـتي يمكن أن تخطر ببالنا، ولكن المعنى الأصلي للمصطلح يتضمن فـكرة «رؤية الطريق كاملا من خلال المادة للوصول إلى فهم». ونستطيع، إذا قبلـنا المفهوم بمعناه الواسع، أن نقول أن الورقة المكتوبة بصورة جيدة هي نتيجة لعملية فهم عميق.

مفكرة الكاتـب

تبرز في هذه المرحلة المبكرة من الإعداد لعـملية الكتابة قضية صعبة، تتبلور في السؤال التالي: **كيف تنبثق الأفكار من الملاحظة؟** والإجابة هي أن ذلك يختلف من وضع كاتب لآخر. ومن المعروف هو أن الكُتَّاب المحترفين - وكذلك العلماء، ورجال الدولة، والـفنانين، وغيرهم ممن يعتمـدون على عقولهم في توليد الأفكار الخلاقة - عادة ما يسـتخدمون مفكـرة كوسيلة أولـية، ليس فقط لتـسجيل أفعال الفهم، ولـكن لمحاكاة المفاهيم الناشئة من الفهم، والـلعب معها، واكتشافها. فقد يسجل عالم أحياء مـهتم بهجرة الدلافين من مـكان ما اكتشافـاته اليومية، وفهمه للبيانـات التي قام بجمعها، ثم ينتقل إلى الأفـكار والملاحظات الناشئة عن تفكيره الطويل وتأمله - وأي شيء قـد يؤدى به في النهاية إلى فهم أعمق لما بين يديه من معلومات.

هـذا، ويسـتخدم كُـتَّاب آخرون المـفكرات لاستعادة الـذكريات وتـسجيل الانفعالات، فيخترعون ألعابا بالكلمات، ويضعون مخططات لأفكارهم، أو لمجرد «التسـخين»، تماما مـثلما يمارس عازف الـبيانو بعض المـهارات قبل أن ينتقل إلى عزف قطـعة «كونشـرتو». ولدينا آلاف من مـثل هذه المفكرات الـتي تركها بعض العباقرة مثل «تشيكوفسيـكي»، و«داروين»، و«ميلر»، ممن كانوا يحتفظون بكراسة ملاحظات لما يـتوصلون إليه من اكتشافات، فـكانت مصدرًا للأفكار، توصف بها المشكلة، بالإضافة إلى قوائم من الاحتـمالات ذات العلاقة. فجملة واحدة تتبلور بعد أيام، أو شـهور أو ربما سنوات من الحضانة قـد تتحول إلى نظرية، أو رواية،

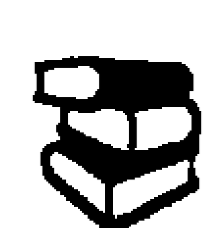
أو استراتيجية للدفاع الوطني. وتلك هي القضية؛ ولذلك يجب أن نعلم أن المفكرة ليست غاية وهدفا في حد ذاتها، ولكنها أداة للتحضير والحضانة والقليل منا يفكر أولا ثم يكتب، وأغلبنا يفكر أثناء الكتابة. ولا يكتشف كثير منا ما يفكر فيه إلا بعد وضع الكلمات على الورق؛ ولهذا فإن الكتابة في المفكرة، عمل هام فعل لإظهار فهمنا لمشاعرنا، ولرسمنا المبهم وأفكارنا المبتسرة التي أثارتها الملاحظة. إنه فعل العصف الذهني للأفكار التي قد تؤدى إلى أي مكان، بل هي مجرد مغامرة قد تفضي في النهاية إلى اكتشاف مادتنا بصورة أعمق وأكثر جوهرية.

تبين الجمهور

رغم أن الكتابة عملية اتصال مع القارئ، أو المستمع (المتلقي)، فإن الكثير من الكُتّاب لا يتبينون مدى أهمية الجمهور فيما يتعلق بفهم المادة، وطريقة الكتابة عنها.

فقد يؤثر الجمهور على الطريقة التي يرى فيها الكاتب مادته. فإذا كتب محام ملخصا لقاض، لا بد أن يكون منطقيًا ومختصرًا، ولا بد أن يكون موثقًا بالحقائق والمقدمات. وعلى المحامي بدوره، أن يرى المادة بنفس الطريقة. فربما يكون الموكل قد حطم سيارة في ليلة صيف دافئ عندما اندفعت الأمواج في مواجهة الشاطئ وفاحت رائحة أزهار البرتقال في الجو، فهذه كلها تفاصيل حسية مشتقة من الفهم، ولكنها لن تؤثر على القاضي. ويستدعى الأمر اختيار التفاصيل. يحتاج المحامي إلى حقائق على الطريق: حاجز أمان مكسور، وعدد من الحوادث المختلفة التي حدثت مؤخرًا على نفس المنحى. فالتفاصيل التي يبحث عنها الكاتب لا تعتمد فقط على المادة، بل على الجمهور - وعلى الطريقة التي يتمنى أن يؤثر بها على المتلقي.

وفى الوقت الذي تكون فيه الكتابة فعلا خاصا، يكون الناتج كالمقال، أو التقرير، أو التحليل النقدي، أداءً عاما. ومثلما تؤثر العادات والتقاليد على الجماعات ذات العلاقة، قد يتأثر تشكيل أفكارك، والصوت الذي تتحدث به، ومستوى لغتك، ورسمية جملك، وحتى النحو وعلامات الترقيم الذي تستخدمها



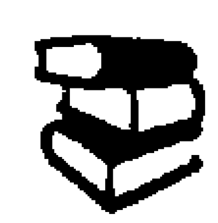


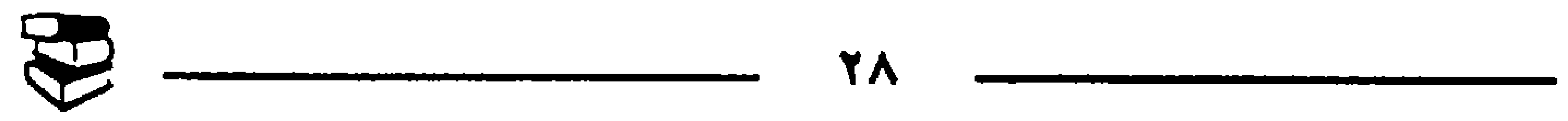
تتأثر بنوعية الجمهور الذي تحاول الوصول إليه. وستوافق على أن تعليمات الأمان للموظفين في موقع ما يجب أن تكون مكتوبة بجمل قصيرة، وصريحة، وواضحة، لا تسمح بأي غموض. وبغض النظر عن روح المشرف، على كتابة التعليمات، الشاعرية، أو حاجته للتعبير عن ذاته الداخلية، لا يمكن أن يسمح له بكتابة تعليمات أمان بطريقة حرة. وعلى هذا، فإن مقالاً لطالب «شكسبيري»، يفترض جمهور مختلف، بتوقعات مختلفة. فقد يمل «الشكسبيري» بسرعة من الورقة المكتوبة بجمل قصيرة مختصرة وصريحة. ويسأل: «ألا يمكن إظهار المزيد من ذاتك؟ أين صوتك؟، وأين تدفق الأسلوب الشخصي وإيقاعه؟». يستبق الكُتَّاب الناجحون في تحقيق حاجات القارئ، ويتبينون بأن العادات الموجودة معروفة كقواعد يصعب كسرها، وهي أنماط تقليدية ثبت نجاحها في تسهيل التواصل.

يمكن أن يتزامن الجمهور وحاجاته مع أول مرحلة من عملية الكتابة وهي استكشاف المادة. ولن يغير الكتاب الأمناء آراءهم ليسعدوا جمهورا ما، بل عليهم أن يكونوا على استعداد لتغيير بضعة عناصر مختلفة، كاختيار المقدمة، وتنظيم التفاصيل، ونبرة الصوت ومستوى اللغة، ذلك من أجل سببٍ واحد هو تواصل الأفكار بأكبر قدر ممكن من الفاعلية.

اكتشاف الصيغة

رغم ما يقال حول الشعر من أنه «تدفق عفوي للانفعال»، إلا أنه لا توجد كتابة، ولا شعر عفوي بشكل مطلق. ورغم أن أفضل الكتابات ما تبدو عفوية، بلا شك، إلا أنه لا بد من وجود التنظيم أو الصياغة. فمعظم الأشكال المكتوبة، كالمقالات أو القصص هي مبنية بطريقة مفتوحة، مما يسمح بحرية كبيرة لاكتشاف المادة وكتابتها، وفيما عدا القليل من المتطلبات الواضحة مثل البداية والوسط والنهاية، لا توجد أنماط خالية من المرونة. وإذا شككت في ذلك، فإنه أمر طبيعي، فطالما كان التنظيم والصياغة والقولبة عقبات كبرى في طريق الكتاب المحترفين والطلاب. والسبب هو أن التوصل إلى صياغة المادة، عملية تتعلق





بترتيب الخلط والتشوش الكامل، أي أنه عمل صعب. فربما تكون قد ركزت مادتك، واخترت تفاصيلك، وتبينت بوضوح جمهورك، ورغم ذلك ستظل تعاني من صراع حول النقاط الفرعية، والأفكار المبتسرة، والخيالات، والمنعطفات. ولن يكون هناك تدفق في الكتابة العفوية يشكل المادة بطريقة سحرية ليحولها إلى رسالة متماسكة. صحيح، أنه من وقت لآخر تحدث لحظات مبهجة من الإلهام، ولكن معظم محاولات التنظيم تتطلب جهدًا مساندًا.

يعد وضع اكتشاف الصيغة كمرحلة ثالثة في العملية، مجرد أمر اعتباطي. وربما يتحدد تنظيم الورقة من خلال فهم الكاتب الخاص للمادة أو من خلال حدود جمهور معين وميولهم. فيمكن أن يصاغ العمل بوضع أرقام رومانية، أو قد يأتي التنظيم بالتدريج من خلال الكتابة نفسها. وعادة ما تساعد معرفة التقنيات والممارسات التي توصل لها الكُتَّاب المحترفين على تسهيل طريقك. فقد وضع بعض الكُتَّاب المحترفين، على سبيل المثال، شيئًا يدعى «المقدمة» التي تحدد المادة بسرعة، وتختار نبرة الصوت، وتقترح أسلوب التنظيم، في جملة أو اثنتين. وكُتّاب ناجحون آخرون وضعوا خطوطًا «التصميم» عملهم، أو دونوا قوائم معلومات مكونة من كلمات ومقاطع. ولا يزال البعض يعتمد على الصيغ التقليدية التي يعتقدون بأنها تستطيع أن تمنح مزيدًا من الاهتمام لأمر المادة الداخلية إذا هم سمحوا بما هو مألوف في وضع الخطوط الخارجية. هذا، وستراجع كلٌّ من هذه الطرق المختلفة فيما بعد لتزويدك بعدد من الخيارات لأي وضع من أوضاع الكتابة.

التسويد

قال «راي برادبوري» ذات مرة: «يجب أن تكون الكتابة فورية كالحياة، وإلا فلن تكون هناك نداوة ولا فرصة لأن تشعر ولا يشعر الآخرون بحيويتك». وربما يعرف ذلك من تعامل مع أشخاص يكتبون بمثل هذا الخوف من أن ناتج كتابتهم لا يعبر عن حياتهم ولا عن حيويتهم. وكأن من كتب أوراقهم كمبيوتر مليء بالعيوب: جمل خرقاء، ومصطلحات مشوهة، والكثير من الكلمات الزائدة، ومادة غير كافية، وكتابة بلا منطق. أين النداوة؟ وأين العنصر الإنساني الغائب في

لغة ساذجة؟ بينما يكتب أشخاص آخرون بتدفق واضح، وحيوية تكشف صوتهم الخاص وروحهم. ويشعر البعض بمساحة من الحرية ليتركوا الأفكار تنمو خارج الأحداث، فيمارسوا اللعب بالكلمات. ومن المدهش أن الفرق لا يكمن في القدرة الطبيعية على الكتابة، بقدر ما يوجد في الاستعداد المبدئي الذي يجلبه الكاتب معه في مواجهة الصفحة البيضاء. وربما من أخطر ما يحدث من سوء الفهم، فيما يتعلق بعملية الكتابة، هو الفشل في اعتبار المسودة الأولى، والمسودات الكثيرة التي يمكن أن تلحق بها كمراحل ضرورية، تتطلب اتجاهات عقلية منفصلة.

ويرى عالم النفس «إبراهام ماسلو» في معرض حديثه عن الإبداع أن هناك فاصلاً ما بين المرحلة الابتدائية، والمرحلة الثانوية في الكتابة، فخلال المرحلة الابتدائية، أنت كاتب، وعليك أن تنسى ماضيك ومستقبلك، وألا تعيش سوى اللحظة: «انغمس وتخيل واستوعب الحاضر، في الوضع الجاري، هنا والآن، بالمادة التي بين يديك». أما فيما بعد فعليك أن تكون مستعدًا للتوقف - مؤقتًا على الأقل - وتتبنى اتجاهًا نقديًا. عليك أن تعلم نفسك التدفق، أن تكتب بسرعة، وكأنك تتحدث إلى الصفحة لتكتشف ما تعرفه؛ عليك أن تستطرد. كتابة المسودة هي مرحلة ابتدائية من الإبداع، والنقطة التي تفهم فيها، وتتبع منعطفاتك، وترى مادتك بتركيز في عقلك وأنت تكتب، وعادة ما تتجاهل ملاحظاتك أو مخططك. ففي مرحلة التسويد، تسمح لنفسك بارتكاب الأخطاء، فلا يقلقك النحو ولا دقة الكلمات، ولا الخلاصة. أنت تكتب وحسب.

يمكنك أن تعتبر كل ذلك عملية خلق لمخطط مبدئي لأفكارك، وعملية كتابة ملاحظة تقييم لنفسك. سيكون لديك الوقت فيما بعد لتحكم على ما كتبت، وتراجعه وتصوبه. ولكن ما لم تكن قد استكشفت المادة بحرية، ووجدت صوتك الخاص، لن يكون هناك ما تطوره.

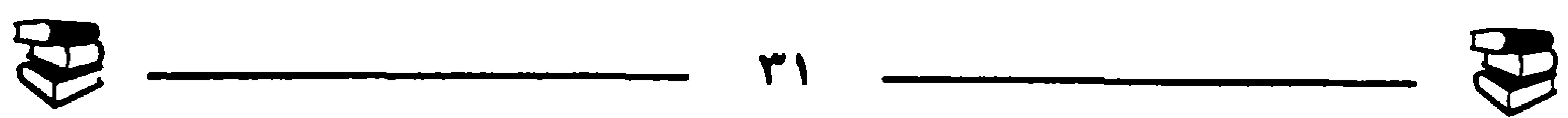
وقد تشعر، مثل العديد ممن يحاولون الكتابة، براحة وحرية أكبر عندما تكتب في مفكرتك. وتحتفظ بهذه المفكرة لنفسك، فتكون أنت جمهورك، وتستطيع أن تلعب، وتختبر الأفكار، وتبحث، وتدع خيالك يتدفق - وهو عادة ما يكون أصل الحيوية في الكتابة.

مثلما خالجك الشعور بالرضا لأنك قد وجدت ما تريد قوله، يدخل على الصورة عنصر جديد، وهو المراجعة، والتي هي عملية مزدوجة تتضمن جهدًا مستمرًا ليس فقط لإعادة النظر في المادة المكتوبة، واستكشافها بشكل أعمق، وإنما للتفكير في المتلقي وكيفية التواصل معه من خلال أفكارك ومشاعرك على أحسن وجه. وهكذا يصبح التواصل مهمًا مثل الاستكشاف تمامًا.

وهناك من يدَّعون أنهم لا يراجعون أبدًا، ولا يفعلون سوى تحسين عملية التسويد، حيث يبدأون بنفس الاتجاه الذي كان لديهم أثناء كتابة ملاحظاتهم الأولية، دون أن يرجعوا إلى ما كتبوه لتوهم. بينما تؤلف كل مسودة في ضوء ما عرف عن المادة في المسودة السابقة؛ ولذلك هم يتقدمون، ويشقون في عقولهم وقدرتهم على توليد مزيد من الأفكار، من أجل توضيح المنطق والترتيب. فتصبح كل مسودة إعادة اكتشاف للمادة مع إعادة تجديد الإثارة والعمق، وهكذا تصبح المسودة أكثر صقلاً، وأكثر مباشرة بالنسبة للجمهور. وفي الحقيقة، هم يراجعون، ولكن من خلال عملية غير واعية.

ويمكن أن يتعرض مثل هؤلاء لحسد أشخاص لا يستطيعون العمل بتلك الطريقة، لأنهم بمجرد أن ينتهوا مما يبدو نسخة عمل شبه مكتملة، ينتشرون بأقلام رصاص، أو أقلام حمراء. ويكون اتجاههم أكثر ميلاً للنقد الذاتي مما كان عليه في مرحلة التسويد المبكرة، فيقطعون جملاً، ويرسمون أسهمًا، ويكتبون أفكارًا جديدة على الهامش، ويلعبون بالتراكيب بقطع فقرات، ولصقها في ترتيب جديد. ثم يتوقفون من وقت لآخر، ويعيدون كتابة الأجزاء بأكملها، فتكشف إعادة الكتابة مثالب جديدة. أو تجدهم يقرأون في بعض الأحيان ما كتبوا بصوت مسموع، لتلتقط آذانهم الكلمات غير الدقيقة والجمل المعقدة.

وبالإضافة إلى هاتين الطريقتين المختلفتين من طرق المراجعة، توجد طريقة ثالثة أسهل تتم باستخدام الكمبيوتر من خلال معالجات الكلمات، حيث يستطيع من يجيد الطباعة بسرعة أن يمضي مع تدفق أفكاره، ويستمتع بمراجعة ما كتب.

فقد بينت الدراسات أن الكُتَّاب الذين يستخدمون الكمبيوتر يميلون إلى إنفاق مزيد من الوقت في تحريك الجمل وتغيير الكلمات، واستكشاف أنماط جديدة من التنظيم، وإدخال أفكار أخرى من هؤلاء الذين يعملون بالقلم الجاف والقلم الرصاص.

وبغض النظر عن الطريقة، يعيد جميع الكتاب الكتابة إلى أن يكتمل شكل المادة، على عكس ما يعتقد البعض بأن رواية عظيمة، كالحرب والسلام، انطلقت من عقل «تولستوي»، جملة نموذجية تتبعها أخرى. بينما يعرف الكتاب الخبراء، كما يعرف الرسامون، والمعماريون والمثالون بأن العمل لابد أن يتم من خلال مخططات مسودة لا تتشكل لتصبح ملموسة إلا تدريجيًا.

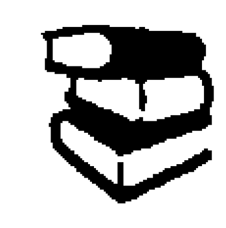
يحكى، في هذا الصدد، أن تنفيذيا طلب إجراء حملة إعلانية. وبعد مرور ثلاثة أيام من تقديم فريق من أفضل كتابه، مادة مقترحة، دعاهم إلى مكتبه وسألهم: «هل هذا أفضل ما تستطيعون عمله؟» فأجابوا: «كلاَّ، كنا مضغوطين بمحدودية الوقت، وأمور أخرى. ففهم أنه يمكنهم أن يحسنوا أداءهم. وهكذا أعادوا تقديم مقترحاتهم للحملة الإعلانية بعد أسبوع، وبعد مرور ثلاثة أيام أخرى سألهم: «هل هذا أفضل ما تستطيعون عمله؟» اعترفوا: كلا، ولكن بمقاومة أكبر، وبمزيد من الشعور بالإحباط. وأعادوا تقديم المادة المرة الثالثة، وفي اليوم الثالث سأل التنفيذي: «هل هذا أفضل ما تستطيعون عمله؟» فأصر فريق العمل هذه المرة على الإجابة بنعم، فقد كان ذلك أفضل ما لديهم، حينما قال المدير: «حسنًا، سأقرأه الآن».

من الواضح أن المراجعة، سواء كانت لحملة إعلانات أو لمقال، مرحلة من المراحل الضرورية في عملية الكتابة، بل هناك من يعتقد أن الكتابة هي المراجعة.

التدقيق

بعد كتابة المسودة ومراجعتها، يتبقى الكثير مما يتطلب العمل. يتطلب التدقيق فحصًا هادئًا بطيئًا لكل سطر من السطور. وقد تتداخل هذه المرحلة لدى





البعض مع مرحلة المراجعة. أما بالنسبة لأناس آخرين فهي تبدو أكثر نجاحًا حينما تكون عملية نهائية ومنفصلة. وعادة ما يطرح العمل جانبًا لفترة، ليتم الانفصال عنه، ثم يعود الكاتب إلى الورقة بعين ناقدة، فيتمكن من التصرف كمدقق لنفسه.

وعندما تلعب دور المدقق، أنت تجلب لمخطوطتك اتجاها حرفيا قديما. تريد لكل كلمة أن تكون دقيقة، وتشعر بضرورة إلغاء كل كلمة غير ضرورية، كما ينبغي أن يكون كل فعل قويا، وتراكيب الجمل مقبولة نحويًا. وتحرك كل جملة الفكرة، والمشاعر، وإيقاع صوتك بسهولة نحو الجملة الأخرى. بينما تكون الفقرات مترابطة، ومركزة، وتشكل وحدة واحدة. كما ترتبط كل فقرة بما يسبقها وبما يليها من فقرات. ولن تتردد كمدقق في إعادة ترتيب الفقرات أو إلغائها، إذا لم تكن قد أضافت شيئًا. وأخيرًا، ينبغي أن يكون الترتيب والمنطق واضحين، ويوضع العنوان في الاعتبار، فينال ما تناله الخلاصة من اهتمام. فلا نسيان للتفاصيل، ولا لعلامات الترقيم أو أخطاء الإملاء.

ويعني تعلم كيفية التدقيق، تعلم تحديد وقت التدقيق. فإذا أنت بدأت عملية الكتابة بسرعة شديدة، ربما عليك تحرى وجود شخصيتك فيما كتبته، والتأكد من أن أفكارك لم تمنع من الوصول إلى شكلها الأكثر تطورًا؛ ولهذا يبدو فهم الكتابة كعملية أمرا بالغ الأهمية بالنسبة لكتابتك. وينبغي أن يمنح التدقيق من ثم السلطة النهائية، فلا يحدث في غير وقته - ليس قبل مرحلة المراجعة، على الأقل. كما ينبغي أن يأتي عند نقطة يكون فيها ما يراد قوله على قدر من الأهمية بحيث يصبح التعليق على كيفية قوله يستحق التقدير.

اجعل التدقيق النهائي لمخطوطتك مسئوليتك. فربما احتجت يومًا ما إلى كتابة رسالة رسمية أو تقرير مختبري، أو تقويم نقدي لأمر ما، ولا يوجد أحد إلى جانبك ليصحح ورقتك بقلم أحمر. فالأفضل أن تضع لنفسك الآن معايير، وتعلم نفسك كيف تبلغها. فلا يؤدي التدقيق في حد ذاته إلى كتابة جيدة فحسب، بل أن الكتابة الجيدة غير ممكنة بدون تدقيق حذر.

ليست عمليـة الكتابة معادلة ميكـانيكية، لأنها في أفضل الأحوال يجب أن تقتـرح أسلوبًا، بـعيدًا عن أيـة وصفة محـددة - وستلاحظ وأنت تحاول الـكتابة اندماج العـديد من مراحل العمـلية أو تداخلـها، لأن فعل تقسـيم الاستكشاف، والتسويد والتنظيم والمراجعة إلى مراحل منفصلة حدث لمجرد التحليل. ولكي تعيد تجميعهـا، عليك أن تقوم في نهاية الأمر بالتـركيب، مثلما تتعلم التنس من خلال دراسة تحليلية للضربات المختلفة، والحركات المختلفة بشكل واع، ثم يتوجب عليك أن تلعـب بشكل فطري. ورغم أننا لا نعرف كيـف تعمل الفطرة، ولا نستطيع أن نعـلم كيفية وضع الـفطرة في الفـعل، إلا أن ذلك الشيء «الجواني»، والإحساس الداخلي الذي لا نملك تفسيرا له، أمر يثير الرضى، وهو جزء من الكتابة الناجحة تمامًا كعملية التخطيط التمهيدية.

وبالتدريج، ومع العمل الجاد والـتعلم الذاتي، ستنشط الـممارسة في عملية الـكتابة النمو الـداخلي. وسواء تعلق الأمر بـلعب التنس، أو رسم اللوحات، أو سوى ذلك مـن المجالات، فإن الـعمل الجيـد لا يظهر مـن مجرد تعـلم المهارات الصحيحة والـتقنيات. فالرياضيـون الحقيقيون، مثل الفـنانين الحقيقيين، يجب أن يرتبطوا بعملية تـنمو من خلالها حرفتهم، وفنـهم، الذي ينبعث من تعبيرهم عن ذواتهم الداخلـية. وبالعمل من خـلال عملية الـكتابة، أنت تـعمل عبر الـعملية الضرورية لـبداية فهـمك لذاتك، حيث تـعمل بالـطريقة الـتي يدرك من خلالها عقلك، ويختار، ويشـكل، ويتصور العالم. فالكتـابة الجيدة هي دائمًا استكشاف وإبراز للـذكاء، ولتفرد الطبيـعة الإنسانية وهذا هو سـبب ضرورة أن تكون الكتابة فعلا إنسانيا، يوسع خيالاتنا ويجعلنا نحترم فطرتنا، ويزيد من حساسيتنا، ويوضح أفكارنا ويجعل حكمنا أكثـر دقة، ويكون بداية الانتقال من التعامل مع البصر إلى التعامل مع البصيرة.



«تجربتي مع الكتابة فعلا من أفعال الحرية،
ووسيلة لإعادة صياغة ذاتي ومجتمعي».
(د. لطيفة الزياتي)



مفكرة الكاتب

استكشاف

حكى كاتب محترف ذات يوم أنه عندما كان في المدرسة الثانوية أعاد كتابة جملة ما عشرين مرة، رغم ما عرف عنه من كتابة جيدة، ومحاولات أولى مثالية. وبعد ساعات من الجهد والاجتهاد، لم يكن أمامه سوى جملته الوحيدة، بينما تبدو كتابة صفحة كاملة أمرا مستحيلا. وما تعلمه من ذلك الموقف، وظل يذكر نفسه به هو أن يثق في نفسه، وفى اللغة.

ولم يتمكن من تحقيق الثقة في نفسه إلا عندما صار يحتفظ بمفكرة، يكتب فيها يوميًا بشكل عفوي ما بين عشر دقائق وربع ساعة، وكلما كتب أكثر، أصبح فعل الكتابة أقل إثارة للخوف. وعادة كان يجد من أجزاء الكتابة ما يود الاستمرار في العمل عليها. ومع تراكم الصفحات، عرف بأن لديه شيئًا ما يقوله. وفى وقت من الأوقات صارت المفكرة مستودعًا للأفكار، والذكريات، والصور والانفعالات، يسحب منها متى دعت الحاجة لذلك.

ومن المعروف أن (تولستوي) بدأ وهو في الثامنة عشرة من عمره، أي قبل أن يفكر في كتابة «الحرب والسلام» و«آنا كارنينا» بوقت طويل، فملأ الصفحات بوصفات طبيعية موجزة، وملاحظات، وتجارب، وأمثال، ولمحات فلكلورية، وكلمات غريبة، وانطباعات حول قراءاته. وأقسم منذ البداية أن يكتب عن أفكاره ومشاعره بصدق، دون خوف، وهكذا راح يدوِّن ملاحظات تمهيدية بسيطة وسهلة

الفهم حول روسيا القرن التاسع عشر التي تحولت فيما بعد إلى روايته الشهيرة «الحرب والسلام».

وما يمكننا تعلمه من مذكرات (تولستوي) كثير، إلا أن مفتاح الكتابة الذي جعله يشاركنا موهبته، هو البساطة في الوصف. فما يوصينا به هذا الكاتب العبقري، هو أن ننظر عن كثب، لنقول الحقيقة، ونكتب دائمًا ما نشعر به حقيقة في أعماق قلوبنا.

ولا يقتصر الاحتفاظ بمفكرة على كتاب الشعر، أو الأدب، مثلما دون (طاغور) مذكراته عن حداثته وصباه ورحلاته حول العالم، بل يتجاوز ذلك إلى أشخاص كثيرين كعلماء التاريخ، وعلماء الطبيعة والمكتشفين والفنانين، حيث لا يغادر البعض بيته بدون مفكرة في جيبه. اقرأ مذكرات الصحفية الأنثروبولوجية (مارجريت ميد)، والفيلسوف (إيريك هوفر)، أو كراسة ملاحظات (جورج واشنطن)، أو (جون آدمز)، ولا تنس ما قاله (تشرشل) بخصوص بنائه لمؤلف «تاريخ الحرب العالمية الثانية»، ذي الأجزاء الستة على مذكراته أثناء الحرب. ورغم أن بعض العلماء لم يتعلموا أصول الكتابة، إلا أن أهمية مفكراتهم أدت إلى نشرها، ولاقت إقبالا كبيرًا من القراء.

وما يمكن ذكره في هذا الصدد ما قاله توفيق الحكيم ذات مرة: «لا يروقني شيء مثل قراءة المذكرات التي يكتبها الأدباء والعظماء عن حياتهم الخاصة».

وهكذا يبدو ما يمكن تعلمه من هؤلاء المؤلفين واضحًا وهو: أن الكتابة، مثل أي نشاط آخر تتطلب مرانًا وإعدادًا. ومثلما يتمرن الممثلون على تمثيلهم، ويتمرن لاعبو كرة القدم على لعبتهم، والموسيقيون على مهارات يحتاجونها، يحتفظ الأفراد الذين يحتاجون إلى الكتابة لأي سبب - وهم عادة ينفقون من حياتهم يعملون بعقولهم، كالعلماء، والمحامين، والمكتشفين، والأطباء، والفنانين - بمفكرات، وذلك لأن الكتابة هي طريقة العقل للإعداد والممارسة.

أما عملية الإبداع، فعلى الرغم من سنوات البحث والتنقيب، لا نزال لا نعرف عنها سوى القليل - كيف تبدأ الكتابة؟ وكيف تتطور؟ لا شيء سوى أمور




مبالغ في تبسيطها حول ظاهرة معقدة. إلا أننا تعلمنا من كتابات ومفكرات، من شاركونا تجاربهم، أن فعل الإبداع غالبا ما يحدث في عزلة، تسبقه مرحلتان ضروريتان: تسمى الأولى مرحلة الإعداد، وهي تلك الفترة التي يتم فيها تجميع تجاربنا وأفكارنا وتخزينها. والمرحلة الثانية، هي فترة الحضانة وهي الوقت الذي تحتاجها التجارب والأفكار لكي تخزن بعيدًا، وترتاح، وتفرخ، وبعد وقت يتراوح ما بين الساعات والأسابيع والسنوات، يفاجأ الكاتب بفكرة تجعله يستخدم المادة الخام التي لديه في عمل أكثر أهمية.

وكما أوضح لنا الكاتب البرازيلي الشهير (باولو كويلو) صاحب (الخيميائي)، في حديث نشرته مجلة العربي: «كل كتاب فيه شيء من تجربتي الشخصية، وكل كتبي انعكاس لروحي الخاصة، أي أن لها علاقة بما عشته وجربته في حياتي».

وعلى هذا، يمكن أن تصبح الأهمية بالغة للاحتفاظ بمفكرة، سواء نويت أن تكون كاتبًا محترفًا أو لمجرد تحسين مهاراتك في الكتابة، وذلك للأسباب التالية:

* تشجعك المفكرة على ترجمة خبراتك وملاحظاتك وردود أفعالك وانطباعاتك في لغة مكتوبة.

* تحسن المفكرة من طلاقتك، وتنمي ثقتك بنفسك.

* تسمح لك المفكرة بالمرونة والحرية، وتشجعك على خوض مغامرات لغوية، أي أن تلعب وتجرب باللغة، حيث لا مكان آخر يسمح لك بمثل حرية الاستكشاف هذه.

* تضعك المفكرة أمام نفسك، وتساعدك على اكتشاف صوتك وأسلوبك الخاص.

* تصبح المفكرة مستودعا للأفكار التي يمكن أن يخدمك في الكتابة المستقبلية. فهي مكان لنمو الأفكار الحذرة، والكلمات، والصور والملاحظات وردود الأفعال.

إنهــا طريقة لتكوين عادة الكتابة؛ لأنك إذا أردت أن تكتب جيدا، عليك أن تعتاد الـكتابة، وعلـيك أن تكتشف أولاً، وبــشكل خاص هويــتك كإنسان، بماذا تفكر؟ وبماذا تشعر؟.. وما الذي يجعلك تشعر بالحياة؟

اكتب ما تستطيعه، ثم اعــرف منذ البداية، أن المفكرات لا تكون على نفس المستوى مطلــقًا. ستكتب فــي بعض الأيام بسهــولة كبيرة، وستــشعر بالإثارة في محاولتك الكتابة، وفى أيام أخرى ستكون الكتابة بطيئة جدًا، ومنهجية، وسيكون وضع القلم على الورقــة أفضل ما تستطــيع عمله. كل ذلك لا يهم، المهم هو أن تكتب كل يــوم، بغض النظر عن مدى براعة أدائك. تــقبل ما يأتي، وثق باللغة. واعــلم أن فعل الكتابة في حد ذاته، يؤدي إلى أفكــار ومشاعر بداخلك لم تعرفها من قبل، إنها طريقة لاستكشاف مادة حياتك.

تدريب المفكرة

إذا لم تكتب يوما في مفكرة، ربما عليك أن تجرب شيئًا مثل: «أخيرا دعاني الحبيب إلى الخروج معه..».

ولكن كن عــلى دراية بأن مــثل هذه الـكتابــة، ليست هــي ما تتــكون منه المفكرة، لأنهــا لا تفعل سوى القــليل فيما يتــعلق بتوليــد الأفكار أو لمس المشاعر الأعمق، ولا تــناقض في هذا مع مقولة أنك حر في كتابة ما تريد. لأن تشجيعك على تجنب المذكرات السطحية، سيجعلك تستفيد من مران المفكرة، فتتحدى نفسك لتفكر، وتكتشف مع وجود شعور بالالتزام؛ ولهذا نقترح عليك التالي:

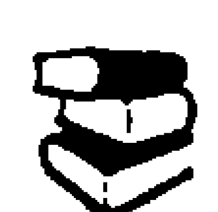
١ - خــصص وقتًا ومكانًا، تستطيع أن تمــارس فيه الكتابة بحرية لمدة عشر دقائق أو ربع ساعة يوميًا، بدون مقاطعة. فالكتابة الحرة تعني أن تكتب بدون تــوقف، حول أمــر ما، دون أن ترفع قــلمك من عــلى الورقة. اكتب لنفسك، وليس لقارئ آخر. اكتب ما تعتبره مهما، وتقبل كل ما يخطــر ببــالك. ثق في نفــسك، ودع قلــبك ينــبض مهــما اخــتلفت المواضيع.

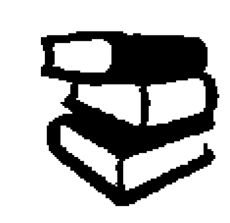
إذا لم تستطع التفكير في أي شيء، حاول أن تدرج أربع أو خمس نقاط تحول في حياتك، أو أربعة أو خمسة أشخاص أثروا حياتك.

وفيما يلي، كيف سار الأمر مع (باهر)، الفتى البالغ من العمر إحدى وعشرين سنة، الذي قرر أن يكمل دراسته الجامعية في الآداب. وقبل أن يبدأ بالكتابة، استغرق بضع دقائق للاسترخاء وأخذ نفسًا عميقًا. ثم أدرج بعفوية، وبدون إصدار أحكام، أسماء بضعة أشخاص مهمين بالنسبة له وعندما أصبح لديه خمسة أسماء، وثق بفطرته وانطلق من أول اسم على قائمته، ووضع في اعتباره قبول ما يكتب، مؤقتًا أي التغاضي عن الأخطاء النحوية والإملائية، وغيرها، وهذا ما كتب: «راضي - دائم العمل، صلعة لامعة على رأسه، وشعر رمادي خفيف على الجانبين، يلبس نظارة إطارها معدني، وأظافر أصابع يده طويلة وقاسية، وبشرته مجهدة، ويتحدث إلى كل من يعرفه. وهو يرتدي بنطلونًا واسعًا بحمالات، تتدلى منه عشرات المفاتيح. وتسعده مشاهدة المصارعة. وتصدر منه رائحة شحم أحيانًا ورائحة عرق في أحيانًا أخرى. يأكل حلوى بنكهة النعناع، ويدخن سجائر بدون مرشح فيتجمع لديه بلغم. هو طويل إلى حد ما، ويمشى ومعه كشاف، ويبدو صامتًا في قبعته (الكاسكيته) باردًا وقاسيًا وشاحبًا. وفى جيب معطفه صورة لابن أخي (كريم). لم أستطع تقبل أن أراه ممددًا لأنه يحب الحياة، ويساعد الناس على الدوام..».

وهكذا ينتقل (باهر) من وصف شخصية لأخرى، ومن خلال قفزة، يتذكر انفعالات، وتفاصيل وأحداث توفر له احتمالات ضخمة من الكتابة المستقبلية فهو يستطيع أن يكتب صفحات حول أي موضوع من هذه الذكريات، مثل تقليم أشجار حديقتهم، ويوم صنع جده عربته الخشبية، ويوم زرع وجده الحديقة معًا، كما يمكن أن يكتب عن موت جده وتأثيره على حياته. كل هذه الأفكار تولدت في بضع دقائق من الكتابة العفوية.

٢ - اكتب بحرية عن أي شيء حدث لك في الأيام القليلة الماضية - كبحثك عن شقة جديدة في مدينة غريبة. أو مقابلة زميل جديد لك في





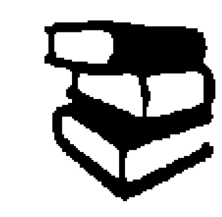
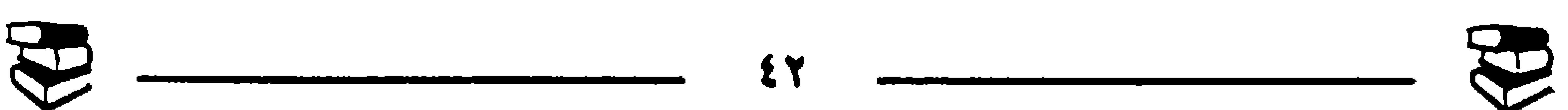
الجامعة أو العمل، أو استرجاعك لشعورك يوم تركت بيت العائلة، أو تذكرك لمخاوفك من الكتابة في المفكرة. استمر في الكتابة، ولا تتوقف إلا بعد أن تملأ صفحة كاملة.

٣ - اكتب عن مزاح ثقيل تورطت به مع أصدقائك - يوم تسابقتم في السباحة في عرض بحر هائج. أو لفقتم أكاذيب لواحد منكم كادت تؤدي إلى كارثة في حياته.

٤ - احكِ حكايات. تحدث على صفحة كاملة، كما لو أنك تحكي لصديق، فالصفحة البيضاء صديق، ستستمع إلى أي شيء تقوله. احك ذكريات لك يمكن أن تمدك بمادة طبيعية وشعور قوي تظهره.

وفيما يلي مثال على حكاية شخصية:

«بعد أن تخرجت طبيبًا عاديًا، كان فخر أبي بما حققته واضحًا، وكانت أعز أمنياته أن أتزوج، ويحظى بأحفاد يتقافزون أمامه، ويبعثون في البيت جوًا من الفرح والسعادة فبعد أن استلمت عملي الذي لم أحبه قط، لأنني في الحقيقة لست سوى طبيب فاشل، استطاع اجتياز جميع امتحاناته بصورة جيدة، صار همه الأول أن يبحث لي عن ابنة الحلال، فلم تسلم فتاة من العائلة من الترشيح لشغل وظيفة الزوجة، وأكثر من هذا، كان مواظبًا على فحص كل من يزرن أختي من الصديقات، بالإضافة إلى الجارات فلا يمضي يوم دون اقتراح أو محاضرة تحثني على إتمام نصف ديني. لم يكن يعرف بأنني بلا هوية، طبيب آلي، لا يعرف الإبداع طريقه، ليس لديه رسالة، ولا قلب رقيق، طبيب يرغب في مغادرة المستشفى الذي يعمل فيه إلى أي مكان ليس له علاقة بالمرض والدواء، ولكن أين هو ذلك المكان؟ لا يوجد أصعب من وضع المتورط الذي لا يجد مخرجا لورطته. لم تكن لدي هوايات ولا أحلام لقد قضيت عميري كله في التحصيل الدراسي، سعيت بكل قواي كي أنال شرف الانتماء إلى كلية الطب، فهي أمنية أبي، حلمه بأن يكون ولده طبيبًا، وها هو الحلم يتحقق على أنقاض إنسان أحبه حبًا جما.. لكني بقيت عاجزًا عن أن أقول لأبي بأنني لا أريد الزواج قبل أن أولد من جديد،

ومضت الأعوام عليّ تعيسا، وعلى أبي محبطًا حتى فاضت روحه قبل أن يرى أحفاده ويلعب معهم، ماذا كان سيحدث لو تزوجت وأنجبت، أما كان من الممكن أن أعيش حياة أجمل، هل كان رفضي الزواج عنادًا ومحاولة للانتقام من أبي الذي أفسد حياتي، لا أدري، كل ما يخالجني الآن ندم بلا حدود، حسرة على أيام كان من الممكن أن تكون أغنى وأحلى».

وهكذا يصبح لدى كاتب الحكاية عدد من الاحتمالات للكتابات المستقبلية، فهو يستطيع أن يكتشف علاقة بين ولد وأبيه، أو يكتب مقالا حول جارته، أو صديقة أخته، أو عمله. أو قد يجد نفسه يكتب عن صورة فكاهية لإحدى المرشحات للزواج، أو يتبين مخاوفه من البوح، ويتخطاها. كما يمكن ألا يظهر شيئًا على الإطلاق. فالكتاب أحرار في الاختيار.

ولكن ليس لدي ما أكتب عنه

في البداية ربما تشعر بعدم الأمان، أو بالرعب، وتعتقد بأنك لا تملك شيئًا تكتب عنه، وأن الآخرين يعيشون حياة أكثر إثارة. وعليك هنا أن تؤكد لنفسك من جديد بأنك لست الوحيد الذي يشعر بذلك. لقد راودت هذه المشاعر الكثيرين مثلك، عندما بدأوا الكتابة في مفكراتهم. وبدلاً من أن تؤنب نفسك، أو تغرق في مخاوفك، اكتب عن تلك المشاعر، وستجدها تتلاشى بمجرد أن تبدأ بالكتابة. وربما تدهش نفسك باكتشافك بمدى إثارة حياتك. كما يمكن أن تساعدك قراءة عدد من المفكرات المتوفرة في مكتبتك في إنجاز المهمة، وتؤكد بأن حريتك تكمن في الاكتشاف. ومن الأمثلة الجيدة في هذا الصدد: «رحلة في غرفتي» التي كتبتها (لويز بوجان) حيث كتبت عن المواد المدرجة في الأسفل، ولعل مجرد النظر في هذه القائمة، قادرًا على تبصيرك وتحفيزك.

* تعلمها تمرير الخيط في سنم الإبرة.

* حين سكنت في فندق، وهي طفلة، وتناولت نوعًا من العشب بالملح والبطاطس النيئة.

* النساء ذوات الوجوه المرعبة اللاتي كن يأكلن في قاعة طعام الفندق.

* المساء المليء بالخوف، عندما غادرت مع أمها والدها.

* يوم أصابت قطعة من زجاجة إبهامها.

* يد أمها وهي تفحص التفاح.

* أول كتاب قرأته: «حكايات جيرمي الخيالية».

* ذكرى لأمها وهي تجلس بالقرب من النافذة تقشر الخضر.

* الآنسة (كوبر)، مدرسة الفن.

* الاكتئاب الذي شعرت به عندما زارت حيها القديم، واكتشفت كيف صار حيًّا للفقراء.

* علاقة الشد بين والديها.

* أول بيت عاشت فيه.

* الضوء المنسكب على أوراق الأشجار في المساء.

* وصف امرأة تجلس بجانبها في الباص وحديثها معها.

* شعورها عندما قبلها رجل في منتصف العمر.

* * *



الحــواس

استكشاف الحواس

تبـدأ جميع الخبـرات الإنسانيـة بالإدراك الحسي. ربما نـعرف بعض الأشياء حدسيا، وغالبا ما يـكون لدينا دوافع فطرية، لحفـظ النوع مثل معظم الحيوانات. ولكن حتى وعينا بمثل هـذه العناصر البدائـية في الطبيعة الـبشرية يأتي من قدرتنا على الـرؤية وعلى الاسـتمـاع. فيعـرف علـماء الاجـتماع أمـورًا حول الـتطور الاجتماعي للإنسان لأنهم لاحظـوه في ثقافات مختلفة. ويعرف علماء النفس عن عـمل العقل لأنهم استمـعوا إلى آلاف المرضى. وأنت لـم تتعلم أثـناء طفولتك ما يـجري من حـولك في الـعالم إلا من خلال إدراكك الحـسي. فـقد عـرفت بأن للكراميلا ملمـسا حريري، باردا عندما يـتم امتصاصه، وأن يد أمك دافئة، وعدد من الانـفعالات التي تـتأثر بـالخبرة الحسـية بشـكل خاص فأنت لا تقع في الحب بشكل غريزي، بل تحب شخصًا له شعر أحمر، أو أصفر، وعيون زرقاء أو سوداء وصوت ناعم وطابع حسن في ذقنه، واسم أنت تعرفه. كما يختلف شعور معظمنا عنـدما تكون السماء مشمـسة، عنه عندما يكون الجو مظـلما ومطيرا. وهكذا تبدأ جميع الخبرات الـفكرية والانـفعالية بـالحواس: الرؤية والـسمع والشم واللمس، والتذوق.

إدراكك للمادة من خلال الحـواس هو أيضًا بداية كل مشـروع كتابة تقريبًا، فالكـتابة الجيدة هي بالـضرورة تفكير جـيد، ويأتي التفكيـر الجيد من القدرة على

النظر إلى الأمور بصورة نقدية، تجعلك تفـرق بين التفاصيل المهمة والتفاصيل غير المهمة، وتكون حساسـا فيما يتعلق باختيار العناوين الفرعية، وتتبين العلاقات التي تربط الأمور ببـعضها. وجميع هذه المفـاهيم تتضمن فعلاً من أفعال الإدراك. فإذا بدأت الآن بتمـرين قدراتك الحسية وتعزيـزها، وتمرين مخيلـتك النقدية، فسوف يؤدي ذلك إلى عملية تعلم ذاتي، وهي الغاية من الخبرة الجامعية.

يعرف الكتـاب المحترفون دائمًا قـيمة الحواس، لأننا عـرفنا عالمنا من خلال البصر ومن خلال الصوت، ويـعلمون أن عليهم استخدام لغة تواصل مباشرة بقدر الإمكان من خلال العيون والآذان. وكلما زادت الـتفاصيل الحسية، اندمج القارئ ليس فكريًا فحسب، بل انفعاليا، وجسديًا أيضًا. ويعرف المعلنون أن بإمكانهم بيع مـسحوق غسالة أطبـاق، إذا هم قالوا أن له رائحة اللـيمون، وبيع غسول الفم إذا قال إعلانهم: «تمتع بـرائحة الفم المنـعشة طوال اليـوم، متوفرة بنـكهة القرنفل، والكريز، والنعناع» كما يمكنـهم بيع السيارات من خلال لفت الانتباه لمتانتها عندما تصفق الأبواب. فجاذبيـة الخبرة الحسية، تجعلنا على استعداد لإنفاق نقود تعبنا في الحصول عليها، حتى لو لم نكن نحتاج المنتج.

ومن أفـضل من استخـدموا الـتفاصـيل الحسـية من الكـتاب الأديب نجيب محفوظ الذي نجح في أخذ القارئ معه حيـثما يشاء، ففي روايته «خان الخليلي»، على سبـيل المثال جعـلنا نتـناول إفطار الـعيد ونحن نقـرأه حيث كتب في إحدى الفقـرات: «ثم أحضرت إفطار العـيد - كعكًا وحلـيبا - فأقبلـوا عليه في غبطة. والصائم يشعر بـغرابة وإنكار وحذر وهو يتناول أول لقمة صباح العيد، ثم يصيب من طعـامه جذلا مسروراً، فليس هناك أجمل وقعًا في النفس من لحظة سعيدة بين واجب قمت بـحقه وتصبرت عـلى أدائه وبين تمتعـها بلذة الجزاء وراحـة الضمير وتنـاولوا الـكعك بأنـاملهم، وقـضمـوه بلذة حـتى رسم دوائر من السـكر حول أفواههم، ثم أساغوه بالحليب وما زالوا حتى شبعوا..».

البصر: رأينا الكعك، والحليب.

اللمس: لمسناه بأناملنا.

الصوت: قضمناه وسمعنا صوت القضمة ورشفات الحليب.

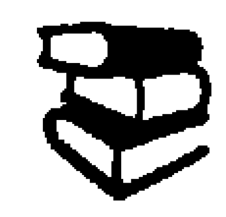
الرائحة: شممنا رائحته.

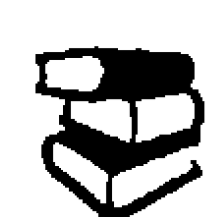
وشعرنا بإحساس الصائم الذي فطر واستشعرنا راحة الضمير وفرحة الجزاء.

ولكي تستخدم الخبرة الحسية كجزء من كتاباتك، عليك أولاً أن تدرب نفسك على أن تدرك بصورة أوضح وبشكل كامل. فقد تكون قد أصبحت متبلد الحواس مع مرور الوقت، ولم تعد تستثار بسهولة باللمس، أو بطعم الشيكولاتة وهي تذوب في فمك، كما كان يحدث لك وأنت طفل، أو ربما لم تعد تثق بتجربتك وأهميتها بالنسبة للآخرين. ولكن نظرًا لأن الكتابة التي لا تهتم بالتفصيلات الحسية تفتقد العنصر الإنساني لعالمنا، الذي يجعل الكتابة مثيرة، وحيوية بالنسبة للقارئ، فإن استخدام مفكرة الكاتب هي واحدة من طرق تدريب القدرات الإدراكية وتنميتها بالجهد والممارسة، حيث يمكن أن تعيد تنشيط جميع حواسنا وتجعلنا أكثر وعيًا وحيوية. فنحن لا نبدأ بالكتابة الواضحة إلا إذا بدأنا بالرؤية الواضحة.

تدريب المفكرة

١ - استمر في الكتابة الحرة في مفكرتك كل يوم، اكتب عما يهمك، وعما تعتقد أنه قيم - ولكن تأكد أنه دائمًا أكثر من مجرد سرد لنشاطاتك اليومية. كأن تستدعي ذكرى تتعلق بوالدك، تدون قائمة بالكتب التي تود قراءتها، تصف مخاوفك السرية. واستخدم حواسك - شم رائحة طعام الكافتيريا، رائحة فمك حينما تستيقظ من النوم في الصباح، المس بلاط الأرض البارد، كن حيويًا، واكتب بحرية، ولا تقلق بشأن الإملاء وعلامات الترقيم، أو النحو. كن على استعداد للعب. وإذا أنت لم تستطع التفكير في أي أمر تكتب عنه، سجل ردود أفعالك الحسية، وإحساسك اللحظي التي تعيشه وأنت تجلس على المكتب - صوت قلمك، أشعر بوضعه بين السبابة والإبهام، صف ظل قبضتك وهي تتحرك على الورقة، واستمر في الكتابة.





٢ - اكتب صفحة كـاملة، على الأقل، حول المميزات الحسية لمادة بسيطة، ابدأ بالرسم التخطيطي للمادة في مفكرتك.

الرسم التـخطيطي عبارة عن تـقنية يستـخدمها العديـد من الكتاب لتدريب وعيـهم وشحذه؛ لأن من متـطلبات الـرسم بطء العين، الأمر الـذي يساعد على التركيز. فركز عــلى الأمر واكتشف التفاصيل فقـد كان (برناردو دافنشي) وفنانون آخرون يخططون ما يودون رسمه.

ابدأ بشيء بسيط وصغير، كثمرة فاكهة، أو حبة خضار، أو قبعة من القش، أو حذاء. . ضع هـذا الشيء أمامك أو أنفق وقتا في رسمه بـجميع التفاصيل، ثم صف مـا ترى وما يـخطر عـلى بالك من أفكـار ذات علاقة في صفـحة أو بضع صفحات.

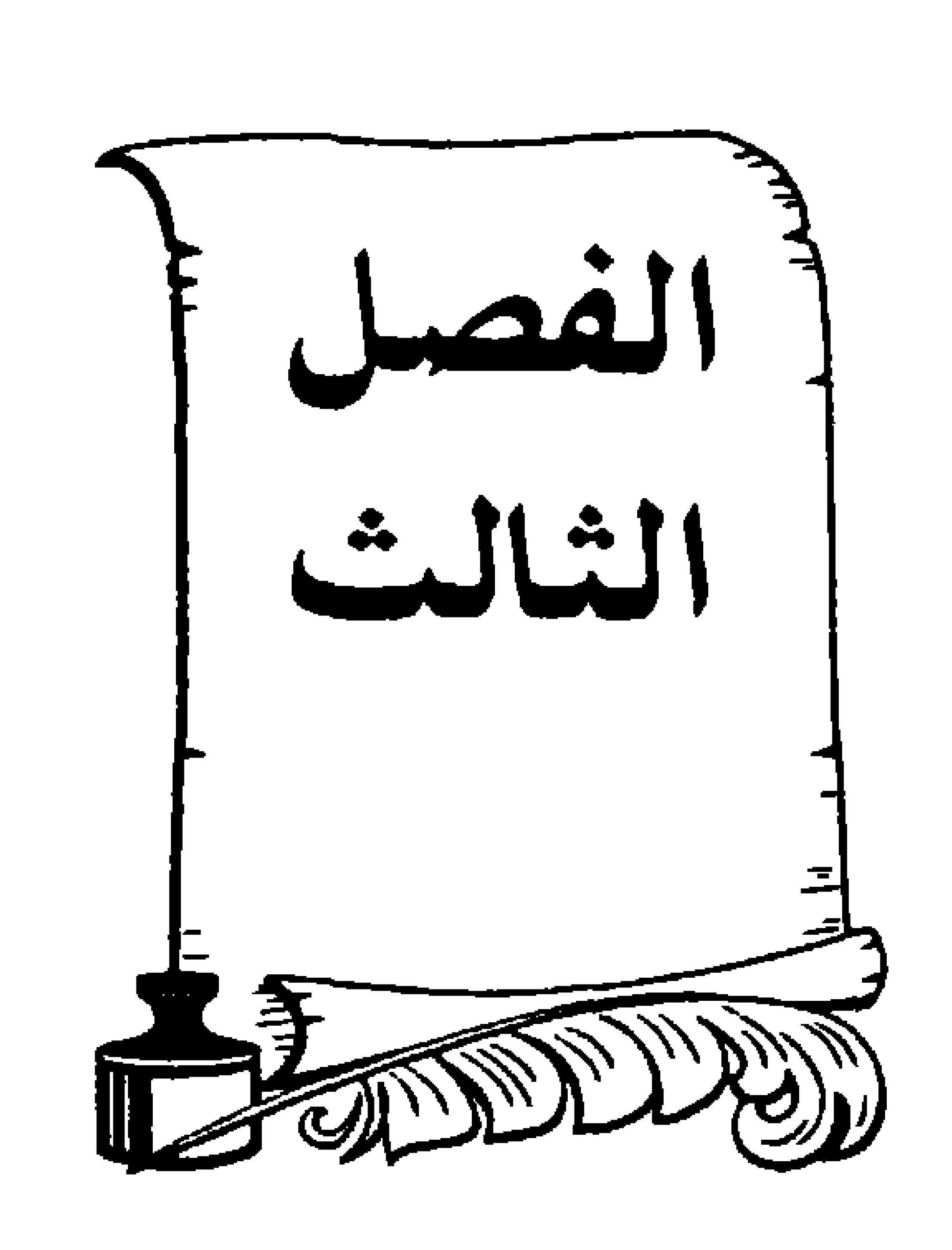
وفيما يلي مثال لوصف حذاء نسائي:

«لأنه آخر ما اشتريت من الأحذية فهو أعزها لدي، لا يزال جديدا، وجذابا لم تلـمسه حتى الآن سـوى أراض نظيـفة، أرض البيـت وأرض السيارة وأراضي مـجمعات تجارية براقـة. لونه من لون عصير الموز، ونـعله الخارجي السفلى أسود اللون منساب بطـريقة رقيقة راسما الجزء البارز من باطن القدم مرتفعا عند النهاية، بشكل يـسند كعب الـرجل من الخلف، وبه نقـوش عبارة عن خـطوط مستـقيمة وخطوط جـانبية مائلة تشبه سـعف النخيل، بينما يـتميز الجزء المنخفض من باطن القدم بـقطعة جلـدية بنية لا ترى أثـناء المشي، مثلـما لا يلمس الجزء الداخل من قدمنا الأرض أثناء رسم القـدم أو بعد المرور على الأرض بقدم مـبلولة أو متسخة على سطح من السطوح. أما من الأعلى فيبدو الحذاء وقور التصميم بسيطا، مجرد قـطعة جلدية مـخاطة بمحيط الحذاء بـإتقان وبخيط من نفس الـلون خياطة بارزة، تاركا جـزءا حرا يشبه مظلة الكاب حيث تدخل الرجل لتستريح في النعل الداخلي الوثيـر، حيث يحيط بـها ظهر الجـلد ذا الملمس المخـملي المطلي بـلون يشبه لون الخردل. أما الجلد فهو من نوعية فاخرة ذات تجاعيد تشبه تجاعيد جلد الإنسان تحت عدسة مكبرة. بينما لا يـرتفع الحذاء عن الأرض بعلو يذكر، فهو يكاد أن يلامس الأرض، من النـوع الذي يصلح للنساء الـطويلات أو اللاتي لا تحتملن آلام الظهر

التي يسببها الكعب العالي، أو ربما النشيطات اللاتي ترغبن في المشي السريع بحرية. أما اختياري له فهو بحكم العادة حيث اعتدت منذ خمس سنوات أو نحو ذلك ركوب الأحذية المنخفضة بعد أن زاد وزني وصار يطاردني خوف مرضي من أنني سأتدهور أمام الناس على وجهي لو فكرت في ركوب أحذية عالية الكعب. أما سر اعتزازي الآخر به ارتفاع ثمنه بالنسبة لي، ومقارنته بمثات الأحذية التي سبق وأن اشتريتها، وإن كنت اشتريته في موسم تخفيضات بلغت ثلاثين في المائة ولم أدفع نقدًا، حتى لا يؤلمني الأمر كثيرًا، فالشراء ببطاقات الائتمان له ميزات، أهمها القدرة على تخطي منطقة الراحة، أي مزيد من الثقة بالنفس والتحدي والمغامرة، نوع من الإثارة، إن شئتم، فلدينا جميعًا منطقة للراحة لا نشعر بالأمان إذا تجاوزناها، بل نخاف ونعود إليها من فورنا، فإذا كنا معتادين على شراء حذاء بمائة جنيه أو أقل يؤلمنا أن نشترى حذاء بمائتين! ولكنني استطعت تخطي الموقف ولن يهمني في المرة القادمة أن أدخل محلاً معروف بجودة بضاعته وارتفاع أسعاره».

٣ - اختر مكانًا تشعر أنه مكانك الخاص، كأن يكون سطح منزلك، أو موضعًا في بيت جدتك أو غرفة خشبية مظلمة مليئة بالنمل، أو غير ذلك، واكتب عنه صفحة كاملة، وحاول أثناء كتابتك أن تبحث في ذاكرتك بحذر عن رائحة وصوت وملمس وصور مرئية واختر تفاصيل حسية يمكن أن تساعد شخصا آخر على مشاركتك مشاعرك حول ذلك المكان.

***



الفهم واللغة والأمانة

استكشاف

عرف (شكسبير) و(تولستوي) و(مارك توين) وكُتَّاب آخرون، حقيقة بسيطة عن الكلمات وهي أن تكون: ملموسة، ومحددة، وبعضها محضر للصور الحية في العقل. فهي تساعد القارئ على مشاركتك لخبرتك، بصورة أكثر شمولية فالكلمات الملموسة تقترح أو تسمى شيئًا نستطيع رؤيته، ولمسه وشمه وتذوقه كالتورتة والخبز الفرنسي والحرير. ومن خلال مصطلحات التناقض، والتعميم، والاختصار تتبين تصنيفات أو مميزات أو أفكارا - كأن نقول: سمكة، تغذية، حياة نباتية، وملبس، وتعد القدرة على التجريد ميزة تفرق بين عقولنا وعقول الحيوانات ولكي نفكر بشكل حقيقي علينا أن نجرد تجربة حسية ثم نحاول فهمها، فلولا الكلمات المجردة الرفيعة مثل العدل والحرية والديمقراطية والأمل والطبيعة الإنسانية لأصبحت أفكارنا محدودة جدًا، إلا أن مثل تلك المصطلحات تميل إلى الغموض عندما يفرط في استخدامها بدون داع، فإذا سمحت لنفسك في الكتابة عن التجربة الشخصية، باستسهال التعميم ستفشل في لمس أحاسيسك، وستجد صعوبة في البحث عن المستوى الواقعي والراهن في تجربتك، وستفشل بالطبع، في تقاسم أي شيء ذي أهمية مع قارئك ونضرب هنا مثلاً، لوصف شاب لقريبته ذات الثلاث سنوات:

«لليلى شعر جميل، ورائحة طيبة، وملمس ناعم»

من الواضح أن ما كان يريده الكاتب منا هو أن نعرف كم هي جميلة قريبته، فحاول أن يرينا شعرها، ويجعلنا نشم رائحتها، ونلمس نعومتها، إلا أنه فشل في اختيار الكلمات التي تساعد القارئ على الرؤية، والشم، واللمس، فقد كان الوصف غامضًا، بحيث لم يستطع أحد تمييز (ليلى) من بين جمع غفير من الفتيات على الإطلاق. فكلمات مثل جميلة، وطيبة، ورائعة، تعبر جميعها عن رأى كاتب المادة، فهي تخبرنا عما يفكر فيه لكنها لا تشاركنا فهمه وإدراكه للأمر بطريقة حسية أو محددة وينطبق هذا على ما كتبته فتاة أخرى:

«لم تكن هناك فرصة للعمل بشكل جيد في المنزل، في البداية أسقطت قلمي الرصاص، الذي أصدر صوتا مثيرا وهو يرتطم بالأرض، وعندما حاولت أن أقرر كيف أصفه، جاء أخي الصغير وأصدر العديد من الأصوات المزعجة».

بعد انتهاء القراءة، ليس لدى القارئ أية فكرة عن الصوت المثير الذي صدر عن القلم، ولا يستطيع مجرد تخمين أصوات الضجيج المزعجة التي صدرت عن أخ الكاتبة الصغير، من بين آلاف الأصوات. فكل من الصوت والضوضاء كانا عاميين جدا، لدرجة لم تسمح للقارئ، وإن استطاع التفكير بالكلمات، أن يستمع لما هو خاص بهما.

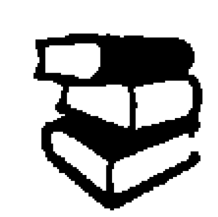
وعندما عادت الكاتبة بذاكرتها وحاولت مشاركتنا التجربة الحقيقية، صار نفس المشهد هكذا:

«لم تكن هناك فرصة للعمل في المنزل، في البداية سقط قلمي الرصاص منزلقا على الأرض المكسوة بالمطاط، وعندما كنت جالسة على ركبتي أراقبه أسفل الثلاجة. قفز أخي ذو الست سنوات إلى الداخل يصفر أغنية من نغمتين من تأليفه. راقبني، أولا على رجل واحدة، ثم جلس على الأرض، وبدأ يمتص الفراغ الذي بين أسنانه الأمامية، فأصدر صوتا كصوت الماء القذر الذي تشفطه بلاعة مفتوحة. مددت ذراعي تحت الثلاجة قدر المستطاع من أجل الوصول إلى القلم، ولم أجد غير رقاقة بطاطس مكسورة ولزجة ويكسوها عفن أخضر، وتبدو قديمة جدا أو مطلية، أما رائحة العفن فكانت تشبه اللبن الرائب المتخثر. راح أخي

الصغير يصدر أصواتًا انفجارية، رطبة، حيث كان يلصق إبهامه داخل أحد خديه ويدفعه بقوة للخارج».

يمكن أن تسمي الكلمات الملموسة المحددة الأشياء وتصف التفاصيل الحسية والمواد والانفعالات والحقائق بطرق يستطيع القارئ من خلالها أن يعيش الخيال بشكل حقيقي. فعندما ارتطم قلم الرصاص على الأرض المغطاة بالمطاط، أو عندما امتص الأخ الأصغر الفراغ الذي بين أسنانه الأمامية، أو حينما أطلق الانفجار بجر إبهامه من خده، استطاع القارئ أن يسمع في خياله، مثلما استطاع رؤية رقاقة البطاطس العفنة، وشمها، فهناك أسماء محددة أو تفاصيل معينة تستدعي صورا بأكملها، وتؤثر في كل من العقل والانفعال. وبمعرفتك المسبقة بأهمية شرح التفاصيل في تجربتك تعلم حواسك، وتحثها على العمل بنشاط أكبر. ولكي تكون محددا، عليك أولا أن تنظر، وتسمع بشكل محدد، وبمعرفة مفردات الحواس، تحفز خيال القارئ وتساعده على مشاركتك تجربتك.

ولا تقتصر الكلمات الملموسة المحددة على الكتابة الشخصية فقط، بل أن الفلاسفة قد عرفوا بأنه كلما كانت الفكرة ملخصة أكثر، كانت أصعب في التواصل. فقد حاول (أفلاطون)، على سبيل المثال، في قصته الرمزية الشهيرة «الكهف» أن يبين بأن معظمنا يعيش في ظلمة، وأننا نقاوم لنواجه الحقائق الأعلى، ويصف (أفلاطون) في صورة حسية، مشكلة بضعة مساجين ممن يعيشون حياتهم في كهف وظهورهم مدارة إلى المدخل، ثم يشاهد الرجال ظلالاً في الجدار الخلفي للكهف، تسير إلى الوراء وإلى الأمام. فأصروا على أن الظلال حياة حقيقية، إلا سجينا واحدا، دفع إلى المشي نحو مدخل الكهف حيث أصابه الضوء بدوار. فكان سيفضل أوهام الظل فوق الحائط، على ألم الاكتشاف. لكن (أفلاطون) رأى أن السجين في النهاية، وبعد أن يعود إلى الشمس والبحيرة والشجر يفضل الموت على الكهف اليائس. وهكذا يتعامل حوار (أفلاطون) هذا مع طبيعة الحقيقة وطريقة مقاومة عدد من الناس لها، ومن خلال ذلك نجد أن (أفلاطون) قد بنى مناقشته في قصته هذه على الحواس. فالحواس تمدنا بنقطة ملموسة، يمكن من خلالها أن نعقل ونرقى إلى مستويات أعلى.





ستحتاج في كتاباتك، إلى كلا من النوعين من الكلمات:

المصطلحات العامة، الملخصة، والمصطلحات الملموسة، المحددة، وعليك أن توعي نفسك بالفروق التي بينها، وتحاول أن تكون غنيا في مفردات كل منها. كما تستطيع بمعرفة لغة الحواس أن تزيد من طاقاتك الإدراكية، مثلما تساعدك معرفة الكلمات التي تعبر عن الأفكار، على التفكير بالأفكار.

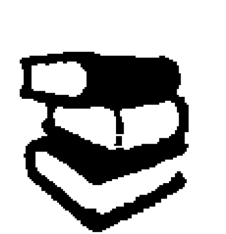
خلق الصور

فائدة الكلمات الملموسة، والمحددة، ولا سيما كلمات الحواس هي قدرتها على خلق تصورات. ويعرف التصور على أنه صورة في العقل. فإذا كتب شخص أن بضعة أشخاص دخلوا متجره، فنحن نتلقى التواصل بشكل مختصر، ونفهم ما يقصده، لأنه استخدم نحواً صحيحًا وتركيبة جيدة. لكننا لم نحصل على تصور محدد يمكن أن نراه بعيون عقلنا، ولا نعرف ما إذا كان الذين دخلوا المتجر ستة أشخاص صينيين أم هم دبلوماسيون، أو هم اثنان وعشرون من المزارعين ولكن إذا كتبت:

«بعد أن كان الصمت هو المهيمن على المتجر لبضعة أيام متتالية فاجأتني مجموعة من الشباب، قد يصل عددهم إلى الخمسة عشر، وربما أكثر من ذلك، كان لباسهم الرياضي، وأجسامهم الفتية، وروائح عرقهم النفاذة المختلطة بروائح عطور وكولونيا فقدت هويتها، وحافلتهم المنتظرة في الخارج.. تدل على أنهم ينتمون إلى ناد رياضي، ربما قادمون من رحلة أو من لعب مباراة ما، فقد بدا عليهم التعب وتسابقوا جميعا إلى ثلاجة المرطبات، والمثلجات، كان من الواضح أنهم عابرون أنهكتهم الرحلة وأرهقهم الجو القائظ، أو ربما هزيمة...».

فإن الصورة ستتضح بالنسبة للقارئ، وسيشعر معك بالحر ويشم رائحة العرق، وسيتذوق المرطبات والمثلجات ويرى الشباب بملابسهم الرياضية وبحالة الإجهاد التي تبدو عليهم.

وكلمة (تصور) مشتقة من كلمة صورة أو خيال. وخلقت خيالاتنا من خلال خبرتنا الحسية. ومن مبادئ الكتابة الجيدة الأولية، أن تجعل القارئ يرى قدر





الإمكان، من خلال بعض أنواع التجسيد، وبعض الكلمات المرتبطة بالحواس، بدلا من مجرد إخبار القارئ بمفاهيم مختصرة. فالكلمات الملخصة بشكل عام، تحدث الجانب العاقل من عقولنا، أما الكلمات المحددة والمجسدة، فهي تثير خيالنا وتنشطه.

* عملية الإخبار أمر يكتنفه الغموض مثل:

«جرحت أصبعي».

* عملية جعل القارئ يرى أمرًا محددًا مثل:

«ثقبت أصبعي بالإبرة».

* عملية الأخبار تتواصل فكرة أو مفهوم مثل:

«كان المرور في وسط المدينة مزدحما».

* عملية جعل القارئ يرى بشرح فكرة أو مفهوم مثل:

«شوارع المدينة مزدحمة والباصات تنفث دخانا أسود، حتى رجل المرور على الدراجة البخارية، لا يستطيع المرور من بين السيارات».

ويعتقد العديد من الكتاب الشباب، أن اللغة المختصرة تبدو أعمق، ويستخدم بعض الكتاب التعميمات المختصرة على أمل التأثير على القارئ بذكائهم. في حين أن الانطباع قد يبلى بسرعة وسرعان ما يمل معظمنا الفعل المستمر للاختصار الذي عادة ما يبدو مفتعلاً.

وفيما يلي مثال على ذلك:

«الحياة ليست عبثا، ولا هي ورطة. الحياة لعبة، لعبة يتناوب فيها الأخذ والعطاء، لعبة تقتضى الممارسة الصحيحة وتقتضى المران. لا يسمح فيها بالأخذ دون العطاء ولا بالعطاء دون الأخذ، ولكن هل يمكن للمعطي ألا يأخذ بطبيعة الحال؟ عندما نغلق قنوات التلقي فينا، عندما نغلق الأبواب والنوافذ، فلا نرى هبات الحياة لنا ولا نلمسها، عندما نرفض الأخذ تمنعا أو كبرياء أو ظنا منا بأن

العطاء الخالص دون الأخذ أرقى وأسمى، هنا سنحرم الآخرين من متعة العطاء ونحرم أنفسنا من متعة التلقي. الأخذ والعطاء توأمان كالأرض والسماء كالصبح والمساء، فهل لنا أن نرفض المساء؟».

ولو أعدنا الكتابة بصورة مختصرة:

«الحياة ليست سيئة، إنها لعبة تبادل، نأخذ ونعطي ولا تستقيم إلا بهذين الأمرين. ولكن هل يمكن أن نعطي ولا نأخذ بطبيعة الحال؟ نعم، حين نرفض ما يقدم لنا لسبب أو لآخر. وبذلك نمتنع عن الأخذ ويمتنع الآخرون مجبرين عن العطاء. الأخذ والعطاء لازمان، فهل لنا أن نرفض أحدهما».

تقول الفقرتان نفس الشيء تقريبا، ولكن الفقرة الثانية تتحدث إلينا باختصار، لا يستطيع تحفيز خيالنا، وانفعالاتنا بالقدر الكافي.

الأمانة في تناول التجربة

ليس هناك أسهل من الكتابة بكلمات بسيطة وملموسة، لما تراه وتسمعه، لأنك بذلك لا تكون قد وضعت انفعالاتك، وآمالك وتصوراتك فيما تكتب فقط، بل انحزت للعالم الذي ترعرعت فيه أيضًا ولاسيما عندما تكتب حول تجربة شخصية. فقد قال: (أرنست همنغواى) «إن من أكبر الصعوبات التي يواجهها الكاتب هي أن يكتشف ما يشعر به حقيقة، وليس ما يفترض أن يشعر به» وهنا تبدو أمانة الإدراك مثالية، عادة ما نبتعد عنها في محاولتنا لإظهار رد فعل مألوف أو عبارة بالية.

وفيما يبدو أن لدينا رغبة غريزية لأن نسعد من خلال كتابة ما نعتقد أن الآخرين يريدون سماعه، وليس ما نراه حقيقة أو نعتقده بالفعل.

فهناك، على سبيل المثال، ما كتبه أحد الكتاب وليكن (جورج) في مفكرته عندما طلب منه أن يكتب عن شروق الشمس:

«في لحظة السكون، التي تسبق انبلاج الفجر، كانت السماء كالمخمل الأسود، والعزلة تحوم، كما لو أن جميع المخلوقات في انتظار الليل أن يعرى




ثيابها. وفجأة انبعث ضوء ذهبي من السحب المرتعشة، وراحت أغصان الأشجار تنحني، وتحاول أن تلامس السحاب، لتجعل الدورة تتكرر مرة أخرى، وهكذا بدأت جميع الحيوانات المنتظرة، سيمفونية الصوت: زقزقة الطيور الجماعية، ونباح الكلاب في قول ورد، متناوبة، وحفيف أوراق الشجر في انسجام، بينما يقود النسيم ذلك الحفل السيمفوني فتسقط الأوراق غير المرغوب فيها من الشجر».

لقد كتب الكاتب ما اعتقد أنه متوقع فحاول أن يحاكي ما التقطه من شعر غامض، وهو بذلك لم ير بنفسه، ولم يشم، ولم يسمع، وفى الغالب، لأنه لا يمتلك شجاعة الثقة بمداركه. وأعتقد، أنه ما دام عدد من الكتاب منذ بدايات القرن قد كتبوا عن «العزلة الساكنة» قبل الفجر، فلماذا لا يكتب هو؟ فمن هو حتى لا يقول إن الأغصان لا تنحني، أو النسيم لا يقود الحفلة، ولا يقتلع الأوراق من جذورها؟ والنتيجة هي أن ما كتبه في مفكرته لا يعبر عن إدراكاته هو؛ لأنه استسهل وصف الفجر بكلمات مقبولة «أدبيا». وهذا النوع من التزوير لا يتضمن بالضرورة محاولة تضليل، بل عادة ما يكون بحسن نية، فنحن ببساطة لا نعرف أننا لم نر أنفسنا بعد. ونفترض بأن الطريقة التي جرت بها الأمور من قبل هي دائما ما ينبغي أن تكون. وقد لا نعرف كلمات أخرى نعبر بها عن شيء ما، لأن هناك كلمات تستخدم على الدوام للتعبير عنه. ونحن نميل لأن نكون مألوفين ومرتاحين باستخدامنا الطرق التقليدية لرؤية العالم. بينما عادة ما تضعنا محاولتنا لتحدي التقاليد والأعراف، إما في هوة مظلمة، حيث يرفض خيالنا القفز على المعتاد، أو تصيبنا بصداع بسبب التفكير فيها.

ولكن فيما يلي ما كتبه (جورج) عندما اضطر لكتابة المشهد مرة ثانية بأمانة، ومن خلال حواسه هو:

«ارتعشت في الظلام، راح أنفي يتصبب، وعلى الجانب الآخر من الطريق، على بعد حوالي ربع ميل، كانت هناك شاحنات الديزل تقعقع على الطريق السريع بأنوارها الساطعة. جلست على صخرة في الظلام أستمع إلى أصوات الشاحنات.

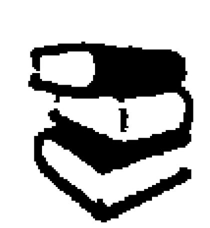
الشـاحنات الأخيـرة تنزل على الطـريق السريع تدوي والـصوت يبهت إلى دمدمة صامتة. لبضع دقائق كان هـناك ضوء أحمر صامت على البعد، لم أستطع سماع شيء على الإطـلاق لأن أذناي كانتا لا تـزالان مليئتـين بأصوات المحركات والعـجلات الطـنانة. ثم تـلاشى الضوء وفـرغت أذناي من الأصـوات. سمعت الأعـشاب الضارة تمشط رجـلي شعرت بريح ناعمـة. وكنت أسمع أحيانا صوت سقوط ماء في الممر الضيق المحفـور في العشب. وبعد بضع دقائق سمعت شاحنة أخرى قادمة، مجرد صفير في البداية، غمغمة بصوت منخفض كما لو أن الصوت يدفع إلى الأمـام بنوع من الغضب. ارتفع الصـوت وراح يعلو حتى صار دويا في مواجـهتي. زئرت عجلات على الرصيف، ومرت بي شاحنة وصوت محرك يزداد رتـابة، ثم تعدت شـاحنة أخرى قـادمة من الاتجاه المعـاكس في ضوء ساطع، هو خليط من الأنوار، وعاد الصوت الجديد يدمدم مرة أخرى نحوي.

وبـشكل ما صار هناك ضوء. لا أعرف متى وكـيف تبينت بأنني أستطيع أن أرى ضبابا يحوم عـلى الممر الضيق كدخان ثقـيل الوطأة. ظهرت بعض السيارات على الطرق السـريع، بعضهـا بدون أنوار وراحت تزن على الـطريق مثل خنافس داكنة.

مجرد ضوء، كان رماديًا في البداية، على الجانب الآخر من الطريق السريع تشكلت الغابات سـوداء ومغطاة بالدخان ورطبـة. بينما الضبـاب يختفي تدريجيا وحافة الجبل في الجانب الشرقي تبدو فضية».

لم يظهر ما يتعامل مع الشمس مطلقا في كتابة (جورج) الثانية واكتشف في عملية الثقة بخبرته قدرته على حكي ما حدث بالفعل، اكتشف عالمًا حسيًا كان قد تجاهله مسبـقا، فبدلا من زقزقة الـعصافير، وغنائـها في «كورس» ظهرت عربات الديزل وهي تحك إطاراتها بـالرصيف، وبدلا من الأغصان تنحني، صارت تنحني لأي دخان أسود. كما لم يلاحظ الضـوء الذي ظهر بالتدريج تقريبا كل ذلك أثناء جلوسه على «صخرة» وأنفه يسيل. هكذا بدت المحاولة الثانية مقنعة للقارئ. ولم يعد (جورج) يزور انفعالاته، وصارت كتاباته أكثر حيوية، وأكثر قوة وتأثيرًا، فقد بدأ يرى بأمانة وأشرك القارئ في تفرد تجربته.





كان جزءًا من مشكلة (جورج) في كتابته الأولى في مفكرته أنه اعتمد على الشعارات والجمل المعلبة لتقوم بالتفكير له، والشعارات والجمل الجاهزة لمن لا يعرفها، هي عبارة عن مقاطع يتم تكرارها عادة، مما يجعلها لا توصل أي أمر جديد. وقد تكون الجملة خاطئة، وربما تكون صحيحة، لكنها مألوفة جدا بالنسبة لأذاننا بحيث صرنا لا نفكر فيها، فتخدعنا، وتجعلنا نعتقد بأننا نقول شيئا ذا معنى ويجد أكثر المبتدئين من الكتاب أنفسهم يحشون مقالاتهم بجمل جاهزة.

تستخدم الشعارات عادة، فتخدر أقوى إدراكنا، وتخنق قدرتنا على التفكير لحساب أنفسنا، حيث توضع مكان محاولة التعبير عن تفرد تجربتنا الحقيقية.

وفيما يلي مثال:

«العدل أساس الملك. والمساواة في الظلم عدل» ولهذا أصر أستاذ الرياضيات والذي هو أشهر من نار على علم في المدرسة، على معاقبة جميع من في الفصل لأن أحدا لم يعترف، ولم يقر بذنب إفشاء الفوضى وعلو الصوت الذي يسمعه سابع جار. كان الأستاذ (علي) طويلا، عريض المنكبين، أجعد الشعر، أسوده، له عينان جاحظتان تتسعان عند الغضب ويتطاير منهما شرار وشر مستطير. ترتعد فرائص الجميع خوفا منه، والكل يحسب له ألف حساب ويتقى شره ولم يتوقع أحدا أنه سيأتي (كسهم الله) في تلك اللحظة، فلم تكن الحصة حصته، لكن سوء حظنا جعل مدرسة اللغة العربية تغيب في ذلك اليوم، وأتى هو ليحل محلها..

مثال آخر كتبته إحدى الطالبات عندما طلب منها أن تصف شيئا يهمها بشدة:

«أول مرة قابلت فيها صاحبي، كان في مكتبة الكلية ظهر من أحد الأدراج وعلى وجهه علامات قرار. وأستطيع أن أقول إنه كان غارقا في تفكير عميق، ربما بسبب الواجب الذي كلفنا به ذلك الصباح. كنت متأكدة من أنه لم يكن يعلم بأنني من المقرر نفسه. ولم أفعل شيئًا سوى أنني سألته كيف يمكنني تقديم المساعدة؟ بينما كان كياني مقلوبا من الداخل».

على الـرغم من أن القارئ تلـقى شعورا معـينًا هنا، إلا أن المـؤلفة صعبت علينا أمر تصديق ما أدركته، هل كان «مكتوبا على وجه صديقها كل شيء؟» لابد أن تكون هناك بعض المميزات الجسدية، لكن لم ترها الكاتبة ولم يرها القارئ، ثم ما الذي قـاله الشاب أو ما الذي فعله لـيجعل المؤلفة تعتـقد بأنه «غارق في تفكير عميق؟» تبـدو الشعارات أحيانا بديلا سهلا، لمـا يحدث بالفعل في تجربة المؤلف، وتؤكد عبارة كجملة «كياني مقلوب من الداخل» مثل هذا الحكم وهكذا يتضح بأن المؤلفة لم تبذل جهدا أمينا في كتابتها.

ولذلك يـجب على الكاتب أن يتحاشى الشعارات والجمل الجاهزة فحسب، بل يجـب أن يعرف كيف يتـجنبها. حـيث لا يكمن حل المشـكلة في البحث في قامـوس عن كلمة بديلة، أو مـقطع بديل أو في لغة بديلـة ولكن في استبدال لغة قديمـة بفهم جديد، **فكـتابتك لن تـكون ذات معـنى إلا إذا استطـعت رؤية ما هو موجود حقيـقة، وليس ما تعـتقد أنه موجود**، هذا، وتتطلـب أمانة الكاتب تناول تجربته بصدق، وربما الـسبيل الوحيد لذلك هو البـدء في طرح سلسلة من الأسئلة مثل: هل تجربـتي هنا حـقيقـية؟ وهل أشعـر على هذا الـنحو، لأن والدي ومن أعـرفهم يتوقعـون ذلك؟ هل أسمع، وأرى شيـئـا بطريقـة معينـة لأن جملة ما أو شـعارا مـا يفـرض على ذلك؟ هل قـلت هذا لأن أمـرًا ما سـبق وإن قيل بـهذه الطريقة؟ وهل كلماتي حقيقية بالفعل بالنسبة لتجربتي؟

وفيما يلي مراجعة لما كتبته الطالبة عن صديقها كمثال على ذلك:

«كنت أعمل من التـاسعة حتى منـتصف الليل وراء مكـتب مراجعة الكتب عندمـا دخل صاحبي. مشى مستقيما إلى المـكتب ورمى كتابا. أتذكر كيف نظرت إليه وهو يـضغط على فكه، ثم يرخيه في ذلك الوقت كـنت مبهورة به. اعتقدت بأن الضـغط على الفك يعني بـأنه شاب ثابت العزم يـشق طريقه الخاص. ولكنى تبينت فيما بعد بـأنه يفعل ذلك عندما يكون متـوترا. راح يثبت عيناه على شاشة الكمـبيوتر المضيئـة خلف المكتب، بينـما أصابعه الأسطوانيـة تثني زاوية الكتاب، كانت الفتيات الأخـريات يقهقهن ويتظاهرن بـالانشغال. كان على أن أقطع بضعة





أمتار من مساحة مفتوحة حتى أصل إلى المكتب الأمامي، شعرت كما لو أنني قد نسيت المشي، وبأن أطرافي قد تحولت إلى مواد إسفنجية. وعندما وصلت إلى المكتب الأمامي، تسمرت وعرضت عليه المساعدة دون أن أنظر في عينيه».

من الملاحظ أن الكتابة قد تخلصت، هذه المرة، من الشعارات والكلمات الجاهزة، باستخدامها حواسها الخمس، ثم محاولتها أن تكون دقيقة في وصفها، وهكذا صارت تجربتها أصيلة بالنسبة لنا. ربما يصعب التخلص من جميع الشعارات والجمل الجاهزة في كتابتنا أحيانا، ولكن إذا بدأت تحدي نفسك وتمكنت من أن ترى بما هو موجود حقيقة وتشعر به، تستطيع أن تتأكد بأنك تبذل جهداً أمينا على الأقل. قد تكون الأمانة مؤلمة أحيانا إلا أنها ضرورية، إذا أردت بدء عملية البحث عن الحقيقة في تجربتك مع العالم من حولك؟

تدريبات

١ - فكر في نوع الكلمات المستخدمة أسفل، افحص، وضع دائرة على المصطلحات المختصرة العامة، وخطا تحت المصطلحات الملموسة والمحددة:

* «مع التقدم التكنولوجي، صارت حياتنا سهلة، لكننا فقدنا جزءاً كبيرا من شعورنا بالأمان والاستقرار. لم نعد ننعم بصفاء الذهن ولا بالعلاقات الإنسانية الطيبة. تباعدنا وصار كل منا يجري في اتجاه من أجل تحقيق مصالحه الشخصية».

* «قالوا وما زالوا يقولون أن الفرق بين المتفائل والمتشائم، أن الأول يرى الكأس الممتلئة بالماء حتى نصفها والمتشائم يرى نصف الكأس وقد فرغ نصفها من الماء، مثل هذه القاعدة يمكن أن تطبق على العديد من الأمثلة كالنور والظلام والصدق والكذب والظلم والعدل. وحين ينوى المرء تعديل سلوكه وتحويله من السالب إلى الموجب يجد مشقة كما هي مشقة الصعود مقارنة بسهولة الانزلاق والهبوط، إضافة إلى ما ينطبع في ذهنه من مشاهد تخلخل إحساسه

بالتوازن أو الميل إلى الموجب، مما يعني إيمانه بوجود الأسود والأبيض أو الحق والباطل بنفس القدر».

* «يحيا الفشل، أقولها ملء فمي، وأنا بكامل قوايا العقلية والنفسية، أقولها وأنا في قمة نجاحي وفى قاع فشلي، ويقولها كثيرون غيري سرًا وجهرًا. ما دام وجوده يضفى توازنا في الحياة، والناجحون هم أكثر الناس معرفة بهذا الشأن، فلولا الفاشلون لما برزوا». وللناس آراء فيه أحدهم يقول «الفشل تجربة نجاح غير ناضجة» ويؤكد آخر «عندما فشلت عقدت العزم على أن أثبت جدارتي في شيء آخر، وتألقت». ويضيف ثالث: «يترك الفشل في نفسي مرارة، لكنى أدرك أنه أمر مؤقت، يمكن أن يتبعه نجاح بشيء من الجهد».

٢ - راجع كل ملخص «خبري» مما يلي، واجعله ملموسًا.

أ - أطعمتنا جيدًا.

ب - كانت الحفلة قبيحة.

جـ - كانت تلبس ما يثير الضحك.

د - أحب الطبيعة.

٣ - ربما يكون سبب الكتابة باستخدام الشعارات هو الكسل، أو أن الكاتب المبتدئ لا يقرأ كثيرا ولا يعرف مقتطفات أخرى أو مصطلحات بديلة.

حدد الشعارات والجمل الجاهزة، إن وجدت، فيما يلي من جمل؟

أ - الحياة تبدأ بعد الستين.

ب - سنكون معا في السراء والضراء.

جـ - تأتي أفلام السينما من كل فج وصوب.

د - لدى شعور جامح في الحديث بلا قناع.

هـ - العطاء مرتبة سامية لا يرقى إليها كل من هب ودب.





و - أتصور أن مجتمعاتنا تحتاج إلى صيدليات تصرف أقراص طموح، وكبسولات ثقة، وعقاقير تيقظ الفكر، وتنشط الإحساس بالمسئولية والرغبة في العمل والجد والمثابرة.

ز - أخيرا وليس آخرا عليك مواجهة الحقيقة أن الكتابة تتطلب جهدا.

تدريب المفكرة

١ - استمر في الكتابة الحرة في مفكرتك ولكن تحدى نفسك بأن تكتب أكثر مما كنت تفعل في محاولاتك السابقة، فإذا ملأت صفحة كاملة في محاولتك الأخيرة حاول أن تملأ صفحة ونصف الصفحة. حاول تسجيل أية تجربة أولى - أول مرة شعرت بالحب، أول مرة حاولت التدخين، أول مرة رأيت المحيط. اكتب قصة باستخدام كلمات ملموسة ومحددة، وحاول أن تخلق صورًا.

٢ - اكتب عن شيء واحد، شيء أمامك مباشرة، دع عينيك تظهر مخطط الشيء من اليمين إلى اليسار، ومن الأعلى إلى الأسفل، وركز على تفاصيل اللحظة، الظل والضوء. ثم أدرج تفاصيل، أطلق أسماء على ما ترى، ودع القارئ يرى صورا بدلا من أن تحكي. تجنب استخدام الملخصات أو التعميمات، ما لم تكن تناقش أهمية الشيء بالنسبة لك.

مثال:

لقد سبق وأن احترقت الشمعة ذات مرة قبل الليلة، إنها صفراء أسطوانية الشكل يمتد عرضها إلى نحو ثمانية سنتيمترات، يجري تدفق الشمع المذاب إلى أسفل جوانبها. وقد أنثني أحد الجوانب متشكلا على هيئة أذن. نمى اللهب وارتفع مع ازدياد عمق مركز الشمعة. الفتيلة تحترق ببطء والسواد يزحف تدريجيا نحو الأسفل. يتشكل جانب الشمعة ليشبه الجانب السفلى لنبات عش الغراب. يظهر ارتفاع ضيق بين واديين عميقين ولقاح ناعم كالحبوب يشكل سطحا منبسطا يمتد من طرف عش الغراب إلى بركة من سائل الشمع ويبدو أحد جوانب الشمعة كمشمشة ذاوية ومتجعدة.

٣ - اكتب عن تجربة عشتها مع أمر مهم بالنسبة لك. ابحث بعمق في ذاكرتك عن تفاصيل حقيقية، اكتب بإحساس لنفسك (أنت جمهورك) ولكن اكتب هذه المرة بصيغة الشخص الثالث، كما لو أنك كنت تراقب التجربة وهي تحدث في وقت مبكر من حياتك، وسيساعدك استخدام حواسك الخمس على استدعاء الصور.

مثال:

«إذا تأسس كل شيء على العقل، فلن يكون هناك أي شيء».. لم تكن عبارته بالتأكيد لأنه وجدها وسط أوراقه الصفراء عندما بدأ يقلب أضابيره القديمة بغير هدف. شعر لأول وهلة أنها تصفعه، حاول أن يتذكر.. ما الذي جاء بها وسط أوراقه. لمح أسفل الورقة (ديستوفيسكي) فتنبه إلى إنها كلمات الكاتب الروسي. ابتسم وأعاد الورقة إلى حيث كانت، بلا مبالاة وغادر ركن المكتبة الصغير في شقته. لكن صدى الكلمات ما زال يتبعه، ويلح بقوة، كمن يحاول كسر جدار ستنكشف من خلفه أسرار. حاول مقاومة هذا الشعور، أو تجاهله بلا جدوى، جلس على الأريكة يتذكر.. متى التقى بهذه الكلمات لأول مرة، ثم نجح في استرجاع بعض المناظر. تذكر ليلة خريف، مشبعة بنسمات حالمة، تعلن عن قرب حلول الشتاء.. حين شعر بأن شيئا بداخله يختنق ليتحول لمجرد مجموعة من الوظائف، أو مجموعة من العجلات التي تسير بلا إرادة، وسط تساؤلات لم يبحث لها عن إجابات حول وجوده كإنسان، وعن أهميته وسط هذا العالم المتسع المزدحم بالناس والأشياء.

شرع يتذكر، بأن هذه العبارة لم تستقر في ذهنه قط كما قرأها اليوم. كانت مختلفة. بدأ يسترجع بشكل واضح. كان قد قرأها «إذا تأسس كل شيء على العقل فسوف يكون هناك كل شيء».. نعم هكذا كانت عندما غادر مدينته الصغيرة، بعد تفكير عميق، وحين اتخذ قراره بترك الإنسانة التي أحبها لأنها «لا تناسبه».

تذكر كيف منعته لعنة الخوف من حساب كل الاحتمالات وحساب الضريبة الباهظة التي تعين عليه أن يدفعها.. ضللته، فرأى في الفضاء الخاوي «كل شيء» واستسلم خاضعا لأوامر عقله.. حتى انتهى مسلوب الإرادة بلا وجود.. لا يشعر بالنسمات الحالمة، ولا بالزهور، ولا بالطيور، ولا بالموسيقى، ولا بالابتسام، حينها فقط انتبه، وانتفض في ذعر، وعاد يبحث عن العبارة ليقرأها مرة أخرى..

٤ - أعد قراءة مفكرتك وابحث عن كتابة يمكن أن تكون ملموسة، ومحسوسة، وأمينة، ومحركة للمشاعر بصورة أكبر من سواها، وإذا ما شاركت بتفاصيل أكثر، تستطيع أن تسرد القصة من خلال صور، وتتجنب الشعارات، ابحث عن التفاصيل الحقيقية التي جعلت التجربة حية.





الصوت المناسب

مثلما رأيت العالم من حولك، وشحذت حواسك، وقمت بتعريف نفسك. وسواءً فعلت ذلك بوعي أو بلا وعي، فإنك قد اكتشفت علاقات ملموسة بين ذاتك وبيئتك المباشرة. وفى هذا الصدد، قد تبدو الكتابة من التجربة الشخصية فعلا خاصًا في بعض الأحيان.

ولكن يمكن لجميع الكتابات تقريبا، حتى المفكرة، أن تصل إلى الجمهور، إذا أردت المشاركة. هذا، وعلى الرغم من أن الكتابة عادة ما تساعدنا على تكوين فهم أفضل لأنفسنا، إلا أنها لا تكف عن العمل كفعل يسعى إلى التواصل؛ ولهذا، فإن تبين الجمهور، هو إحدى هذه المراحل المبكرة في عملية الكتابة، التي تحدث كفعل محفز لاستكشاف المادة. فمن هم قراؤك؟ ولماذا هم يقرأون لك؟ وماذا يتوقعون منك؟

إذا كنت تكتب ورقة بحثية موضوعية لأستاذ تاريخ، ربما تبدأ هكذا:

«أول من أقام هرمًا من ملوك مصر هو الفرعون (زوسر) وهو المعروف بالهرم المدرج بمنطقة سقارة، وقد أقام بعده (سنفرو) هرمين في منطقة دهشور وميدوم، ولكن (خوفو) قد ترك هذه الجهات واختار لنفسه هضبة الجيزة ليقيم عليها هرمه الضخم، وربما كان السر في ذلك أن هذه الهضبة كانت قريبة من عين شمس مقر عبادة الملك (رع) وكذلك لأنها متسعة ومرتفعة لتجعل هرمه يشرف على كل ما حوله، بالإضافة إلى أن أحجار الهضبة صالحة لقطع أحجار المباني لصلابتها ومتانتها. . » من موسوعة مصر القديمة.

ولكننا لن نكتب رسالة غير رسمية بنفس الطريقة، بل غالبا ما ستؤلف جملا عفوية وأنت مسترخي هكذا:

«هاى ماما كنت مشغولاً بكتابة بحث تاريخ عن الأهرامات والملك خوفو دوخني، وسهرني حتى الفجر، حتى انتهيت منه والحمد لله، وسأسلمه غدا. ولسعادتي بالإنجاز قررت أن أكتب لك، وسأدعو نفسي غدا إلى وجبة محترمة في مطعم الجامعة».

وهكذا نرى أن أستاذ التاريخ لم يقبل البساطة، وغياب الرسمية كما هو الحال في الرسالة الموجهة إلى الأم، مثل الأم التي لا تقبل الصوت الرسمي الذي يمكن أن تكتب به رسالة موجهة إلى أستاذ التاريخ؛ ولهذا، أنت تقوم بمثل هذا التعديل لأنك تعرف بأن لكل قارئ توقعا معينا. . ويعرف جميع الكُتَّاب الناجحين أن عليهم القيام بانتقالات متكررة في اختيار الكلمة، وطول الجملة، ونبرة الصوت والنغمة، إذا كانوا مقتنعين بنوعية القراء الذين يخاطبونهم في اللحظة المعينة. فعندما يكتب معدو الإعلانات، على سبيل المثال، يستخدمون مفردات ونبرة صوت تهدف إلى استمالة الجمهور، وعندما يكتب رؤساء البنوك تقاريرهم السنوية، يكون هدفهم إعلام المساهمين، وعندما يكتب الطلاب أوراقا حول نظرية أكاديمية ما، فذلك في العادة لكي يقنعوا أساتذتهم بأنهم قد فهموا المادة واستوعبوها، وعلى الرغم من ذلك، لا تعني الكتابة للجمهور أن تتخلى عن أفكارك أو معاييرك؟ ولا يعني «أن تبيع» بل يعني استخدام الرأي العام. ويعني تعلم المرونة بالقدر الكافي لمقابلة قرائك حيث يكونون، حتى حين يكون هدفك هو أن تقود هؤلاء القراء إلى مكان آخر، ويتطلب منك ذلك أن تعرف بعض الشيء عن الجمهور قبل أن تبدأ في الكتابة.

ما الذي عليك إذن أن تعرفه حول الجمهور من أجل الكتابة الشخصية أو الكتابة المعبرة؟ لقد وجد الباحثون أن كتابات الرسائل الشخصية، وكتابات المذكرات والمقالات عادة ما توجه، بطبيعتها الخاصة إلى مجموعة تربطها حميمة سواء من الأصدقاء أو من القراء المتعاطفين، على الأقل حيث يفترض أن يكون

مثل هذا الجمهور مهتما بمشاركة الاستبصارات الناتجة عن ملاحظاتك وخبراتك. وسواء كان هدفك مجرد التسلية، أو إخبار قارئك بأمر ما، ومحاولة إقناعه بقيم وحقائق شخصية، فإن العنصر المشترك في كلتا الحالتين من الكتابات الشخصية، هو وجود الصوت الطبيعي الذي يتوقعه القارئ بعيدا عن الرسمية المتكلفة.

الصوت الطبيعي

استمع بأذنك الداخلية للحظة إلى صوت (علاء الديب) وهو يتحدث عن الكتابة:

«لا أدرى لماذا تظل الكتابة رغم كل هذا الوقت، صعبة، وحالة نادرة؟ كنت أقول لنفسي إنها تحتاج إلى طهارة ووضوء، وأحيانا أقول أنها بحاجة إلى وقاحة وقسوة. اليقين الوحيد الذي يتأكد يوما بعد يوم: أن الكتابة أمر - بطبيعته - نادر الحدوث. الحبر المسكوب والكلام المرسل ليس كتابة. الكتابة إضافة وخلق شيء جديد.. الشيء الذي أقوله فيما يشبه اليقين أنك تستطيع عن طريق الكتابة - الفن، أن تمسك بأشياء وأفكار أجمل وأكثر خيرا وقيمة من الأشياء التي يمكن أن تصل إليها عن طريق العلم أو الفلسفة. في الفن الذي يتحقق عن طريق الكتابة.. حقيقة أكبر وفيه اتصال..» - من ملحق رواية «أحلام وردية» من روايات الهلال.

يشاركنا (علاء الديب) إحساسه ورأيه وتجربته في الكتابة بصورة رقيقة تلمس قلوبنا، وترهف إحساسنا، فهو يتحدث إلينا بصوت إنسان، دافئ، ومألوف، نسمع فيه موسيقى، ونعقل منطق، ونتفتح على رؤيا من خلال صوت شخصي متفرد في كتابة راقية رصينة، مستخدما كلمات واضحة وبعيدة عن التعقيد.

ورغم جمال الصوت الطبيعي المتفرد، نرى أن معظمنا يميل إلى الكتابة بنفس الصوت: شديد الموضوعية، وبلا شخصية ربما لأنه لم يتعلم إظهار ذاته وصوته الطبيعي..

استمع إلى (بدر) وهو أحد الطلاب المستجدين في الجامعة وهو يحاول الكتابة من واقع تجربة شخصية عاشها في المدرسة الثانوية:

«من أكثر المواد إمتاعا في المدرسة الثانوية مادة (الكيمياء) التي كان يدرسها لنا الأستاذ (فارس) فقد كان ينمي عقول طلابه من خلال مشاركتهم في تجارب كانت جزءا يوميا من المحتوى التعليمي. كنا نحب المادة لأنها مثيرة، وبها معلومات جيدة..».

بعد أن قرأ (بدر) ما كتبه في الفصل، شعر زملاؤه أنه لم يتحدث من واقع الحياة الحقيقية بالقدر الكافي، ولم يكن الصوت صوته، ولهذا صار ما كتبه مملا..

كانت إحدى هذه المشكلات: نبرة الصوت، فالنبرة هي اتجاه الكاتب، أو مشاعره نحو كل من المادة والجمهور، كانت نبرة الطالب بعيدة وأقرب إلى البرود..

عندما تكون الكتابة جافة، سيجد أي قارئ صعوبة في الشعور «بالاستمتاع» ويزيل استخدام الشخص الثالث (هو) بدلا من الشخص الأول (أنا) عنصر البشرية، ففي أشكال أخرى من الكتابة، كالتحليل النقدي، وتقرير المعمل، يتطلب الأمر من الكاتب استخدام النبرة الموضوعية في تناول مادته، ولكن بالنسبة للمقال الشخصي ما ينبغي أن يكون هو الصوت شخصيا.

حاول (بدر) إعادة ما كتبه باستخدام صوت أكثر طبيعية، وقال له زملاؤه: «كن بسيطا، وحاول أن تتحدث إلى الصفحة».

أحببت الأستاذ (فارس) لأنه مدرس كيمياء جيد في المدرسة الثانوية، فقد جعلنا نفكر، وكنا دائما ما نقوم بتجارب في الفصل، ونندمج فيها أحيانا، فلا نسمع الجرس، الأمر الذي يستدعي حضور مدير المدرسة لينبهنا بأننا قد تأخرنا عن الحصة التالية:

قال الزملاء لـ (بدر) بعد أن قرأ محاولة الكتابة الثانية: «هذا أفضل» فقد كانت أكثر إنسانية، وأكثر معقولية. وصوت مقبول في مقال شخصي، لكنه لا يزال نفس صوت (بدر) الذي يتحدث به خارج جدران الفصل. فهل يستطيع الحديث مع الصفحة وكأنها صديقة؟ هل يستطيع أن يخبر الصفحة بما رأى في

ذاكرته، بشكل ملموس، ويتبين أن جمهوره هو مجموعة من الأنداد، وليس مدرس اللغة العربية؟

محاولة أخرى

كان الأستاذ (فارس) شخصية غير عادية، يرتدي أربطة عنق كبيرة، وملتوية بحيث تعلق ذقنه، وكشاب صغير، ينحصر داخل بدلة قديمة، مبقعة بالمواد الكيميائية، وتقف فراشة عملاقة على ربطة عنقه، كنا نبدأ التجربة باستخدام «كبريتات الحديد»، و«حمض الهيدروكلوريك»، وسرعان ما نشم رائحة بيض فاسد تفوح، ثم نتبادل نظرات وضحكات. كما كان الأستاذ (فارس) يرقص في أرجاء الفصل، ويقول: «الله.. الله.. الله لقد نجحت التجربة، هل رأيتم ما حدث؟ عندما حضرتم كبريتات الهيدروجين؟».

«جيدا» قال الزملاء لـ (بدر) حيث استطاعوا سماع صوته الحقيقي، الأصيل. لاحظ ما جرى أثناء العمل على بلوغ الصوت المطلوب. كانت الكتابة الأولى ملخص شكل كلى تقريبا، أحب الطالب المقرر لأنه،ممتع ولكن في الكتابة النهائية أشرك (بدر) القارئ باستخدام تفاصيل ملموسة ومحسوسة.. وسرعان ما شممنا رائحة البيض الفاسد.

وباستخدام صوت طبيعي كان قادرا على إطلاق خياله بتدفق، وبحرية أكبر فصارت النبرة غير رسمية، وربما أقرب إلى العامية وشعر القارئ بالانفعال والاستمتاع..

وبعد استماع الفصل للكتابات الثلاث، مرة أخرى، قرر الزملاء بأن صوت المحاولة الأولى، كشف قلق (بدر) من الكتابة؛ ولهذا كتب بصورة جافة، وربما افترض أن جمهوره في الكلية سيتوقع منه كتابة رسمية، وفى المحاولة الثانية كتب لمعلم اللغة العربية. فطلب منه زملاؤه أن يسترخي ويحاول أن يكون طبيعيا، وفى المحاولة الأخيرة لزملائه الطلاب باستخدام نفس الصوت الذي يتحدث به معهم بالفعل.

وهكذا يبدو الأمر واضحا فيـما يتعلق بأن الكُتّاب المبتدئين عليهم أن يكونوا على وعي بأن أمامهم خيارات الأصوات. تماما مثلما يختارون المفردات. وتساعد طبيعة الجـمهور والمادة على تحديـد أي الأصوات أكثر ملاءمة لـلغرض. والكتاب الذين يجدون أنـفسهم محبوسين في نفس الصـوت في كل ورقة يكتبونها، بغض النظـر عن الجمهور، أو الغرض سيجدون أنفسهم محبوسين في ملل متكرر. حتى أكثر الأبحاث رسمية يمكن أن تـكون أكثر حيوية وإمتاعا من خلال صوت أصيل، أما ما نتحدث عنه هنا هو مسألة درجة. على الكاتب المبتدئ أن يعرف بأن الكتابة المملة كتابة بلا صوت، وتبدو كما لو أن لجنة قد كتبتها وليس شخصًا بعينه. بينما يمكن أن تتميـز الكتابـة الفعالة، حـتى ذات الصبغة الـرسمية العـلمية، بصوت، وحيوية، أو تعبير لبق أو تـفرد يجعل القارئ يقول: «هذا لا يأتي إلا من فلان أو علان».

استكشف صوتك

ربمـا يفتح البـحث عن الصوت الـطبيـعي الأبواب لخيالك، بـينمـا يعيقك الصوت الخاطئ. فالصوت الصحيح يريحك ويحررك، ويسمح لك بأن تتحدث بما يجول في عقلك، وفـي الوقت الذي يبعدك الصوت الخاطئ عن الشعور بالراحة، ويعـزل انتباهك عن الموضوع إلى الكتابة نفسها.

استمع إلى صوت (محمود السعدني) الكاتب الصحفي الساخر.

«يا ميت حلاوة عـلى الدنـيا إذا أقبـلت، على رأى المـطرب أبو دراع، إذا أقبلت باض الحمام عـلى الوتد، وإذا أدبرت بال الحمار على الأسد. ها هي الدنيا أقـبلت يا كابتن، وأكل ومَـرْعَى وقلّة صنعَـة، وهل الكورة صنـعة؟ هؤلاء الحمير يدفـعون مبالغ طـائلة من أجل الكورة مع أن الـكورة مفروضة عـليه، وهل يجيد الكابتن شيئا آخر..» - من كتاب اليوم، تمام يا فندم.

ثم قارنه بصوت (د. شكرى عياد).

«.. والحياة بـالنسبة لمن نـذر نفسه للـكتابة، لا تعـني إلا شيئا واحدًا: أن يقول: أن يفضى، أن يتطـهر، كأنها «تجربة» في البـوح، في الشهادة على النفس





يجريـها المخلوق مـع إخوته البشـر، قبل أن يعـيدها كـاملة نـقية، وهو في الملأ الأعلى.. بدأت اكتب سيـرتي الذاتية. لـم يعني على كتابتها إلا تصميمي على أن أكون صـادقا كل الصدق، أن أكـون أنا نفسي، ابـن السبعين، وابـن السبعة وابن الـسبعة عشر في وقت واحد..» من ملـحق رواية الطائر الفردوسي - من روايات الهلال..

كلا الصوتين بدا طبيـعيا وغير رسمي، ومـسترخي.. وكلاهما سهلا على القارئ، ورغم ذلك ليسا نفس الـصوت، فقد استخدم (محمود السعدني) كلمات عامية، تستـخدم في الأحاديث العاديـة مثل «يا ميت حلاوة..»، «وأكل ومَرْعَى وقلّة صـنعَة» وهـذا دليل على أنه لا توجـد لغة كـتابة مثـالية تـصاحب الصوت المـتحدث. وقد تـوصل (السعدني) لـهذا الصوت، وخـلق انطباعًـا خاصًا، وهو يتحدث إلينا من خلال الصفحة.

وبلغ (د. شكرى عياد) أيضًا نفس الأثر، ولكن اختياره للكتابة كان لغة غير رسمية، وغير عامية.

وفيما يلي بعض الأمثـلة التي تقارن بين اللغة العامـية، واللغة غير الرسمية واللغة الرسمية:

عامي	غير رسمي	رسمي
يرغي	يتحدث	يناقش
تخميني هو العيال	توقعي هو الأولاد	تقديري هو الأطفال

وإن كانت مثل هذه القائمة تعد تعسفية، فما يعد كلمات غير رسمية بالنسبة لجيل، ربما يصبح مناسبًا ليكون رسميًا لجيل لاحق، فقد كانت بعض الاختصارات مرفوضة بشدة ذات يوم، في الكتابة الرسمية، وأصبحنا نجدها اليوم في المقالات، وفى الدوريـات المتخصـصة، ولا تزال المقارنـة تكشف أن أمام الـكاتب اختيارات عديدة، وهكذا ربما تتحول المادة المكتوبة بصوت معين إلى صوت آخر..

شَعَر (السعدني) على سبـيل المثال، بالراحة أثناء الكتابة بالأسلوب العامي، وتدفقت أفكاره أسرع، بصوت أقرب إلى صوت المتحدث. ولكن إذا كان جمهوره من الأكاديميـين المتخصصـين، وليسوا من الـقراء العاديين، ربمـا سيعود إلى مادته ويعيد صياغتها بنبرة رسمية هكذا:

«ما أجمل الحياة إذا أقبلت فكما يقول المطرب فرحان، إذا أقبلت الحياة تنزل الـنجوم من السمـاء، وإذا أدبرت ينقلب الـصبح مساء، وها هي الـدنيا قد أقبلت على الكابتن، وراح يتقـلب في النعيم، بلا عمل، وهل لعب الكرة عمل؟ هؤلاء المغفلون يدفعون مبـالغ طائلة من أجل الكرة. رغم أن لعب الكرة مفروض عليه، وهل يجيد الكابتن عمل شيء آخر. . .».

وهذا يعني بأنه من خلال الكتابة بصوتك الطبيعي، تسمح لخيالك بالتدفق، وربما يكون انتباهك كله مـركزا حيث يجب - على المادة وتستطيع فيما بعد العودة إلى مسودتك الأولى ومسودتك الثانية، لـتراجع مدى ملائمة الصوت الذي كتبت به، ومـثلما وضعت أفكـارك وخبراتك على الصفحـة، فإن توفيق الصوت الملائم لتوقعات جمهورك وحاجاته ممكن.

الصوت الملائم

لكل صوت حـدوده، فربما يـكون الصـوت العامي أكـثر نجاحـا لاستدرار تعاطف الـقارئ العادي، كما أنه ملائم بالنـسبة للكتابة الـساخرة والخفيفة. ولكن مثل هذا الـصوت يمنـعك من مناقشـة مادة ذات طابع أكـثر جدية - إذا أردت أن تؤخذ بجـدية. هذا، ويعد الصوت غـير الرسمي، بمثابة جـسر صلب يمتد ما بين العامية والرسمية. .

ومن الممكن أن يبعث الـتسلية ويكون جادًا في الوقت نفسه، فعادة ما ينتقل بعض الكتاب بسهولة من سرد ذكريات سعيدة إلى تداعيات ذات طابع فكرى حول قيم إنسانـية. وهكذا فإن الـصوت غير الـرسمي هو الأكثر مـرونة من بين جميع الأساليب فهـو حميمي، ومريح، ومقنع وفى نفـس الوقت، مصقول ومنقح أكثر من الصوت العـامي. ويناسب المقالات، على وجه الخصوص. ولكن ما لم يتمتع

هذا الصوت بالمهارة الكافية، فإن جمهور ورقة البحث أو التحليل النقدي، أو التقرير سيتوقعون صوتا أكثر رسمية، فالحاجة إلى البيانات الموضوعية، والمعلومات الحقيقية، والتحليل المنطقي تتطلب نغمة عالية الجدية لإقناع القارئ.

اعرف جمهورك، ثم، اعرف ما الذي يتوقعه منك ويحتاجه ولكن اعرف نفسك أيضًا. فإذا جربت الكتابة بحرية أكثر وبراحة أكبر بصوت، استخدمه لتستفيد من أفضل مميزاته، ولا سيما في مفكرتك أو مسودتك الأولى. اكتب بسرعة، بحيث تجعل مادتك أسرع وأخصب خيالا أمام عيون عقلك. استخدم الأصوات الطبيعية. ثم كن على استعداد للعودة فيما بعد لإجراء أية تعديلات ضرورية لأفكارك وخبراتك كي تتواصل بفاعلية مع جمهورك.

تدريبات

١ - فيما يلي سلسلة من الفقرات، لمؤلفين مختلفين ولكل واحد صوت مختلف. فكر في جمهور كل صوت، واقترح نوع الشخصية الكامنة وراء ذلك الصوت. ثم ناقش حدود كل صوت، وابحث هل هو فعال لإقناع متخصص، أو لإعلام قراء يقرأون لمجرد التسلية؟ هل هناك أية أصوات مملة بالنسبة لأذنك؟ أو أخرى تشعر بأنك ربما تود استخدامها في كتاباتك؟

* «تمر صناعة النقل الجوى بمرحلة دقيقة حيث تواجه من التحديات ما لم تواجهه من قبل. فمن أسعار للوقود محلقة في السماء إلى زيادة كبيرة في الرسوم والضرائب وتكاليف الخدمات التي تتحملها شركة الطيران. علاوة على كثير من التحديات الأخرى باهظة التكاليف، وتحاول شركات الطيران جاهدة عدم تحميل ركابها هذه التكاليف والاستعاضة عن ذلك ببرامح لتحسين الأداء وتقليل التكاليف» - من مجلة حورس.

* «أعجب بالرجل الصامد. تنهال عليه السهام فلا يركع، وتتوالى عليه الضربات فلا يسقط. وتحيط به الحراب فلا يخاف. الصمود أمام

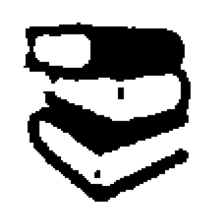
الظالمين شجاعة وإيمان، والاستسلام للظالم هو مؤامرة وخذلان. الضعفاء يستسلمون والأبطال يناضلون. الظالم يستند إلى سطوته وقوته وسلطاته ومدفعه والمظلوم يستند إلى حقه وإصراره على الثبات والصمود. .» - كتاب اليوم فكرة مصطفى أمين.

* «أراد جحا أن يتزوج فبنى داراً تتسع له ولأهله، وطلب من النجار أن يجعل خشب السقوف على أرض الحجرات، ويجعل خشب الأرض على السقوف فراجعه النجار دهشا، ولم يفهم ما يعنيه. فقال جحا: أما علمت يا هذا أن المرأة إذا دخلت مكانا جعلت عاليه سافله؟ أقلب هذا المكان الآن يعتدل بعد الزواج» - من نوادر جحا، عبد التواب يوسف.

* «أثبتت التجارب العلمية أنه في لحظات الحب تقوم خلايا معينة في المخ بإفراز مادة كيميائية تسمي (فينيل إيثيل أمين) ومع أن هذا الاسم يخلو من الرومانسية فإن العلماء أطلقوا علي تلك المادة اسم (عقار الحب) لأن حقنها في دماء الشخص يؤدى إلى النتائج نفسها التي يحدثها تلاقى أعين المحبين أو تلامس أيديهم. وهذه المادة قريبة الشبه من مركبات الأمفيتامين ويؤدى تأثيرها إلى الشعور بالأمان والرضا والتفاؤل. وكل المشاعر التي تنتابنا في لحظات الحب والطريف أن الشوكولاتة تحتوى على نسب من هذه المادة» من ملحق مجلة العربي.

٢ - هنا فقرة مكتوبة حول تجربة شخصية، هل اختار الكاتب الصوت المناسب؟ هل توجد مشكلات معينة؟ ما هي؟

* توقفت سيارتي فجأة في وقت ومكان غير مناسبين، وكنت قد أجريت لها الصيانة في موعدها، وقفت حيث توقفت أنتظر مساعدة أشرت إلى تاكسي، تطوع صاحبه بفحص السيارة المتجمدة، ولم يجد بها علة، وقبل أن ينصرف معتذرا خطرت بباله فكرة فيما




يبدو، وعاد إليها مرة أخرى، ثم برقت عيناه بالحل وقال لي أن السيارة تحتاج إلى بنزين، فقد كان مؤشر البنزين لا يعمل، مما جعلني أعتقد بأن السيارة صارت تحتفظ بالبنزين لفترة أطول من السابق.

تدريب المفكرة

تجربة مع الصوت. اكتب في مفكرتك ثلاثة رسائل بثلاثة أصوات مختلفة. افترض انك في فصلك الدراسي الأول في الكلية، واكتشفت مشكلة حقيقية - أحد زملائك يبيع البحوث، ومعها بحثك، أو أن ما دفعته من رسوم لم يسجل أو أن المسئول منعك من حضور محاضرة أصعب أستاذ لديك لمدة أسبوع.

أ - اكتب رسالة لصديق عزيز بالصوت العامي تصف له المشكلة استخدم تفاصيلا ملموسة ومحددة وكن أنت.

ب - اكتب في رسالة ثانية لشخص ما، ربما يكون قادرا على مساعدتك، مساعد من الطلاب القدامى من جيرانك، أو مستشار الكلية أو مدير في العمل، افترض أنك تريد أن تبين نضجا وتسامحا هنا: استخدم صوتا غير رسمي، ولكن كن محددا، ومفصلا بشأن المشكلة.

جـ - اكتب رسالة ثالثة لسلطة أعلى (عميد الكلية أو الأستاذ نفسه). واستخدم صوتا مؤكدا واطلب منه برسمية التدخل من أجل حل سريع.

العب

إذا كنت لم تسمح لنفسك باللعب بالكلمات، فإن الوقت يبدو مناسبًا الآن، حيث اعترف العديد من الكتاب بأنهم كانوا على استعداد للعب باللغة، ولتقبل الكلمات بعفوية. ويعرف الكتاب من ذوى الخبرة بأن الحرية واللعب هما ما يحبه الخيال أكثر من سواه. فمثل هذا اللعب لا يحتاج إلى علاقة مباشرة بمشروع كتابة محددة. كلما لعبت باللغة استكشفت قماشتها، وهيكلها وإيقاعاتها، ويساعد

التجريب باللغة كسـر الأنماط المتوقعة للتفكيـر والكتابة وربما يقود إلى استبصارات جديدة وأفكـار أصيلة؛ ولهذا استـمتع بجزء من اللعب بالـكلمات، اكتب مناورة لفظية، وأغاني، ونكت وسخافات وقصائد وشعارات ومبالغات مضحكة.

١ - العب في مفـكرتك بخلق تشبـيهات عفوية وابتسـامات ومبالغات مثل هذه:

* «تشير حبات العرق على أنفها، أن السباك لم يتقن صنعته».

* «وقف أمامي مثل عمود نور مهروس».

* «الكلام من فمه ينافس أفخم البلاعات في المساكن الشعبية».

* «من لا عمل له يختن الصراصير».

٢ - قم بإعداد قائمة طعام بلا معنى بمكونات سخيفة تبدأ مثلا بما يلي:

* «يمكن عمل عجة من عيون الكلاب، بمكونات متوفرة في كل بيت، وهي ملح وفـلفل، وحـبة نبـاح، وعرق ومرق، وقـطع من النمل المسلوق، والمايونيز منزوع الدسم، والطريقة سهلة، تبدأ بقتل خمسة كلاب بوليسية وفقء عيونهم وإضـافتها للمكونات السـابقة، والزيت حسب الرغبة».

٣ - أدرج اثنتي عشرة صورة مقززة مثل:

* «البخيل يعصر برازه ويشرب ماؤه».

* «صانع الـعصير المـاهر من يعصـر الفاكهـة بفمه ويضيـف لها لعابه وإفرازات أنفه الخضراء».

* * *



مواجهة الورقة البيضاء

حان الوقت. لقد استكشفت موضوعات شتى في مفكرتك ومارست بضعة تمارين. وربما أسندت إليك مهمة التعامل مع المادة والجمهور. وإذا لم يتم ذلك بعد. ابحث عن موضوع وأعمل عليه.

فمرحلة الإعداد تأخذ طريقها نحو النهاية. وعليك أن تواجه الأمر المحتوم، عليك أن تكتب صفحة ناضجة، يا إلهي، أليس هذا أمرًا مروعًا ومفزعًا؟!

أحضر أوراقًا وأقلامًا ومساحات وقواميس. واضبط نور مكتبك على الكمبيوتر. وتناول مشروبًا إن أردت أو ارسم بلا وعي دوائر صغيرة داخل دوائر كبيرة. وضع شريطًا واستمع إلى الموسيقى، وتذكر أوقاتًا حلوة في المدرسة الثانوية..

ولكن الورقة الفارغة تظل بيضاء وساطعة، والضوء الخاطف على الكمبيوتر يومض على شاشة فارغة، عند نقطة معينة لا مهرب، وعليك مواجهة أصعب أجزاء عملية الكتابة وهى البدء بالكتابة.

كيف تجرى العملية؟

واحد هذه الأمور المغلوطة التي يساء فهمها حول عملية الكتابة، ما يتعلق بمفهوم الفشل وهو ما تحتاج إلى التخلص منه، ورميه بعيدًا عن الطريق في البداية. فالفشل بالنسبة للكاتب الناجح، أمر طبيعي في عملية الكتابة. قد يبدو الأمر متناقضا، ولكن الحقيقة هي أنه بدون الفشل، ما كان معظمنا قادرا على قول

ما أراد مطلقا حيث إنه لا يعرف معظمنا في الغالب ما يفكر فيه ويشعر به. حقيقة دون أن يقول أولا ما لا يفكر فيه ويشعر به ففي المحاولة الأولى لكتابة هذه الفقرات كانت هناك عشرات الجمل التي لا تعبر عما هو مطلوب. والسبب هو أنه ما لم نر الكلمات بأعيننا، لا نستطيع التأكد مما نريد قوله. لقد «عرفت» أنه يجب على أن أتحدث عن الفشل، وإن لم تخطر ببالي مثل هذه الأفكار من قبل. أول جملتين من الفقرة بقيتا كما هما، لقد نجحت ولكن الجملة الثالثة لم تأت إلا بعد بضعة بدايات فاشلة، وكان على أن أعمل من خلال الإخفاق وعدم الملائمة وعدم الدقة، وجمل بداية خاطئة حتى أصل إلى ما يلي ذلك، أي ما يبدو صحيحا بالنسبة لي. وأتمنى أن أستطيع القول بأن الفشل ليس ضروريا، وأن الجملة يمكن أن تتدفق على الصفحة بدون ممارسة، ولكن حتى أفضل الكتاب يعرفون بأن عليهم العمل من خلال الفشل لكي يبلغوا النجاح.

فحسب ما قالته (د. رضوى عاشور) حول تجربتها في كتابة روايتها «خديجة وسوسن»: إنها قد أعادت كتابة فصول كاملة ثلاث مرات في عامين متتاليين.. وكانت تكتب ثم تتوقف وتعدل وتحذف ثم تقرأ ما كتبت فتجده رديئا فتضعه جانبا وتبدأ من جديد..

وقبلها كتب الشاعر (وليام باتلر يتس) قصيدة، ذات مرة، مكونة من واحد وثلاثين سطرا، وكشفت المسودة بأنه قد كتب تسعة عشر صفحة، مادة بالقلم الرصاص، وبالقلم الحبر، والخط المطبوع وعلى كل صفحة حوالي أربع عشرة كلمة مشطوبة، وسطور معاد العمل عليها وممسوحة، ولا سطر منها يشبه سطور القصيدة النهائية، ظهر في مسودة قبل الصفحة العاشرة. أي أن الرجل كتب مائة وأربعين سطرا قبل أن يجد الصورة الأولية التي ترضيه، ولازال هناك مائة وستة وعشرون سطرا عانى في كتابتها، أي كتب ما مجموعه مائتين وستة وستين سطرا، لكي يصل إلى واحد وثلاثين سطرا من الشعر.

أما (ثيودور جيزيل) مؤلف كتب دكتور سيوس «الشهيرة للأطفال» والتي هي عبارة عن سطور ميسرة، وإيقاع بسيط ولا شيء معقد في الرؤية الأخلاقية ولا أي

شيء من هذا القبيل، ومع ذلك اعترف (جيزل) بأن «القطة في القبعة»، وهو كتاب مكون من واحد وستين صفحة، لا تتجاوز كلماته مائتين وثلاثا وعشرين كلمة، استغرقت كتابته عشرة شهور.

لا أحد، بالطبع، سيتوقع أن ينفق عشرة شهور في كتابة تقرير أو بحث أكاديمي، ولكن كلما كثرت الكلمات ستكون مستعدا لاستكشاف مشروع الكتابة، وستكتشف في النهاية ما الذي تود أن تقوله، وكيف؟ وما الذي تحتاج إلى معرفته هو ما يعرفه المحترف، وهو أن نسخة العمل الأولى لا تكون سوى مخطط لأفكار الكاتب، والحقائق وتفاصيل الفهم، والكثير منها سيكون مكتوبًا بصورة سيئة. وأعلم بأن أحدا لن يرى تلك المسودة الأولى الخرقاء وأنها نسختك الخاصة، وهدفها الأساسي هو توفير ورقة عمل، ومساحة تخطط عليها، بأكبر قدر من التفاصيل الممكنة لأفكارك، ومن الطبيعي جدا أن تبدو فاشلة، ولكن في أغلب الأحيان ستجد نفسك أقل رعبا، وأقل خوفًا من وضعك وأنت تواجه الصفحة الفارغة فما أنت على وشك عمله هو الاستكشاف، وعلى كل مكتشف أن يشق طريقة عبر الكثير من العقبات حتى يصل إلى الذروة. عليك أن تكون على استعداد للسير في المنعطفات الخاطئة، وعلى استعداد لارتكاب الأخطاء لأنك لن تستطيع معرفة الطريق دون عناء ولا يستطيع أحد أن يفعل ذلك. استفد من الفرصة وأبدأ بالكلمة الأولى.

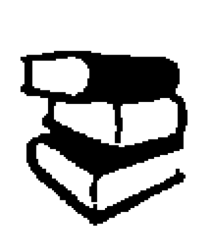
عادة الكتابة

توجد بضعة أنواع من الاستعدادات والاتجاهات الفعلية التي يمكن أن تمهد طريقك إلى المسودة الأولى، وإذا لم تجعلها أسهل، ستجعلها مثمرة على أقل تقدير..

١ - كون عادة الكتابة:

ما دامت الكتابة أمرًا يحدث أحيانًا سيبدو غريبا بالنسبة لك، وربما مرعبًا. فإذا مارست العزف على البيانو أو الجيتار، قليلا كل يوم، ويصبح ذلك مألوفا لديك وتشعر بالراحة فالألفة تساعد في جميع الأحوال على الاسترخاء. والأفضل





هـو أن تكتب ساعة يوميـا بدلا من أن تؤجل الكتابة حـتى آخر لحظة وتضطر إلى (مارثون) يمتد لاثنتي عشر ساعـة. أعمل ساعة واحدة في اليوم فقط في مفكرتك أو على تقريـر مطلوب منك، أو على صفـحتين من ورقة بحث مكون من خمس عشرة صفحة - فليس لذلك أي تأثير ما دامت الكتابة مستمرة كل يوم.

٢ - خصص وقتا ومكانا منتظمين:

حاول أن تـكتب في نفـس الوقت تقـريبا يـوميا، فـنحن مخـلوقات تحب الانتظـام. ويعرف مدربو كرة القدم أهميـة أن يتمرن الفريق في نفس الساعة، لمدة خمسة أيام في الأسـبوع، حيث لكل من الجسد والعقل إيقاع. وسواء كنت تكتب أفضل في الـصباح الـباكر، أو في مـنتصف الـليل، لا يهم مـا دمت قد وجدت إيقاعك الشخصي وتدفقت معه كل يوم.

اكتشف مـعظم الكتاب الـناجحين أيضًـا بأنهم يحتـاجون إلى مكان خاص يعمـلون فيه. فـفضل بعـضهم السكـون. واختار بـعضهم الآخـر الانغماس في الضوضــاء. قال (أدونيس) ذات مرة في مقابـلة تليفزيـونية «اكتب بين الناس وفى المقاهي وأنـا سائـر في الشارع، لأن الـفوضى ملح حـياتي» - لذا، ابـحث عما يناسبك لتلتزم به، وتخلق لنفـسك عشا خاصا. أحط نفسك بالكتب، واللوحات أو الحوائط العاريـة - أي شيء يجعلك في حالة راحـة. فقد ذكر الكاتب الألماني (شيلـر) أنه لا يستطيع العمل جيدا إلا عندمـا يشم رائحة تفاح فاسد. والحمد لله أن معظـمنا ليسوا كذلك، ولكن أن يكون لدينا مكان يساعدنا على بدء نمط خاص للكتابة، أمر ربما نحتاج إليه جميعا.

٣ - قم بكتابة تسخين عند الضرورة:

عندما كان (كورت فونيغت) لا يزال موظفا في شركة (جنرال إلكتريك) قبل أن يصبح مشهورا بسبب رواياته الخالية، وخياله العلمي، كان يصل إلى العمل كل صباح، ويجلس أمام آلته الكاتبة، ويكـتب عليها لمدة عشر دقائق، وقد لا يتمكن سوى من وصف بيض أكله في وجبه الإفطار، أو فوضى الطريق الفرعي في ذلك





الصباح، أو إحساس الثلج الذي شعر به في الهواء. وكان يسمي تلك الكتابة «تسخينا» ويعد هذا «التسخين» ضروريا للكاتب كما هو الحال بالنسبة للرياضي أو الموسيقي، حيث لا يستقيم الأداء دون إعداد، وتظهر أخطاء حتى ينضبط العقل وتعمل الحواس. وهكذا فإن أفضل إعداد لبداية المسودة الأولى، هو الكتابة في مفكرة لمدة عشر دقائق. علما بأن «التسخين» لا يمكن أن يحل محل الجهد الصادق في مشروع الكتابة الرئيسي ولكن لا تتردد في اللعب أولا. اكتب عن أي شيء يخطر ببالك، وإذا لم يخطر على بالك شيء اكتب عن «سعاد ودجاجها» ثم ابحث عن إيقاع جديد تمضي معه، ثم لعبة أخرى. تمرن ولكن ابدأ الكتابة بسرعة، ورتب نفسك على الكتابة في نفس الوقت، ولا تتوقف لمدة عشر دقائق على الأقل.

٤ - اكتب بسرعة:

متى ما بدأت العمل على مادتك الحقيقية، اكتب بأكبر كثافة وسرعة ممكنتين، لأن العقل يتحرك عادة أسرع مما تفعل الكتابة اليدوية، أو الآلية عن طريق الكمبيوتر، وقد تحتاج إلى أن تسجل أفكارك على شريط ولكن أعمل بسرعة.

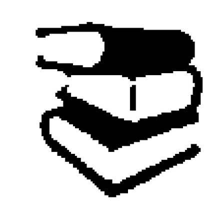
وجد معظم الكتاب الناجحين أنه كلما بطئت كتابة المسودة الأولى، بطئت أفكارك في التدفق. وكلما زادت الكلمات على الورقة، أثارت هي نفسها خيالك، لأن الكلمات تستدعي الكلمات، وتستدعي الصور صوراً أخرى، وربما تساعد الكتابة البطيئة على أن تنقد نفسك أكثر مما ينبغي، وتبدو واعيًا بتحدي الجملة التي أنهيتها لتوك، فتطرح أسئلة مثل: هل هذه أفضل طريقة لقول ما أريد؟ هل كتبتها صحيحة؟ وهل يمكن أن تركب الجمل بصورة أحسن؟ ومتما بدأ هذا النوع من النقد الذاتي، فإنك لم تعد تكتب، بل تقوم بعملية تدقيق، بينما الكتابة والتدقيق مرحلتين مختلفتين في عملية الكتابة. فالكتابة السريعة المكثفة تركز من خلال المسودة الأولى انتباهك على مشروعك. لا سيما وأن الأفكار لا تتدفق من الاهتمام بالنحو أو الإملاء، بل من مواجهة المادة. كما أن الوقت بعد أن تنتهي من العمل على المسودة، سيكون متاحا للمراجعة والتدقيق والصقل.




تعني الصياغة هنا، شكل خبرتك والطريقة التي تنظم بها مادتك، فعادة ما تكون الصياغة ذاتية، في الكتابة الشخصية. وتميل إلى رصد التطور في سلسلة من الأحداث الطبيعية التي تكتب عليها (حدث هذا، ثم هذا) أو تداعي لا واعي (كلمة تستدعي أخرى وصورة تقود إلى صور). ولن أطلب منك ألا تدون خطوط عريضة، أو لا تخطط، حيث يرى العديد من الكتاب الأمر مفيدًا. ولكن لأن جزء من هدف الكتابة عن الخبرة الشخصية هو استكشاف الذات واكتشاف صوتك بحرية، ستجد في الغالب، وبشكل مؤقت، إن الاهتمام الواعي بالصياغة ينبغي أن يتبع المسودة الأولى، ولا يسبقها، وهناك عنصران تقليديان يتعلقان بالصياغة مرتبطان بالمقالات الشخصية، قد يساعدك التعرف عليهما على التركيز بصورة أوضح حتى في نسختك المسودة.

الأول، هو أنه على الرغم من المدى الكامل من الخبرة الإنسانية المفتوحة أمامك، لا تستطيع أن تكتب بنجاح عن عشر سنوات من عمرك، أو ربما أربعا وعشرين ساعة، في أربع صفحات أو خمس. ولكن المقال الشخصي، يكتب حول خبرة واحدة فريدة، خبرة تظهرها بتفصيل أكبر، وتساعد القارئ من خلال ذلك على رؤية ما تكتب، وسمعه، وشمه، ولمسه. كما يمكن أن يكتب المقال الشخصي حول خبرتين، أو ثلاث خبرات أصغر حجما، بحيث يربطها تشابه وتكشف عن نوع من أنواع النمط - كسلسلة من المواقف اليومية العادية المتشابهة التي تقود إلى استبصار عام وسيحتاج كلا الأمرين إلى اختيار حدثا واحدا، أو حدثين أو ربما ثلاثة أحداث متشابهة بينما تستبعد ملايين الأحداث الأخرى التي لعبت دورا في حياتك.

أما الثاني، فهو أن توضح عناصر الخبرة التي اخترت الكتابة عنها للقارئ، كيف قادتك مادتك إلى نوع من الاستبصار أو الفهم حتى لو كانت مضحكة. ولا تحتاج بالضرورة لأن تشرح معنى التجربة بمصطلحات مختصرة، وعامة (رغم أنك تستطيع ذلك)، ولكن ينبغي عليك توضيح المعنى، أو تطبقه في نهاية المقال، وإلا لماذا الكتابة عن التجربة، إذا لم تكن تعني لك شيئا؟





تدريب المفكرة

إذا كنت تتدرب بانتظام في مفكرتك، فلديك عدد من الاستراتيجيات لبداية مقالك الأول - وربما لديك مادة له. قم بإعداد قوائم للكتابة الحرة، واستكشف ذكرياتك، وشارك القصص والخبرات مع الورقة البيضاء لأن جميعها طرق للبدء.

١ - انظر فيما كتبت في مفكرتك من تمارين كتبتها عن تجربة شخصية ما. اختر موضوعًا متعدد الاحتمالات. وقم بإعداد قائمة بالأفكار التي يمكن أن تطورها. فقد تكون قد كتبت صفحة عن أول لقاء لك مع أحد زملائك فكر كيف يمكنك تطوير الموضوع.

٢ - إذا لم يكن هناك شيء من كتابتك السابقة يتضمن احتمالات متعددة، أو إذا كانت قائمتك الجديدة لا تثير الخيال هذه المرة، جرب تقنية تدعي «مسح» أبدأ بالكلمة الافتتاحية، أي كلمة تختارها، ثم اتبعها بأي كلمة تخطر على بالك. اسمح للكلمة أن تخلق تداعيًا حرًا، أو تستعرض ذكريات ارسمها وارسم خطوطا ودوائر تتبع الأفكار.

مثال:

الزملاء	مدرستي (المدرسون)	المواد
زملاء الفصل	مدرسون محبون	مواد مفضلة
زملاء الأنشطة	مدرسون مكروهون	مواد صعبة
صداقات دامت	عقاب فوق العادة	تفوق
زملاء منسيون	مكافآت	فشل

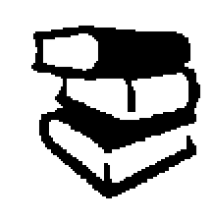
وإذا لم تظهر أفكارك، ارسم الخط والدائرة أولا، لأن ميل العقل إلى ملء الفراغ عادة ما يثير الأفكار.

٣ - إذا لم ينفع شيء، خذ استراحة، وأعمل على مشاريع أخرى أو اذهب إلى السينما، دع مرحلة الحضانة تقوم بوظيفتها في (لاوعيك). وحاول

ثانية فيما بعد، ولكن لا تؤجل الواجب حتى الليلة الأخيرة. استمر في المحاولة، ومارس جميع التدريبات المقترحة، وإذا لم يفلح شيء مطلقا، ابدأ بالكتابة عن أي شيء تتذكره. ففعل الكتابة نفسه دائما ما يكون أكثر إنتاجية من مجرد القلق بشأنه، أو التفكير فيما ينبغي أن يكتب.

***







الفصل السادس
التدقيق والشعور

- الصحفي: كم مرة تعيد كتابة أعمالك؟
- هيمنغواي: يعتمد، لـقد أعدت نهاية «وداعا للسلاح» تسعا وثلاثين مرة قبل أن أرضى بها.
- الصحفي: هل كانت هناك مشكلة فنية؟ ما الذي أعاقك؟
- هيمنغواي: العثور على الكلمات الصحيحة (باريس ريفيو).

يبدأ العمل الحقيقي للكتابة عندما تقرر أن تجعل كتابتك تقول ما توده تماما. وربما يكون عمل مسودة ثانية جديدة بالكامل أمرا فعالا، أي أن تعيد العمل بشكل كامل، وبنفس السـرعة والكثافة كـما في جهودك الأولى. أو قد تجد ضرورة لأن تكون المراجـعة أبطأ نوعـا ما، والدراسة محـسوبة بصورة أكـبر. فمن الممكن أن يقترح عليك شعور داخلي ما، أن الكلـمات التي استخدمتها لم تعبر عما تمنيته، ولهذا تبرز الحاجـة إلى إعادة صياغة، وشطب، وبـداية من جديد، بالإضافة إلى اختبـار كل جملـة جديدة في مقـابل القديمـة. وفى كل الحالات يبـقى اهتمامك الأساسي منصبا على المادة - وعلى الأفكار والمشاعر - وإن كنت تجد نفسك تتجه بتركيزك نحو بذل جهد واعٍ، وأنت تبحث عن كلمة مناسبة، وسلسلة من الأفكار أو الصور ذات المعنى الأدق لبلوغ أثر متسق.

يعتبر العديد من الناس أن استخدام اللغة أمرا مضمونا، فيطلقون كلماتهم بطريقة عشوائية كما تبدو لهم، بينما نجد أن للغة قوة تؤثر فينا. فبالكلمات التي يقولها شخص تحبه في مساء خريف يمكن أن تجمع قلبيكما إلى الأبد. ويمكن أن تجعلك الكلمات المكتوبة في رسالة قمت بإعدادها للتقدم إلى وظيفة مقبولا. كما قد تقنعك الكلمات المنطوقة على التلفاز ضمن حملات إعلانية بشراء المنتجات المعلن عنها، أو قد تصيبك حملات أخرى بالغضب. ومن جانب آخر تمنع قوة اللغة في الصحف من النشر بحرية، كما هو الحال في ثلثي العالم. وعادة كان الكهنة، في العديد من الثقافات المبكرة، والديانات، يخافون من الكلمات، لأنهم يعلمون سحرها الذي يستدعي المثول أمام الآلهة. وقد يقود - من ناحية ثانية - حكاية القصص والخرافات والخيالات في حفل سمر، إلى أساطير معقدة تتحول في النهاية إلى نسيج ثقافي للمدنية. ولولا الكلمات ما كانت لدينا مدنية. وهكذا لا يمكن للغة أن تنفصل عنا؛ ولهذا يحتاج الكاتب المبتدئ إلى فهم بسيط لبعض طرق تأثير الكلمات عليه وعلى قارئه..

وهيا بنا نرى كيف بدأ كاتب مبتدئ كتابة مسودة مبكرة لمقال عن جده قبل أن يظهر أية مشاعر:

«عاش جدي حياة خرافية فقد ربح في مطلع حياته شهادة استثمار بنكية ذات مبلغ كبير، وجعله المال يفرط في الزواج، حتى أنجب من البنين والبنات عشرة، شرفوه جميعا».

يمكن أن يكون ذلك صحيحا، ولكن يبدو أن الكاتب في مواجهة نوعين من مشكلات اللغة، يتعلق كلاهما بالدقة: الأولى، مسألة معنى والثاني مسألة فهم.

فالمعنى، هو المعنى الواضح، أو المعنى المعجمي للكلمة ومن الجلي أن استخدام كلمة بمعناها الدقيق، أمر ضروري لتوضيح التواصل. فكلمة مثل (خرافية) قد تعني ما هو أبعد من حدود الواقع. فربما كان الكاتب يقصد أن جده

عاش حياة غير عاديـة، أو مختلفة بعض الشيء، أو بها مفاجآت، ولكنها بالتأكيد لم تكن خرافية.

الكلـمات رموز، وما لم تستخدم بمـعاني متفق عليها عـمومًا، سينتج عنها خلط أو اضطراب في الفـهم، وفى المثال السابق اختار الطالب الكلمة الخطأ, بينما كان يمكنه أن يتلافى ذلك لو فتح قاموسًا يرشده إلى المعنى الدقيق للكلمة.

ولكن ليست المـعاجم دائما هي الحل لـلوصول إلى الدقـة، لأن الدقة تبدأ بوضوح الفـهم. فإذا لم تر مادتك بوضوح، فـمن الواضح أنك لن تجد الكلمات الـواضحة الدقيـقة للتـواصل بها. وربما لا يشـعر الكاتب المـبتدئ بالراحـة نتيجة استخدامه جملـة ما لكنه يسـتخدمها مع ذلك على أمل أن تـكون صحيحة، ولا بأس أحيـانا في ذلك في المســودة الأولى، ولكن الشـعور بعـدم الراحة يجب أن يعطي إشارة لوجود حاجة لتحدي الجملة في المسودة الثانية.

لقد (شرف الأولاد العشرة والدهم)، ربما وقد لا يكون الخطأ هنا في اختيار كلـمة، «شرف» بل في أنه لم يشرح لنا، وربما لم يتبين بشكل حقيقي كيف شرف الأولاد والدهم، هل بالمهن؟ أم بالإنجازات؟ أم بالأخلاق؟ أم لأمر آخر لا نعرفه. كمـا لم يبين عدد زيـجات والده الذي جـعله يقول كـلمة (إفراط) وهـنا لن يفيد المعجم في شيء.

عـادةً ما تعني مـراجعة النسـخة الأولى، إعادة النـظر فيهـا. فلو سأل هذا الكاتب المـبتدئ نفسه سلسلة من الأسئلة مثل: هل سبب عدم عثوري على الكلمة الدقيقـة هو أنني لم أتأمل الوضع بـالشكل الصحـيح؟ أو هل سبب عدم توصلي لحقيقة الأمر، هـو أنني لم أنظر بأمانة، ولم أعـانِ من أجل البحث عن التفاصيل الصغيرة التي تشكل في مجموعها الكل؟ أو ماذا عن مادتي التي لم أرها بعد؟ لن يجد الإجابات عسيرة، وربما أعاد كتابتها بشكل مختلف هكذا:

«عاش جدي حياة غير عادية، تمتع خلالها بالحظ السعيد، فقد ربح وهو لا يزال في مطلع حياته مبلغًا كبيـرًا من المال من شهادة استثمار بنكية، وساعده المال على أن يتزوج أكثر مـن زوجة جميعهن طيبات، ورزق بـعشرة من البنين والبنات تمتعوا جميعًا بالعلم والأخلاق العالية، الأمر الذي شرف والدهم».




وقبل تقديم النسخة النهائية من الأفضل إعادة قراءتها، وتدقيقها، مرة أخرى بالقلم الرصاص، وهكذا يصبح بإمكان القارئ أن يقتنع بما جاء بها.

فالكلمات المحدودة الدقيقة يمكن أن تسدد الهدف بقوة أكبر مما تفعله صفحة كاملة من الكلمات، التي لا تفعل سوى إرباك القارئ وتظل الكلمة «الصحيحة تقريبا» ليس هي الكلمة الصحيحة.

البحث عن الشعور الصحيح

إذا عينت لتكتب قائمة طعام لأفضل مطاعم المدينة، ربما تجد أن المعنى الصحيح هو نصف المشكلة، وفيما يلي نسختان من نفس القائمة كلتاهما تحمل معاني معجمية متشابهة.

* الأولى: «شطائر من النقانق مع شرائح من البطاطس المحمرة والـ(كاتشب)». (٧ جنيهات).

* الثانية: «عيش محشو بالمنبار، وحبة بطاطس مقطعة، وصلصة طماطم».

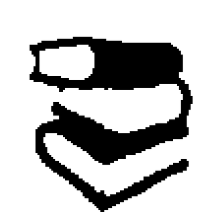
(٣ جنيهات).

سيفضل معظم الزبائن، دون شك، أن يدفعوا الكثير مقابل النسخة الأولى، رغم تشابهها مع الأخرى التي بسعر أقل، وذلك لأن الكلمات أكثر من مجرد رسائل تواصل، ومضمون الكلمة، هو ما تقترحه علينا من شعور.

فكلمة «التمريض» مجرد اسم لمهنة طبيبة، ولكن للكلمة مشاعر: حنان ورعاية وتضحية فطبيعة المشاعر المرتبطة بكلمة ما وحرارتها، ربما تجعل هناك خصوصية لعلاقتك الشخصية بها، فإذا كنت تقدر الرياضيين، ربما يكون الجري من المصطلحات إلى تستخدمها بفخر. ولكن إذا لم تكن تحب الرياضة، فربما يضايقك استخدام الكلمة. كما توجد كلمات أخرى ذات مضمون عام مشترك في ثقافة ما - مثل (تصبيرة).

وتأتي مشاعرنا نحو الكلمات، في بعض الأحيان، قوية بحيث تحل محل المعاني المعجمية الأصلية بشكل حقيقي مثلما كانت كلمة (ربة البيت)، في العصور





الوسطي تعني: المرأة التي تتحكم في البيت وتحتفظ بعدد من مفاتيح المخازن، الخزائن، رمزا لسيطرتها. أي أن الكلمة كانت مكافئة للمقابل المذكر (سيد)، وتعكس مضمون إيجابيًا مماثلاً. وفى زمن شكسبير صارت كلمة ربة البيت تستخدم بمعنى مجازى «سيدة قلبي» لتقول أنها المرأة التي تمتلك مفاتيح السيطرة على انفعالات حبيبها. ومن الواضح أن المجاز هنا بدا صحيحا، وصارت السيدة مرتبطة بالحب، أكثر من ارتباطها بالبيت. ومع حلول القرن السابع عشر، تحول المعنى المعجمي بشكل حقيقي إلى «الحبيبة المحرمة» وأصبح المضمون السلبي.

قارن استجابتك الانفعالية نحو كل من الكلمات المتشابهة المعنى المعجمي. وستكون المشاعر الإيجابية أو السلبية التي تعيشها هي المضمون. أما الكلمات التي لا يظهر معها شعور، فيكون مضمونها متعادلا:

الحمام - بيت الراحة - دورة المياه.

البيت - المنزل - عش الزوجية.

فرحان - منشرح - سعيد.

تستدعي الكلمات المشاعر، ولكن التواصل بالشعور الدقيق تماما ليس سهلا. فقد أرادت كاتبة مبتدئة يوما أن تكتب عن لحظة مؤلمة من لحظات الطفولة، لكنها وقعت في أكثر الأخطاء شيوعا بين الكتاب المبتدئين، حيث كتبت أكثر مما ينبغي، قالت الكثير جدًا، باستخدام كلمات لا تثير الانفعال ولا تقترح مضمونا ملائمًا. ورأى زملاؤها أثناء استماعهم لمسودتها الأولى، أن مقالتها بدأت ميلودراماتية، وأعادت الكتابة عدة مرات لتجعل مما تقول أكثر أصالة، وأكثر قوة لأن التجربة الحقيقية كانت مهمة بالنسبة لها، وهنا بعض الجمل المعاد كتابتها:

الأصل

«حيث كنت أسكن كان هناك قطار، كنت أسمعه، ولكنى لم أهتم به مطلقا حتى توفى والدي. عندما كنت وحدي ليلاً بالقرب من النافذة، كان ظل والدي باردًا كالموت الذي أشعر به في الداخل. سمعت صفير حيوان يصرخ ويئن في

مكان ما في الخارج. ثم لفنى صمت ثم عاد الصفير مرة أخرى، ولكن أقرب هذه المرة، ومؤلم ووحيد بكل معنى الكلمة، تخيلت نفسي للحظة وكأنني في الخارج، بقلب مكسور وممزق لفقداني، وأن روح والدي تبكى في الخارج مما آلم أذناي، وآلم قلبي حتى جرت دموعي جريانًا».

المراجعة

«في اليابان، كنت أسكن بالقرب من القطار، وفى كل ليلة كنت أسمع صفيره ولكني لا أهتم به مطلقا حتى الليلة التي تلت جنازة والدي كنت وحدي ليلا بالقرب من النافذة وكان الظل يبدو نحيفا وباردا. ثم سمعت صفيرًا مرتفعا وبعيدا مثل لعبة طفل في الظلام. ثم ران صمت مضطرب، تبعه انبعاث الصفير مرة أخرى. كان أقرب هذه المرة ولكنه مجوف ووحيد. للحظة شعرت بجزء منى في الخارج، روح والدي، ثم عاد الصفير مرة أخرى، ولكن أبعد حتى راح يبهت، ولم أعد أسمعه بعد ذلك ولم يبق سوى ضوء القمر على الحقول الفارغة».

تكشف كلتا الصياغتين عن مشكلات في المضمون، ولكن تعاني الأولى صعوبات أكبر. فقد اعترض زملاء الكاتبة على بعض السطور ابتداء من مؤلم ووحيد بكل معنى الكلمة حتى النهاية، واعتبروها أقرب إلى كلمات الميلودراما الجاهزة (قلب مكسور وممزق، ودموع تجرى على خديها) فقد حاولت أن تختار الكلمات والصور واعتقدت بأنها تنقل شعورًا صادق مليئًا بالألم، وكان الناتج عكس ذلك، حيث شك زملاؤها في إخلاص وصفها.

أما في الكتابة الثانية، حاولت الكاتبة رؤية المشهد في ذاكرتها وتخلصت من معظم الكلمات العامة، واستبدلتها بصورة ملموسة، باستخدام كلمات توحي بالشعور والألم والفقدان (صفير.. وضوء قمر، على الحقول الفارغة) كما تخلصت من كلمات قلبها المكسور واستبدلتها بتعبير «جزء منى» ووافق الزملاء على ذلك واعتبروه تعبيرًا موفقًا، لأنه بدأ أقل ميلودراما ورغم اختصارها الشديد، أوحت بفراغ وساعدت على إظهار الشعور المناسب.




يحتاج الكُتّاب الشباب إلى الثقة بأن اللعب بالكلمات ممكن. وليس عليك أن تعتقد بأن الكلمة على الصفحة مقدسة. فربما لا تعرف ما تود قوله على وجه التحديد، إلا إذا حاولت قوله بطرق مختلفة. ومن خلال فهم تأثير اللغة علينا جميعا، تعرف كيف تكتشف أفكارك وتعبر عنها بمزيد من القوة.

تدريبات

١ - قال (وليام فولكنر) بأن هناك ثلاثة أمور يحتاج إليها الكاتب: الورقة، والتبغ، والمشروب، ونضيف إلى القائمة: قاموس جيد وكبير، ورغم أنه لا يفعل لك ما يفعله التبغ والمشروب، إلا أنه أداة ضرورية لأي متعلم، وليس الكاتب المحترف فقط. حيث يستطيع التحقق من المعاني الدقيقة للكلمات قبل أن يستخدمها، إذا ما التبس عليه أمر ما.

توجد في هذا الصدد العديد من القواميس الجيدة والعملية منها، على سبيل المثال:

* المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية.
* المعجم الأساسي العربي - المنظمة العربية للتربية والثقافة.
* معجم الصحاح الجوهري - دار المعرفة.
* المنجد في اللغة والأعلام - دار المشرق - بيروت.

٢ - ارجع إلى كتاب من كتب «الفروق اللغوية» لتقف على الفروق الدقيقة ما بين كلمة وأخرى، وفيما يلي بعض الأمثلة للتدريب:

* الفرق بين القسمة والحظ والزرق والنصيب.
* الفرق بين الأصل والجنس والنوع والصنف.
* الفرق بين الحياة والعيش.

٣ - انسخ بعض الجمل من كتابات متفرقة وبين ما فيها من مضامين إيجابية أو سلبية أو متعادلة وناقشها، ثم حدد الكلمات المفتاحية التي تخلق

أثرا انفعاليًا وأسأل نفسك عما إذا كان هناك بديل لاستجابة انفعالية مختلفة؟

تدريب المفكرة

اختر واحد من تمريناتك السابقة - ربما واحد ذو أهمية خاصة بالنسبة لك - وقيم كل جملة في ضوء ما تعرفه الآن عن المضامين والمعاني المعجمية. هل تساهم كل كلمة في إعطاء المعنى الدقيق، والشعور الذي أردته؟ هل بعض الكلمات أو العبارات غير مناسبة؟ أعد كتابة القطعة لتجعلها أكثر فاعلية، ولتجعلها تعبر عن الانفعالات التي تشعر بها بأمانة. هل ستجعل إعادة كتابتها، أقوى، بحيث يمكنك تقديمها لجمهور من القراء؟

* * *



التخلص من الكلمات الزائدة

الفـرق بين التدقيق وإعـادة الكتابة أمـر اعتباطي. فبـالنسبة لـلكتاب الأكثر خبرة. تدمج تقنيات التدقيق مع عمليات استكشاف المادة في المسودة الثانية والثالثة بشـكل طبيعي. وهدف كلتا المرحلـتين في عملية الكتابة هـو تحسين فاعلية الكتابة بـحيث تجد طـرق توصـيل مادتك بـشكل واضح ومقـنع. ولكن تـوجد جوانب ضرورية عديدة من الكتابة تتعلق بآليات التعبير الفعال مثل: تركيبة الجملة، وتنوع الجملـة، والفقرات، والسياق المنطقي، والتوثيق الدقيق، وعندما يتم التأكيد على هذه المـميزات في وقت مبكرًا جدًا في عـملية التعلم، يغـرق الكتاب المتبدئون في فهم القواعـد والقوانين. وتكون النـتيجة في العادة كتـابة مجهضة واتجاه «أكره أن اكتب» ولهذا، ربما يكون من الأفضل - وأن بالغنا في التبسيط - التفكير في إعادة الكتابة كمرحلـة يبقي فيها التركيـز المبدئي على تطوير المادة، بـينما يكون التدقيق مرحلة ينتقل فيها الانتباه إلى بلوغ الشكل الأكثر صقلا وفعالية من حيث التعبير.

عمل المدقق

يتضـمن التدقيق، اختيار النص، وتنظيمه وتصويبه، وحتى لو أنك لن تقدم أوراقك للنـشر، فإن معظم الجـمهور المعتاد عـلى أن «الكتابة الجـيدة» هي الكتابة المنشورة، سـيحكم على عمـلك بمعايير متـقدمة؛ ولهذا عـليك أن تكون مدققك الخاص، وعلـيك أن تتعلم بعض مهارات التدقيق الضرورية. وستجد تطبيقاتها في كل مقال تقريبا، وفى كل تقريـر، أو ورقة بحثية، وهى ما يشكل فرقا بين العمل المتوسط والعمل الجيد.

يتـطلب التدقيق اتجـاها عكسـيا مقارنة بـاتجاهك أثناء كـتابة المسودة الأولى تقريبا. فبدلا من الكتابة العفـوية، السريعة، وتعليق جميع الأمور المتعلقة بتركيب جملة وتصحيح أخرى، يتطلب منك التدقيق فعل نقد ذاتي، هادئ وبطيء، ويجد معظم الكتـاب أنهم بحاجة إلى ترك كتابتهم فـترة من الزمن، والابتعاد عنها قليلا لكي يعودوا باتجاه أكثر هدوءا، وعلى كل كلمة، وكل جملة أن تثبت أهميتها وإلا وجب شطـبها. وحـتى إذا لم يكن لديك الـقدر المثـالي من الوقت للـتوقف بين الكتابة والتدقيق، يمكنك تدريب نفسك على الاقتراب من مادتك بعين المدقق.

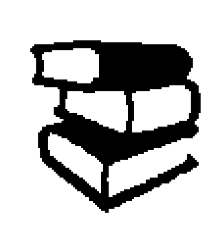
ومن المـهم معرفة أن أي موضوع يتكون من عـنصرين أساسيين هما: المعنى والمبـنى، أو المضمون والـشكل، أو الفكرة والـلفظ، ولا يمكن الفصل بـينهما إلا نظريًـا. ويتكون المبنى من كلـمات أو ألفاظ، ألفت تأليف خـاصا لتعبر عن تجربة صاحبـها بطـريقة فنية. ومن هـنـا تقدر الكلمـة بحسب موقعها وفـقا للمقاييس الآتية:

* ملاءمتها للمعنى وشدة ارتباطها به.

* موافقتها للذوق السليم.

* صيغتها الصرفية والنحوية.

ولأن الجمـلة أصغر جزء من الكلام، وتتألف من كلمات تعبر عن معنى تام فـهي تبدو أفـضل بداية لممـارسة التـدقيق. أما الخطـوة الأولى في صياغـة جملة متماسكة ومقروءة، فهي أن تجعلها لا تقول سوى ما تحتاج إلى قوله، أي تتخلص من الـكلمات الزائدة ولا تحاول تجنب الجمل البسـيطة القصيرة، وتقبل على الجمل الـطويلة، معقدة التركيب، ذات العدد الكـبير من الكلمات، حتى لا يبدو التدقيق بعناصر التبسـيط والمتعذر إسقاطه، نوعًا من أنواع الصـراع، فالكتابة الحديثة تميل إلى الجملة القصيرة تيسـيرا على القارئ من ناحية ومحاولـة للتقريب ما بين اللغة الفصيحـة واللغة العـامية، من ناحـية أخرى، وإن كانت الجمل الـطويلة في حد ذاتها، لا تـعد أفضل من الجمل القـصيرة ولا هي أسوأ، ولكن الـكلمات الزائدة بصورة عـامة قاتلة بـالنسبة لجمـيع أنواع الكتابـة، وهدف تدقيق الجمل الأول هو




التخلص من فوضى الكلمات التي تصرف الانتباه عن المعنى، فكل كلمة أو عبارة يمكن شطبها، يجب أن تشطب.

وفيما يلي جملة نموذجية للمسودة المبكرة:

«من أسباب شعور العديد من الناس، ممن نراهم يعيشون بيننا، بالتعاسة، أو بغياب السعادة في دنيانا المعقدة والبعيدة عن البساطة، شعور هؤلاء بألم دفين وحزن ناتج ونابع من خواطر مكسورة، بفعل نظرة سلبية نظرت إليهم في وقت كانوا فيه بحاجة إلى جبر الخواطر».

هي جملة معقولة، ولكنها ليست جيدة بالقدر الكافي، وسيتعامل فعل التدقيق الأبسط مع الزيادات فيها لتصبح هكذا:

«من أسباب شعور العديد من الناس من حولنا بالتعاسة في دنيانا المعقدة، شعورهم بألم دفين وحزن خواطر مكسورة، كسرتها نظرة سلبية وجهت إليهم حينما كانوا في أشد الحاجة إلى جبر الخواطر».

ومن خلال إزالة الكلمات المكررة، والزائدة صارت لدينا جملة أوضح توصل رسالتها بشكل مباشر.

هذا، وقد لا يتفق جميع المدققين بالضرورة على رؤية نفس الضعف في الجملة، ولكن معظمهم يستطيعون إزالة نصف الكلمات تقريبا، دون إخلال في معنى الجملة.

فنحن نميل عادة في كتابتنا للمسودة الأولى إلى الكتابة بدون دقة، وهذا أمر طبيعي، كما قد نحتاج في محاولتنا لتمييز ما نود قوله وانتقاءه، إلى اللف والدوران. ولهذا يكون وقت التدقيق، فرصة لإعادة التفكير فيما كتبناه من جمل وإعادة صياغتها بشكل واع لتقوية معناها.

إن فصاحة الكلام أو التركيب تتمثل في خلوه وسلامته من ضعف التأليف، وتنافر الحروف، والتعقيد اللفظي والمعنوي، مع فصاحة المفردات التي يتألف منها.

فالجمل على كثرة أنماطها متاحة أمام الكاتب، يختار منها ما يناسبه بحيث تكون صحيحة نحويا، وواضحة، وتقدم التفاصيل بفاعلية، ويكون موقعها ملائما في السياق العام. وفوق ذلك، يجب أن يراعي ما يعنيه، كما سبق وأشرنا، وما يمكن أن يترتب على قراءة ما كتبه. فالتواصل ما بين الكاتب وقارئه يقتضي الترابط والصحة والوضوح.

الجمل وأنواعها

الجمل من حيث الغرض تنقسم إلى:

١ - **الجملة الخبرية**: وهى التي تخبر الشيء أو تفيد بأمر حاصل، كأن نقول لمن كتب: «لقد كتب».

٢ - **الجملة الإنشائية**: وهي نوعان: طلبي مثل: التمني، والاستفهام، والنداء والأمر والنهي وغير طلبي مثل: التعجب والمدح والذم والقسم.

أنواع الجمل من حيث التركيب:

١ - **الجملة البسيطة**: وهى التي تحوي خبراً واحدًا، أو تدور حول حادثة واحدة مثل: «نجح الطالب» وهدفها هو تركيز انتباه القارئ حوله فكرة واحدة أو سياق زمني واحد. وتتركب الجملة البسيطة من مسند ومسند إليه، كأن يكون النجاح هنا مسند، والطالب مسند إليه.

٢ - **الجملة المركبة**: وهى التي تحوي أكثر من فكرة، وأكثر من سياق زمني مثل قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [هود] ووظيفة هذا النوع من الجمل هو تقديم فكرتين متمايزتين.

٣ - **الجملة المتداخلة**: وهى الجملة التي فيها تداخل في الأفكار مثل قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ [الشعراء] ثلاث آيات لا تفهم الأولى ولا الثانية إلا بالثالثة.

أنواع الجمل من حيث الشكل:

١ - **الجملة الدورية**: وهى الجملة التي لا تكتمل فيها الفكرة المركزية حتى الكلمة الأخيرة، لذا، فهي لا تحتمل أن تقف على جزء منها فقط مثل قوله تعالى: ﴿ ... لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ... ﴿٤٣﴾﴾ [النساء].

٢ - **الجملة الفضفاضة**: وهى التي تحرر الكاتب من الاضطراب على نهاية الجملة التي هو بصددها مثل: «زيد كالأسد بأسا».

٣ - **الجملة المجملة**: وهى التي تبدأ بحدث واحد ثم يتوسع فيها ويستطرد حتى يفرغ منه، وهو كثير في القضايا العلمية، مثل: «المادة المتبلورة تبرد ببطء القليل منها كل حين، ثم تأخذ في النمو شيئا فشيئا حتى تكتمل بلوراتها».

أنواع الجمل من حيث اكتمالها:

١ - **تامة**: وهى المكتملة نحويا وتعطي فكرة تامة.

٢ - **ناقصة**: وهى غير المكتملة نحويا ولكنها تعطي في السياق فكرة واضحة: وهذه دارجة في القرآن والشعر مثل: ﴿الٓمٓ﴾.

أسباب الغموض في الكتابة

هذا وعلى الكاتب المبتدئ أن يدرك بأن هناك أمورًا تؤدى إلى خلق غموض في الكتابة منها:

١ - **الغمغمة**: وهى الكلام الذي يحاول التستر على حقائق غير سارة كأن نقول «مهندس الدفن» بدلا من «حفار القبور».

٢ - **الحشو**: وهى العبارات الزائدة والمقدمات الطويلة والتكرار غير الهادف. كأن نفرط في استخدام الصفات الملحقة باسم أو بفعل لاعتقادنا بأن «الصفات ملونة» وتجمل الكتابة الضعيفة بطريقة ما. بينما

تعلم الكتاب الناجحون من الخبرة، أن الاسم القوى والفعل الواضح في حد ذاته أفضل من الاسم الضعيف المدعم بصفة أو ست صفات. لأن الأسماء هي الأساس في الجملة وليست الصفات؛ ولذا ينبغي استخدامها بحكمه.

فجملة مثل: «درست حشرة بنية صغيرة»، يمكن أن تكون أقوى إذا شطبنا (بنية صغيرة) ووضعنا اسم الحشرة بدلا من ذلك.

مثلما يمكن أن تكون جملة: «جريت حتى البيت»، أفضل من: «جريت بسرعة حتى البيت». لأن لا أحد يجري ببطء.

٣ - **المواربة**: وهي الدوران حول المعنى دون استخدام الكلام التقريري المباشر، مثل: «بالنسبة. .، أو باعتبار أن. .».

٤ - **الإيهام**: وهي أن يريد المتكلم شيئًا فيعبر عنه بعبارات تدل ظاهرها على غيره، وباطنها عليه، لكي لا يتورط الكاتب.

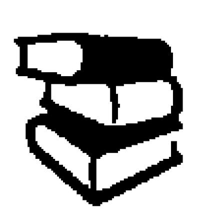
٥ - **الزخرفة اللفظية**: وهي استخدام كلمات كبيرة لمعان قليلة كأن يصف كاتب مطربة مبتدئة بأنها سيدة صوتها منسوج من الأنجم، ووجها مخلوق من بهاء القمر، وقوامها ينافس الغزال رشاقة.

الإيجاز والإطناب والمساواة

* **الإيجاز**، اصطلاحًا هو التعبير عن المعنى المراد بأقل ما يمكن من الألفاظ مع الإبانة والإفصاح. مثل «عظ الناس بفعلك».

* أما **الإطناب** اصطلاحًا، فهو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، فإن انتفت الفائدة صارت زيادة اللفظ تطويلاً.

* بينما **المساواة** هي المذهب الوسط بين الإيجاز والإطناب، أي تأدية المعنى المراد بألفاظ مساوية له مثل قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** (٩٠) ﴾ [النحل].





وسوف يساعدك السياق الذي يتضمن الجملة، وهدفك، وأذنك على اتخاذ قرار تخير الألفاظ.

تذكير

دققت جميع أمثلة هذا الفصل في ضوء السياق. ومن الواضح، أن اختيارك للكلمة، وطول الجملة في أوراقك ينبغي أن يتم في إطار التدقيق، ومعنى المقال بشكل عام. وتذكر أن التدقيق يحدث في نهاية عملية الكتابة. فلا تدعه يقلقك وأنت لا تزال في مرحلة النسخة الأولى وفي المراجعة. لأنك إذا بدأت في التدقيق من المفروض، أن ينصرف عقلك عن مادة الموضوع. بينما يجب أن يسبق المحتوى الصياغة، أي أن تضع المضمون أولاً على الصفحة، ثم تصيغه بعد ذلك.

وفى كل الأحوال، يجب ألا يخطر ببالك أنه من الممكن تخطي مرحلة التدقيق، حيث لا يكون المحتوى وحده فعالاً مطلقًا؛ لأن الطريقة التي تعبر بها عن نفسك مهمة بنفس قدر أهمية ما ينبغي عليك قوله. فإذا كانت أفكارك منغمسة في محيطٍ من الكلمات الزائدة، ستجد القارئ غير مستعد للغوص معك خوفًا من الغرق.

تدريبات

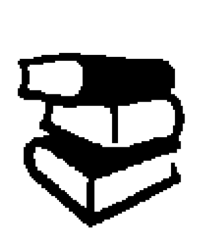
على الرغم من أنك تعلمت في النهاية تدقيق مادتك، ربما يكون من الأسهل أولاً أن ترى الإسهاب في جمل شخص آخر. حاول أن تجرب الألعاب التالية، قبل أن تبدأ تدقيق أوراقك الخاصة.

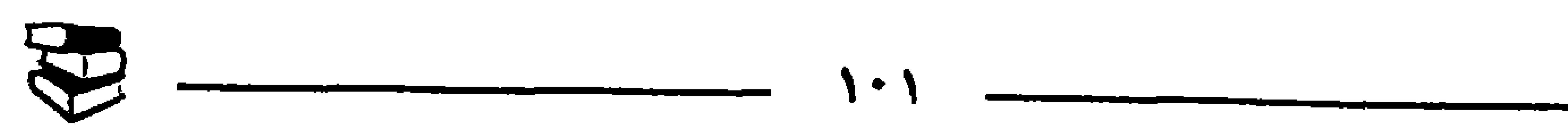
١ - أتمرن على الحديث بالفرنسية مع جارتي التي عاشت في النمسا.

٢ - لم يتمكن من الحضور إلى العشاء لأنه تعرض لنوبة ألم صداع نصفي كان يعاوده كلما تعرض لموقف يثير التوتر غير الطبيعي.

٣ - من يصدق أن ما أردته قد حدث بالفعل في وقت قياسي.

٤ - المشكلة هي أن الدخول في مناقشة عقيمة لا يمكن أن تؤدي إلى حلول تعالج جذور المشكلة، بصورة عميقة.





١ - دقق بندا أو اثنين مما كتبت في مفكرتك، بحيث تتخلص من كل كلمة زائدة، وتراجع التراكيب والموازنة والإيقاع، وتتخلص من الغموض.

من المـمكن أن تبالغ في فحص قـطعة من الكتـابة. فإذا شعرت بـالضيق، أو الإحبـاط توقف قلـيلاً، وعد ثانـية حين تشـعر بأنك قد هدأت. ولا تعـتقد بأنك الوحيـد الذي يعيش معركـة تدقيق كل كلمة والشطب، أو البدء من جديد، جميع الكتاب المعروفين يفعلون ذلك.

٢ - دقق بندًا من بنود مفكرتك القديمة، بحيث تجعلها أقصر بنحو الثلث، على الأقل، بـالنسبة للـنسخة الأصليـة الأولى. لا تقطع أمرًا ضروريًا يـؤثر على المعنى أو الشعور، ولـكن كن شجاعًا وتخلص مما لا يساهم في تحقيق الفاعلية الكلية بصورة مباشرة.

تم الرجوع في هذا الفصل إلى:

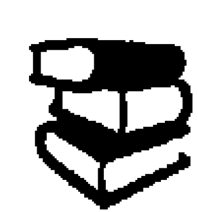
- مداخل كتابة العـربية وبلاغتها د. خالد إبراهـيم يوسف، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت - لبنان.

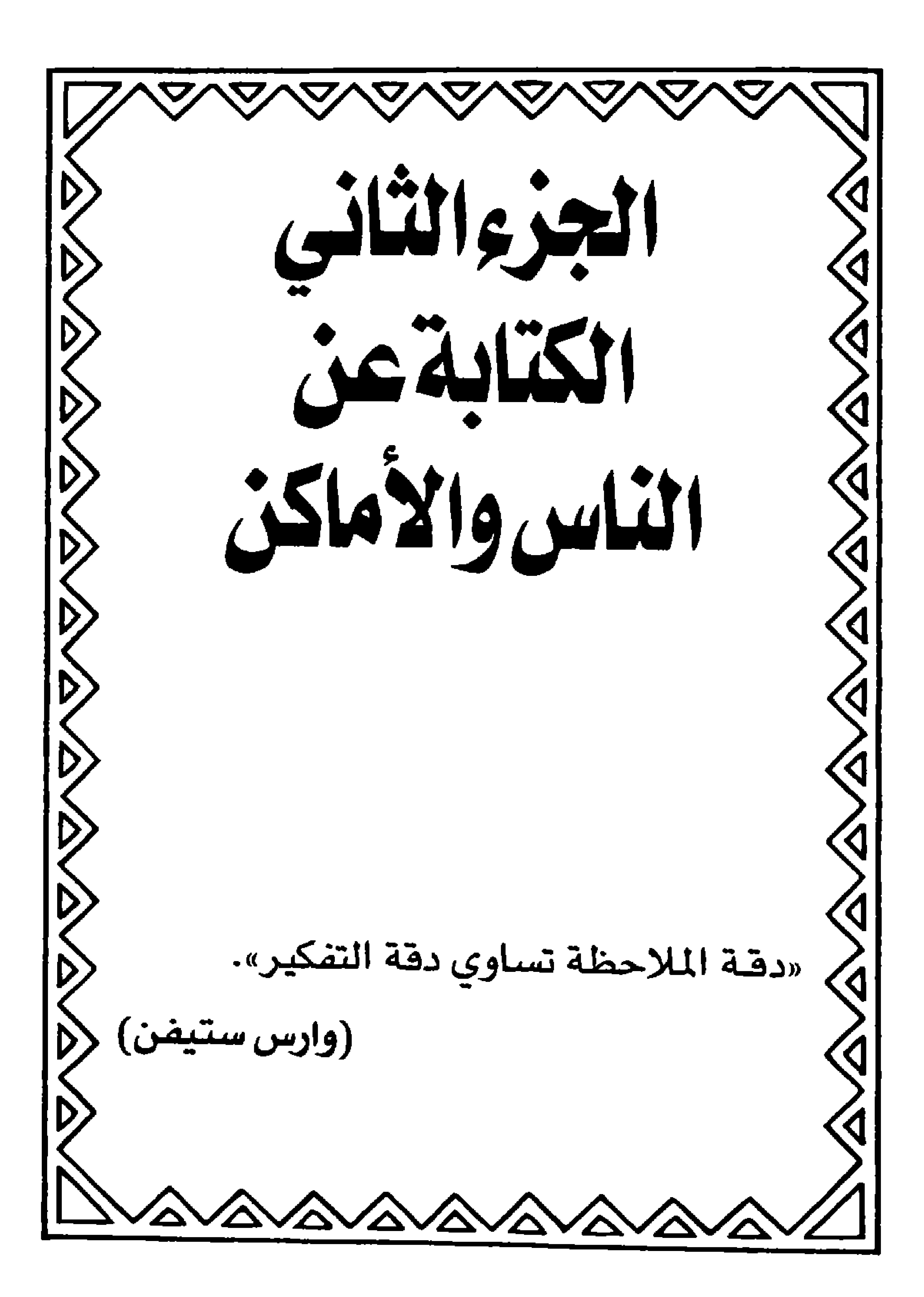
- فن الكتابة والتعبير، د. محمد على أبو حمدة، مكتبة الأقصى، عمان - الأردن.

- ملخص قواعد اللغة العربية، فؤاد نعمة.

* * *



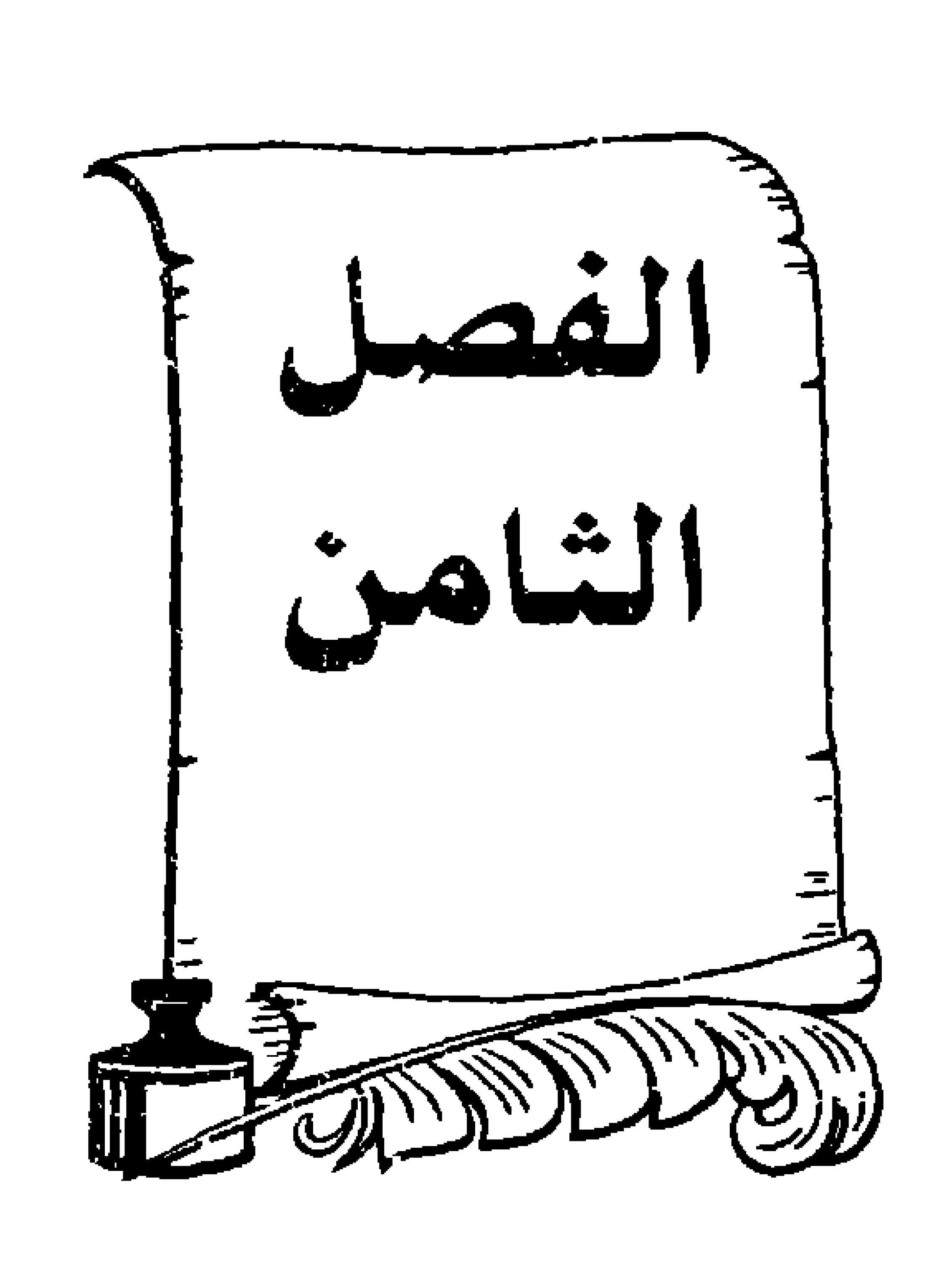




الجزء الثاني
الكتابة عن الناس والأماكن

«دقة الملاحظة تساوي دقة التفكير».

(وارس ستيفن)



الوصف والحكي

أن تصف يعني أن تصور، تصل إلى مخيلة القارئ.

«تراقب الفتاة السحابة وهي تقترب بحذر من رأس (كريستوفر كولماس)، ومن ورائه الجبل اليهودي، لا يرتفع إلى رأس التمثال الشامخ، في شارع الرامبلا تتمشى الفتاة بين أكشاك الزهور، تحرك ذراعيها وترقص على لحن تعزفه مجموعة من الشباب تقوم بأعمال بهلوانية، تطير في الهواء مثل عصفورة، تنثني على الأرض مثل قطعة من العجين، في المقاهي يجلس الرجال والنساء يرشفون النبيذ والبيرة المثلجة، تلمع عيونهم تحت ضوء الشمس، يأكلون على مهل من صحون تتصاعد منها رائحة السمك المشوي وقواقع البحر».

المشهد السابق من رواية «الرواية» لـ (نوال السعداوي).

وفيما يلي مشهد آخر من رواية «مدينة البهائم» لـ (إيزابيل الليندي).

«فجأة رأوا شيئًا يتحرك على الطرف الآخر من الكهف، ثم ينسلخ بعد لحظة عن صخرة من البلور الأزرق. بدا طائرًا غريبًا، يشبه زاحفًا مجنحًا. نشر الحيوان جناحيه مستعدًا للطيران، عندها رآه (ألكس) بجلاء: كان شبيهًا برسومات التنينات الخرافية التي شاهدها لكنه كان فقط بحجم دجاجة كبيرة وجميلة جدًا. التنينات الرهيبة في الأساطير الأوروبية التي تحرس دائمًا كنوزًا شاهدها في احتفالات الحي الصيني في سان فرانسيسكو: إنها سعادة وحيوية خالصين».

استطعنا من خلال المشهدين أن نرى لقطتين لكل منهما خصوصية، ونجحت كل منهما في نقلنا من على مقاعدنا إلى بلاد بعيدة، حيث زرنا برشلونة وتمتعنا بإلقاء نظرة على أكشاك الزهور، وربما جلسنا على المقهى واستمعنا إلى الموسيقى وشممنا رائحة الشواء. وسوى ذلك مما مر بالمشهد. بينما ركزنا، أكثر وشحذنا قدرتنا على تخيل ذلك الطائر الذي يشبه الزاحف المجنح وتنينات الأساطير الخرافية، والأجواء الغريبة.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: كيف للكاتب المبتدئ أن يتعلم كيفية اختيار أفضل التفاصيل من مجموع آلاف الصور التي تسجلها حواسه كل لحظة؟ وللإجابة على السؤال، اكتشف الكتاب الخبراء، عبر السنوات، بضعة مبادئ عامة يمكن أن تساعد على حل المشكلة.

التركيز الوصفي

١ - إذا كانت التفاصيل غير مثيرة بالنسبة لك، فهي لن تكون كذلك، بالنسبة للقارئ في الغالب؛ ولهذا ينبغي ألا تكتب لمجرد ملء الصفحة.

٢ - ربما تفشل في بعض الأحيان في تبين قيمة تفاصيل معينة، لم تفحصها بالقدر الكافي، فإذا ملت حواسك، أو صار عقلك كسول من قصور التحدي، ربما لا ترى عنصر الأهمية في التفاصيل. افحصه مرة أخرى، وركز عقلك كالكاميرا التي تتحرك لتلقط صورة قريبة.

٣ - استخدم جميع حواسك: استمع، وتذوق، والمس، وشم، وانظر. وقم بإعداد قوائم عقلية، أو مكتوبة لعدد كبير من التفاصيل، يفوق ما يمكنك استخدامه. فمن بين ثلاثين من التفاصيل المرئية، على سبيل المثال - اختر اثنين أو ثلاثة بحيث تساعد قارئك على الرؤية.

أ - ابحث عن الضوء بشكل خاص، فبدون الضوء تبقى التفاصيل الأخرى في الظلام.

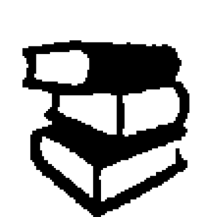
ب - اختر تفصيلاً واحدًا يقترح الشخصية الغالبة أو الجو، أو انطباعك نحو المراقب.

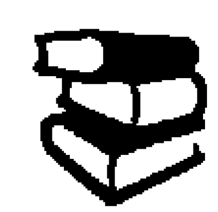
جـ - اختر تفصيلة واحدة تعطي المادة مسحة شخصية، وتبرز ملمحًا فريدًا يجعلها متميزة عن الآخرين.

إذا تفحص شخص غرفة مكتبة مثلا، ورأى جدرانا قرميدية، وسجادة حمراء تبعث على الملل، ورفوف كتب أدب، ونبات صيني أوراقه مصفرة، ومنفضة سجائر على المكتب، وجهاز تليفون، وضوء الصباح ينسكب من النافذة، ورزم من الأوراق غير المقروءة، وغير ذلك، فما الذي عليه أن يختار؟ ربما يختار نور الصباح، فبالإضافة إلى كون المشهد مضيئًا، تمنحنا كلمة صباح، نوعا من الضوء، وزاوية للضوء ووقت في النهار وتفتح جميعها المشهد أمام عيون العقل. بعدها يمكن اختيار صف من الكتب، أو أكوام الأوراق، حيث يقترح كل منها جوا عاما. وأخيرًا، ربما يكون التركيز على منفضة السجائر ذات الزجاج اللبنى، والحروف الحمراء المطبوع حولها لتكون كلمات شخصية أو تجربة شخصية من أين ومتى تم شراؤها..؟

٤ - اختر تفصيلة صغيرة أكثر تمثيلاً للكل الكبير.. فقد تدل تفصيلة صغيرة، كسقوط ذبابة في كأس ماء، في مطعم على وضع المطعم غير الصحي. أو بروز مشط من جيب مراهق على إعجابه بنفسه. وقد تعطي وقفة مترددة لسياسي قبل الإجابة على سؤال، خيطًا يدل على أنه مرتشي.

٥ - ابحث عن التفاصيل التي تكشف عن وجود تناقض، أو صراع، أو مفارقة سواء في المادة نفسها أو في مشاركتك لتوقعات الجمهور من المادة. فالصورة البيضاء تتضح حين مقارنتها بسطح مظلم. وربما تتأكد قوة رجل من خلال طريقته الحنونة التي يحمل بها طفلته ذات الستة أشهر. كما يمكن أن تنكشف شخصية سيدة في الستين، عندما تجري في مارثون.





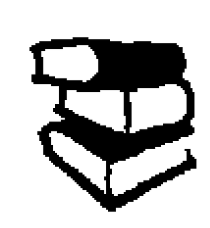
وهكذا يصبح من الواضح، حاجة كل مادة إلى معالجة خاصة، وإن كانت هذه الخطوط الإرشادية تقترح نقطة بداية الملاحظة. وفيما يلي جزء من مقال لمحاولة كتابة حول حدث أخذ مكانه على بلاج في كاليفورنيا الشمالية، وذلك قبل أي تدريب على الاختيار.

«في وقت متأخر من تلك الليلة، خرجت إلى الشاطئ، وقابلت مجموعة من الناس ممن كانوا يجرون شبكة صيد. كان أحدهم يدعى (جيمي)، وكانت هناك امرأة لم أتبين اسمها. عرضت عليهم المساعدة، لمجرد التسلية، وعملت معهم. وكافأوني بسمكتين. عملنا بجد وكنت متعبًا في النهاية».

وصف الكاتب وليكن (غالي) الأمر، لكنه فشل في تقييم فاعلية تفاصيله، وأشارت عشوائيته وأسلوبه المختصر، إلى أنه لم يضبط إدراكاته بعد. فلم تخلق المرأة التي لم يتبين اسمها صورة في عقولنا، ولا رأيناه وهو يشعر بالتعب بعد ساعة من العمل وشد شبكة الصيد. لم يرتبط أي شيء بخيالنا. وبعد أن استمع (غالي) لردود أفعال مجموعة من المدققين الأنداد للمقال، اشتكي من أن ما جرى هو مجرد حدث عادي في بلدته. وتساءل عما كان بوسعه أن يفعل أكثر من كتابة وصف عادي لمجرب فطلب منه أن يذكر عشرين من التفاصيل في تجربته، وفيما يلي بعض مما أدرجه:

تفاصيل (غالي)	استجابة الأنداد
رجل اسمه (جيمي)	التفصيل غير محدد
أكوام من السمك	أي نوع من السمك؟
تماسيح وسمك قرش الرمل	جيد، الأسماء تخلق الصور
وقع السمك في الشبكة	ماذا فعلوا مع القرش؟
أحدث الورنك صوت تصفيق	ما الورنك؟ وكيف حدث الصوت؟
وهو يحاول الهرب	ولماذا لم تقل ذلك من قبل؟

ساعدت إشارة المدققين من الأنداد (غالي) بخصوص بعض التفاصيل على إعادة الكتابة، التي أصبحت هكذا:





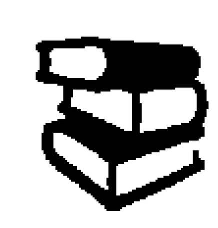
«فيـما بعد، خرجت إلى الشاطئ ومشيت على الرمال في ضوء القمر. كان هناك جمع صـغير من الناس، بـعضهم صيادون يـجرون شبكة، راقـبتهم لبعض الوقت ثم عـرضت عليهم المساعدة. كان الحـبل كسلك حديدي راح يقطع يداي. وعندمـا خرجت الشبكة من الأمواج كان هناك صوت تصفيق. اعتقدت في البداية أنهم المتفرجون، ثم تبينت أنه الـسمك المفلطح الذي تم صيده في محاولته الهرب لبست قفازات استعرتـها من أحد الصيادين وركعت على الرمال الرطبة وساعدتهم على تخـليص السمك من الشـبكة. كان هنـاك سمك الورنك، وسالمون، وقرش الـرمل وسـرطانـات. كـانت هنـاك أكـوام من الـسـمك. أعـدنا سـمك الورنك والسرطانات إلى المـوج، وتركنا سمك القرش الذي يزيد طوله عن متر يموت على الشاطئ. ويبقى مكانه حتى صباح اليوم التالي وأفواهه مفتوحة. شعرت بأن عيونه تتفحصني».

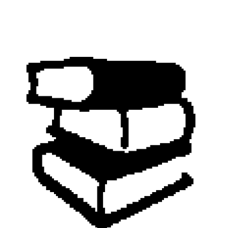
على الرغم من حاجة الكتابة الـسابقة للتدقيق، إلا أن محاولة الكتابة الثانية قد تضمنت تفاصيل شاركت القارئ في التجربة، وتخلصت من النقاط المملة التي لا تلفت الانتباه (رجل يدعى جيمي) واستبدل ذلك بتفاصيل ملموسة مثل (ساحل مقمر، حبل يقطع اليدين) وتفاصيل لا يتـوقعها القارئ صغيرة ولكنها ذات أهمية كبيرة مثل (أفواهه مفتوحة وعيونه تتفحصني).

فالأسلوب الفريد، والنمو الصحيح، والمفردات الغنية، تضيع جميعها ما لم تظهر عقلا منضبطا، ومـتحمسا لمواجهة حقائق العالم العادي - «الحقائق المدهشة» كما يطلق عليها (ثورو) وهذا يعني لكي تصف بدقة، عليك أن تنظر بدقة.

التركيز على الحكي

اكتشف (غالي) أثناء عملـية إعادة رؤيته للتفاصيل في مـادته، ترتيبا طبيعيا زمنيـا لتقديم تجربته وتحـرك وصفه بشكل واضح من وقت الـليل إلى صباح اليوم الـتالي (جر الحبل، والشبكة على الشـاطئ، وانتزاع السمك)، كل ذلك بالتسلسل الذي من الواضح إنه حدث بالفعل.





لا تجد الغالبية ممن يحاولون الكتابة صعوبة في الحكى. لأن التسلسل الزمني يأتي طبيعيًا، فيما يبدو، كأن نقول حدث هذا، ثم حدث هذا، ويتطلب الحكي الجيد - ترتيب الأحداث - وانضباطا عقليا كالذي يتطلبه الوصف: فلكي ترتب أو تنظم، عليك أن تختار. ولابد من التخلص من بعض جوانب الحدث لصالح تفصيل جوانب أخرى. واختصار الزمن، وتكثيف التفاصيل الواقعة خلاله.

ولكن ليس جميع الحكى يجري بالترتيب الزمني بالطبع، لأن الكاتب أحيانا يبدأ بالحاضر، وينتقل إلى الماضي، ثم يراوح ما بين العودة إلى الوراء والتقدم للأمام، ماض وحاضر، وهذه بداية الصياغة، أي الاختيار، والترتيب من أجل التأكيد، والوضوح والاهتمام ويعرف جميع الكتاب المحترفين، أن ترتيب الأحداث يؤثر على قدرة القارئ على متابعة القصة، أو المقال منطقيًا، إلى جانب تأثيره على معدل تقدم الكتابة أو سرعة تدفقها.

وفيما يلي مثال على الترتيب، وسرعة التقدم من كتاب «رباعية نهر» لـ (عبد الله الطوخي):

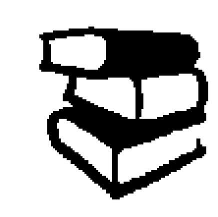
«كانت الريح عنيفة، والمركب تجري فوق الماء بسرعة، وكأن ساعات قد مضت عليها وهي تجري.. لقد بدا كل شيء في عيني خرافيًا غريبا لا منطق له ولا مقدمات. الظلام دامس والشواطئ غامضة، أكثر غموضًا وإثارة من غموض النهر نفسه.

وأبو الريش واقف على الدفة، ورأسه برقبته ممدودة إلى الأمام يستكشف مسالك النهر على المدى البعيد والقريب في الوقت نفسه. .ودسوقي وقف على حرف المركب وفي يده مداره صغيرة يغرس طرفها المدبب في النهر ليقيس عمق الماء. وبين الحين والحين يتبادل الرجلان كلمات لا أفهمها.

- حوش البحر طالع عليك

فتسرع دقات قلبي، وانظر لأرى.. ولكني لا أرى شيئًا، ولا أفهم شيئًا.. كان من السخف في مثل تلك اللحظة أن أسأل عن معاني الأشياء والكلمات.. أعصابي نفسها لم تكن تحتمل بل إنني قررت ألا أسأل عن شيء.. لقد عرفت





بعض الأشياء عن النهر وكفى. وإن أخرج من النهر هذه الليلة حيا ومعي المعلومات، خير من أن أموت ومعي كل المعلومات.

المركب مندفعة مع الريح.. والريح تزداد سرعتها.. ومع كل درجة جديدة من درجاتها، كان لابد للقلع أن يأخذ وضعا جديدًا مناسبًا، فكف دسوقي عن جس الماء ويلقي بالمدارة على الأرض، ثم يمسك بحبال القلع، وفى اللحظات التي يتهيأ فيها القلع ليأخذ وضعه الجديد مع الريح، يتماوج ثم يطرقع طرقعات تبدو في الفضاء الصامت أشبه بطلقات مدافع وصداها.. موحشة رهيبة. ثم يثبت القلع، وتستقر المركب على الماء وتنطلق ويسود السكون من جديد..».

لاحظ كيف تمت المحافظة على تدفق الحكي في كل فقرة وكيف اعتمدت كتابة (الطوخي) على التفاصيل الوصفية أيضًا فدائمًا ما يعمل الحكي مع الوصف تقريبًا. والتدريب على صياغتها وعلى الحكي هو تدريب على إدراك التجربة وصياغتها. وهكذا فإن تعليم نفسك الاختيار، والترتيب هو الخطوة الأساسية الأولى نحو ضبط الحواس والتحرك في نهاية المطاف إلى حكم منطقي ونقدي.

تدريب المفكرة

١ - اكتب عن أسوأ مكان قضيت فيه ليلة - داخل خيمة تسرب إليها ماء، أو في شاحنة، أو في بيت أسفله معزة، أو على أرض المطبخ مع عشرين شخصا. شارك الحدث في صيغة حكي، أو قصة، مع التركيز على الاختيار الملخص للتفاصيل (تكون أفضل طريقة لاكتشاف أفضل التفاصيل أحيانا من خلال الكتابة الحرة. دع خيالك يتدفق، ثم عد مرة أخرى واختر أفضل الصور وأعد الكتابة بتركيز أكبر على الترتيب).

٢ - يجب أن يكون للوصف اتجاه أو هدف، لأن الإدراج العشوائي للتفاصيل لا يفيد حتى الكاتب وربما لا يكون الهدف سوى خلق مزاج أو مشاعر.

وفيما يلي نموذج للدكتور (محمد المنسي قنديل) ضمن استطلاع لمجلة العربي الكويتية حول كوريا، على حافة المنطقة منزوعة السلاح، يصف فيه جزءا من معالم الطريق الذي يقود إلى مبنى (لجنة الهدنة العسكرية):

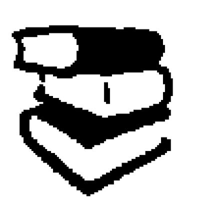
«تستغرق هذه الرحلة القصيرة حوالي الساعة والنصف بسبب زحام السيارات ونقاط التفتيش. وخارج العاصمة تمتد القرى الصغيرة وحقول الأرز التي تقسمها الأسلاك ترقد وادعة، تتوالى النصب التذكارية التي تذكرك بمدى بشاعة الحرب الكورية التي أشعلت عالم الخمسينيات، نصب للجنود الفلبينيين الذين ماتوا في هذه الحرب، وآخر للكوريين، وثالث للأمريكيين، ورابع للصحفيين الذين دفعوا حياتهم ثمنًا لنقل الأحداث، ولا تنتهي نصب تلك الحرب التي يبدو واضحًا أنها التهمت الكثيرين.

نعبر جسر الحرية، وهو الجسر الذي أقامته الأمم المتحدة لتسهيل الاتصالات الصعبة بين الجانبين، ونصل بعده مباشرة إلى مبنى صغير ذي درج مرتفع هو مبنى (لجنة الهدنة العسكرية. . . .) ».

اكتب فقرة تصف فيها شارعا يقود إلى بيتك أو مكان دراستك أو عملك ركز فهمك بطريقة ما، بحيث لا تختار سوى التفاصيل التي تقترح كيف ستكون الحياة هناك. لا تتحدث بشكل مختصر، بل بين ذلك بصور ملموسة مختارة بعناية.

٣ - ربما يحفز تغير المشهد الإدراك ويوقظ الوعي. فإذا كنت تتسوق في سوق كبيرة تسوق هذا الأسبوع في مخزن صغير وبدلاً من أن تأكل في مطعم سريع، كل في مطعم صيني. وقبل أن تغادر مكانك قم بإعداد قائمة عفوية لملاحظتك حول المكان وفور عودتك قم بإعادة خلق المشهد من خلال حكي وصفي يركز على تفاصيل مختارة.

٤ - صف واحك تفاصيل مشهدين أو ثلاثة من أهم أحداث طفولتك - كاللحظة التي وصل فيها أخوك المولود إلى البيت من المستشفى أو اليوم الذي جلست فيه أمك في المطبخ وحكت لك عن طلاقها من والدك -




اختر التفاصيل الوصفية والترتيب الزمني للأحداث بعناية، وحاول أن تساعد القارئ على أن يري تدفق تجربتك ويشعر بها. واكتب كما لو أن كل شيء قد حدث في قصة.

ابدأ الآن كتابة التجربة بأسلوب حكى مختلف. من نهاية الحدث، ثم عد إلى الوراء إلى البداية (فلاش باك) احك حتى تصل إلى نفس النقطة التي بدأت بها كتابتك الأولى.

والآن هل هناك فرق مؤثر؟ ما هو؟ هل صارت الكتابة الثانية أقوى من الأولى، وأكثر فاعلية؟

النسخ

النسخ هو تقنية قديمة، مارسها الرهبان في القرون الوسطى، واستمرت حتى وقتنا هذا من خلال عدد من الكتاب. فقد كان ينسخ (بنيامين فرانكلين)، على سبيل المثال، بعض أعمال كتاب أحبهم ثم يعيد صياغة ما نسخ، ويكتب بعد ذلك فقرة أو نحو ذلك بنفس أسلوب ما نسخه يعبر فيها عن أفكاره الخاصة. كما اعترف (رالف ايلون) بأنه علم نفسه الكتابة من خلال نسخ أعمال (دستوفيسكي) والسبب أن فعل النسخ مثل الرسم، يتطلب منك أن تبطئ، وتنتبه إلى التفاصيل التي يمكن أن تفوتك بسبب المرور السريع عليها. ويجعلك تتعلم أن ترى كيف استخدم الآخرون اللغة ليعيدوا خلق تجاربهم، وترى أسلوب الكاتب - طول جملة وإيقاعاتها واختياره لها، وموهبته في تقديم ما هو غير متوقع - وربما يشجعك ذلك على مزيد من المغامرة في كتابتك والاهم من ذلك أنه قد يساعدك بالتدريج على اكتشاف أفضل اختيارات التعبير عما تحتاج إلى قوله وحسب. عد ثانية إلى موضوع (عبد الله الطوخي) وانسخ أول فقرتين منه. وانتبه بشكل خاص إلى استخدام التفاصيل الخاصة المحددة والملموسة. وقرر ما الاكتشافات التي تستطيع القيام بها؟ امش على خطاه. هل تستطيع استخدام أسلوبا مشابه في مفكرتك لوصف المرة الأخيرة التي كنت تعتقد فيها بأن «كل شيء صار على ما يرام» في تلك اللحظة من الزمن قبل أن تفقد براءة الطفولة.






الشخصية

استكشاف الشخصية

عاش شاب، في وقت من الأوقـات في قرية صغيـرة على جانب جبل في أمريكا الجـنوبية. وكان كاهن الـقرية، ومحافظـها، رجل نحيف، وهزيل، يلبس ملابس كـاهن سوداء بـاهتة ويـقود سيـارة جيب، وتلـقاه في كل مكـان - ينظم مهرجان هنا، ويمد أنبوبة ماء من بحيرة إلى القرية، ويبنى مولدا كهربائيا يضيء به الكنيسة، ويبحث عن تمويل حكومي لبـناء جسر صغير، وينشط لعبة السوكر في المطر، حيث يجري في الـطين، وتطير ثيـابه السوداء مع الريح، ويركل الكرة في الهواء، فقد كان محبوبًا من الجميع.

أما الشاب فقد كان واحـدًا من الغرباء القليلـين الذين بقوا في القرية، وقد دعاه الكـاهن للعيش في بيته خلـف الكنيسة ولـم يصـدق عندما اكتشفت أن امرأة شابة وابـنها الصغير يسكنان معه، لاسـيما وأن الإشارة إلى المرأة الشابة يثير دهشة الآخرين في القرية وابتسـاماتهم العالمة بالأمور، حتى أن رجلاً قال ذات مرة: «إن الكاهن بشر أيضًا» وفى أسرع وقت ممكن، عثر الشاب على غرفة مع عائلة أخرى ولازمه شعور بالاحتقار للقسيس لستة أشهر.

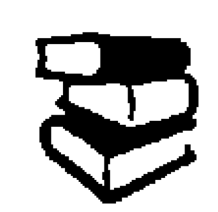
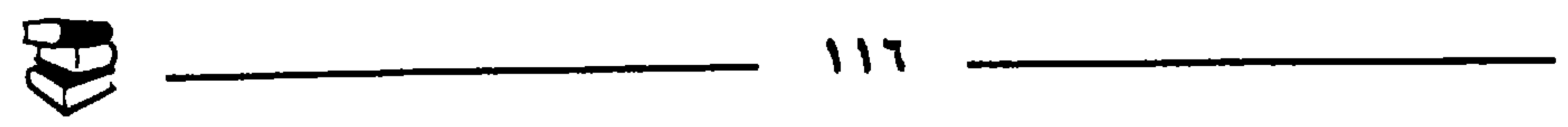
ورغم حب القرويين له لم يكن سوى منتقد في نظره، ولهذا تجنبه، وتحدث معه بلا مبالاة، ثم فـي يوم من الأيام، كان الشاب في حالة طوارئ، ووجد نفسه يطلب من الـكاهن توصيـله إلى أقرب مدينـة كبيرة حـيث يمكنه أن يجـد طبيبًا،

وتـصرف الـكاهن بـدون تردد، وخلال دقائق جـاء بسـيارته ونـزل طريق الجبل، وحكى للشاب قصته وهما على الطريق.

قال إنه زار عاصـمة بـلدته ذات مرة، وتـمشى في أفـقر طريق، في وقت متأخر من الليل. وسمع وهو يمشي في الشوارع المتكسرة، صرخات مكتومة منبعثة من الـزقاق، ووجد فتاة ولدت لـتوها وسط أسمال بـالية، وشحوب، وكانت في الرابعة عـشرة. وكانت تعمل في البـغاء منذ أن كانت في الحـادية عشرة. وهكذا اصطحبها إلى بيته حيث عملت مدبرة منزل لبضع سنوات. وهو يعرف بأن العديد من الناس يفزعهم هذا الأمر وهو أن تكون خادمة القس عاهرة سابقة، بينما يشعر آخرون ممن هم أكثر تشاؤمًـا، بأن القس يتخذ من الفتاة خـليلة له. ولكن الحقيقة هي أن الفتاة ستـبلغ الثامنة عشرة، بعد بضـعة أسابيع، وستعود إلى العاصمة مرة أخرى، لأنها لا تحب السكن في قريـة وسيستمر القس في تربـية ولدها الصغير، حتى تجـد عملاً وليس هـناك ما يـثيـر أسف القس سوى أن الـفتاة لا تـزال غير مسيحية، ولا تؤمن بالله.

جلس الشاب صامتًـا، خجل من نفسه، كيف أساء الحكم على الرجل بهذا القـدر؟ وهما يجـريان إلى مكتب الـطبيب، استـدار الكاهن نحـو الشاب وقال: «أتـعرف؟! اعتقدت لفـترة طويلة بـأنك ولد عبوس ومتعـجرف ولكني أعتذر لك على خطئي فأنا لا أرى فيك الآن سوى إنسان خجول». صعد الشاب إلى السيارة وقال: «يا لـها من كلمة (شخـصية)، كم هي أمر صعب، عادة لا أدري عن ماذا ابحث، أو لماذا أحكم بسرعة جدًا» ابتسم وأضاف قائلاً: «عليّ أن أتعلم النظر عن قرب بصورة أكبر».

وبعد عامين في جنـوب أمريكا عاد الشاب إلى الوطن وأراد أن يكتب حول الآثار الاقتصادية لـسوق القرية على التـطور النفسي. كلمات كـبيرة وأفكار كبيرة على اعتبار أن الـكتابة الأكاديمـية تتعامل مع أفـكار وقضايا ولـكنه وجد نفسه لا يسـتطيع فصل أفـكاره عن الناس الـذين عرفهم فالأفـكار والقضـايا لا توجد في فراغ. والناس من ذوي الشخصـيات المركبة يخلقون الأفكار، ويجرون الأحداث،

ويحركون القضايا، ويكتشفون الآلات ويغيرون مجرى التاريخ وينغمسون في أفعال صغيرة من الطبيعة الإنسانية وهكذا فإن وصف متطلبات الناس، التي تعلمنا أن ننظر إليها «عن قرب» ربما تكون أفضل تدريب لتطوير مهارات الكتابة، لأن الكتابة الجيدة تبدأ بفهم المادة. وأن تعلم نفسك فهم الناس بكل تعقيداتهم، خطوة أساسية نحو تعليم نفسك فهم تعقيدات العالم الذي خلقه الناس - وربما نحو جعلنا أكثر إنسانية.

فهم الشخصية

ما هي «الشخصية» على وجه التحديد؟ وماذا نعني عندما نقول أن (سي السيد) عند نجيب محفوظ هو شخصية حقيقية؟ وأن شخصية ما شخصية سوبر؟ وحتى لو كنت لا تخطط لكتابة روايات، اعرف أن الروائيين هم أحد أفضل مصادر التعلم ولمدة مائتي عام.

خلق الشخصية هو تقليد أساسي في الرواية. وفيما يلي كيف يصف (ديفيد كوبر فيلد) بطل رواية «تشارلز ديكنز» أخت زوج أمه، التي وصلت لتوها:

«كانت الآنسة (موردستون) الواصلة، ذات مظهر عابس. سمراء، مثل أخيها، الذي تشبهه كثيراً في الوجه والصوت، والحاجبين الكثيفين، الموشكين على التلامس فوق أنفها الكبير، كما لو أنها ممنوعة، بسبب الأخطاء التي في جنسها من إنبات شعر ذقن. جلبت معها صندوقيها الأسودين القاسيين المتصلبين، وعلى الغطاء حروف اسمها الأولى مكتوبة بمسامير معدنية قوية. وعندما دفعت لصاحب العربة، أخرجت نقودها من كيس معدني صلب وسجنت الكيس في حقيبتها المعلقة على ذراعها بسلسلة ثقيلة وأغلقت عليه غلقة تشبه العضة. لم أكن قد رأيت سيدة حديدية مثلها قط».

ثم نظرت إلي وقالت:

- «هل هذا ولدك يا زوجة أخي»؟.

فقدمتني أمي..

وقالت الآنسة (موردستون): «أنا لا أحب الأولاد عمومًا».

هذا ويعد (تشارلز ديكنز) مشهوراً بقدرته على خلق إحساس عميق بالشخصية في حيز صغير، أحيانًا من خلال المبالغة وعادة من خلال رؤية التفاصيل بعين دقيقة بحيث تسهم في تكوين شخصية فريدة فإذا تفحصنا وصف الآنسة (موردستون) إما من خلال الوصف الملموس المباشر، أو المضمون - نجد جميع صفاتها الأساسية، التي تخلق صورة للشخصية في عقولنا.

الوصف الجسماني

كما هو الحال دائمًا، نحن نبدأ بالرؤية ننظر إلى مظهر الناس ماذا يلبسون وما هي مميزاتهم الجسمانية الشخصية التي تشي بشيء عن الشخصية. فالآنسة (موردستون) على سبيل المثال سمراء، ذات حواجب كثيفة توشك على التلامس فوق أنفها الكبير (تقترح عبوسا دائما) تحمل كيس مال حديدي صلب مسجون في حقيبتها المعلقة بذراعها بسلسلة ثقيلة. والآن على الرغم من وجود إمكانية أن تكون رقيقة، وطيبة أو سعيدة أو جذابة إلا أن مظهرها لا يقترح سوى العكس.

ورغم إننا دائمًا ما نسمع أنه لا يجب أن نحكم على كتاب من عنوانه، نفعل ونميل إلى إصدار أحكامنا على الناس، سواء كان ذلك صحيحًا أو خاطئًا من خلال مظهرهم الخارجي.

ويمكننا البدء بالتفريق بين الحقيقة والاستنتاج بقولنا أن الحقيقة هي ملاحظة مباشرة بالحواس ويمكن لشخص آخر أن يتحقق منها من خلال ملاحظة الشيء نفسه، كعيون (سامي) السوداء. أما **الاستنتاج**، فهو خلاصة حول أمر لا تستطيع ملاحظته مباشرة ولكن ثمة حقائق تقترح عليك ذلك، مثل: «يبدو أن (سامي) قد تورط في شجار».

تقود حقائق المظهر الخارجي إلى استنتاجات تتعلق بالشخصية فإذا رأينا مراهقة بطلاء شفاه وردي، وشعر برتقالي ممشط إلى أعلى وحلق في أذن واحدة، واسم موشوم على كتفها العاري، فإن هذه الحقائق التي يمكن تحقيقها تقود إلى

استنتاجات بشأن شخصيتها. وسواء كانت الاستنتاجات صحيحة، أو غير صحيحة، (يبقى المظهر الخارجي، اتصالنا الأول مع الشخصية)، إلا إننا نحتاج إلى مزيد من التفاصيل ذات طبيعة أخرى لتأكيد انطباعاتنا.

التصرفات

يمكن أن تتغلب التصرفات على الانطباعات الآتية من المظهر الخارجي، أو تؤكد انطباعاتنا. ففي الفقرة التي كتبها (ديكنز) حول الآنسة (موردستون) لم نرها إلا في فعلين مهمين فقط: تدفع لصاحب العربة أجرة الركوبة وتتحدث إلى أم (ديفيد كوبرفيلد) ثم نراها في مزيد من التصرفات فيما بعد في سياق الرواية، ولكن حتى هذه المرحلة، من التقديم يصلنا إحساس بميزة شخصيتها من خلال الطريقة التي تأخذ بها نقودها من كيس النقود الحديدي (الذي يغلق بعضه) ومن خلال عدم الإحساس (هل يمكن لأحد أن يتحدث بهذه الغلظة؟) لم يخبرنا (ديكنز) شيء باختصار. ولم يقل مطلقًا أن (موردستون) كانت جشعة وقاسية، ولكن حقيقة تصرفاتها جعلتنا نستنتج.

راقب تصرفات الناس من حولك ربما لديك جد يحبس نفسه في غرفته عندما تغضبه جدتك وربما يكون لديك زميل يلصق العلكة المستخدمة أسفل المكتب أو أنك قد واجهت أستاذًا لا يتواجد بمكتبه أثناء الساعات المكتبية أنت تتدخل في كل مواصفات الشخصيات فلا المظهر الخارجي وحده، ولا التصرفات وحدها يمكن أن تعطي صورة كاملة للشخصية، بل يكون كلاهما الانطباع.

الحديث

يكشف ما تقول، وكيف تقوله، عدد لا نهائي من المميزات فعدم حساسية الآنسة، وعدم حبها للأولاد، لا يمكن أن يكون مذهلاً أكثر من سطرها الوحيد: «لا أحب الأولاد، عمومًا» ولا تقترح التفاصيل الجديدة ولا التصرفات الجسدية، المميزات الداخلية، ولكن للحديث قدرة على الكشف المباشر للقيمة، والأفكار، وحدة الفكر والاتجاهات والمعتقدات - وربما الخلفية التعليمية والثقافية، وهناك فرق

واضح ما بين الشخصيـة التي يصدمها مصاب فتقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله» وشخصية أخرى تقول على نفس الموقف: «ألا يوجد غيري يا رب؟».

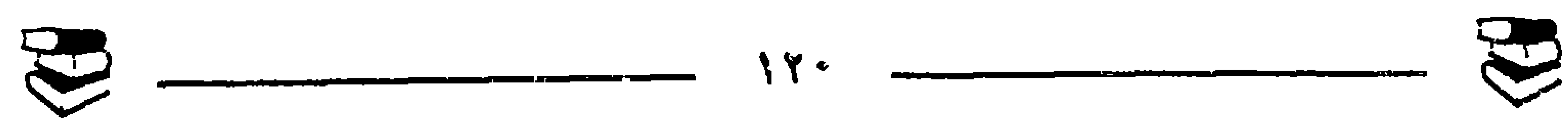
حتى الحديث يـجب أن يوزن في مقابل الإدراكـات الأخرى. فإذا قبضت، على رجل يخرج من غرفـتك في منتصف الليل ومعه جهاز تليفزيونك على سبيل المثـال، وسمعته يقـول: «أعتقد أنني امشي أثـناء النوم مرة أخـرى» ستجد نفسك تشك في حقيقة جملته.

البيئة المحيطة

تساهم نوعية البيئة التي نحيط بها أنفسنا والطبيعة المادية للغرف، التي نسكنها وأجواء بيوتنا والسيارات التي نقودها في فهم الشخصية فعلى سبيل المثال من الواضح أن الآنســة (موردستون) تحيط نفسها بقسوة حديدية وتحمل جميع ممتلكاتها في صناديق سوداء نقشت عليها أحرف اسمها الأولى بمسامير كما تحمل نقودها في كيس حديدي معلق عـلى ذراعها بسلسلـة معدنية، بينمـا كان بإمكان (ديكنز) أن يخلق شخصية مختلفة في أذهاننا لو أنه قد وصفها بأنها تحمل مظلة حريرية وكيس شفـاف من الأملود مـزين بزهور بـرية من الأعلى وصـندوق ثيـاب رسمت عليه ملاحظات مثل «أرجوك إنساني» بأزرق رقيق.

الخلفية

قد تكون الخلفية مهمة في خلق الشعور بالشخصية وقد لا تكون. فنحن لم نكن نعرف خلفيــة الآنسة (موردستون) عندما قـابلناها لأول مرة. ولا نحتاج إلى ذلك في الغـالب ولكن في أوقات شرح سبب تصرف شـخص ما بنحو ما - كأن تكون لممثـلة، مستشـارة مسرح، تقودهـا بقسوة لكي تـصبح مشهورة، أو رئيس شركة عملاقة، تعلم تكريس نفسه للعمل، فمنذ أن كان ولدًا صغيرًا، كان يستيقظ في الرابعة صباحًا لـيحلب البقر في مزرعة والـده ولكن على الكتاب أن يكونوا على حـذر بشأن الخلـفية وتفاصـيلها فإذا أخـبرتنا أن (العم عليًا) ولد في يوليو ١٩٣٢، وكان يسكن في مدينة صغيرة حتى بلغ السادسة من عمره، ثم انتقل إلى

مدينة كبيرة حيث دخل المدرسة الابتدائية، ستقتلنا مللاً؛ ولهذا يجب أن تكون تفاصيل الخلفية محددة وضرورية لفهم المميزات الحالية للشخصية، وألا يتم تجنبها. ويستخدم (ديكنز) مثل كتاب ناجحين آخرين مادة الخلفية بانتقائية حذرة.

ردود أفعال الآخرين

وأخيراً، تساعد الطريقة الذي يتعامل بها الآخرون مع الشخصية على بداية مصداقية ملاحظات الكاتب. فمن الممكن أن يكون أي كاتب متحامل في الحكم. وكما رأينا، أنه من الممكن اقتصار الاختيار على التفاصيل ذات المضمون السلبي، أو ذات المضامين الإيجابية من أجل التأثير على انطباع القارئ. ويمكن أن يساعدنا كقراء رأي ثان أو ثالث على تصديق أمانة نقل الكاتب وعدالته.

ولكن في مشهد وصول الآنسة (موردستون) لم نحصل على ردود أفعال من شخصيات أخرى. ولكننا وجدنا في موضع متقدم في الرواية أن الناس يقفون على رؤوس أصابعهم حولها، ولا أحد يجرؤ على الحديث معها بصوت مرتفع. ويطيع الآخرون ما تعلق عليه بخجل. وتؤكد ردود أفعالهم نحوها انطباعنا الأصلي بخصوص الشخصية.

وعلى الرغم من وجود بضعة جوانب حياتية تشكل اتجاهاتنا نحو الشخصية، إلا أن الست مميزات التالية - في مقابل بعضها - تبدو الأكثر تكراراً من حيث الملاحظة وأكثر ما يستخدمه الكتاب الناجحون:

١ - الوصف الجسماني.

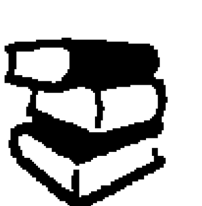
٢ - التصرفات.

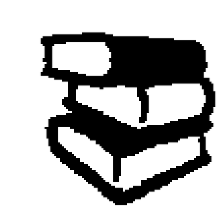
٣ - الحديث.

٤ - البيئة المحيطة.

٥ - الخلفية.

٦ - ردود أفعال الآخرين.





وكما يبين ديكنز، أن الكاتب لا يحتاج إلى تقديم الست صفات لكي يستدعي إحساسا بالشخصية. وقد توصل بعض الكتاب إلى شخصيات متماسكة وذات مصداقية، من خلال استخدام حوار - أو من خلال استخدام فعل، بدون أي وصف جسماني. ولهذا يجب أن تدرب نفسك على أن تفحص، وتبحث عن أكثر المميزات إثارة وأهمية في مادتك، والعناصر الفردية للطبيعة الإنسانية التي تبرز الشخص الذي تكتب عنه من بين الآخرين.

علاقة وضع الشخصية بأشكال الكتابة الأخرى

لن يكتب الجميع رواية أو قصة قصيرة بطبيعة الحال، فلماذا يتعلمون كيفية وصف الشخصية؟

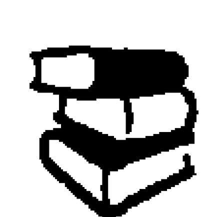
والإجابة هي أن أي تدريب على كيفية اختيار التفاصيل الحقيقية الذي تقود إلى مداخلات منطقية هي ببساطة تدريب جيد يفيد كل ورقة أو تقرير ستكتبه في حياتك الأكاديمية أو المهنية. واقتراحات اختيار هذه التفاصيل المدرجة في هذا الفصل مهمة، وتعلم كيفية اختيار التفاصيل الحقيقية الجيدة، وطريقة (لكي نسأل «كيف«؟) حيث توفر استراتيجية البحث عن التفاصيل الجسمانية، والتصرفات، والحديث، والبيئة، والخلفية، وغيرها من ردود أفعال، تركيز لاختيار ما وراء «الشخصية». فعلى سبيل المثال، يمكنك استخدام نفس معايير الاختيار، بعد إجراء تعديل بسيط في ورقة تاريخ تدور حول معركة «المارثون» بحيث تسأل:

١ - ما التفاصيل المادية الجسدية المهمة؟ ما نوعية القوات، والدروع الواقية، والإمدادات التي أثرت في المخرج؟

٢ - ما هي الأفعال المهمة التي جرت؟ لماذا شكل الأثينيون خط معركة ضعيفا في الوسط وقوي في جوانبه؟

٣ - ما الحديث المهم الذي جرى؟ من أقنع الإغريق بمقابلة الفرس على سهل «المارثون» بدلا من انتظار المعركة في أثينا؟

٤ - ما العناصر المهمة الموجودة في البيئة؟ كيف أثر شكل التلال والممرات الضيقة على الناتج؟





٥ - ما هي عناصر الخلـفية المهمة؟ لماذا كان البلتانيون على استعداد لمساعدة الأثينيين؟ أين تعلم جنرالات الأثينيين تكتيكاتهم؟

٦ - كيف تفاعل المـؤرخون الآخرون مع المعركة؟ إلى أي مدى ساهم الحظ بالنصر؟

بمعنى آخر، يمكن استخدام الصـفات المميزة الست التي يبحث عنها الروائي كاستراتيـجيات ست يمكن لأي كاتب يبـحث من خلالها تطويـر أي مادة تقريبا. وسيشهد فصل لاحق مزيدا من التفصيل في هذا الصدد.

ولكن يجب أن يقال أيضًا أن فهم الشخصية - والقدرة على المساهمة بالفهم في الكتابة - تتجاوز مجرد مجموعة من التقنيات. وتظل حاجتنا إلى زيادة وعينا، لـكي نحس، ونـشعر بمـميزات حـياة شـخص آخر، واحدة من أعـظم الخطوات للخروج من تمـركز المراهقة حول الذات، إلى البلوغ. وليس هناك سبيل لمزيد من فهم حياتنا وتقيـيمها بشكل أفضل من خلال المـقارنة إلا بعيش حياة الآخرين من خلال تدريب أنـفسنـا على التـعاطف مع مخـاوفهم، ومثـالبهم، وإحـباطاتهم، وقناعاتهم. وكما قال (بولانو بادر):

«علينا أن نتعلم النظر عن قرب».

تدريب المفكرة

١ - جرب بعض الاستكـشافات المختصرة - وصف أشخاصًا تلاحظهم في سطـر أو سطرين، حاول أن تكتشف أمرًا خـاصًا بالشخصية من خلال الـتركيز على تفاصيل جسمـانية، أو حديث، أو تصرفات. وهنا بعض الأمثلة:

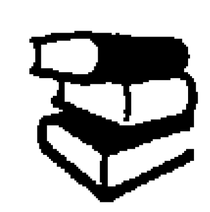
* «يلفت الانتبـاه فيها: ثوب مشجر بـألوان زاهية، وأساور مرصوصة في معـصميهـا، وقرط على شكل نجمـة متدلية من أذنـيها وصندل رقيق منخفض، وشعر كستنائي مموج مربوط فوق كتفها».

* «عندما كان يراها ينسكب النور على وجهه وتبتسم عيناه».

٢ - اكتب صفحتين كاملتين على الأقل حول تجربة عشتها مع شخص مهم بالنسبة لك. تأمل ذكرياتك بـعمق، وابحث عن تفاصيل حقيقية، ولا تعتـمد على الجـمل الجاهزة في الـتعبـير عمـا رأيت أو شعرت. ركز ذاكرتك، وبين تصرفات، وتفاصيل جسدية. وفيما يلي مثال من رواية «صورة عتيقة» لـ (إيزابيل الليندي):

«لم أتعرف على جدى (فيليثيانو رودر يغيث دي سانتا كروق)، فقد مـات قبل شهور من مـجيئي إلى بيته. أصـيب بالسكتـة الدماغية عندما كـان جالسـا على رأس المائدة أثـناء وليمـة في منزله في (توب هيل)، مختنـقا بحلوى الغزال ونبيـذ فرنسي أحمر. قام عدة أشخاص بحمله عن الأرض ومددوه محـتضرا على أريكة، مسندين رأسه البديع كرأس أمـير عربي إلى حضن (بـاولينا دل بـايي) التي كانت تردد لكي تشجـعه: «لا تمت يا (فيليثـيانو)»، ألا ترى أن أحدًا لا يدعو الأرامل إلى حـفلات.. تنفس يا رجل! أعـدك إذا ما تنفـست بأن أنزع مزلاج باب غرفتي اليوم، ويـقولون أن (فيليثيـانو) تمكن من الابتسام قبل أن ينفجر قلبه بالدم. هناك صـور كثيرة لذلك التشيلي المتين والمرح؛ ومن الـسـهل تصـوره حيـا، لأنه لا يـظهـر في أي صـورة وهو في وضع الاستعداد أمام الرسام أو المصور، وإنما فهمنا جميعا بأنه قد فوجئ وهو يقوم بحركة عفـوية. كان يضحك بأسنان سـمكة قرش، ويومئ بيديه عند التكلم، ويتحرك بثقة وصلف قرصان..».

٣ - أنت شخصـيتك، امرح معهـا، وانظر إلى المرآة، ثم ادرس وجهك - جبينـك، وعينيك، وأنفك، وفمك، وأسنانك، وخدودك، ومسامك، وشقوقك. وأغمض عـينيك واكتشف بأطراف أصابعك أنسجة جلدك، وضلوعك وتجاويف تركيبـة عظامك. وعندما تنـتهي ارسم كاريكتيرك الخـاص بالـكلـمات. بـالغ في عيـوبك - فقـد يكـون لك أنف مثل كرومبه، أو حواجب مـثل دودتين متصلتين. انطلق، في خيالك وتقبل الصور التي تخطر ببالك.




٤ - اكشف عن شخصيات من خلال تصرفاتهم. كاللفتات، والحركات، أو عـند اتخاذ قرارات، أو مواجهة كارثـة. وفيما يلي مثال جزء من رواية «نقطة النور» لبهاء طاهر:

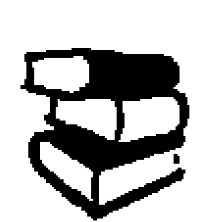
«واعتاد البـاشكاتب (توفيق) أن يصحب معـه حفيده منذ الصغر لكي يصـليا الجمعة في مسجد السـيدة زينب، وعلمه من وقتها أشياء: أن يذهبا إلى المسجد من طريق وأن يرجعا من طريق آخر لان هذا يزيد الثواب، وأن يـشتريـا أشياء صغـيرة بعـد الصلاة، ليـمونا، أو بعض الفاكهة أو البخور. وكانت (فوزية) تحتج أحيانا وتقول أن البيت أصبح مكدسا بالـليمون والبخور، فـيرد الباشكاتب مبـتسما وهو يربت على خدها: أهدى الزيادة للجيران. ثم يشـير بإصبعه للسماء، وهو يقول: الشراء بعد صلاة الجمعة ثوابه هناك».

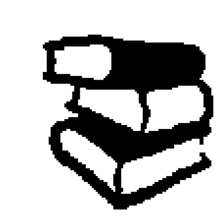
٥ - قابل زميلا لك أو صديقا. واجعل المقابلة إذا تمكنت غير رسمية، تبدأ وتنتهي خلال بضعة أيام. وراقب حركاته وتصرفاته وتفاصيله الجسدية، وأساليب حديـثه، وهكذا، ثم ابحث عن نـوادر أو عناصر من ماضي مادتك يمكن أن تكـون ذات مغزى. ابحث عن صـراعات أو مفارقات وجس أصولها بلطف أو بأهمية.

والأهم من كل ذلك، هو أن تعـثر على «الفكـرة» الرئيسيـة التي تؤمن بها مادتك وتركز عليها في ورقتك. ولكي نرى مادتك ونسمعها، دعنا نفهم شخصية من تقابله وهي تنكشف من خلال الأفكار والمعتقدات.

مثال:

«حـتى بعد أن تخطت الأربـعين، تصر (وجـدان) على أن تتزوج من شاب فـارع الطول، وسيم، وغنى، وسيـارته مرسيدس، وحاصل على المـاجستير كأقل تقديـر. وهي دائمًا تقول باعتزاز وشموخ يظهر على وجهها بارتفاع حاجبيها ورفع أنفها، والتلويح بيديها، مشيرة لنفسها بسبابتها اليمنى:





«لن يرضيني أي رجل، ألا تعرفون من أكون؟».

لقد تجاوز الذين تقدموا إليها منذ تخرجها من الثانوية العامة الثلاثة عشر، ولم يتخط أي منهم امتحانها العسير ولم يستوف الشروط المدرجة على قائمتها. في كل مرة كان ينقص شرط، أو يفلت معيار.

ورغم أنها لم تكمل تعليمها الجامعي، حيث انسحبت قبل انتهاء السنة الثانية، إلا أنها استطاعت في الفترة القصيرة التي قضتها في الجامعة أن تطلع على بعض المعلومات ومقاطع من بعض الكتب التي كانت مضطرة إلى قراءتها.

الأمر الذي خلق لديها قاعدة لا بأس بها مما يبدو كثقافة، فصارت تتحدث بعمق عن بعض النقاط، فتوهم السامع إنها ليست عادية، هذا بالإضافة إلى ثقة بنفسها، وثقة بجمالها، نابعة من أقنعة الخيار والزبادي، وسواها من الوصفات المنزلية التي لا تكلف كثيرا.

وإذا نصحها ناصح بقبول أفضل المتقدمين، قبل أن يصبح الوقت متأخراً، أو نقد شروطها وقائمتها تنفجر في الغضب وتؤكد بأن الزواج لا يهمها، وفي لحظات تلمع عينيها بدموع يمنعها الكبرياء».

النسخ

يكون نسخ فقرتين أو ثلاثا لكتاب مختلفين، مفيدا، في بعض الأحيان، حتى تعرف كيف فهم كل واحد شخصيته، وكيف كشفها في الكتابة. ولهذا، انسخ الفقرات التالية لترى ما يمكن أن تكتشفه بخصوص الكتابة من خلال الكاتب:

«كان الذباب هو السبب في مرض عيني الغبي إذ كانت الذبابة تحط على وجهه وتختار المكان المناسب، أنفه أو شفتيه أو رموش عينيه أو حافة أحد جفنيه، وتمتص الذبابة ما يروق لها من لعاب أو دموع.. والغبي لا يحرك ساكنا، لا يهشها وكأن بينه وبين الذبابة ألفة من نوع خاص لا ندركه نحن الأذكياء.

فالمنظر المألوف للغبي الآن وهو في السابعة من عمره أن له وجها بليدا فيه عينان ضيقتان جامدتان كأنهما لا تريان، ولا تفارق وجهه ذبابة أو أكثر على الفم أو العينين.

وكانت نعيمة لا تكف عن هش الذباب عن وجه ابنها ما دامت بجواره، وكان إبراهيم أفندي، لا يكف عن الصراخ في ابنه أن يهش الذباب عن وجهه، والولد لا يحرك يده، فهو يسمع الصراخ.. في بلادة تامة، حتى يمسك الأب بيد ابنه ويلوح بها هاشا الذباب، وأحيانا يمتثل الولد لصراخ الأب فيحرك يده، وكأنه لا يحركها.. ويهش الذباب وكأنه لا يهشه، لأن الذباب لا يتحرك ولا يخشى يد الولد..» - من رواية «الغبي» لفتحي غانم.

وبعد أن تنتهي من النسخ ببطء، استخدم ما نسخت كنموذج. واكتب فقرتك عن شخص لا يزال حيا في ذاكرتك.

العب:

١ - اخلق إيقاعًا سخيفًا من سطرين، مثل:

«تعالى، لا تغيب، لا تأكل الزبيب، الدجاجة ستغضب، وترفض أن تبيض».

٢ - فكر في أي غريب لاحظته يعمل، ولو باختصار، كأن يكون تنفيذيًا في بنك، أو أحد في المدرسة، وتخيل أنك ذلك الشخص، أو أدخل عقله وشاركه أفكاره، ومشاعره، وتصرفاته، وردود أفعاله، وصوته. كن هو، واكتب عن حياته وعمله كما لو أنه يكتب مذكرات خياله.

٣ - ألف وصفه باستخدام مكونات ملموسة ومحددة وتعليمات مفصلة.

مزيج الفيل

المقادير:

- فيل (متوسط الحجم).

- اختياري: نصف أرنب، وصلصة لحم بنية وملح وفلفل..

الطريقة:

قطع الفيل إلى قطع صغيرة. وسيستغرق هذا شهرين تقريبًا. واحتفظ بالخرطوم لتخزن فيه القطع. وضع مقدارًا كافيا من الصلصة البنية للتغطية، ثم أطبخه على نار كيروسين لفترة أربعة أسابيع على الأقل، بدرجة حرارة ٤٦٥. علما بأن هذا المقدار يكفي لأكثر من ٣٨٠٠ شخص. وإذا كنت متوقعًا عددًا أكبر، ربما عليك إضافة اثنى عشر أرنبًا. ولكن لا تفعل ذلك إلا في حالة الضرورة، لأن معظم الناس لا يحبون وجود الأرانب وقشهم في المزيج.

***



المشهد

«لم يكن قد مضى على وصولها إلى بلدها هولندا سويعات قليلة. أما غرفتها فكانت قد دخلتها للتو وهي تغني فرحة طربة، وسرعان ما تذكرت تلك التحف الشرقية التي ابتاعتها قبل عودتها من تركيا، فتحت حقيبتها ومدت يدها باحثة عنها كي تمتع بها بصرها، فإذا بها تجد نفسها تعدو في أرجاء الغرفة صارخة مولولة.. إلا أن مجرد الصراخ لم يكن ليقدم أو يؤخر فيما حدث على الإطلاق، لقد حدث ما حدث بوتيرة مذهلة مفاجئة، فما كان منها إلا أن توقفت لتلتقط أنفاسها بعد أن خبرت رائحة الموت وأصابها الهلع من ذلك الألم الحارق الشديد الذي أصاب يدها التي كانت تتحرك باحثة ضمن الحقيبة.. أخذت تجر قدميها من شدة الألم وقد نضح جسمها بالعرق، وانهمرت الدموع من مآقيها..».

هذه الفقرة ليست مأخوذة من قصة قصيرة أو رواية، بل هي مقدمة في مقال طبي كتبه (د. عمر فوزي نجاري) عن عقارب الصيف في مجلة العربي، حيث استخدم، مثل العديد من الكتاب الناجحين، أساليب الخيال في عمله كي يجعلها أكثر إمتاعا. فجميع أنواع الكتابة الشخصية تلتقي تقريبا، والعديد من أنواع الكتابة، وعناصر الفهم المختلفة، واللغة والصياغة في الفصول التسعة الأولى من هذا الكتاب، ولا سيما المتعلقة بالوصف والحكى، في أسلوب خيالي يسمى «المشهد». ويمكن أن يعطي فهم مكونات المشهد وسيلة فعالة لبدء مقال ما، ووحدة هيكلية لصياغة مسودتك الأولى.

عرف (ويلسون. آر. ثورنلي) وهو مدرس كتابة معروف ومحترم، ستة عناصر أساسية في مشهد الكتابة:

* **الضوء**: مثلما لا يمكن أن ترى خشبة المسرح بدون ضوء، لا يستطيع قارئك أن يرى مشهد الكتابة في خياله دون الإشارة إلى الضوء أو تضمينه.

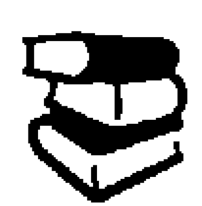
* **الوقت**: عادة ما يشير الضوء إلى الوقت، حيث تقترح عبارة مثل: «فجر نوفمبر» وقت من السنة، ووقت من اليوم، ونوع الضوء وقد لا تكون هناك حاجة إلى تحديد الوقت كما في الروايات البوليسية كأن نقول: «كانت الساعة السادسة واثنين وأربعين دقيقة مساءً عندما حدثت جريمة القتل»، ولكنك تحتاج إلى مدى عام من الوقت، كالصباح، أو المساء، أو الظهر أو أي شيء آخر.

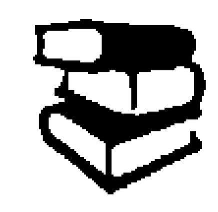
* **المكان**: نسكن جميعا في عالم حقيقي، وفي جلسة حقيقية، ولا نستطيع أن نتخيل أناسًا يعملون في فراغ. فيمكن لجملة أو اثنتين أن تشير إلى بوابات قلعة، أو غرفة معيشة فكتورية، أو حمام في صحراء مظلمة.

* **الشخصية**: يخبرنا الرأي العام أن الشخصية هي نقطة محورية لأي مشهد. وما الضوء والوقت والمكان إلا خلفية للشخصية التي تمشى، وتتحدث، وتتصرف وتكشف لنا مميزات حياتها الحيوية.

* **الهدف**: لا شيء يمكن أن يكون أكثر مللاً من مشهد لا يلوي على شيء. ولا ينبغي أن يكون هناك مشهد في مسرحية أو في كتابتك بدون قصد واضح. فقد يكون الهدف في شرح بعض جوانب الشخصية، أو في تحضير المزاج لما يتبع، أو في عرض مشكلة أو صراع يحتاج إلى حل.

* **الحواس الخمس**: مثلما يستطيع المسرح جذب انتباه الجمهور بصريا وسمعيا بنجاح، يستطيع النثر أن يشرك العديد من الحواس الخمس قدر الإمكان، ومن الضروري أن يأخذ المشهد القارئ جسديا وانفعاليا.





المشهد وسيلة أدبـية، وذلك لأننا نعيش جميعًـا مشهدا كل يوم، كما تفعل في هذه اللحظة. وتوفر معرفة عناصر المشهد طريقة للملاحظة والتسجيل. ويجب ألا يتـضمن الوصف ولا الحكى تـفاصيل عشوائـية، بل ينبغي أن يـكون الاختيار ضمن المميزات التي يـحتمل أن تنقل لخيال القارئ حقيقة الحياة، وعناصرها الأكثر حـيوية. وبـالتـالي يمدك المـشهد الـذي هو عـبارة عن ضـوء، ووقت، ومكان، وشـخصية، وهدف وخبرة حسية، بالخـطوة الأساسية الأولى لخلق صيغة، لاسيما وأن المشهد صيغة.

التنظيم في إطار المشهد

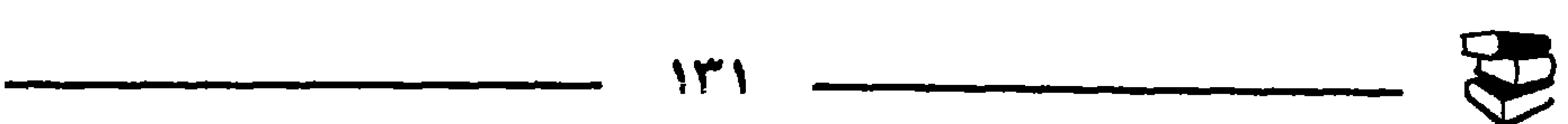
عناصر المشهد التي يمكن أن تـنظم في أي صيغة هي الأكثر فاعلية. فليست هناك قواعـد، بل بعض التنظيمـات المتفق عليها، التـي ينبغي أن تكون على علم بها، وربما تساعدك في كتابتك.

من العام إلى الخاص:

نظرًا لأن القارئ يحـتاج إلى تمهيد، من المفيـد عادة أن تبدأ بالإطار الأكبر وتنتقل خطوة خطوة نحو التفاصيل الأكثر تحديدا.

مثال:

«صباح صيفي، والجو ساكن، إلا من أزيز جندب على الشاطئ، وفي مكان مـا يزقزق عصفور صـغير بوجل، وفي السمـاء تقف سحابة زغبـية جامدة، تشبه ندف الثلج المبعثر. . وبجوار حمام يجري بناءه، وتحت أغصان الصفصاف الخضراء يتخبط في الماء النجار (جراسيم)، وهو فلاح طويل نحيف، وبشعر أحمر مجعد، وبـوجه مغطي بالـشعر. ويزمـجر ويزفر، ويـغمز بعـينيه بشـدة، وهو يحاول أن يستـخرج شيئا ما من تحت جـذور الصفصاف. وجهه مغـطى بالعرق. وعلى بعد ذراع من (جراسـيم) يقف غائصـا في الماء حتى زوره النـجار (لوبيم)، وهو فلاح شاب أحدب، بـوجه مثـلث وعينـين ضيـقتـين صينـيتـين. وكل من (جراسيم) و(ولوبيم) يقفان بالقمصان والسروايل. وكلاهما أزرق جلده من البرد لأنهما يقفان في الماء منذ أكثر من ساعة. . ».

ويصـيح (لوبيم) الأحـدب وهو يرتعش كـالمحموم: ما لك تـتحسس بيدك كالأعـمى؟ شغل مخك!، امـسكه وإلا أفلت هـذا الملعـون، امسكه قلت لك!. فيقول (جراسيم) بصوت أبـح مكتوم صادر لا من حلقه بل من أعماق بطنه: «لن يفلت». - من قصة «البربوط» لـ (تشيخوف).

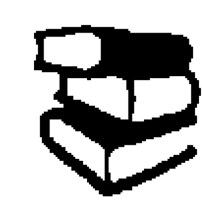
بدأ (تشـيخوف) بإطار أكبر. وقادنا عبر وصـفه للجو العام إلى حالة النجار (جراسيم) ثم النجـار (لوبيم). وعلى الرغم من الإطار الـعام، ظل الكاتب يشير إلى تفاصيل محددة مختارة كأزيز الجـندب، وزقزقة العصافير، والسحابة الزغبية، وأغصان الـصفصاف، وغـيرها، ثم نـعرف بأن (جراثـيم) يبحث عن شيء تحت جذور الصفصـاف. وفي الفقرة الثانيـة يبدأ حوار بين النـجارين لنعرف مزيدا من التفاصيل الخاصة التي تستثير فضولنا وتحفز خيالنا.

عادة ما يستخدم هـذا الأسلوب من الحركة في بداية المقال. وعادة ما يسمى بالمشهد البانورامي، الذي يوجـد في العديد من عروض التليفزيون والأفلام، التي تبدأ برؤية عامـة لمدينة كبيرة ذات عـمارات عالية، ثم تقتـرب الكاميرا تجاه عمارة بعينها، ثم نافذة ما في العمـارة، ونتحرك داخلها، حيث نجد البطل يرتدي معطفًا رياضيًّا ورديًّا. وهكـذا توجه الحركة من العام إلى الخاص انتباه الجمهور نحو نقطة مفصلة يريد الكاتب أن يشير إليها.

ويمكن أن يـكون الأسلوب الـبانورامي مـفيدا للـكاتب بشـكل خاص أثناء المسودة الأولى لأن العقل، أيـضًا، يحتاج إلى توجيه، واتباع عملية للتركيز. ومن خلال بدايتك بالعام، تساعد الـكلمات على التدفق. وعادة من الأسهل أن تكتب عن عناصر كـبيرة من الكتـابة عن عناصـر صغيرة ودقيـقة - من الأسهل أن تبدأ بقولك: «كان صباح من صباحات يوليو» أو «هطلت الأمطار على المدينة كلها» ثم تنتقل إلى تفاصيل أدق.

من الخاص إلى العام

البديل واضح. في مقدمة المقال الطبي الخاص بالعقارب، حيث يبدأ المشهد بالحديث عن السيدة التي تعود إلى هولندا قادمة من رحلة سياحية إلى تركيا، وفي




محاولتها لإفراغ جقائبها من الهدايا، يلسعها عقرب حملته معها دون قصد. ثم يتجه الحديث نحو العقارب بشكل عام ومواصفاتها والفصيلة التي تنتمي إليها، وكيفية التعامل مع الشخص الملسوع.

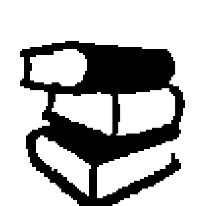
وفيما يلي مثال آخر

«امتدت يده وصفعت خوذتي. انفجار مثل دوي رعدي ممل داخل رأسي. كتفه طوق كتفي وأصدرت اللبادات أثرا وحشيا! شعرت بأنني أدور حول نفسي للحظة فاقدا توازني، والشمس تسطع في عيني والسماء زرقاء، ثم الحشائش البلاستيكية الباردة تدخل في أنفي. كنت أتمدد لأمسك بنفسي عندما ضربني شيء ما من الخلف يشبه سقوط ثلاث مراتب على فجأة ودفعة واحدة بحيث جعلني أصاب بانهيار شديد. ثم ركبة أحدهم دفعت بنفسها إلى كليتي واخترقني ألم في أسفل ظهري. وكان كل شيء صامتا للحظة عدا أصوات بعض الناس التي كانت تلهث وتطلق تهديدات.

ثم انزاح ثقل عني وسمعت المدرب يصرخ: «يا إلهي، أين رأسك؟ كنت خارج موقعك! انهض قبل أن أركلك على مؤخرتك حتى القاعدة البعيدة» كان اليوم الثالث من التدريب، وكان المدرب (هارلي) يقف فوقي وأستطيع أن أرى بين ساقيه شمس المساء تنسكب على المدرجات المكشوفة الفارغة. الرعد الممل في أذناي لا يزال يدوي. ينطلق صوته كما لو أنه يصرخ في وجهي من خلال سحابة. وصلت إلى ركبتي وبرغم الألم المشتعل في ظهري سحبت نفسي واقفا. والشباب الآخرون الذين يفعلون ما في وسعهم من أجل الفريق تراجعوا إلى خط المعركة وهم ينظرون بعيدا عني وكأنهم لم يلاحظوا شيئًا.

كان ذلك الخطأ الفادح الثالث الذي ارتكبته في ذلك اليوم، وشيء ما في وجه المدرب (هارلي) يقول بأنه يمكن أن يكون الخطأ الأخير».

على الرغم من أن القارئ يمكن أن يعرف بسرعة أن الكاتب يتناول كرة القدم في موضوعه (تبدو الخوذة ولبادة الأكتاف في الجمل الثلاث الأولى). لا نعرف شيئًا عن الوضع الأكبر إلا في الفقرة الثانية. ولا نفهم الوضع الأكثر

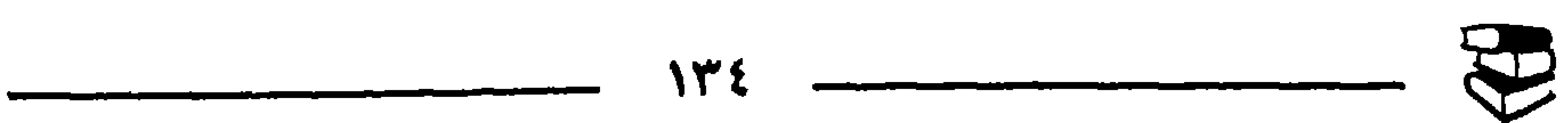
عمومية إلا بالتدريج (الشمس المنسكبة، المدرجات المكشوفة الفارغة، لاعبي كرة قدم آخرين، المدرب). ولا نلتقط المغزى أو الاتجاه إلا في الجملة الأخيرة من الفقرة الثانية.

يغمر البدء بالتفاصيل المختارة القارئ بسرعة في كتابتك. وينجذب الجمهور بحدث أو وصف دون أن يعرفوا لماذا عليهم الاستمرار في القراءة حتى النهاية على وجه التحديد. هنا يكمن الخطر. سيستمر القارئ معك، ربما بضع فقرات أو لصفحة كاملة، قبل أن يتعين عليك توفير بعض الاتجاهات العامة. ولكن كلا أسلوبي التنظيم - من العام إلى الخاص أو من الخاص إلى العام - يوفر أن لك سهولة نسبية ونمطًا تسلسليًّا من حيث التتبع لتحصل على فقرات قليلة أولى سهلة التدفق.

مسودة المشهد

مثلما تشكل المسودة الأولى العقبة الأكثر صعوبة التي ينبغي تجاوزها في الكتابة، عادة، يمكن أن يوفر لك فهم المشهد ومكوناته مكانًا فوريًا لتبدأ الكتابة. اخلق مشهدًا ترينا فيه مادتك: اكتب سلسلة من المشاهد التي توضح جوانب مختلفة من مادتك. ولا تحتاج في النسخ المبكرة، أن تكون مرتبطة منطقيا، تستطيع العودة فيما بعد وتملأ العلاقات، وتضيف تعليقات، أو انطباعات شخصية، وتتوصل إلى استنتاجات. ويمكن أن يكون مشهدًا أو سلسلة من المشاهد وحدة تنظيم لمقالة كاملة. كما يمكن أن يكون مقدمة حسية، ودراماتيكية لأي مقال أو يوفر استنتاجًا فعالاً، ومتحركًا في العادة.

ليست وظيفة المشهد الإخبار، بل الدراما، حيث يساعدك المشهد على اختيار تفاصيلك وتنظيمها من خلال تركيز انتباهك على الضوء، والوقت، والمكان، إما من الخاص إلى العام، أو من العام إلى الخاص. قال (فورد مادوك مورد) وهو كاتب في بدايات القرن العشرين: عليك أن تكتب دائما كما لو أن لمادتك حياة تمثل أمامك على خشبة مسرح. وإذا لم تر شيئا في عيون عقلك، تستطيع أن تتأكد بأن قارئك لن يرى أي شيء أيضًا. لا سيما في الكتابة عن شخصية، أو

الكتابة عن أي شكل من أشكال الوصف والحكى، ويمكن أن يساعدك الاحتفاظ بعناصر المشهد في خلفية عقلك، أثناء الاحتفاظ بصورة الشيء الذي تصفه أمام عقلك، على تدفق الكلمات على الصفحة.

تدريبات:

حلل المشهد التالي:

«حين استيقظ في ظلمة السحر أفتش في ذاكرتي عن بقايا واهنة من أحلام تتلكأ في عقلي الواعي، بحثا عن إحساس حاد بالانتظار. ابحث بأمل مرتعش كي أجد انتظارا متلهفا ينبعث في أعمق أعماق كياني - دون جدوى - مع أثر الويسكي وهو يشعل أمعائي بالنار أثناء سريانه داخلها ليجعلني ذلك عدما سرمديا - فأضم أصابعي التي فقدت ما بها من قوة. وفي كل مكان، في كل عضو من أعضاء جسدي، يشعر لحمي وعظامي بثقلها وحدها دون علاقة ببقية جسدي. شأنها شأن الحواس التي تبدأ في الشعور بألم متبلد ارتد إلى النور مستسلما. وآخذ على عاتقي اللحم الثقيل، الذي يؤلمني في كل الأنحاء ومع ذلك أتفكك. أنام بقدمين وذراعين معكوستين في وضع إنسان يتردد أن يذكره أحد سواء بطبيعته أو بالموقف الذي يجد فيه ذاته». بالقرب من الموت - من رواية «الصرخة الصامتة» لـ (اوي كينزابورو).

وتعرف على عناصر المشهد، هل أسقط منها شيء؟

البصر - الضوء - اللمس - الوقت - الصوت - المكان - التذوق - الشخصية - الرائحة الغرض.

تدريب المفكرة

١ - انظر عبر الصفحات في مفكرتك واختر قطعة من القطع التي يمكن صياغتها الآن بصورة أقوى من خلال كتابتها كمشهد كامل. ابدأ بإدراج قائمة لجميع عناصر المشهد التي يجب أن تتواجد في القطعة - الضوء، والشخصية، والتفاصيل، والوقت، والمكان، وهكذا. ثم اختر العناصر الأكثر فعالية وراجع القطعة القديمة.

٢ - لاحظ مشهدا داخليا، واكتبه. مثال:

«في مطبخ فسيح، يغمره النور، ويلمع بالنظافة، تقف امرأة بدينة، ترتدي جلبابا بلديا مشجرا. تقف بجانب الحوض تجفف أدوات المائدة الفضية. تضع كل سكينة، وكل شوكة، وملعقة، بحرص في درج، مفتوح، مبطن بالجوخ الأخضر، ومقسم إلى خانات. عندما تنتهي، تغلق الدرج، وتنشر منشفة الصحون لتجف، ثم تتجه إلى باب المطبخ، وتأخذ الثوب الأسود الطويل الفضفاض المعلق وراءه»، تدخل فيه رأسها وذراعيها، ثم تنزله على الجلباب المشجر. تفرد طرحت ها السوداء، وتلفها حول رأسها. ثم تنحني لتلتقط الشبشب من تحت الثلاجة، تحمله تحت إبطها، وتسير حافية، على قدميها الغليظتين إلى الطرقة. تدلف إلى حجرة جلوس، ظليلة، أنيقة، ذات أبواب عالية، تؤدي إلى شرفة منسقة، تطل على البحر، نثرت - على البساط الأبيض - عرائس، ولعب، زاهية الألوان، وفي كرسي فوتيه أخضر، جلست سيدة شابة، ترضع طفلها الصغير». - من قصة «تحت التمرين» لأهداف سويف.

٣ - تدرب على كتابة المشهد البانورامي. وذلك بالنظر عبر نافذتك، ووصف الموقع العام، بما فيه الضوء (حاول أن تضمن «الوقت» من خلال الضوء)، ثم ركز خطوة خطوة على ميزة تفصيلية بسيطة ولكن مهمة ومختارة.

٤ - اكتب مشهداً يتضمن شخصيتين، لا تتخيل، بل لاحظ واسمع سكرتيرتين وهما تذهبان إلى عملهما أو مدرسين يحتسيان قهوة التقط الحوار الحقيقي والحركات. ثم ابحث بشكل خاص عن التعارض. اختر تفاصيل كاشفة حول كل شخصية. ركز على أفعالهما وحديثهما. وضمن جميع عناصر المشهد الأخرى الضرورية لتوجيه القارئ: الضوء، والوقت، والغرض، المكان، والحواس الخمس. فالكتابة عن

شخصيتين هي تمرين مختلف عن الكتابة حول الشخصية الواحدة. ويمكن تسهيل الأمر من خلال تنظيم الكل من العام للخاص أو العكس. وليس إدراجا عشوائيا للتفاصيل وحسب.

٥ - اكتب مشهدًا خياليًّا، يتضمن نفس الشخصيتين، بنفس المكان، ووسط صراع خيالي، من اختراعك. وتظاهر أنه اليوم الذي يلي المشهد الأصلي، ودع الشخصيتين تتناقشان، أو تتجادلان حسب الصفات المكتشفة في المشهد الأول. واسمح لهما بالتصرف في منطلق الميزات الداخلية.

النسخ

انسخ واحدة من المشاهد التالية لتدرس كيف استخدمت عناصر المشهد:

«الصبح مشرق، والسماء صافية، الربيع يزفر فيفعم الجو حلاوة. الميدان يستيقظ بدوره الحديثة وآثاره العتيقة، الدكاكين تفتح أبوابها، الألبان والفطائر تزهو في معارضها، المقاهي تستقبل العاملين والخاملين. جلست مع الشاي الأخضر أراوح بين النظر والتذكر، مستمتعا بالصحة والأمل وأحلام الشباب، لم يخل المناخ مما يكدر الصفو، فهذا رجل ذابل العينين من البكاء والسهر، يسأل عن مكتب الصحة، وهذه امرأة طاعنة في السن تتحرى عن أقصر السبل إلى سجن مصر، ولكنها تذوب في حوادث كل يوم، في الوقت نفسه يتهادى صوت أم كلثوم من الراديو ليسعد صباح السامعين. احتسى الشاي وأطرب وأنعم بالسمر مطمئنا إلى أن الأكدار عابرة وأن الجمال أبدى لا يذعن لمشيئة الزمن». - من رواية «الفجر الكاذب» لنجيب محفوظ.

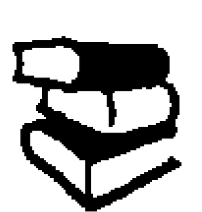
«إنها تنتظر أن يطل البحر من نافذة غرفتها في الطابق التاسع من فندق خاراغو، لكي تراه أخيرا. الظلمة تنجلي خلال ثوان قليلة، وبريق الأفق الأزرق، المتنامى بسرعة، يبدأ المشهد الذي تنتظره منذ أن استيقظت في الساعة الرابعة، بالرغم من القرص الذي تناولته متجاوزة احتياطاتها ضد المنومات. سطح البحر

الأزرق القاتم يمتد منكمشا بذعر في لطخات زبد ليلتقي بسماء رصاصية عند خط الأفق النائي، أما هنا عند الشاطئ فيتكسر في أمواج مدوية وزبدية على حاجز الكورنيش، حيث تظهر أجزاء من الشارع ما بين أشجار النخيل واللوز التي تحيط به. . . .» - من رواية «حفلة التيس» لـ (ماريو بارغاس يوسا).

«فجأة انطلق جرس التليفون في الصالة البعيدة من منزل عثمان نور والمشهور في الوسط النوبي (بعثمان حجية) منسوبا إلى أمه (حجية خليل) من الجنينة والشباك.

لم يقطع الرنين المتواصل استغراقه في تأمل اللوحة و(الاسكتش) الذي بجوارها، كان ضوء الغروب الفاتر يتسلل عبر زجاج النافذة ليستلقي في وهن على الحامل واللوحة بينما ينساب صوت (حمزة علاء الدين) خشنا شجيا بأغنية حزينة عن التهجير من مسجل وضع على رف مكتبه صغيرة في المرسم الكبير. . عطر بخور الصيدلية و(المحلبية) المنطلق في الصالة يملأ فراغات الشقة الكبيرة بعبق خاص تعرفه وتألفه الأنف النوبية التي نشأت في القرى القديمة». - من قصة «الجدار الزجاجي والزمان النوبي» لـ (يحيى مختار).

***







استخدام لغة بيانية أفضل وأفعال أقوى

دائما ما يبدو الأسلوب أمرًا من الأمور الغامضة التي «يمتلكها» الآخرون، ومن المفترض أن «نبلغها» ولكن لا أحد يستطيع أن يخبرنا كيف ونعتقد أن الأسلوب هو أن نكون ورديين أو دراماتيكيين، و نكتب مثل (نجيب محفوظ) ولا نتوصل إلى اكتشاف أنه يعني، من بين أمور أخرى، استخدام الصوت الأكثر طبيعية، إلا بالتدريج، حيث يصر بعض الكتاب المحترفين على أن الأسلوب في الصوت، وفي بوح الروح، والميول، والحيوية، أثناء الحديث من خلال الورقة. وأكدنا في فصل سابق، على أنك تستطيع في الغالب، اكتشاف صوتك الطبيعي أثناء كتابتك بعفوية خلال المسودة الأولى. كما توجد طريقة أخرى مدهشة للوصول إلى ذلك الصوت، وهي تحسين قوة أسلوبك ونشاطه، من خلال البحث الواعي في قواعد علوم: المعاني والبيان والبديع، من أجل العثور على أفعال قوية وتراكيب موفقة، ولغة رصينة، أثناء مرحلتي المراجعة والتدقيق لعملية الكتابة.

اللغة البيانية

مرت البلاغة العربية ومنها علم البيان بتطور كبير، حتى صارت علمًا مستقلاً بذاته على يد (عبد القاهر الجرجاني)، ومن جاء بعده من البلاغيين أمثال: (الزمخشري) في كتاب «الكشوف»، و(السكاكي) الذي عرف علم البيان بقوله: (إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة للزيادة في وضوح الدلالة عليه)، و(ابن الأثير) صاحب كتاب «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر»، والخطيب (القزويني)

صاحب كتاب «التلخيص» الذي لخص فيه القسم الثالث من كتاب «مفتاح العلوم» للسكاكي، الذي أضاف إليه ووضحه، وانتهى إلى أن مباحث علم البيان ثلاثة: التشبيه، والمجاز، والكناية.

فالتشبيه، عبارة عن مماثلة تنعقد بين أمرين، مما يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيدا كقول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ... ﴿١٨﴾﴾ [إبراهيم].

علما بأن أركان التشبيه أربعة: المشبه، والشبه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه، وهناك أربعة أنواع من التشبيه أيضًا هي:

١ - **التشبيه البليغ**: وهو الذي تحذف منه الأداة ووجه الشبه معا مثل: العلم نور.

٢ - **التشبيه التمثيلي**: وهو نوع من التشبيه يكون فيه وجه الشبه صورة منتزعة من أمور متعددة مثل:

«وما المرء إلا كالشهاب وضوئه   يوافي تمام الشهر ثم يغيب»

٣ - **التشبيه المقلوب**: وهو الذي يعكس فيه طرفا التشبيه، فيتحول المشبه إلى مشبه به، والعكس، مثل قول (البحتري):

«في طلعة البدر شيء من محاسنها   وللقضيب نصيب من تثنيها»

٤ - **التشبيه الضمني**: وهو ليس نوعًا من التشبيهات المعروفة، وإنما يلمح التشبيه ويعرف من قرينة الكلام، كقول (أبو الفراس الحمداني):

«سيذكرني قومي إذا جد جدهم   وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر»

بينما ينقسم المجاز إلى:

١ - **مجاز عقلي**: وهو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير صاحبه لعلاقة تربط بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي.

٢ - **ومجاز لفظي**: وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له في الأصل، لعلاقة هي المشابهة.

وتندرج الاستعارة تحت المجاز اللفظي، وهي تشبيه يحذف أحد طرفيه، وتعطي الكثير من المعاني باليسير من اللفظ مثل: «كان الشباب مطية للجهل».

في حين أن الكناية، لفظ يطلق ويراد به لازم معناه كقوله تعالى: ﴿...فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا ... ﴿٤٢﴾﴾ [الكهف]، كناية عن الحسرة والندم.

وهكذا تكون الكتابة بأسلوب أدبي، ذات جمال، ينشأ من إثارة الخيال والإيحاء باستخدام تشبيه، أو استعارة، أو كناية، على سبيل المثال، على خلاف الكتابة بأسلوب علمي الذي يقتضي مخاطبة العقل بالمنطق والفكر المستقيم.

علم البديع

البديع، كما عرفه الخطيب (القزويني)، في كتابة «التلخيص»، هو (علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة).

وهناك محسنات بديعية معنوية ولفظية، فمن المحسنات البديعية التي تتناول المعنى:

١ - **الطباق أو المطابقة**: وهو الجمع بين الضدين في الكلام مثل: الليل والنهار.

٢ - **المقابلة**: وهي الإتيان بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثم الإتيان بما يقابل ذلك على الترتيب نفسه مثل قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل].

٣ - **مراعاة النظير (أو التناسب والتوافق والائتلاف والمؤاخاة)**: وهو الجمع بين أمور يستدعي بعضها بعضًا لا على سبيل التضاد، بل على سبيل الملاءمة أو الوفاق، مثل قول الله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ ...﴿١٦﴾﴾ [البقرة]. حيث استدعى ذكر (اشترى) الربح.

٤ - **حسن التقسيم**: وهو فن (استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه) مثل قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ...﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران]، حيث استيفاء جميع الهيئات.

٥ - **المبالغة**: وهي الذهاب بالمعاني إلى حد مستبعد أو مستحيل مثل ما قاله (عمير التغلبي):

«ونكرم جارنا ما دام فينا ونتبعه الكرامة حيث مالا»

٦ - **التورية**: وهي الإتيان بلفظ له معنيان، قريب ظاهر غير مراد، وبعيد خفي هو المراد، مثل قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ... ﴿٦٠﴾﴾ [الأنعام]، حيث المعنى القريب لجرحتم، تمزق في الجسم، والمعنى الخفي، هو اقتراف الذنوب والآثام.

٧ - **الأضداد**: وهو الإتيان بكلام يدل على ما سيكون بعده، فيعرف آخر الكلام من معرفة أوله، بطريقة عفوية مثل قول الله تعالى: ﴿...وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [ق].

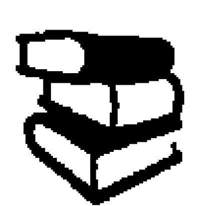
٨ - **الالتفات**: وهو الانتقال بالكلام من صيغة إلى صيغة أخرى لفائدة اقتضت هذا الانتقال، كالانتقال من صيغة خطاب حاضر إلى غائب.

٩ - **الاستطراد**: وهو الانتقال في الكلام من معنى لآخر يكون فيه المعنى الأول سببًا لمعنى الثاني، مثل قول (السموءل):

«ونحن أناس لا نرى القتل سبة إذا ما رأته عامر وسلول»

١٠ - **التفريع**: وهو نوع من الاستطراد، كأن يقصد الكاتب وصفا ثم يفرع منه وصفا آخر يزيد الموصوف توكيدًا. مثل قول ابن المعتز:

«كلامه أخدع من لحظه ووعده أكذب من طيفه»




ومن المحسنات البديعية اللفظية:

١ - **الجناس**: وهو تشابه لفظين في النطق واختلافهما في المعنى، مثل قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ... ﴿٥٥﴾﴾ [الروم].

٢ - **السجع**: وهو توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد مثل قول الله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [نوح].

٣ - **التضمين**: وهو أن يضمن الكاتب كلامه أقوالاً مشهورة لغيره لطرفتها أو لجمالها أو لشدة علاقتها بما يقوله.

٤ - **الاقتباس**: هو أن يضمن الكاتب كلامه أقوالا مقتبسة من غيره، لكنها ليست مأخوذة حرفيا.

٥ - **تجاهل العارف**: وهو نوع من الاستفهام يلجأ إليه الكاتب وهو عارف بما يستفهم عنه، لغرض في نفسه.

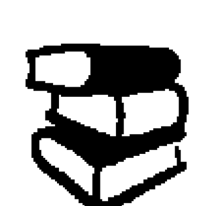
الأفعال الضعيفة والأفعال القوية

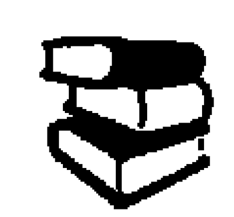
لا تعتبر الأفعال مجرد عناصر نحوية في الجملة، تربط بين الفاعل والمفعول به، بل لها وظيفة أكثر من ذلك بكثير، فقد وجد الكتاب الناجحون أن الأفعال هي العنصر الأكثر أهمية في الكتابة بحيوية.

ويمكننا تقسيم الأفعال، والتراكيب إلى صنفين عاميين:

١ - **أفعال وتراكيب قوية**: تخلق إحساسًا بالمباشرة، والفعل المحدد، وتميل إلى خلق صورة في عقل القارئ لأنها عادة ما تكون كلمات ملموسة، مثل: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ... ﴿٤﴾﴾ [مريم]، «ضج الممر بصراخه».

٢ - **أفعال وتراكيب ضعيفة**: تستخدم بعض أشكال البناء، كالمبنى للمجهول، أو تشبيهات ضعيفة، فتفشل في منح الجمل أثرًا قويًا، كأن نقول: كتب الواجب من قبل الطالب، بدلا من كتب الطالب الواجب.





ويميل معظمنا، ولاسيما في المراحل المبكرة من الكتابة، إلى الاعتماد على الأفعال والتراكيب السهلة أو العادية، مما يؤدي إلى كتابة تنقصها القوة والحيوية ويغيب عنها الأسلوب، وربما يسيطر عليها التكرار في اللغة، فتصبح الجمل متوقعة وذات نغمة واحدة، فمثلما ينبغي عليك أن تدرب نفسك على تجنب الشعارات والجمل الجاهزة، والتعميميات في كتاباتك، عليك أن تتدرب على التخلص من الأفعال والتراكيب الضعيفة، وتجعل «الألفاظ خدم للمعاني» كما يقول (الجرجاني) في أسرار البلاغة، وفيما يلي بعض الأسباب:

* **تخلق الأفعال القوية صور الفعل**: (يقفز، يبتسم، يفوز، وغيرها).

* **وتعطي تركيزاً على الفكرة**: (يحكى، يناقش، يعزف، ينتقد).

كما تحكم الأفعال القوية الجملة وتقويها، فالكتاب الجيدون لا يستخدمون كلمات أكثر إذا كان من الممكن أن يستخدموا أقل.

مثال:

* «أكل كميات كبيرة من الأكل» مقارنة بقولنا: «أفرط في الأكل».

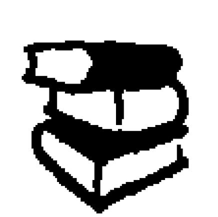
* «وقع ماء المطر على ملابسي» مقارنة بقولنا «بللني المطر».

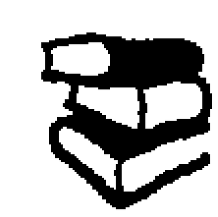
كما يعرف أفضل الكتاب أن الأفعال القوية، النشطة تخلق شعوراً بالكتابة الخيالية الأصيلة كأن نقول:

* هوى كفه على وجهها صافعا كرامتها.

لاحظ كم تحمل الجملة من القوة والانفعال.

هذا ويبحث الكتاب، وهم يقومون بمراجعة كتاباتهم وتدقيقها، عن أسماء أقوى، وأفعال أكثر دقة، ولغة بيانية أكثر تعبيرا من بين عدد لانهائي من الأفعال والأسماء القوية، والصور البلاغية، المتاح استخدامها في الجملة الواحدة، وذلك من أجل توصيل الرسالة إلى القارئ وحثه على استخدام خياله، والتقاط تفاصيل ملموسة مفيدة، فاختيارك المحدد، يمنح كتاباتك صوتًا مختلفًا عن أي صوت آخر، حتى في الجملة الواحدة، من نفس الموضوع.





وعلى هذا، ينبغي أن يكون الكُتَّاب المحترفون، كالصحفيين، على وعي فيما يتعلق بالأفعال واللغة البيانية، بشكل خاص، بحيث تتقدم الأحداث ويظل القارئ منجذبا إليك، باستمتاع.

حتى كتاب عناوين الصحف يعرفون أن الأفعال القوية، والكتابة النشطة تبيع أكثر من سواها، من خلال جذب اهتمام القارئ، مثل:

* أسعار البنزين تشتعل.
* انهيار عمارة على ساكنيها.
* هبوط حاد في درجة الحرارة.

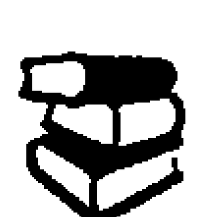
فالأفعال الأكثر نشاطًا تجعل الجملة ملموسة، ومحسوسة، وتتخلص من الكلمات الزائدة، وتؤكد الحقائق الأكثر أهمية في الجملة، وتجعل التفاصيل أكثر دقة، وتجعل جميع أنواع الكتابة تبدو نشيطة وتمنحك فرصة للتعبير بصوتك، من أجل إبراز الكتابة.

التدقيق من أجل الأفعال القوية، ولغة بيانية أفضل

عادة ما يكون البحث عن أفعال قوية، ولغة بيانية جيدة بالنسبة للكتاب المبتدئين، فعل تدقيق. ولكن بعد بضع سنوات من الممارسة، تأتي في وقت مبكر، وفي مرحلة المسودة الأولى.

وكما في الأشكال الأخرى من التدقيق، هناك بضعة أمور صحيحة وأخرى خاطئة بشكل واضح. فقد تنجح بعض الجمل باستخدام الفعل المبنى للمجهول، على سبيل المثال، بينما تفشل أية جهود أخرى لـلتعبير بفعل مبنى للمعلوم، وفي هذه الحالة لن يفعل التدقيق سوى تشويه الجملة لذا **لا تضخم فعلا قويا، أو تشبيها أعجبك، ولا تقحمه في الجملة لمجرد استخدامه، بل اختبر كل جملة كتبتها.**

ولن نقول أن الأسلوب أو الصوت هو مجرد استخدام أفعال قوية، أو لغة بيانية رصينة، لأنه في النهاية انعكاس لغوي لشخصيتك ككل. إلا أن البحث الواعي عن أفعال نشطة وقوية يمكن أن يكون خطوة أساسية في تعلم السيطرة على




اللـغة، بحيث تتـحدث لك ومن خلالك. وقد يكـون الفعل عنصـرا مفتاحيا في جعل كتابتك تبدو جديدة وحيوية ومحكمة.

تدريبات:

١ - اقرأ الفقرتين التاليتين - من رواية «فوضى الحواس» (لأحلام مستغانمي) - لتتبين ما يحدث، ثم املأ الفارغ بأفعال مناسبة، لا تحاول التخمين، بل حاول أن تـتوصل إليهـا بنفسك، وقـارن ذلك مع ما كتبه آخرون، وإذا كـنت مثل معظم الناس، ستـجد تشابه إجاباتك مع شخص آخر. وسيساعدك مثل هذا الاختبار على أن تجد صوتك بشكل تلقائي:

«..... نحو السيارة........على يده ألثمها، .... وجهي ودمـوعي فـيهـا، وكأنـني........ إلـيه شيـئا من الحـياة، كأنني..... معه حيـاتي ما دمت لم.......... معه موته، أنا التي جئت به حتى هنا.

.........بـــأنـــني......... يـد المـوت، المـوت الـذي.......، والذي.......... الآن فقط بأدب، أن......... شفتي عنه ليسحبه و........... به[1].

٢ - أعد كتـابة كل جملة ممـا يلي، كي تجعلهـا أقوى وأنشط وتخلص في هذه العملية من الكلمات الزائدة.

* في الأيام الأولى من السنة الماضية لم أكن في منزلي لمدة سبعة أيام.
* يخيفني منظر البرق خوفا شديدا.
* يريحني أن أكتب إليك، لأن الكتابة تخلصني مما أعانيه من فراغ.

٣ - اكتب اثنين من تمريناتك المبكرة في المفكرة، وضع دائرة على كل فعل ضعيف، أو تركيب غـير دقيق، ثم أعد كتابة الـتمرينين، وضع أفعالاً

---

(١) الفقرتان من ص ١١٢.

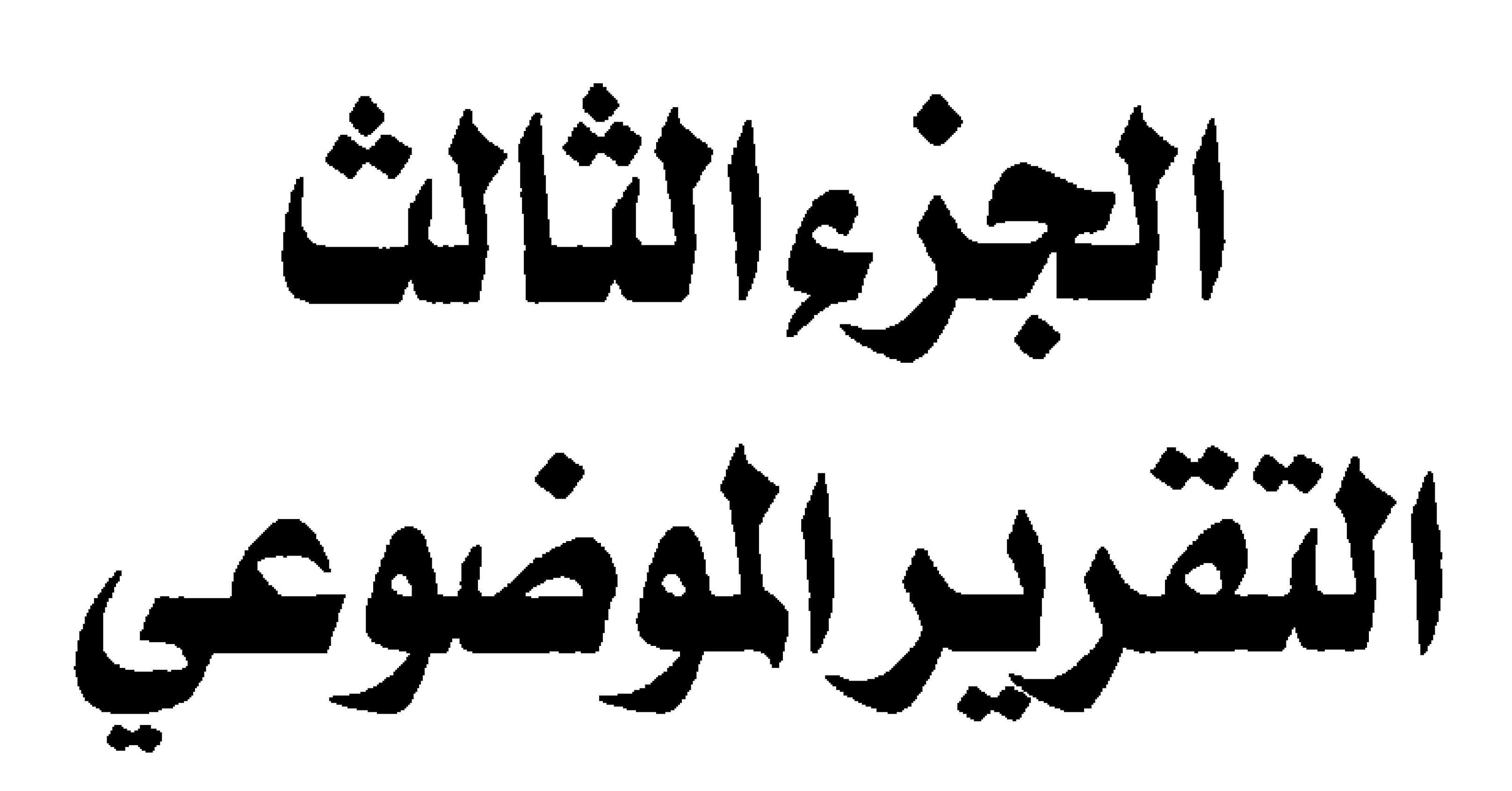
وتراكيب قوية قدر الإمكان - ولكن حافظ على الجملة طبيعية في أذنك.

ملاحظة:

تم الرجوع إلى: «مداخل كتابة اللغة العربية وبلاغتها»، المشار إليه سابقًا.

* * *



«قال شخص ذات مرة: «لا يوجد ما يسمى تعميم صادق، بما فيها هذا»، ولكننا نستطيع أن نقترب من التعميم الصادق عندما نقول بأن على كل كاتب أن يكون مخبرا».

(چون دي وت مكي)



الانفعالات والآراء والاستنتاجات

لم يفهم أحد، لآلاف السنوات، كيف انتشرت الحمى النمشية واعتقد البعض أنها انتقلت باللمس، وآخرون قالوا عن طريق الهواء، ولا يزال غيرهم يفكرون في احتمال سقوطها من أشعة القمر. ولم يكتشف العامل الحقيقي إلا بعد أن لاحظ (شارلز نيكول) العلاقة بين بضع حقائق كانت غائبة في السابق. فقد كان (نيكول) طبيبًا في (تونس) عندما تفشت الحمى النمشية الوبائية (التيفوس)، في عام ١٩٥٩ حيث لفت انتباهه أن المرضى الذين دخلوا مستشفاه لم يلتقطوا المرض من الضحايا الواصلين حديثا، كما لم يلتقطه الأطباء ولا الممرضات، وفي أحد الأيام، وفي أثناء دخوله إحدى ضحايا الحمى، الذي اصطدم على درجات المستشفى، تبين (نيكول) وجود أمر ما يوقف انتشار الحمى على الأبواب وعاد لإجراءات عملية الدخول ورأى ضرورة استحمام المصابين الجدد، وحرق ملابسهم، وعرف أن السبب لابد أن يكون شيء ما يحمله المرضى في أجسامهم ويأتون به من الخارج، وتوصل إلى أن ذلك الشيء ليس سوى برغوث، وقال:

«إن جميع من راقبوا البرغوث منذ بداية التاريخ.. فشلوا في حل اللغز المتعلق بطريقة انتقال العدوى، الذي انكشف لي فجأة، ورغم أنه من المحرج أن أقول هذا، إلا أن ما حدث لي هو استبصار ومثال واضح.. وقد أبديت ملاحظتي بلا خجل».

لقد أبدى ملاحظته بلا خجل، حيث أدرك تفاصيل حقيقة محددة، لم يهتم بها الآخرون مطلقا فقادته إلى استبصار.

قال لنا (هرقليط) منذ أكثر من ٢٥٠٠ سنة مضت:

«على الرجال الذين يتمنون دراسة العالم، أن يدرسوه بتفاصيله الخاصة».

بمراقبة تفاصيل المادة فقط - وملاحظتها، بعد ذلك بتركيز خيالي - يقود البصر إلى فهم جديد، أكثر أهمية، لاكتشاف علاقات جديدة لم تر من قبل، ولكن هذه التفاعلات الانفعالية تجاهلت جميع الآراء السابقة، وحاولت رؤية الحقائق، وعلاقتها، بعين موضوعية أما الكلمة المفتاحية فهي **الموضوعية**.

في الجزئين الأول والثاني من هذا الكتاب، دارت المناقشات حول اتباع تفاصيل حسية، من أجل تكشيف وعيك بذاتك، في علاقتك مع العالم من حولك، ويتطلب اتباع الموضوعية، نفس النوع من الجهد المركز، ويستخدم نفس أعضاء الإحساس: البصر، والسمع، والتذوق، واللمس، والشك، إلا أن البحث عن التفاصيل الحقيقية يتطلب نقله من التجربة الانفعالية إلى التجربة العقلية المدركة بالعقل، أي من امتداد الوعي الانفعالي إلى امتداد الوعي الفكري.

الموضوعية مقابل الانفعال

تتطلب الموضوعية ملاحظة ظاهرة متأثرة بالمشاعر، فالمشاعر، بالنسبة لعظمنا، تأتي بصورة غير موضوعية في البداية، وعلينا أن ندرب أنفسنا بوعي على تعليق مشاعرنا وعدم رؤية شيء سوى الحقيقة نفسها.

الملاحظة غير الموضوعية	الملاحظة الموضوعية
طعم الدجاج المشوي سيء	للدجاج طعم معدن محروق
حسين فهمي في الفيلم؟ إذن فهو جيد	حسين فهمي في الفيلم

وإذا كانت كل الحياة بهذه البساطة، فإن التفريق بين الملاحظة الموضوعية والملاحظة الذاتية ستكون سهلة أيضًا، ولكن للأسف، الانفعال ماكر وقد يؤثر على ملاحظاتنا دون أن نعرف.

الإجهاض قتل

(هنا حكم مبنى على اعتقاد داخلي عميق - على بعض المشاعر الداخلية فيما يتعلق بما هو جيد، وما هو سيء - وذلك ربما بسبب الملاحظة التي تظهر بمظهر الحقيقة الموضوعية بالنسبة للملاحظ، إلا أن لمصطلح القتل مضامين سلبية، وعلينا أن ننتبه على الفور لوجود إقحام ذاتي).

الإجهاض هو إزالة جنين من رحم المرأة

(هذا وصف بسيط للموضوعية لأنه ليس حكما جيدا أو سيئًا ولا فيه مشاعر قوية تؤثر على الملاحظة بشكل واضح. أي أن المضمون متعادل)

التصنيع سمم هواءنا وماءنا

(قد يعتقد المرء أن هذه الملاحظة بدأت بحقيقة موضوعية، ولكن المضمون، مرة أخرى، يقترح انفعالاً سلبيًا).

عادة ما يلقي المصنعون مخلفاتهم في الهواء والماء

(تبدو الملاحظة، بدون كلمة يلقي أكثر قبولا كحقيقة موضوعية - حيث لا توجد مشاعر سلبية).

يمكن أن تكون التأثيرات الانفعالية المختلفة في حياتنا، وكيفية تأثيرها على الملاحظات وعلى الحديث مادة معقدة. ولكن المطلوب حاليا هو فهم شكلين شائعين من التأثيرات الذاتية.

الاستنتاج

إذا سار أستاذ في الحرم الجامعي ذات صباح، ولاحظ وجود طلاب يلبسون أحذية بلا جوارب فمن الممكن أن يشعر هذا الأستاذ بالقرف، أو يستنتج بأن الطلاب كسالى أو قذرين، أو يشعر بالأسف، لأنهم فقراء، أو ربما يضحك، عندما يخطر بباله أنهم يتبعون آخر موضة، فالحقيقة، هي ما يمكن معرفته من خلال ملاحظ آخر، أي شخص ثان يستطيع التحقق بسهولة من أمر الطلاب الذين هم بلا جوارب، أما الاستنتاج فهو خلاصة جاءت من الحقيقة. وقد يكون

الاستنتاج منطقيًا وحقيقيًا، أو كما هو الحال مع مثالنا، مبنى على تأثر انفعالي، كالقرف، أو الأسف، أو الضحك الذي قد يؤدي إلى تفسير الحقيقة الموضوعية بشكل مختلف، فالاستنتاج ليس حقيقة، وقد لا يستطيع ملاحظ آخر التحقق منه، وإن كان من الاستنتاجات ما يمكن أن يكون صحيحًا. ولمعرفة ذلك هناك خطوة أولى للتخلص من العناصر الانفعالية للملاحظ وهي تعليق الحكم وكبح الاستنتاج، حتى امتلاك مزيد من الحقائق.

قد تلاحظ بدقة، ككاتب مبتدئ، حقائق، ولكن نظرًا للخلط بين الحقيقة والاستنتاج، وربما تكتب الاستنتاج (الحكم) كما لو أنه حقيقة.

وفيما يلي مثال، لما كتبه طالب عندما قابل مسئولاً محليًا:

«لم يكن مسئول المدينة سعيدًا عندما حجب رنين الهاتف حديثه:

أصر الطالب على أن ذلك حقيقة، ورغم أن تعبير «لم يكن سعيدًا» مجرد استنتاج، جاء من تفاصيل ملموسة لاحظها الكاتب بحواسه، لم يكتب ذلك للقارئ، فربما توقف المسئول عن الكلام في منتصف جملة وحبس نفسه حتى صار وجهه أحمر - أو يكون قد عض على شفته السفلى وضرب الطاولة بقبضته حتى يتوقف الرنين، أي من هذه التفاصيل الملموسة أو جميعها يمكن أن يقود إلى استنتاج يدل على أن المسئول «لم يكن سعيد» ربما كان حكم الطالب دقيقًا، ولكن عليه أن يقدم لنا الحقائق، والتفاصيل الملموسة، بحيث نستطيع كقُراء، أن نلعب دور الملاحظ الآخر».

مثال آخر ما كتبه طالب آخر حول شعور النساء نحو تغيير ألقابهن بعد الزواج:

«اشتركت مائة وإحدى عشرة امرأة في قاعة الكلية، وأبدت سبع وأربعون منهن رغبتهن في الاحتفاظ بألقابهن بعد الزواج، ورغبت إحدى وثلاثين سيدة في الجمع بين ألقابهن وألقاب أزواجهن، ما عدا الثلاث والثلاثين سيدة الباقية، فمن الواضح أن وعيهن لم ينم بعد، حيث وافقن على استخدام ألقاب أزواجهن».

يمكن أن تكون الجمل الثلاث الأولى مقبولة كحقيقة، حيث أجرى مسحًا، وتجمعت إجابات محددة، ويمكن للملاحظ الثاني التحقق من المعلومات، ولكن الاستنتاج الذي يقول بأن لدى المجموعتين الأولى والثانية درجة وعي عالية، هو استنتاج غير مضمون. ولم تقدم معلومات تفسر سبب الإجابات، فربما لدى نساء المجموعة الثالثة أسباب وجيهة لاستخدام ألقاب الأزواج، كأن تكون هناك مصالح دينية، أو قانونية، أو تقاليد، أو أن تكون ألقاب بعضهن غير مقبولة مثل «الغلبان» أو «الحيوان»، أو «الجحش».

الرأي

على الرغم من الاختلاف في الرأي، إلا أنه يعتبر حكما مبنيا على الاستنتاج، ويبرز مشكلة مشابهة، حيث يقدم الرأي حكمًا مبنيًا على بيانات متوفرة ومناقشة منطقية، كما «ينطق القاضي برأي المحكمة بخصوص قضية ما»، ولكن المصطلح صار يخضع للذوق الشخصي، نتيجة للاستخدام الأوسع، والأكثر حداثة، كأن نقول: «يحب جوني الجاز» أو «تعتقد ماريا بأن التنورات الطويلة ليست جميلة»، ولا يمكن استبدال مثل تلك الآراء بملاحظ آخر، لأنها لا تتعامل مع الأمر الملاحظ بقدر ما تكون مشاعر شخصية، وفي استخدام متطرف للمصطلح، ربما لا يأتي الرأي من أي دليل موضوعي على الإطلاق، كما في حالة «أشعر بأن الحياة الحقيقية موجودة في كوكب آخر غير كوكبنا» أو «الناس محبون وطيبون بطبعهم». وعلى الرغم من أن مثل هذه الآراء قد تقال بثقة، إلا أنها مبنية على تخمين أو نوايا، وليس على حقائق موضوعية متحقق منها. ومع ذلك يتم التعبير عن الآراء، كما هو الحال مع الاستنتاجات، كخلاصات، أو أحكام، وعادة ما تبدو ذات قوة أشد وإقناعا أكبر من الحقائق.

* الناس الذين يرغبون في سيطرة السلام على العالم، غير أمريكيين.

* الأمطار الحمضية، هي من صنع البيئيين.

مثـل هذه الجمل الجريئة والمصـرح بها، سهلة ويمكن الإمـساك بها ببساطة، رأي قيل باسـتخدام مقنع للغة نفسها لحـجب إدراكنا، فلا يعود تفكيرنا يسعى إلى طلب الحقيقة، لأن المفترض أن نكون قد قمنا بالفعل الصائب.

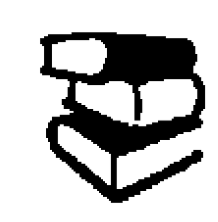
إذا دربت نفسك على الإدراك الموضوعي، عليك أن تكون على وعي بالفرق بين مراقبـة الحقيقة، والاستنـتاج الآتي منها، والرأي المطـروح حولها، وفيما يلي مثال:

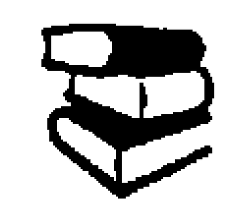
حقيقة موضوعية	استنتاج أو رأي
انخفضت سوق الأسهم ١٤ نقطة	سوق الأسهم في انهيار
الأسعار ترتفع، والأجور ثابتة	سيتراجع مستوى المعيشة

الموضوعية والاختصار

وأخـيرا، هنـاك من الناس من يـخلطـون بين كونـهم موضوعـيين وكونهم مختصرين، وليست بين هذه المميزات أية علاقة فالموضوعية اتجاه عقلي، بعيد عن الاقتراب من المادة، وربما تكون المادة نفـسها ملموسة (ينظر العامل بموضوعية لكل ضفدعة، ينظر الطبـيب بموضوعية إلى مريضه). أو ربما تكون مادة عامة وملخصة (يميل الفيلسـوف إلى دراسة مسألة العدالة من خلال كبح جميع نزعاته الشخصية، ويدرس السـيسيولوچي الـعلاقة بين الفقـر والسلوك من خلال تكـميم البيانات). ولكي تكون موضـوعيًا لا يتطلب منك الأمر أن تلخص، أو تجعل الأمر ملموسًا، بل مـتابعـة المادة - مـهما كـانت - بدون إقـحام لانفـعالاتك قـدر الإمكان لأن الموضوعية عبارة عن عدم التأثر بالانفعالات الشخصية عن دراسة الموضوع.

ومن الواضح، أنـنا كبشر، لا نستطيع أن نكون موضوعيين تماما، ولا نريد أن نـكون كذلك، ولكن تدريب أنفسـنا على الملاحظة والكـتابة باتجاه موضوعي، تمدنـا بعقلية ممتازة ودربة، تشحذ قـوي الملاحظة لدينا، وتوضح الفرق بين ما هو ذاتي وغير ذاتي، وتـقوى قدرتنا علـى التفكير والمـناقشة بتمـيز أكثر دقة، وتحسن وعينا اللغوي، وتساعدنـا على تبين كيفية تأثير اللـغة نفسها على ملاحظتنا وعلى





أحكامنا، ولكي يستمر اتجاه الصوت الموضوعي، فإن ذلك يتطلب استخدام جميع حواسنا وقوانا الإدراكية.

تدريبات

١ - تبين في المحادثات التالية، أي من الملاحظات متأثرة بالانفعال وأي منها يمكن التعبير عنه بشكل حقيقي - وأي منها يمكن التحق منه من خلال المراقب الثاني:

- فريدة: كاد يقتلني المعتوه.
- أحلام: أي معتوه؟
- فريدة: مديري طبعًا، وهل هناك غيره؟
- أحلام: ماذا فعل؟
- فريدة: جاء إلى مكتبي بوجهه الشبيه بباذنجانه فاسدة، ومعه كومة من الورق وطلب مني طباعتها في نصف ساعة!
- أحلام: ولماذا لم تعتذري، أو تطلبي مساعدة؟
- فريدة: لا أستطيع الاعتذار لأنه عملي، ولا يوجد من يساعدني.
- أحلام: وهل أنجزت العمل كله؟
- فريدة: أنجزته بعد جهد رهيب، وتأخير ساعتين عن موعد الانصراف.

٢ - فيما يلي فقرة تحتوي على آراء واستنتاجات، أعد كتابتها بحيث توصل نفس المعلومات بأكبر قدر من الموضوعية:

«ارتفع متوسط درجات الطلاب اليوم عما هو عليه قبل عشرين عاما، ولكن الحقيقة هي أن طلاب اليوم ليسو أذكى من طلاب الماضي، فقد صار المدرسون أكثر تساهلا، كما كان تقدير الجيد، يعد تقديرا لا بأس به في الكلية، أما الآن فيمكن للجميع أن يحصلوا على

تقدير جيد جدا، ففي عام ١٩٨٢، كانت المعدلات التي تزيد عن ٨٥٪ ضمن مرتبة شرف في جامعة هارفارد، ويقول أحد التقارير حول التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية أن المدرسين يعتقدون أن سبب تضخم الدرجات يعود على حرب فيتنام، فكثيرون ممن لم يكونوا يرغبون في الاشتراك في الحرب اختبئوا في الكليات وحصلوا على درجات عالية.

كما غابت معايير الموضوعية في منح الدرجات منذ أن صار المدرسون يمنحونها لأسباب ليس من بينها الأداء، ولهذا صار الجميع يحصلون على تقدير (ممتاز)».

٣ - اختر حدثًا معينًا أو موضوعًا متداولاً في الأخبار حاليًا. ومهمتك هي قراءة ثلاثة تقارير على الأقل، مكتوبة حوله في صحف أو مجلات، أو إنترنت، ثم تعلق على مدى موضوعية كل تقرير من التقارير.

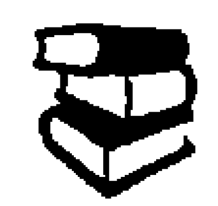
* ضع خطًا تحت علامات الانفعال، وتحت الآراء، والاستنتاجات.

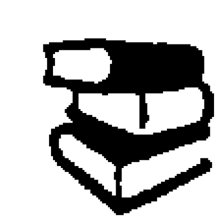
* هل بدت الآراء كما لو أنها موضوعية؟

٤ - اختر لوحة من اللوحات المشهورة، مثل الموناليزا، ثم ادرسها وبين تفاصيل محددة في الرسم، وتوصل إلى استنتاج معقول حولها، ثم اكتب فقرة مختصرة حول ذلك، بحيث تبدأ باستنتاجك وتدعمه بوصف اللوحة بما يمكن أن يتحقق منه مراقب آخر.

تدريب المفكرة

١ - اختر واحدة من كتاباتك المبكرة التي كتبتها بذاتية، حول مشاعر شخصية عميقة - واكتبها مرة أخرى بطريقة موضوعية، لا تبدي آراءً، وتجنب جميع الكلمات المشحونة انفعاليا. لا تقدم سوى الحقائق التي يمكن التحقق منها من خلال مراقب ثان.





٢ - خذ مـفكرتك إلى اجتماع، أو مـحاضرة، أو كافيتـريا، وتظاهر بأنك صحـفي، وصف حدثًا معينًا، مع تجنب إقحام آرائك، ولكن حاول أن تختار الحقائق الأكثر إثارة. ومن خلال الحقائق التي لاحظت وقدمت، توصل إلى ما يبدو استنـتاجًا معقولاً. (تعلم التوصل إلى استنتاج قابل للتحقق منه، فهو الخطوة الأولى نحو كتابة مخلصة لأي مقال).

اللعب بالكتابة

على الرغم من أن المناقشات والواجبات قد تبدأ بالتحول نحو الكتابة الأكثر موضوعية، إلا أن المفـكرة تبقى مكانًا لك لتستـمر في الكتابة الحرة، حيث تلعب وتنـسخ، وقد لا يبدو الـرابط واضحا في البـداية، تمامـا مثل لاعب كرة القدم، الذي لا يرى قيمة للجري في الملـعب في البداية. ولكن التدريب المستمر لمخيلتك دائما ما يرتبط بأي نوع من الكتابة، أنت مرتبط به.

وفيما يلي بعض المقترحات التي يمكن أن تجربها:

١ - قـم بإعداد قـائمـة لكـلمات مـزدوجة ذات مـعاني مـجردة. وأسمح لأصوات الكـلمات وما تستدعيه أن تقترح عليك كلمات أخرى. اكتب بسرعة. أمثلة:

أ - اهتمام طاغي.

ب - جون كنيدي.

جـ - إحساس غامض.

د - ذكريات بعيدة.

٢ - قم بإعداد قائمة لعناوين أغاني سخيفة، مثل:

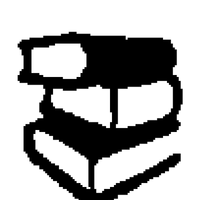
أ - الحب المزور.

ب - دلع الغيور.

جـ - البنت العفية وشط إسكندرية.

د - يا عيني يا وردة يا دبلانه.





٣ - ركز، بعيون عقلك، على صور، واسمح لخيالاتك أن تقودك، وتملي عليك أين ستـذهب في كتاباتك؟ أقـبل أي شيء يرد على بالك. ولا ترفض شيئًا. اخـلق قضيتك الخاصة، بما فيها عناصر المشهد، والأفعال القوية والأشياء الخاصة. أمثلة:

أ - المرآة المكسورة.

ب - المروج الخضراء.

جـ - الزوجان العقيمان.

د - الرجل العجوز.

* * *



المقابلات وعناصر الملاحظة الأربعة

حتى بضعة أعوام مضت كنا نعتقد بأن العمل ينتهي متى ما أسدينا النصيحة لمن يريد الكتابة باتباع الحقائق بشكل موضوعي، وبمجرد أن يبدأ «الاتجاه» المناسب. فما الذي يمكن فعله بعد ذلك؟ حاجة الكاتب لاختيار الحقائق الأكثر أهمية المتعقلة بالمادة، دليل ذاتي؛ ولهذا تبدو كيفية فصل الكاتب لما هو مهم، ولما هو غير مهم، أكثر غموضًا وهو ما يصعب شرحه، إلا بكلمات تنم عن نوايا طيبة أو خبرة عريضة. ولكن إذا ما سنحت الفرصة لقضاء بضعة أيام مع مخبر في صحيفة كبرى. وهرول المرء في أثر الرجل عبر ممرات مكتب حكومي، وهو يتابع موضوع احتجاج على رواتب من خلال بيروقراطيات منخفضة الرتبة، فيبحث في الملفات المتربة ودفاتر الأستاذ، ويجامل السكرتيرات. وبعد وقت طويل لا يحظى إلا بجزء يسير من المعلومات ثم يقابل مسئولين، وعندما يخرج، لا يكون معه أي دليل يمكنه من التوصل إلى حقيقة قضية الرواتب. فإن مثل هذا الوضع وإن كان يبدو نهاية مسدودة بالنسبة للمخبر الصحفي، يعد نوعًا من الإلهام.

عناصر الملاحظة الأربعة

يعرف الصحفي الكثير مما يمكن أن يفيد أي كاتب في أي مهنة بشأن كيفية السعي وراء الحقائق والوصول إليها. فيعرف المخبرون، مثلاً بأنهم مهما كتبوا من موضوعات لابد أن تكون ممتعة وتبيع الصحف. ويحتاجون، لجعلها مثيرة إلى البحث عن الحقائق التي تهم أكبر عدد من القراء ويعرفون أيضًا بأن التفاصيل ذات

التأثير الأكبر تميل إلى الظهور من خلال تدريب العقل على البحث عن جوانب معينة من المادة التي جمعت تحت أربعة عناوين هي: التغيير، والتباين، والنتيجة والمواصفات المميزة وهي ما أسميناها عناصر الملاحظة الأربع وهي ليست سوى خطوط توجيهية فربما تقترح أي مادة أسلوبها الفريد الخاص، وتضع متطلبات الجمهور أحكام على أي كاتب. ولكن توفر هذه العناصر الأربعة يعتبر نقطة بداية فعالة لتحسين الرؤية من أجل ملاحظة حقيقية.

١ - التغيير

يمكن أن تدرس الأحداث والأفكار، والقيم والعادات الاجتماعية وفقًا لمدى تغيرها - أو فشلها في التغيير أحيانًا. وفيما يلي كيف تناول أحد الطلاب مادة ولادة طفل:

«في منتصف غرفة الولادة كان هناك كرسي ناعم ومبطن، شيء يشبه كرسي طبيب الأسنان بزاوية أكبر، بحيث تجلس المرأة فيه نصف مستلقية. وفى اتجاه الأسفل، يوجد مسند للرجل. كانت الغرفة مطلية بالأزرق الفاتح، وعلى الحائط سماعة تنساب منها الموسيقى. أين غرفة الولادة القديمة البيضاء الشبيهة بالسجن؟ أين المنضدة المسطحة ذات المفرش الجلدي التي توضع عليها السيدة؟ أين الأضواء العلوية الساطعة؟».

نستطيع أن ندرس غرف الولادة من خلال عدة مزايا غير التغيير، ولكن كان تغير هذه الحالة عنصرًا مفتاحيًا للدخول إلى المادة حيث توفر تركيزًا على انتقاء حقائق مهمة تخص التطورات الجديدة، وحتى لو كان التقرير موضوعيًا، ولا يوجد فيه ما هو مهم إلا أن التركيز على التغيير يمكن أن يزيد من عامل الإمتاع في عرض المادة.

٢ - التباين

يتعارض الناس، وتتضارب الأفكار، يعارض الجمهوريون الديمقراطيين، ويتصارع النفسانيون مع السلوكيين، والبيئيون مع الصناعيين، وتوفر القوى في

المعارضة نقطة خلاف طبيعية يمكن للكاتب أن يتناول حولها المادة وفيما يلي مثال لطالب آخر حول السجن:

«هناك تطور أساسي في مضمون فلسفة السجون حيث يميل من يحرسون السجون ويديرونها إلى الاعتقاد بأن وظيفة السجون هي العقاب بينما يميل مسئولو الإرشاد ومراقبو سلوك المذنبين للاعتقاد بأن على السجون أن تلعب دورها في الإصلاح وكلا الجنابين كان قادرًا على تقديم إحصائيات وحقائق تدعم موقفهما».

دخل الكاتب في مناظرة، فصارت كل قضية أو حدث تقريبًا مثيرًا للمعارضة، ولم يقتصر الأمر على إثارة التباين والصراع، والخلاف، والمعارضة، بالنسبة للقارئ بل وفر ذلك طرقًا طبيعية للاختيار والتشكيل وتنظيم المعلومات الحقيقية؛ ولهذا ينبغي أن يكون البحث عن التباين في كل مادة، عادة لديك، وأنت تنمي عيون المخبر.

٣ - النتيجة

الحقائق المثيرة مفيدة، والحقائق المهمة حيوية، ولكي يجد الكاتب أهمية في المادة، عليه أن يبحث عن الحقائق التي تهم الناس المعنيين بصورة مباشرة بشكل أكبر وفيما يلي ما كتبه طالب في صحيفة كليته حول نتائج تصرف ما:

«صوتت الكلية يوم الأربعاء بخصوص التغيير من نظام المقررات، الذي يقتضي الحضور أربعة أيام في الأسبوع لساعة في اليوم، إلى نظام الساعات المعتمدة الذي يتطلب الحضور أيام الاثنين والأربعاء والخميس لساعة في اليوم. قالت الأغلبية بأن نظام الساعات المعتمدة مستخدم في معظم الكليات بينما لا نزال متخلفين عنهم في هذا الصدد.

هذا إلى جانب أن أعضاء هيئة التدريس، سيدرسون نصابًا أقل في نظام الساعات المعتمدة بينما يحتاج الطلاب إلى التسجيل في خمس مواد في الفصل الدراسي الواحد بدلاً من أربعة، ليتمكنوا من التخرج في نفس العدد من السنوات».

وهكذا يبدو تغيير النظام من على السطح تنفيذاً من أجل اللحاق بالكليات الأخرى. هذه حقائق ولكن الأهمية لا تنطلق إلا من مناقشة نتائج هذه الحقائق، إذ سيحتاج الطلاب للتسجيل في مقررات أكثر في كل فصل دراسي، وسيدرس المدرسون ساعات أقل. حيث تولد جميع الأفعال، والأفكار، والأحداث نتائجاً ومن المهم وصف الفعل، أو الفكرة، أو الحدث بشكل موضوعي ومن خلال مناقشة من سيتأثر بالنتائج، بدأ الكاتب بتركيز اهتمامه على ما هو مهم.

٤ - المواصفات المميزة

وصفنا، في فصل سابق عدداً من طرق اختيار تفاصيل بعينها تميز شخصاً ما على اعتبار أن الأفكار والقضايا، نادراً ما توجد أو تكون ذات أهمية بمعزل عن الإنسان الذي تتأثر حياته بها، ويمكن لمعرفة كيفية وصف الناس في أي مقال أو تقرير، أن يزيد التأثير على المتلقي. ولكن «للتوصيف» طاقة كبيرة: فنفس التقنيات التي تجعل الناس أحياء على صفحة رواية، يمكن أن تستخدم كخطوط إرشادية لاختيار التفاصيل من الأنواع الأخرى من المواد. إذا أردت الكتابة عن عملية أعمال في مكان ما، على سبيل المثال أو عن التطورات الحالية في المفاعلات النووية يمكن أن تبحث عن نفس المجموعة التي رأيتها في توصيف جندك، تفاصيل جسدية، وتصرفات وخلفية، وحديث، وبيئة وردود أفعال أخرى. فالتوصيف يعني أن تقدم منظراً مليئاً ومستديراً للمادة. وفيما يلي وصف طالبة لمرافق التربية الرياضية في مدرستها الثانوية:

«كانت صالة الألعاب مركزاً لتدفق الهواء والبرد. الأرض الخشبية القديمة متشققة والنوافذ مكسورة والخزانات بدون أقفال، ورشاشات الاستحمام بماء بارد فقط ولهذا رفض فريق (نورث هاى) لكرة السلة أن يغير ملابسه في غرف تغيير الملابس. وفعلوا ذلك في حافلتهم وقال مدربهم: «ليس هناك ما هو شخصي» طلاب (جفيرسون) كانوا جزء من المشكلة. كسروا الحمامات منذ عامين بعد خسارتهم في المباراة. حطموا أبواب الخزانات وتقدمنا ثلاث مرات خلال أربعة أعوام للمسئولين لإيجاد تمويل للتجديدات والطلاء، ويقال لنا: الجدار يتدهور منذ

الخمسينيات، وبعض الشقق فارغة، والضريبة الأساسية لم تعد تدعم المدرسة. والسكان الباقون غير قادرين على الدعم. وأخيراً تقدم عشرة طلاب من السنة النهائية باعتراض موقع من مائتين من الطلاب إلى مجلس إدارة المدرسة، يطالبون فيه بتحسين المرافق. ووعد مجلس الإدارة بالنظر في الوضع ولم يحدث شيء حتى الآن».

(وجدنا وصفًا ماديًا ملموسًا، وردود أفعال لآخرين وقولاً، وتصرفات وتصويراً لبيئة، وخلفية، وتصرفًا، وقصوراً في اتخاذ خطوة إيجابية).

ورغم أن عناصر الملاحظة الأربعة، لا تضمن عثورك على التفاصيل الحقيقية الأكثر أهمية في كل مادة، إلا أنك حين تواجه مادة لا تعرف كيف تكتب عنها أو تخبر عنها، ولا تعرف من أين تبدأ، تستطيع أن تسأل نفسك ما يلي:

١ - هل يوجد أي عنصر تغيير؟ هل هو الأكثر إمتاعًا أو النقطة الأهم في المادة؟

٢ - هل يتعلق أي عنصر من المادة بالتباين، أو الصراع، أو التناقض، أو المعارضة؟ هل يمكن أن تنظم أفضل التفاصيل حول واحدة من تلك التصنيفات؟

٣ - أي من الميزات المتعلقة بالمادة، أدت إلى نتائج مهمة؟ تهم من تلك التبعات؟ وأي الجوانب تعد مهمة في ضوء النتائج؟ وحياة من تأثرت بها؟

٤ - كيف يمكن وصف المادة؟ أي من عناصر التوصيف تبدو ذات نتيجة أكبر؟ (الوصف الجسدي، أم التصرفات؟ أم الخلفية؟ أم الحديث)؟ وهل المنظر الشامل والمستدير للمادة هو ما يحتاجه القارئ أو يتوقعه؟

احصل على حقائق من الآخرين

الاعتماد على التجربة الشخصية وحدها، خطأ واضح، لأننا لا نستطيع أن نكون في جميع الأماكن في ذات اللحظة، ولا نستطيع أن نفصل انفعالاتنا عن




الحقائق الملاحظة، ولا نستطيع أن نكون خبراء في جميع المواد. ولهذا تكون نظرة الآخرين لصياغة فهم موضوعي وموزون للمادة أمرًا ضروريا. وعادة ما تعتمد الكتابة في المهن خارج المجال الأكاديمي، على مقابلة مصدر أساسي للمعلومات. حيث يتحدث التاريخيون مع من كانوا موجودين، وكتاب السير مع من يتذكرون، والكتاب الفنيون مع أصحاب المهن، وكتاب الشؤون الطبية مع الباحثين وحتى في إطار الجامعة، يتبين طالب العلوم السياسية وطالب العمل الاجتماعي والانثروبولوجي، ودارس علم النفس، والباحث في علم الاجتماعي، أن مقادير مهمة من البيانات، في معظم الحالات تقريبًا، تستخرج من المسوحات والمقابلات حيث يوفر المقابل عادة معلومات لا يمكن استخراجها من أي مصدر آخر كما تقدم للكاتب طريقة طبيعية ذات نفع إنساني وصوت بشري لا يصبح بدونه التقرير موضوعي.

الإعداد

ويتفق الجميع تقريبًا على أن الإلمام الأكبر بالمادة، يوفر فرصة أفضل لطرح الأسئلة على الشخص الآخر. وأن **الخطوة الأولى** في المقابلة، تبدأ بالبحث في المادة المعنية - مشكلة موقف الجامعة أو النجاح والفشل في لجنة معارضة الكتاب المدرسي أو أزمة المزرعة - لا يهم الموضوع، ما تحتاجه هو تفاصيل خلفية الموضوع فإذا كان الأمر يتعلق بخلاف في الحرم الجامعي، يمكن البدء بقضايا الخلفية من خلال صحيفة الطالب أما إذا كان الموضوع محليًا أو وطنيًا فيكون البحث في صحف المدينة ومجلاتها الإخبارية القومية وعليك أن تعرف أكبر قدر ممكن من المعلومات قبل بدأ مقابلتك وليس ذلك لكي تستعرض بل لتبدو ذكيًا، ومطلعا بشكل معقول وتكون أسئلتك جوهرية.

وتتعلق **الخطوة الثانية**، بضمان قبول واستقبال إيجابي للمقابلة، لا «تمر» بدون موعد. ودع الشخص الذي تود مقابلته يعرف موضوعك، وسبب مقابلتك وسبب اعتقادك بأنه يستطيع مساعدتك وكم من الوقت ستحتاج - من ربع إلى

نصف ساعـة كافية في العادة - وليس كل ذلك سوى كياسة، تجعلك تبدو حصيفًا ومحترفًا.

أما **الخطوة الثالثة**: فهي إعداد قائمة مكونة من أسئلة تتراوح ما بين الخمسة والعشرة، وذلك قبل أن تتوجه إلى المقابلة وينبغي أن تكون هذه الأسئلة معدة لمتابعة النقاط الجديدة أو الإجابات غير المتوقعة التي تطرح أثناء الحديث وليس عليك الالتزام الحرفي بأسئلتك المعدة، لأنها ليست سوى دليل.

رابعًا: لا تأخذ معك جهاز تسجيل. صحيح أن عددًا من المقابلات الرائعة تمت بالتسجيل إلا أن هناك صعوبات كثيرة حيث تكبح الميكروفونات عديدًا من الأفراد وتفشل البطاريات في العمل كما يمكن أن ينتهي الشريط دون أن تنتبه والأكثر أهمية هو احتمال اعتمادك على الجهاز بدلاً من اعتمادك على تفكيرك وعلى خيالك وهكذا يكون الأفضل هو أن تستخدم دفتر ملاحظات، قديم الطراز وتسجل الإجابات وإذا كانت هناك ضرورة لا تتردد في أن تقول «انتظر ثانية حتى أسجل النقاط» ولا تشعر بالحرج من أخذ الملاحظات فذلك هو سبب حضورك.

طرح الأسئلة

تحدد قيمة المعلومات المطلوبة من المقابلة، في جزء منها من خلال نوعية الأسئلة المطروحة ولهذا تجنب الأسئلة التي يمكن أن تكون إجابتها نعم أو كلا كأن تسأل هل تعتقد بأن علينا أن نفعل هذا؟

فقد تبدو مثل هذه الأسئلة صحيحة، ولكنك تريد عمقًا أكبر من الشخصية التي تقابلها. صغ مسبقًا، عددًا من الأسئلة المبنية على ما تعرفه فعلاً، وعلى ما تحتاج إلى معرفته وفيما يلي مثال:

* أصدرت الجامعة في اجتماعها الأخير قرارًا بخصوص المنح فهل لنا أن نعرف تفاصيله؟

ويعتبر أسلوب التعبير عن كل سؤال أمرًا حيويًا. فإذا كشفت عن ميل ما، أو بدت لك رغبة الهجوم على الشخص الذي تقابله ربما تصل المقابلة إلى نهاية مبتورة، مثل:

«من الواضح أن أمن الحرم الجامعي غير ملائم فما الذي تنوي فعله؟».

قد يعيق شكل هذا السؤال، ونغمته الانفعالية تبادل المعلومات الحر. خذ ما يكفيك من الوقت كي تؤلف كلمات تجعل كل سؤال يبدو منفتحًا، وعادلاً وموضوعيًا.

وتابع الإجابات، من خلال طلب حقائق مدعمة أو أمثلة ملموسة، بقولك: هل من الممكن تزويدي بإحصائيات في هذا الصدد؟

الاستماع

يؤكد معظم المحترفين على أن تعلم كيفية الاستماع هو العنصر الأكثر أهمية في المقابلة. وأن المقابلة الجيدة يجب أن تتدفق كالحديث الجيد. وإذا أنت قرأت قائمة أسئلة سابقة الإعداد أو فشلت في متابعة الإجابات فحسب، فالأجدر أن تجري مقابلة عبر البريد. وفيما يلي الطريقة الخطأ في هذا الصدد:

سؤال: هل تعتقد بأن لأمريكا سياسة عادلة في الشرق الأوسط؟

الإجابة: تعد السياسات الأمريكية أكثر السياسات انحرافًا وفوضوية.

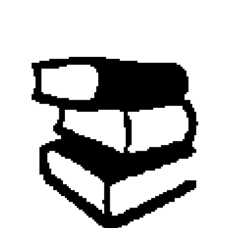
سؤال: ما أهمية نفط المملكة العربية السعودية؟

يتجاهل السؤال الثاني الإجابة الأولى. ولا يستطيع الشخص المقابل سوى افتراض أنك لم تسمعه أو أنك غير مهتم بما قاله بشكل حقيقي. ولهذا تصبح الإجابات التالية إجابات آلية. بينما يكون من المفيد أن تعيد النقطة الرئيسية في السؤال حتى يساعدك ذلك على التذكر، ويعرف من تجري معه المقابلة، أنك تستمع إليه - ثم تسأل من أجل مزيد من التوضيح أو الاستطراد.

السؤال التالي:

تقول «منحرفة وفوضوية» هل يمكن أن نناقش كل كلمة على حدة؟ لصالح من؟ ولماذا؟

فإذا ارتبطت بحوار، وبينت بأنك منتبهًا ومهتمًا، فسيجعل ذلك الشخص يتحدث بحرية ويتوسع في أفكاره.



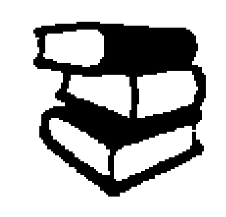

وعلى أية حال، لا يعـني الحوار، أن عليك أن تتخذ جانبا حتى لو لم تتفق مع ما قيل، أو وجدت خطأ فيما تسمع، تجنب الصدام المباشر فحسب كأن تقول:

«أنت تناقض نفسك الآن، فلا يوجد أي دليل على ما طرحته».

وبدلا من ذلك، صغ متابـعتك بطريـقة تؤكد فـيها على الإجـابة، وتظهر مسـاهمتك بمعارضة القارئ، أو عدم موافقته كأن تقول: «أخشى أن يرى الآخرون الموضوع ضربا من التناقض مع النفس فهل لك أن تقدم دليلا على ما قلت؟».

استـمع بـهـدف، وتابع، ودرب أذنك عـلى اختـيـار الحقـائق المهـمة من الملاحظات التي سجلتها أثناء المقابلة، ويمكن أن يكون تجنب كتابة الملاحظات حتى انتهـاء المقابلة أفـضل في بعض الأحيان. وفيـما عدا القلـيل من النصوص، نظرا لأهـمية ذكـر المقولات وفـقا لما قـيلت تمـاما، خطط أن تـكتب بقـية الجمل من ذاكرتك. حيث لابد من تلخيص أية مقابلة في النهاية. كما أنك لا تحتاج إلا إلى جـوهر رؤية المقابلة حـول مادتك؛ ولهذا لا تختر سـوى بعض المقولات المهمة أو المتميزة كي تسجـلها، ثم اكتب باقي المقابلـة بعد ذلك بسرعة - في القاعة أو في الحديقـة أو في الشـارع، أو في الباص وأنت في طـريقك إلى الـبيت. ولا تنس استخدام الأساليب المعروضة سـابقا في الواجبات، صف مكان المقابلة، والضوء، والروائح، والأصوات، ثم قـم بوضع كل ذلك في مشهد، تكون أنت خارجه في أغلب الأجزاء، مع الـتركيز عـلى آراء الشخص المقابل، وأفـكاره. ومن المفيد أن تندمج الأسئـلة المحددة التي كتـبتها أثنـاء المقابلة، وتـلخص البقيـة بكلماتك مع محاولة أن تكون عادلاً وأمينًا، كي تستطيع تقديم الشخص بموضوعية ودقة.

وبذلك تكون قد انتهيت من تسجيل الملاحظات، حتى لو كانت مسودة بقلم رصـاص، ولن تختار منـها في الغالب إلا قدرًا قـليلاً كي تستخـدمه في مقابلتك الأخيرة. ولكن الـتسجيل الكامل عـلى الورق، أكثر شمـولا مما قد يضمه شريط التسجيل. وأفضل أيـضًا من حيث ما يؤدى له فعل الكتابة الـكاملة للمقابلة، من اختيار عقلك للمعلومات المهمة، وتنظيمها وتقييمها، وذلك لأن فعل الكتابة يحفز فعل التقييم.




التقييم

تماما مثلما لا تستطيع دائما فصل انفعالاتك عن الحقائق الخارجية، لا يستطيع الآخرون ذلك أيضًا، ولابد أن تفترض أن الإجابات التي سمعتها ربما تعكس درجة ما من المنفعة الشخصية أو الميول الشخصية. وستكون مهمتك دائما، سواء أثناء المقابلة أو بعدها، أن تميز الحقائق من بين الآراء أو الاستنتاجات وعليك أن تسأل نفسك «هل يبين هذا السؤال عنصرا انفعاليًا خفيًا؟» و«ما هي تبعات مثل هذه الإجابة؟» و«هل ما اسمعه مجرد رأى، أم حقيقة يمكن إثباتها؟».

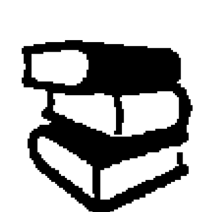
ربما تشكل الآراء جزءًا من أي تقرير موضوعي ما دامت هي منسوبة إلى مصدرك - يعتقد الدكتور فلان.. وهكذا لا تنبثق ميولك. ويمكن أن تكون بعض المواد وبعض الآراء على نفس القدر من أهمية الحقائق. ولكن ينبغي في كل مقابلة أن تميل إلى تضمين رأى، لأن وجود رأى، يوازى الرأى الآخر ويعرض جانبًا آخر من القضية. وتذكر بأنه لا سلطان لك على آراء الآخرين، ولكن عليك أن توضح موضوعيتك من خلال تقديم تقرير موزون وعادل يتضمن عرضًا يشرح جميع وجهات النظر.

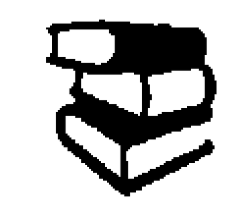
واعلم أن كيفية استخراجك للمعلومات من الآخرين تزيد من رتبة الملاحظة لديك، ويدمج ذلك مع أسلوب العناصر الأربعة، تتوفر لك أداة للتحرك إلى خارج حدود المشاعر الشخصية، والتجربة الشخصية، كما لو أنك تبدأ باكتشاف العالم الذي تعيش فيه وتكتب عنه.

تدريبات

١ - ناقش كيف يمكن أن يكون التغيير، أو التباين، أو النتيجة أو المواصفات المميزة، طريقة لإيجاد أفضل التفاصيل الحقيقية حول ما يلي: أي من طرق العناصر الأربعة، أو أية تركيبة يمكن أن تكون مفيدة في البحث في كل موضوع؟ مثل:

* قضية زيادة الرسوم الدراسية.





* مكاسب محل بيع الكتب.

٢ - قم بإعداد قائمة بالأشخاص الذين يمكن أن تطلب منهم معلومات تخص الموضوعات المقترحة.

تدريب المفكرة

بالإضافة إلى الكتابة الحرة اليومية، تحدي نفسك وتحرك خارج حدود ذاتك المباشرة، وابدأ بالكتابة عن قضايا أشمل.

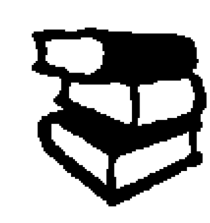
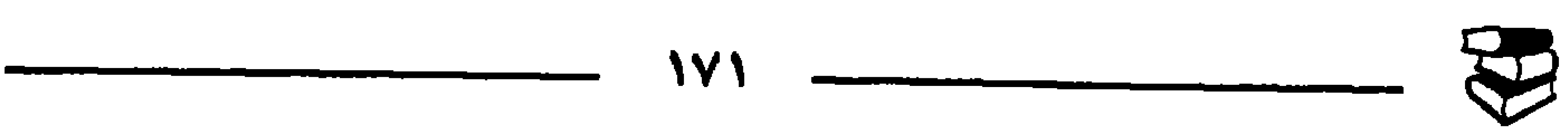
١ - قم بإعداد قائمة باهتماماتك حول مشكلات في الحرم الجامعي - أمر تحب أن تعرف عنه المزيد. فقد تكون منزعجًا من أسعار محل الكتب، أو من عدم توافر القدر الكافي من أجهزة الكمبيوتر أو ربما تقلقك قضية مجتمعية. أدرج اهتماماتك في صيغة سؤال، وعادة ما يثير السؤال احتمالات لأسئلة أكثر.

٢ - اختر قضية من قائمتك وابدأ الكتابة عنها بشكل عفوي، وامنح اهتمامك صوتًا وأسئلتك صوتًا. ما الذي تعرفه عن المادة؟ وما الذي تحتاج إلى البحث عنه؟

٣ - الخطوة الأولى في البحث هي أن تسأل شخصا خبيرا بالموضوع فكر في أي شخص يمكن أن يوفر لك مزيدًا من المعلومات عندما تتحدث معه.

وقبل أن تتحدث إلى شخص آخر، أخلق موقع مقابلة في مفكرتك ليساعدك على التذكر السريع.

خذ مفكرتك إلى المقابلة، ولكن لا تملأها ما لم تنته وإذا انتهيت دون المادة أو النصوص التي تود الاستشهاد بها، ولخص الكلمات والجمل التي التصقت بذاكرتك، ومتى ما عدت إلى مكتبك، وخلال ساعة أو نحوها أو بعد المقابلة مباشرة، املأ موقع المقابلة بالتحديد، ثم اكتب مسودة للمقابلة في مفكرتك وحاول أن تملأ ثلاث صفحات.

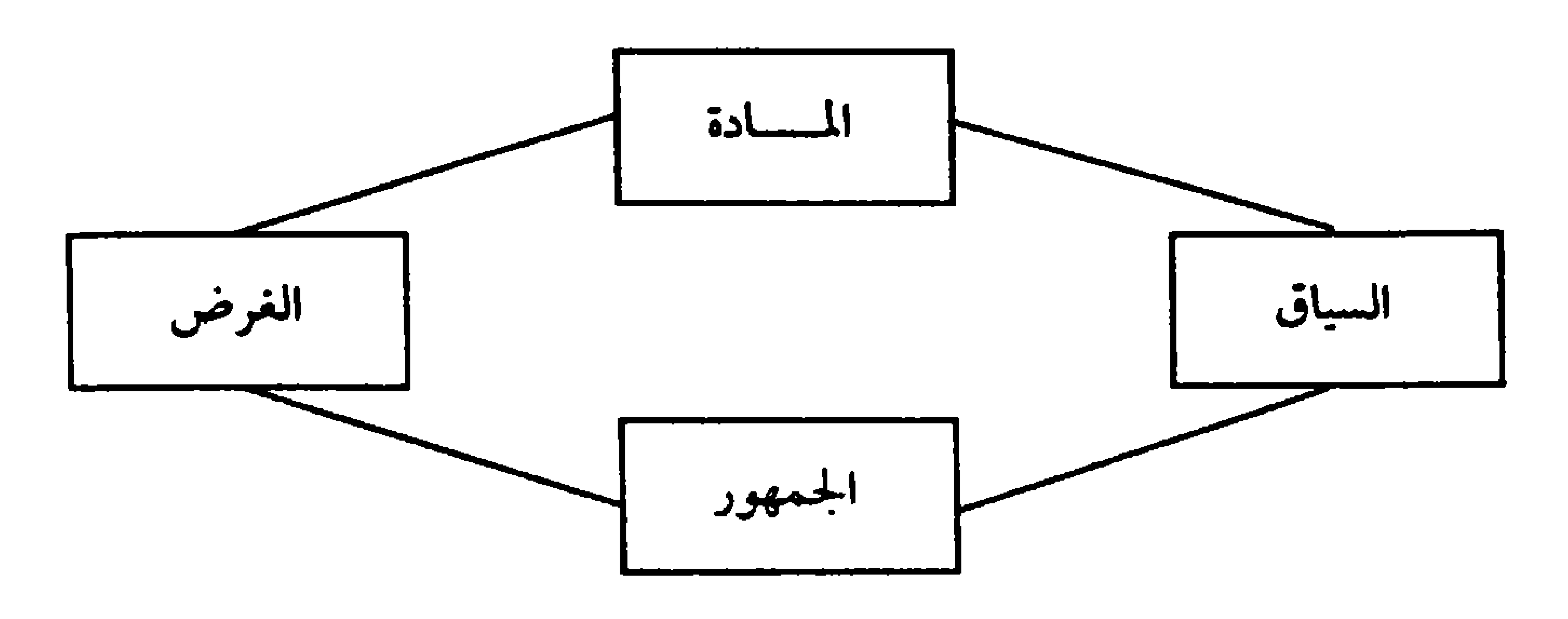


السياق والغرض والصوت

الكتابة المعلوماتية، ليست مثل الكتابة الشخصية، التي يمكن توقع تعاطف الجمهور معها. وكأن الجمهور الصديق يود أن يشاركك مشاعرك وتجربتك، إذ لا يمكن أن يكون مثل هذا التعميم البسيط صحيحا، فهناك العديد من المتغيرات. وربما يرغب جمهور الكتابة المعلوماتي في حقائق مباشرة، وذات قيمة، في بعض الأوضاع، وقد يقدر جمهورك، في مواقف أخرى، الصوت الأكثر رسمية، وحتى مع الصوت الشخصي يتوقع قراءة معلومات موضوعية، ويعتمد كل شيء على أربعة عناصر تفاعلية هي: المادة، وحاجات الجمهور، والسياق، وغرضك الخاص.

وفي معظم الأوقات تكون هذه العوامل الأربعة معروفة بالنسبة لك مسبقا، فيسند لك معلمك كتابة مقال حول الثورة الفرنسية (مادة)، وستقيم ورقتك في ضوء تحديد مدى معرفتك بمادتك ويحسب جزء منها كدرجة نهائية (سياق) وسيقرأ معلمك وحده ما تكتب (جمهور)، وتحدد في عملية البحث عن المادة، جانبا من الجوانب التي تتمني استكشافه، كما تحدد ما تود قوله (غرض). وحتى في عالم المهن، عادة ما يؤثر وضع مشابهة على مشاريع كتابتك، حيث يسند لك مشرفك كتابة تقرير عن شركتك، كأن يكون تقريرا حول القوانين البيئية (مادة) على أن يستخدم المسئولين في شركتك هذا التقرير للإعداد لتفتيش متوقع (سياق) وسيقرأه المشرف عليك، ونائب الرئيس في شركتك، وعدد من الوكالات الحكومية

(الجمهور) وعلى الرغم من ضرورة أن يكون التقرير دقيقًا إلا أنه ينبغي أن يقدم جهود الشركة بصورة إيجابية أيضًا (غرض).

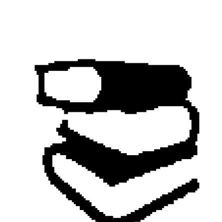


ومتى ما قمت بقفزة من الكتابة الشخصية، إلى أشكال أكثر موضوعية من الكتابة، تتزايد المتطلبات بشكل سريع، ولكن ليس بالضرورة أن تكون العلاقات ما بين المادة والجمهور والسياق والغرض أمرًا يصعب فعله، لأنه في العديد من الحالات، تكون معرفة نقاط التأثير الأربع أمرًا يبسط عملك، وذلك من خلال معرفة ما الذي تحتاج لأن تكتب عنه وكيف يمكن الوصول إليه بشكل واضح. كما أن جميع النقاط الأربع مرتبطة بتحديد الصوت المستخدم، والنغمة المستخدمة، لأن ذلك الصوت يمكن أن يكون مختلفا جدًا عن الصوت الذي نستخدمه في الكتابة الشخصية، حيث نحتاج إلى النظر في بعض الخيارات المفتوحة أمامنا.

التقرير الموضوعي (بصوت رسمي)

عادة ما تو .بد أكثر الكتابات موضوعية في العمل العلمي، حيث ينبغي أن يكون الصوت رسميا، وتكون نبرته موضوعية، فلا أثر من شخصيتك أو مشاعرك الداخلية يجب أن يظهر. ولن يرغب جمهورك في التقرير العلمي إلا في معرفة الحقائق. وفيما يلي جزء من تقرير علمي حول الميكروويف، نشر في (العربي العلمي):

«ظهر فرن الميكروويف في أربعينيات القرن الماضي في والتام في ولاية ماساشوستس. وبدأت القصة في شركة لتصنيع الصمامات المفرغة، التي تتدفق بها




الإلكترونات تحت تأثير مجال مغناطيسي خارجي، ويتم استخدام هذه اللمبات الإلكترونية في تشغيل الرادار. وفى عنابر التصنيع في شركة رايتون، لاحظ المهندسون أنهم فور تقريب أيديهم من هذه الصمامات فإنهم يشعرون بسخونة صادرة عنها. . .».

النبرة هنا حقائقية بلا انفعالات. فقد عدل تجنب وجود المضامين الإيجابية أو السلبية الصوت، وخلق تأثيرًا متعادلاً وحتى الجملة الأخيرة لم تظهر ذرة من انفعال شخصي.

هذا، ويرتبط استخدام الضمير «أحدهم»، وكلمة مثل «المرء» مكان الأنا أو النحن أحيانًا بالكتابة الرسمية، حيث تخلق مثل هذه الكلمات مسافة بين الكاتب والقارئ قد تكون ضرورية في بعض الأحيان. إلا أنه من الملاحظ أن علماء (ناسا) الذين كتبوا عن مشروع (فيكن) قد تجنبوا استخدام تلك الضمائر. لإمكانية أن يخلق ذلك بعض الجمل الخرفاء حيث تبدو الأمور مصطنعة، وفيما يلي نموذج لإساءة استخدام طالب جامعي لكلمة «المرء» في كتابته موضوعا حول الشعر:

«عندما يبدأ المرء في كتابة الشعر، يميل المرء إلى استخدام اللغة التي تقنع المرء بأن ما يكتب هو شعر حقيقي ويستخدم المرء صوتا خاصا. .».

حاول أن تقرأ مثل هذه الجمل بصوت عال، وستجد بأن تكرار كلمة «المرء» تعطي إحساسًا بوجود شيئًا ما في الفم. وحتى إن كان استخدام كلمة «المرء» ضروريا في بعض الأوقات، فإنه من الأفضل ألا يفرط في استخدامها. وفيما يلي جزء من تقرير موضوعي آخر، حول التغذية، استخدام كلمات محايدة مثل «الإنسان المعاصر» و«الدراسة»:

«ظهرت دراسة جديدة تدعو لتغيير النمط السائد في تغذية الإنسان المعاصر بالانتقال من استعمال البروتين الحيواني إلى البروتين النباتي فيما يسمى بالنقلة البروتينية وإضافة إلى الفوائد الصحية الكبيرة لهذه النقلة البروتينية فإن الدراسة تقوم بالتركيز على الجوانب البيئية وفائدة هذا التحول على الإنسان والحيوان والبيئة. . معًا» – من العربي العلمي، مجلة العربي.

التقرير الموضوعي (والصوت غير الرسمي)

يمكن أن يستخدم الصوت غير الرسمي بنجاح في الكتابة الموضوعية، في العديد من المواقف، حينما يكون كل من السياق والجمهور مناسبين. ومن الطبيعي، أن يبقى على الكاتب تجنب إقحام المشاعر الشخصية أو الانفعالات ولا يعني ذلك أن جميع الكتابات الموضوعية مملة فمثل هذه الفكرة خاطئة وفيما يلي تقرير حول (آيبو) الكلب الآلي:

«منذ البدء في إنتاج الكلب الآلي أيبو، عام ١٩٩٩، أصبح أحد أشهر وسائل البحث في مجال الروبوتات، فمهارته كلاعب كرة قدم يمكن برمجتها للمنافسة كلاعب ضمن فريق في منافسات كأس العالم لكرة قدم الروبورتات المعروفة باسم «تحدى الروبوكوب» لذوات الأربع كانت إحدى أولى السمات التي جذبت إليه الكثير من مختبرات البحوث. وسرعان ما استخدم على نطاق أوسع في سائر أنحاء العالم وأصبح الروبورت النموذجي القابل للبرمجة لدى معظم الباحثين. لذا عندما أعلنت شركة سوني في مطلع هذا العام أنها ستتوقف عن إنتاج هذه الروبورتات التجارية، تساءل الباحثون هل يمكن لأي روبوت آخر أن يحل محله؟» - من العربي العلمي، سبتمبر ٢٠٠٦.

على الرغم من أن التقرير هنا موضوعيًا، ويمكن التحقق مما جاء فيه من خلال ملاحظ آخر، إلا أن النغمة أخف وأكثر اعتيادية وباستخدام أفعال نشطة، ومجازات فكهة، صارت الكتابة حيوية وممتعة ولم يظهر فيها انفعال شخصي، ولا رأى شخصي، ولا ميل شخصي.

التقرير الموضوعي (بصيغة المتكلم: الشخص الأول)

عادة ما يستخدم كتاب المجلات الشهيرة أسلوب المتكلم (الشخص الأول)، بينما تظل التقارير المعلوماتية موضوعية. لأن دخول الإنسان من خلال الملاحظة يميل، بشكل طبيعي، إلى خلق نغمة أكثر شخصية وأقل رسمية وفى وقت من الأوقات كانت مثل هذه الكتابة متجنبة ومضى الكتاب إلى مدى بعيد في الموضوعية، حتى صار استخدام جمل مثل «رأى الكاتب» أو «لاحظ الكاتب» في

بعض الأحيان، من الأمور الخرقاء أمـا اليوم فهناك مـيل نحو أمانة الحديث حيث يقول الكاتب أنا موجود، كشخص ولكن لدى قدرة على الكتابة الموضوعية. وفى الـنهاية ليس استخدام «أحدهم» أو «المرء» أو الضمـير المتعادل، والنغمة الموضوعية في الصوت العلمي سـوى مجرد ذريعة فلا يزال الكاتب موجودًا وهو إنسان ولأنه اختار بوعي تقـديم بعض التفاصـيل واستبعـد تفاصيل أخرى، نـعرف بأن خياله الشخصي قد لعب دورًا بشكل نشط وعلى هذا فإن الموضوعية الكاملة مستحيلة.

وفيـما يلي جزء مما كتبته (جـين وينسلو) حول صناعـة النبيذ في أسبانيا في الثلاثينيات:

«في ضـوء شمعـة واحدة، رأيت ثلاثـة رجال داخل راقـود - وعاء ضخم للسـوائل - وقد خلعوا معاطـفهم، وطووا بنطلوناتهم فـوق ركبتهم وعلقوا حبالا معـقودة وملفـوفة حول عارضـة خشبيـة. كانت أقدامـهم الحافية تـضرب العنب بخطوات إيقاعية كخطوات رقصة الجاز. وبوجوههم المتفصدة عرقًا، والتي شوهها ضوء الشمعة، كـانوا يصرخون ذهابًا وإيـابًا، والأصدقاء يقبـلون على مراقبتهم. دخان أخذ يتصاعد وأقدامهم صـارت أقل ثقة وضحكاتهم أعلى، سلة جديدة من العـنب انقلبت في الراقود. ورجل فقد عنبه يدور ويدور، ثم وقع في معجون ذي أبخرة قوية وغنية».

جعلت التفاصيل الملموسة المشهد غنيا ومحسوسا وربما حفزت انفعال القارئ ومع ذلك لم تتدخل الكاتبة نـفسها ولم تبدى آراءها فقـد قدمت تقريرًا باستخدام صـوت شخـصي أعترف بـصراحـة: «كنت هـناك، وأكتـب ما رأيت» ولكن في سـياقات مختلفة، ولأغراض مختلفـة، وجمهور مختلـف، ربما يكون هذا الصوت غير ملائم؛ ولهذا ينبغي تحديد جمهور المادة، وسياقها، وهدفها قبل البدء بالكتابة وإلا وجدت نفسك تعـمل في فراغ ولا تفعل سوى أن تـتمنى أن تكون تلك هي الطريقة الصحيحة التي تتعامل بها مع مادتك.

تدريبات

١ - اقرأ كلا من الفقرات التالية، وتبين مستوى الرسمية أو غير الرسمية، ثم صف السياق، والغرض، والجمهور الملائم بالنسبة للفقرة والسياق والغرض والجمهور والصوت والنغمة غير الملائمة أو الأقل فاعلية.

* «من البديهي القول بوجود علاقة جدلية بين الثقافة والسلطة، ولتحديد آفاق هذه العلاقة لابد من استحضار الحد المعرفي للطرفين، ومن ثم يمكن الوقوف أمام آفاق العلاقة ورصد مساراتها ذهابًا وعودة ومصطلح السلطة موغل في العمق التراثي الإنساني بل يمثل واحد من حفريات هذا التراث الذي صاحب الإنسانية منذ بواكيرها حتى يومنا هذا وما بعد هذا اليوم» - من مقال للدكتور محمد عبد المطلب، مجلة ضاد.

* «تبدأ الافتتاحية بما يشبه الاستغاثة التي تأتي في نهاية الأوبرا، يعقبها مقدمة بطيئة في مقام ري الصغير الدرامي تتوقع لحظة دخول التمثال في حجرة طعام دون جيوفاني. القسم الرئيسي للافتتاحية السريع في مقام ري الكبير الذي يمثل شخصية دون جيوفاني الحيوية لا يعود مرة أخرى داخل الأوبرا ولحن الموضوع الرئيسي يتسم بالإيقاع القوي، ثم يأتي قسم يتسم بالتباين في ظلال الأداء وتعاقب المداخل والمحاكاة في القسم الأو سط الكنترابنطي تتصل الافتتاحية بشكل مباشر بالفصل الأول بعض التحويلات المقامية المفاجئة ونهاية مفتوحة» - من مطبوعات دار الأوبرا المصرية، د. حنان أبو المجد.

* «اكتشفت مؤخرا أنه يمكنني أكل وسادتي القطنية وكذلك أنتم والدليل علمي بحت وهو أن القطن مادة كربوهيدراتية كالسكر الذي تضعونه في الشاي والأكل هكذا تقول كتب الكيمياء العضوية والكيمياء الحيوية ويقول المختصون والسؤال هنا، ما دام الأمر كذلك... لماذا تخلو موائدنا من أطباق القطن، بينما تتواجد

السـكريات والمواد الكربوهيدراتية؟. والإجابة هي أن سكر الجلوكوز الموجود في الدم وسكر الفركتوز الموجود في الفواكه سكريات بسيطة مكونة من جزيء واحد وسكرنا المعتاد ثنائي التكوين أما القطن فهو من المواد المعقدة وتـعرف مادته الأساسية بالسيليلوز الذي يتكون من آلاف الجزئـيات من الجلوكوز الأمر الذي لا يـعد سهل التحليل ولا تطيقه المعدة...»

٢ - أعد كتابة الفقرات التالـية، لتجعلها غير رسمية قدر الإمكان واستخدم أسلوب الأنا الشخصي بدلاً من الضمير المتعادل.

* بالنسبـة لكائن لا يتجاوز حجم مـخه رأس دبوس، يمتلك النحل قدرات عقلية مذهلة. فقد ثـبت بالفعل أنه قادر على العد، والآن يقول العلماء أنه قادر على تذكر وجوه البشر.

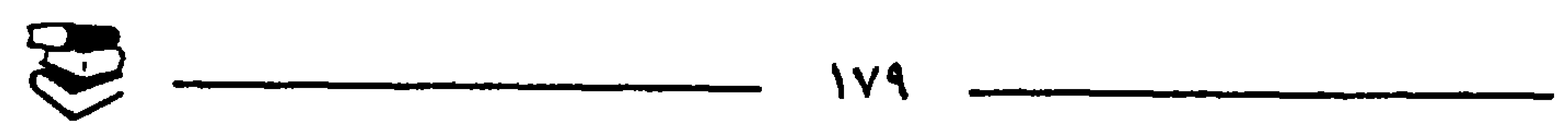
فقد درب الباحث (أدريـان داير) وزملاء له في جامعة (كمبريدج) على الربط بـين محلول سـكر السكروز وصـورة وجه معين. ثم أجرى الباحثـون اختبار قدرات التـذكر والإدراك للنحل من خلال وضع صورة هـذا الوجه مع صور ثلاثـة وجوه أخرى لا ترتـبط بأي جائـزة (محلول السكر).

ومن بـين النـحلات السبع الـتي شاركت في الاخـتبـار، فضلت اثنتان: العزوف عن التجربة وحلقتا بعيدًا، أما النحلات الخمس الباقيات فقد نجحت في تمييـز الوجه الصحيح في ثمانين في المائة من المحاولات حتى عندما أبعدت الجائزة عنها..» - من العربي العلمي.

تدريب المفكرة

ابحث عن ثلاثة أصوات مختلفة: الصوت العلمي، والصوت الأكثر رسمية والصوت الشخصي المستخدم وانسخها.

* * *



مقدمة العناصر الخمسة والهرم المقلوب

يجد معظم الكتاب وليس المبتدئون فقط، أن الترتيب الصحيح للمحتوى عقبة أساسية أمام تحقيق النجاح، ولتجنب المعاناة وتوفير الوقت، يستخدم كتاب الأخبار في بعض الأحيان، صيغة بعينها لتنظيم المعلومات الواقعية وتوفر لهم تلك الصيغة قالبًا جاهزًا يكتبون مادتهم في إطاره، ينبغي أن تعرفه أنت أيضًا، لأنه أسهل الصيغ وأبسطها، كما يمدك بنقطة بداية طبيعية للكتابة الموضوعية. ويعلمك كيفية ضبط الحقائق ويمكنك استخدام تلك الصيغة في العديد من أنواع الكتابة المعلوماتية.

مقدمة العناصر الخمسة

وأنت تنمي مهارات الكتابة لديك، وتشترك في تفسير المادة وتحليلها بشكل معقد، ستحتاج إلى ممارسة فن خلق جملة أطروحة فعالة، ولكن الكتابة المباشرة عن الحقائق الموضوعية تتطلب نوعًا أبسط من التقديم، وإن كان على نفس القدر من الفاعلية وهو ما يسميه الكتاب المحترفون «مقدمة العناصر الخمسة» أي مقدمة تعرف القارئ بالحقائق الخمس الأكثر أهمية المتعلقة بالمادة وهي: من؟ وماذا؟ وأين؟ ومتى؟ ولماذا؟ على أن تنظم الحقائق وفقًا لترتيب العناصر من حيث الأكثر أهمية.

بدأت مقدمة العناصر الخمسة كأداة صحفية، وعادة ما يستطيع الكاتب الخبير أن يتعامل معها في الجملة الأولى وحدها. وفيما يلي مثال من الصفحة الأولى بصحيفة الأهرام.

«استخـدمت الولايات المتحدة مساء أمس حق النقض (الفيتو) ضد مشروع الـقرار، الذي تقدمت به الدول الـعربية في مجـلس الأمن، لإدانة إسرائيل بسبب ارتكابها مجـزرة (بيت حانون) في قطاع غزة الأسبـوع الماضي وراح ضحيتها أكثر من عـشرين شهيداً معظـمهم من النساء والأطفـال. ووصف السفير الأمريكي في الأمم المتحدة (جون بولتون) نص القـرار بأنه «غير متوازن ومتحيز ضد إسرائيل»، وقال: إن وراءه دوافع سياسية».

تجمع مقدمة العناصـر الخمسة المعلومات العشوائيـة وتنظيمها، بحيث يتلقى الـقارئ من خلال صياغة المادة بهذه الطريقـة جميع الحقائق الأساسية بشكل فوري عـلى أن يدعم كل شيء يتبع المقدمـة، الحقائق الأساسية ويـفصلها. ولكن إذا لم تكن تخطط لأن تصبح روائـيًا، ولا صحفيًا، كيف يمكنك تـطبيق مقدمة العناصر الخمسة فيما تكتب؟

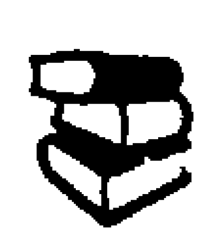
فيما يلي ما بدأت به طالبة كتابتها في ورقة لعلم الاجتماع:

«يحـقق المعارضـون من البيض والأنجـلو سكـسونيـين في أمريكـا حراكًا، اجتـماعيًا بناء على الإنجاز وليس عـلى أساس الخلفية. أما بالنـسبة للسود واليهود فإن الحراك الاجتـماعي مقيـد بغض النظر عن الإنجـاز نظرًا لكون الـلون والديانة عوامل مؤثرة».

من خلال اختيار جـميع الحقائق المهـمة وتنظيـمها حسب العـناصر الخمسة حيث جمعت وبشكل مدهش جملة واضحة حول مادتها يعرف من خلالها القارئ على الفور ما يتوقعه في الفقرات التـالية - نمو التفاصيل التي تدعم الجملة الأولى وتوسـعها حـسب نوع الـتقريـر وشرح أسبـاب وجود أنماط مـختلـفة من الحراك الاجتماعي.

وفيما يلي مثال آخر على مـقدمة العناصر الخمـسة استخدم في تقرير حول الأعمال، في مقرر نظرية اقتصاديات الحجم:

«شجع رونالـد ريجـان، خلال فتـرة رئاسته الأولى، اقـتصـاديات خفض الضرائب لمزيد من الدخل إلى خزانة البلاد، وذلك لسد العجز في ميزانية الإنفاق،




ومع حلول عام ١٩٨٦، أي في منتصف فترة الرئاسة الثانية، زاد العجز عن مائتي مليون دولار سنويًا»

بدأ الطالب مقاله المعلوماتي بتشكيل جملته الافتتاحية حول الحقائق الأكثر أهمية. وصار القارئ معدًا لمتابعة الفقرات، وتلقي الدليل الذي يدعم ادعاء العناصر الخمسة.

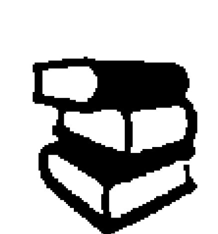
حتى طلاب الإنسانيات وجدوا أن مقدمة العناصر الخمسة فعالة وفيما يلي كيف بدأ أحدهم تقرير مقدمًا لمقرر في الأدب:

«في عمل، (ضجيج الجرس) الذي نشر لأول مرة في ١٩٦٣، تحكي (سيلفي بلاث) أحداثًا من حياة فتاة في العشرين، ومحاولتها للانتحار وكفاحها من أجل تجنب الجنون».

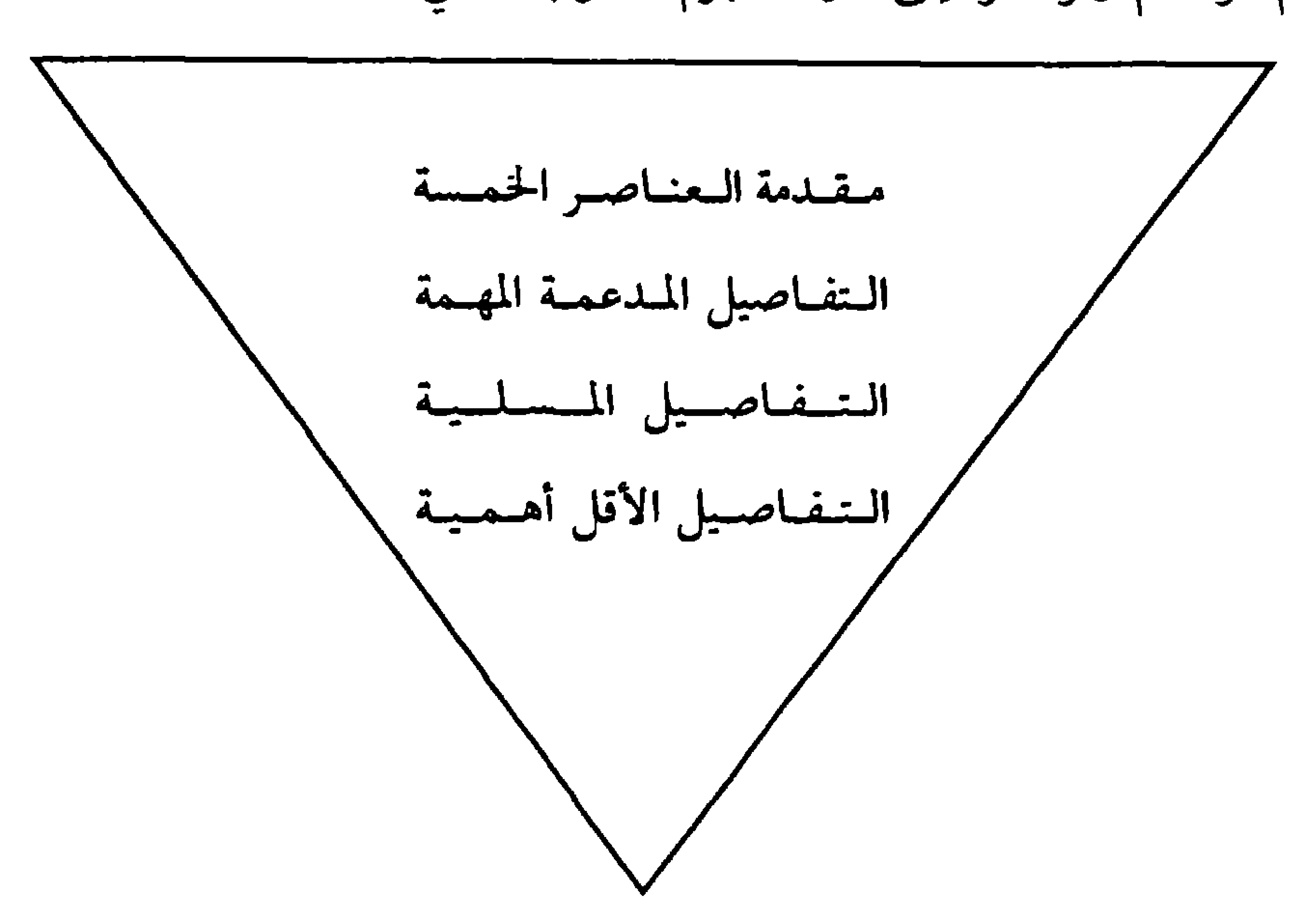
وعلى هذا تكون مقدمة العناصر الخمسة، مقدمة شاملة ومفيدة بالنسبة لأي نوع من أنواع الكتابة المعلوماتية تقريبًا لأنها تبلغ الحقائق بشكل واضح ومختصر ونظرًا لأن بداية المسودة الأولى عادة ما تكون النقطة التي يجدها الكتاب أصعب من سواها، فإن مقدمة العناصر الخمسة تقدم استراتيجية بسيطة لتنظيم المعلومات والحصول على الجملة الأولى، أو الفقرة الأولى في الصفحة وعلى نفس القدر من الأهمية تستطيع المقدمة أن تقترح تنظيم بقية تقريرك بصورة فورية.

الهرم المقلوب

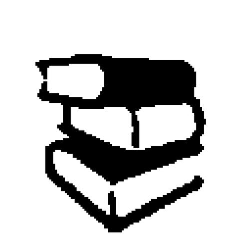
لنعد مرة أخرى إلى معرفة كيفية تطور تلك الطريقة من خلال الصحفيين حيث يكمن السبب في محدودية المساحة في الصحيفة من ناحية، وفي القراءة المتعجلين الذين لا يكملون قراءة المقال أو الخبر حتى نهايته من ناحية أخرى، ما جعل مقدمة العناصر الخمسة أسلوبًا مميزًا لتقديم المعلومات الحيوية بأسرع وقت ممكن. هذا، وفرضت طبيعة الصحافة بناء آخر على الصحفي مرة أخرى، يحتم عليه تنظيم بقية المادة بصورة معينة. فقد لا يعرف الكاتب، ولا المراجع المدقق، حتى اللحظات الأخيرة قبل طباعة الصحيفة مقدار المساحة المتوفر لأي موضوع من



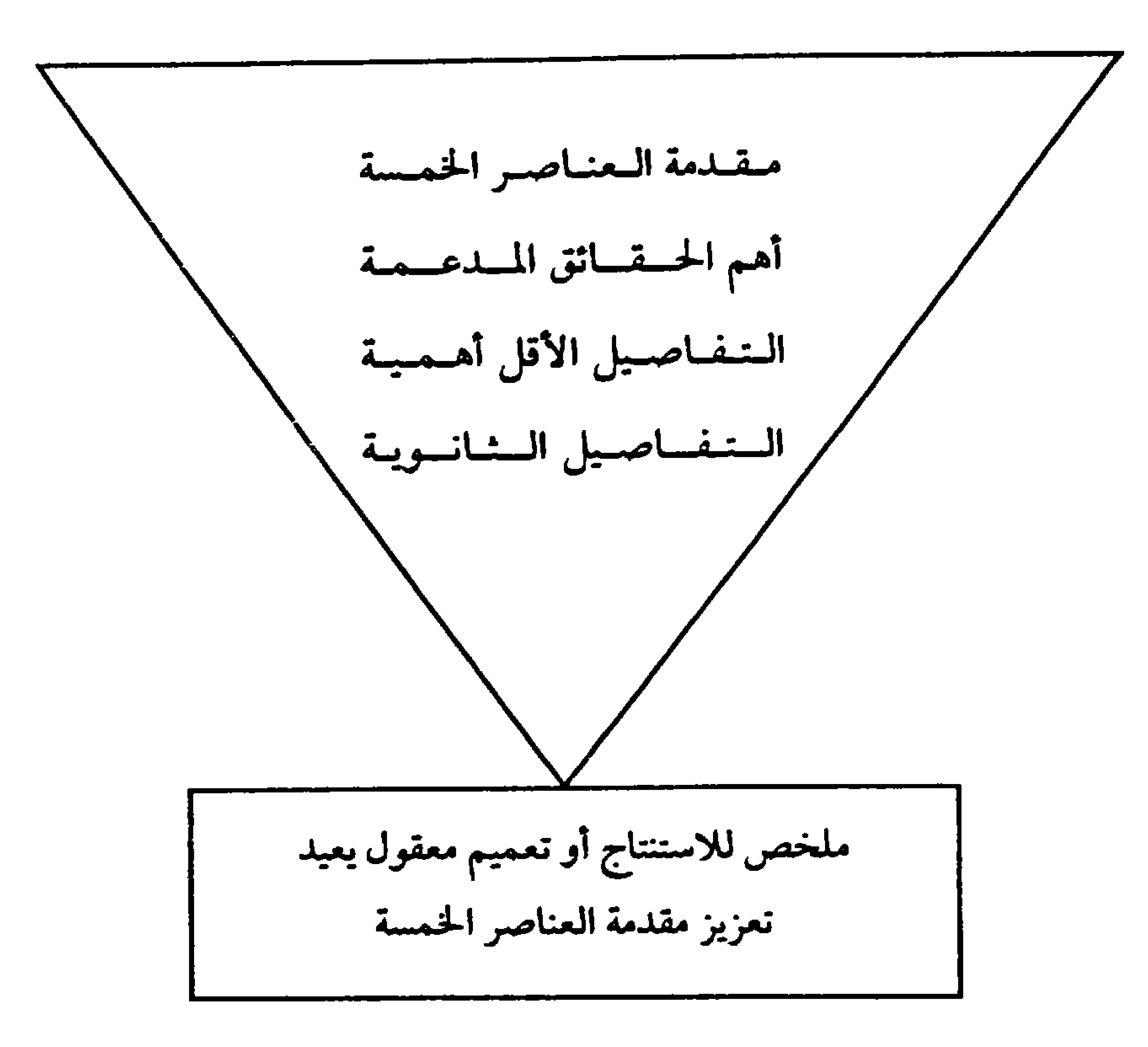

الموضوعات، وهذا يـعني أن على الكاتب أن يكون عـلى استعداد لمواجهة الأمر، وعـلى المدقق أن يقص التقرير بحيث يلائم المـساحة المتوفرة. وهذا يعني أن جميع التفاصيل المساندة يجب أن تقدم في ترتيب متقدم، تتبع بالتفاصيل الممتعة، وأخيراً التفاصيل الأقل أهـمية، بحيث يـتمكن المدقق من شطب الـتفاصيل الأخيرة دون خـسارة كبيـرة أو يستـطيع المدقق قص الـقصة نصـفها والـتخلص من الـتفاصيل «الممتعة» مع بقاء المعلومات المهمة المدعمة للمقدمة وهكذا، تعلم الصحفيون طريقة تنظيم موادهم وتوصلوا إلى صيغة الهرم المقلوب التالي:



ويـستـخدم هذا الأسلـوب أيضًا في التقاريـر الهندسيـة وفى تقارير الأعمال الرسمية. حيث لا يتـوفر الوقت للتنفيذي المشغـول على سبيل المثال ليقرأ عشرين صفـحة من التفاصيل بـينما يرغب في معرفـة المعلومات المهـمة بسرعة وفى بداية التقرير دون أن يظل معلقًا حـتى يصل إلى المقصود في نهاية التقرير. إلا أن الهرم المقلوب يخـلق مشكلة، وذلك لأنه بطبيعته يـفشل في التوصل إلى استنتاج ونظراً لوجود مـجالات عديدة، غير الصحـافة، لا تسمح بتغطيـة التفاصيل فقط، هناك حاجة لـفعل المزيد لمقابـلة توقع قارئك الذي يتـوقع منك ما هو أكثر وإذا لم يكن لديك المزيد عليك أن تلخص ما توصلت إليه على الأقل والأفضل أن تتوصل إلى




تـدخل معقول من الحقـائق التي جمعتـها وتتوصل إلى خلاصـة عامة لاسيما وان تنفيذي الأعمال سيتوقع منك فقرة نـهائية تعيد فيها صياغة ما قلت، على الأقل. أو تـعيد تعريف مقـدمة العناصر الخمـسة، وهنا كيف يمكن تـعديل الهرم المقلوب بحيث يمـكن أن يخدمك كنمط مرئي لتنظيـم المقالات الموضوعية في الكلية أو في مواقف مهنية أخرى.



وفيـما يلي نموذج لتـنظيم تقريـر، وهو جزء من مشروع مـجموعة الطلاب حول بعض القيم المعاصرة:

مقدمة العناصر الخمسة

«يقول (رالف هـيندلمان)، مدير مـسرح السينمـا العالمية أن زبائن أفلامه هم عمومًا من طبقة رجال الأعمال من (نخبة مرتفعات مالبورو)، حيث يقع المسرح».

أنفقنا ما مجمله ست ساعات، في مساءين مختلفين كي نراقب نوع الزبون الذي يدخل المسرح ويخرج منه، ووجدنا، خلال ذلك الوقت، ٦١ رجلاً و٤ نساء يدخلون المسرح يتمتعون بمظهر حسن، وبعضهم يحمل حقيبة يد، و٧ منهم فقط يبدون أصغر من ٢٥ سنة بينما تبدو الأغلبية في الأربعينيات أو الخمسينيات من العمر. ٤٧ منهم وصلوا وحدهم بسيارات خاصة فاخرة أوقفوها بجانب المسرح منها ٩ (كاديلاك) و٩ (بويك) و٩ (أولدسموبيل)، أو (تورونادوس)، و٧ سيارات رياضية أجنبية بينها سيارة (بورش) حمراء تقودها سيدة.

تفاصيل مسلية - خلفية

ويؤكد (هيندلمان) بأنه حتى ١٩٨١، كان المسرح يعرض أفلام هوليود التقليدية، وكانوا يخسرون، ولكن مع بدء عرض الأفلام الإباحية حققوا مكاسب.

تفاصيل أقل أهمية

يقع المسرح بجوار محل أحذية وبالقرب من محل مجوهرات متميز.

خلاصة وتعميم

ولأننا لم نقابل أيًا من الزبائن، لا نستطيع أن نقرر دوافع حضورهم المسرح، ولكننا نعتقد من ملاحظاتنا أن الزبائن يبدون في وضع مادي ممتاز، ولا سيما الرجال من ذوي المناصب الإدارية الرفيعة. وربما تجتذب المسارح الأخرى نوعية أخرى من الزبائن. وعلى أية حال، من المعقول أن نستنتج بأن السينما العالمية تعرض أفلاما إباحية لأن لديها جمهورا مستعدا للدفع من بين من يفترض أنهم أفضل تعليم وأرقى طبقة اجتماعية.

ولا تعد هذه الطريقة من تنظيم المعلومات - من الأكثر أهمية إلى الأقل - النمط الوحيد الذي يمكن استخراجه من مقدمة العناصر الخمسة فأي عنصر من العناصر، أو أي تركيبة من عناصر المقدمة يمكن أن تشكل نقطة تركيز لتنظيمك فقد تقترح مقدمة ورقة طالب حول الحراك الاجتماعي، كما سبق على سبيل المثال -



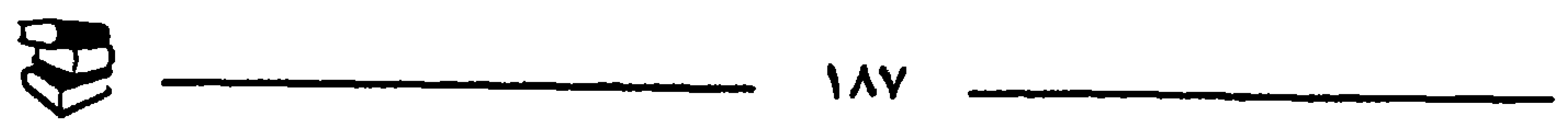

«لماذا؟» وهو سؤال مفتاحي يمكن أن يهم القارئ ويمكن أن يقدم الكاتب دليلاً يدعم الحقائق كي يدافع عن المقدمة، ثم ينتقل بسرعة إلى مقابلة مع عالم اجتماع بخصوص «لماذا؟» كأن يسأل عن سبب وجود بعض الأنماط الاجتماعية. كما يمكن أن تقترح المقدمة تنظيم التقرير في صورة مقارنة، أو تباين، بين مجموعتين سبق مناقشتها. هذا وتتضمن مقدمة تقرير طالب إدارة أعمال المتقدمة تركيزًا على «ماذا؟» و«من؟» ما الخطأ الذي حدث؟ ومن المسئول عن العجز الضخم؟ أي أن قيمة مقدمة العناصر الخمسة تكمن في قدرتها على خدمتك وخدمة جملتك الأولى أو فقرتك الأولى، ثم اقتراح تنظيم للمتابعة وهكذا يجبرك فعل البحث عن مقدمة العناصر الخمسة لمادتك على بدء عملية اكتشاف لغرضك، واختبار الحقائق الأكثر أهمية، وتنظيمها بشكل موجز.

«كيف؟»

ويبقي عنصر أخير، ولكنه مهم. فعادة ما تتم إضافة «كيف؟» للعناصر الخمسة. كيف جرى الحدث، وكيف تعمل الآلة؟ كيف وضع قانون حقوق الإنسان؟ وكيف تتعامل سوق الأسهم مع معدلات الفائدة؟ ومن الواضح أن يهتم تقرير واقعي حول الأعمال، أو العلوم، أو الطب، أو الهندسة، أو التاريخ وحتى الإعلان، والفن الإبداعي - بجانب «كيف؟» كمقدمة، نظرًا لتعقيد كيفية الأمور وحاجتها إلى التفصيل في الغالب. ولهذا، من الممكن أن تتضمن المقدمة بعض العناصر الخمسة، إلى جانب «كيف؟».

وفيما يلي مثال:

«صنع كريات حمر عند الطلب! تلك هي المأثرة التي حققها فريق طبيب أمراض الدم البروفسور (لوكدويه) بمستشفى (أرمان ترسو) بباريس. لم تكن التجارب الأولية قد أفضت إلى إنتاج كريات حمر قبلية، تحتوى كلها على نواة، بينما تخلو الكريات الحمر الناضجة من هذه النواة. هذه هي أول مرة تتمخض فيها طريقة للزراعة في الزجاج عن إيجاد مختلف البيئات الدقيقة التي تدفع خلية جذعية بشكل طبيعي إلى التمايز على شكل كريات حمر. .» - من مجلة العربي.




وهكذا يأخذ باقي الموضوع شكله الطبيعي، أي يتبع عملية الخطوة تلو الخطوة من كيفية صناعة الكريات الحمر. وعادة ما يحدد الترتيب الزمني، والترتيب المكاني، والتسلسل المنطقي، تنظيم الموضوع، أكثر مما تفعل الصيغة الجاهزة ويبقى الوصف الموضوعي لكيف تسير الأمور؟ وكيف تخلق وكيف تحدث؟ ومتى؟ وأين ومن الذي يقوم بذلك؟ ولماذا؟ عناصر مفتاحية في العادة.

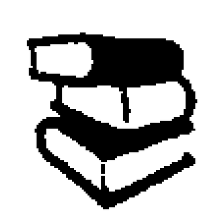
ولهذا تكون استراتيجية البحث عن العناصر الخمسة وعن «كيف؟» واحدة من أهم الأساليب ذات القيمة التي يمكن أن تدرب عقلك على استخدامها مع تحذير واحد وهو أن كتابتك ستصبح سريعة لدرجة مملة إذا أنت استخدمت مثل هذه الصيغة في كل ما تكتب. كن انتقائيًا، فعندما تستدعى المادة - السياق، والجمهور، والغرض، عرض بسيط وحقيقي، تخدمك الاستراتيجية جيدًا، ولكن بالنسبة لنوع آخر من الجمهور، والسياق، قد لا تفعل. وقد قال (أوجن أونيل) ذات مرة. «يعرض عمل المرء لخطر الإفساد، حينما يعتقد أنه قد وجد الصيغة الأفضل لأدائه».

تدريبات

١ - تبين العناصر الخمسة في المقدمات التالية:

* «يتم خلال أيام حسم العروض المقدمة من أربع شركات لشراء جرارات لدعم خدمات الركاب بالسكك الحديدية، وتوقعت مصادر أن تحصل الشركة الصينية الفائزة على ٥٠٪ من عدد الجرارات» - من صحيفة الأهرام.

* «تستعد هيونداي لطرح طراز جديد لها في معرض ديترويت للسيارات في الولايات المتحدة الأمريكية وذلك في الشهر المقبل. الطراز الجديد اسمه فيراكروز متعددة المهام والتي تعد تاسع طراز من الشركة الكورية الجنوبية موجه للسوق الأمريكية» - ملحق السيارات، الأهرام.





٢ - اكتب ثلاث مقدمات مختلفة للعناصر الخمسة عن نفس مجموعة الحقائق:

* تعيش العديد من الدول الإفريقية صراعات.

* تعاني من تدني في الأوضاع المعيشية.

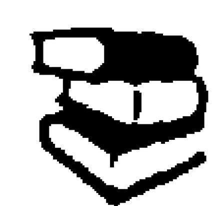
* تعاني من نقص الموارد وسوء توزيع الثروات.

* تتعرض لحروب أهلية ونزاعات مسلحة.

* تمتلك ثروات طبيعية كالماس أو «النفط الأبيض».

* تجابه عصابات تهريب الماس وغسيل الأموال.

* * *






المراجعة وإعادة الصياغة والدمج

«لا أستطيع أن أفهم كيف يكتب أحد دون أن يعيد كتابة كل شيء مرة تلو الأخرى».

(ليو تولستوي)

أشد أخطاء الكاتب المبتدئ خطورة، هي أن يكتب مسودة واحدة، ويفترض أن عملية الكتابة قد انتهت عند هذا الحد. ربما تعتقد في البداية أن الكتابة الموضوعية ستتطلب قدرًا أقل من إعادة الكتابة مما يفعل المقال الشخصي. فرغم كل شيء أنت تتعامل مع حقائق، ولا تعاني التعبير عن مشاعر داخلية. ولكن على الرغم من اختلاف المشكلات، تتشابه المتطلبات حيث ينبغي عليك إيجاد الكلمات الدقيقة، واكتشاف الترتيب الأفضل للأجزاء، ودمج كل جزء وربطه، بصورة تبدو فيها الأمور واضحة القراءة. وإذا ما فكرنا في احتياجات الكتابة المعلوماتية المختلفة، تصبح التعقيدات أكثر وضوحا.

١ - الملاحظة الموضوعية للتفاصيل الواقعية.

٢ - التركيز على عناصر التغيير أو التباين (إذا كانت مهمة).

٣ - التركيز على التبعات الأساسية.

٤ - توصيف المادة ككل (بما فيها الأفعال والتصرفات والوصف المادي والجسدي والخلفية إلخ).

٥ - فهم جمهور المادة وسياقها وغرضها.

٦ - مقدمة تقدم جميع الحقائق الأساسية بوضوح في جملة أو أثنين.

٧ - تنظيم التدفقات بصورة طبيعية انطلاقا من المقدمة بشكل يخدم جمهور المادة، وسياقها وغرضها.

وهكذا تصبح مسألة القيام بكل ذلك بصورة جيدة في المسودة الأولى مستحيلة بالنسبة لمعظمنا، وحتى إذا شعرنا بأن المادة التي بين يدينا، مادة جيدة، دائما ما تبدو بعض عناصر الورقة مشوشة.

وفيما يلي أربع فقرات تمثل كتابة مسودة لطالب. تبين مقدمة العناصر الخمسة في الفقرة الأولى، أنه قد وجد غرضه، وجعل جملته واضحة بحيث ينبغي أن تقود إلى تنظيم سهل دقيق، بتدقيق ثانوي فقط يمكن أن تظل الفقرة الثانية التي تدعي المقدمة كما هي. ولكن الفقرتين التاليتين تظهران بعض المشكلات الحقيقية:

«تعمل منظمة جديدة في (كليفلاند) على منع إعلانات السجائر، على اعتبارها مكافحة للسرطان. وتدعي (سى ايه سي) بأن المنتجات الخطرة يجب أن تمنع من الدعاية العامة. مشيرة في منشور وزعته يوم الأربعاء الماضي في حملة (ويسترن ريزرف) إلى أن ما يقرأه القارئ في المتوسط في الصحف والمجلات من إعلانات السجائر يزيد عن ثلاثة آلاف إعلان سنويا. هذا، ولا تعد ادعاءات المنظمة مشبوهة فقط ولكن يمكن أن تعد جهودها غير قانونية أيضًا.

أولا، لاختبار ادعاءاتهم مسحت صحف ومجلات تشترك فيها عائلتي، ووجدت في عدد أكتوبر من (ماك كول) خمسة إعلانات للسجائر، وتسعة إعلانات مماثلة في إصدار نفس الشهر من (البلاى بوى)، وثلاثة في عدد الأربعاء ٣ أكتوبر من (كليفلاندبلين ديلر) وضم عدد الأحد ٧ أكتوبر من الصحيفة إعلان صفحة كاملة بالألوان لماركة (ترو) وأربعة أنصاف وأرباع من الصفحات لماركات أخرى. فإذا كانت عائلتي نموذجية فإنها يمكن أن تقرأ ما يقارب من مائة إعلان

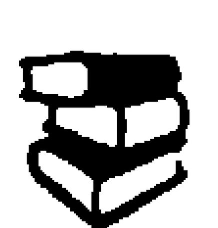
سجائر كل شهر في هذه المطبوعات أي ما يقارب من ١٢٠٠ إعلان سنويا، أي ما يقل كثيراً عما ادعته (سي إيه سي).

وعندما قابلت (بنيامين بروكس) قال «الدليل ضعيف، أبحاثنا مستمرة، ولا تعتبر نهائية حتى الآن، ولكننا وجدنا أن التدخين المعتدل لا يدمر الصحة أكثر من تناول الخمور المعتدل أثناء الوجبات، أو الأكل المعتدل للحلويات أو أي شيء آخر تقريبا يتم تناوله باعتدال. وأنا لست مقتنعا بمقولة ما دام الفأر يصاب بالسرطان، إذا أجبر على تدخين مائة سيجارة يوميا، فإن ذلك يعني بأن الإنسان الذي يدخن عشرين سيجارة فقط في اليوم سيصاب بالسرطان. هناك آلاف من أنواع السرطانات، كما هو معروف. ولهذا لا أستطيع أن أفهم سبب رغبة الناس في منع إعلانات السجائر، كما لو أنه المسبب الوحيد لهذه السرطانات، لا أحد يرغب في منع إعلانات الكحول أو الحلويات والتي يمكن أن تسبب السرطان، كما نعرف. أنه حقنا القانوني أن نعلن عن منتجاتنا أسوة بالمنتجات الأخرى، وحتى لو تم منع جميع إعلانات السجائر لن يتوقف الناس عن التدخين. علما بأن مبيعاتنا ارتفعت بعد منع الإعلانات التليفزيونية».

سألته عما يؤهله للحديث في هذا الموضوع فقال إنه سبق وأن عمل ممثلا إقليميا لشركة (أر جيه رينولدي) للتبغ لعشر سنوات، وهو رجل ضخم، غليظ، أشقر الشعر، في طريقه إلى الصلع. كان يدخن سيجارة أثناء مقابلتي له في مكتبه، ويتحدث بقوة».

ويتضح مما سبق أن الفقرة الأولى تضمنت مقدمة العناصر الخمسة بينما تضمنت الفقرة الثانية تفاصيل حقائق محددة وفى نهايتها تفاصيل تقييم، أما الفقرة الثالثة فمصدر غير معروف بشكل كامل، من هو (بروكس)؟ والرابط بين الفقرة والفقرة الأولى غير واضح، ولا ترتبط بالإعلانات إلا في نهايتها بينما يأتي التعريف بالمصدر متأخر في الفقرة الرابعة، بالإضافة إلى وصف ملائم ولكنه غير موجه بطريقة صحيحة.

كان الطالب على وعي بالمشكلات التي يواجهها في تقريره وهو يتقدم ولكنه شك في قدرته على حلها، فبالنسبة له كما هو الحال معنا، ولا سيما عندما نعمل

مع وقائع وآراء مجمعة من الآخرين، عادة ما تكون المراجعة هي عملية اختيار لجمل التضمين الأفضل فقط، وتلخيص الأجزاء الأخرى، ومكاملة الاثنين معا، ووجوب التركيز على مقالنا، دون أن نشوه معنى المعلومات التي وفرها لنا المصدر..

التلخيص

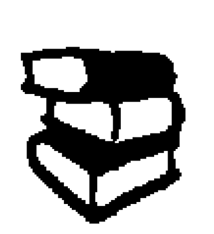
يعني التلخيص هنا: أن تعيد الحديث عن جوهر عمل كبير، أو فكرة مفصلة، بصورة موجزة وبكلماتك الخاصة. فقد يقدم لك الشخص الذي تقابله أو المادة التي تقرؤها كمًا من المعلومات، يفوق ما تحتاج إليه أو جوانب غير مرتبطة بورقتك بشكل مباشر. والنص الطويل في تقرير الطالب السابق مثال على ذلك، حيث يمكن حذف الكثير منه اختياريا ويلخص معظمه في جمله أو اثنتين.

يعرف الكتاب المحترفون أن النصوص الجيدة تزيد من حيوية الكتابة، ويمكن للنصوص الطويلة أو الكثيرة أن تثير الملل. فغالبا ما يتوقع القارئ توازنًا ما بين التلخيص وعرض النصوص المباشر. وبشكل عام ينبغي تلخيص ما يقرب من ثمانين في المائة من المادة المأخوذة من مصادر أخرى (كالمقابلات أو القراءة) بكلماتك الخاصة، بحيث يقتصر الأمر على المعلومات والأفكار المرتبطة بمادتك ارتباطا مباشرًا، مع الحذر بألا تشوه ما قيل، أو تبالغ في تبسيطه، أو تلجأ إلى أية طريقة تغير من المعنى الأصلي، ولا يوضع بين أقواس التنصيص سوى العنصر الأكثر أهمية بالنسبة للحقيقية.

وفيما يلي كيف لخص الطالب قدرًا من الجمل، وعلى الرغم من حذفه للتفاصيل غير المرتبطة، أبقى على جوهر الأفكار.

الأصل:

«الدليل ضعيف، أبحاثنا مستمرة، ولا تعتبر نهائية حتى الآن، ولكننا وجدنا أن التدخين المعتدل لا يدمر الصحة أكثر من تناول الخمور المعتدلة أثناء الوجبات أو الأكل المعتدل للحلويات أو أي شيء آخر تقريبا يتم تناوله باعتدال. وأنا لست

مقتنعا بمقولة ما دام الفأر يصاب بالسرطان، إذا أجبر على تدخين مائة سيجارة يوميا، فإن ذلك يعني بأن الإنسان الذي يدخن عشرين سيجارة فقط في اليوم سيصاب بالسرطان. هناك الآلاف من أنواع السرطانات، كما هو معروف ولهذا لا أستطيع أن افهم سبب رغبة الناس في منع إعلانات السجائر كما لو أنه المسبب الوحيد لهذه السرطانات. لا أحد يرغب في منع إعلانات الكحول أو الحلويات. والتي يمكن أن تسبب السرطان كما نعرف أنه حقنا القانوني أن نعلن عن منتجاتنا أسوة بالمنتجات الأخرى، وحتى لو تم منع جميع إعلانات السجائر لن يتوقف الناس عن التدخين، علما بأن مبيعاتنا ارتفعت بعد منع الإعلانات التليفزيونية..».

الملخص لما سبق

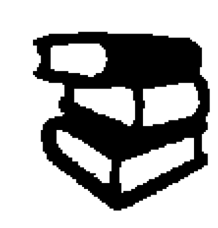
«الأبحاث المتعلقة بالسرطان الذي تسببه شركات السجائر غير نهائية وتعتقد الشركات المتجة بأن التدخين المعتدل ليس أكثر ضررًا من تناول الكحول المعتدل».

ونتيجة التجارب المعملية على الفئران ربما لا تنطبق على البشر ولا يفهم (بروكس) لماذا اختير التبغ لتمنع إعلاناته بينما تستمر إعلانات الكحول والحلويات.

لقد خفض الملخص الأصل إلى النصف، بمجرد إعادة إدراج النقاط المهمة وتركيز انتباه القارئ على الأفكار المتعلقة بالمادة مباشرة، وذلك بصورة أكثر وضوحًا.

الاقتباس والتضمين

يعني أن تنقل ما قاله شخص آخر، باستخدام نفس الكلمات التي سمعتها منه أو قرأتها عنه تماما. ورغم وجود الكثير من المرونة في كيفية استخدامك لهذه الكلمات في كتابتك، إلا أن تجاهل الدقة أمر غير مسموح به. فحذف كلمة، أو تحويل مقطع، يمكن أن يغير معنى فكرة بشكل كامل. وإذا كنت لا تستطيع التأكد مما لديك تماما، صغ الفكرة بكلماتك الخاصة مع الإشارة للمصدر. ولا تستخدم علامات التنصيص، ما لم تكن متأكدا من كامل دقتك.




أتى العنصر الأكثر أهمية لجملة (بنيامين بروكس) في النهاية حيث قرر الطالب ألا يحتفظ إلا بثلاث جمل داخل علامات التنصيص كالتالي:

«إنه حقنا القانوني أن نعلن عن منتجاتنا أسوة بالمنتجات الأخرى. وحتى لو تم منع جميع إعلانات السجائر لن يتوقف الناس عن التدخين. علما بأن مبيعاتنا ارتفعت بعد منع الإعلانات التليفزيونية».

الدمج

وأخيرا تأتى مهمة دمج الأجزاء.

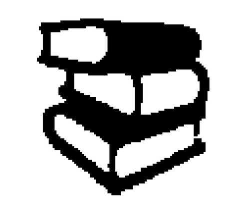
نظرا لأن هدف تقرير الطالب هو مناقشة إعلانات السجائر فإن بداية الفقرة الثالثة تحتاج لأن تبين التأكيد على المعنى، حيث ظهرت جملة (بروكس) المتعلقة بالإعلان في الأصل في نهاية المقابلة، وضاعت في المناقشة التي دارت حول السرطان والحلويات والكحول. وسيؤدى تحريكها إلى بداية الفقرة الثالثة، إلى تركيز التقرير على المادة الأساسية بصورة أوضح. فتعديل ترتيب سلسلة المعلومات أمر ممكن، ما دام لا يوجد تغيير في المعنى أو في التركيز على النقطة الأساسية، ولا بأس من عرض مادتك وصياغتها بطريقتك بحيث تبدو واضحة ومتماسكة وفيما يلي كيف ربط الطالب مفاهيمه ببعضها.

«فإذا كانت عائلتي نموذجية فإنها يمكن أن تقرأ ما يقارب من مائة إعلان سجائر كل شهر في هذه المطبوعات أي ما يقارب من ١٢٠٠ إعلان سجائر سنويا، أي ما يقل كثيرا عما ادعته (سى إيه سى)».

وبإضافة فقرة جديدة:

«ولسماع وجهة نظر شركات السجائر حول القضية، قابلت (بنيامين بروكس) ممثل إقليمي لشركة (ار جيه ريندولس) للتبغ، الذي «قال إنه حقنا القانوني أن نعلن عن منتجاتنا أسوة بالمنتجات الأخرى».

وهكذا، ينتقل القارئ بسلاسة بين الفقرات، والروابط التي توصل الأفكار ذات العلاقة وتجعلها أكثر وضوحا.

الخطوة التالية هي التعرف على صلاحية (بروكس) ووزنه بالنسبة للمادة. حيث يحتاج المتحدث، بشكل عام، إلى تقديم وتعريف، قبل عرض أفكاره، ولهذا أعاد الطالب كتابة افتتاحية الفقرة الثالثة مرة أخرى هكذا:

«ولسماع وجهة نظر شركات السجائر حول القضية، قابلت (بنيامين بروكس) ممثل إقليمي لشركة (آر جيه رينولدس) للتبغ، وهو رجل ضخم أصلع الرأس، تحدث بقوة قائلا: «حقنا القانوني أن نعلن عن منتجاتنا أسوة بالمنتجات الأخرى».

اعتمادا على الجمهور والسياق والغرض، ربما لا يكون هناك مكان لتوصيف التفاصيل في التقرير الرسمي. ولكن بالنسبة للتقرير غير الرسمي، أو التقرير الذي ترغب فيه إضافة عنصر إنساني، ينبغي أن تتكامل هذه التفاصيل، كما لو أنك كنت تخلق مشهدا. فنحن نحتاج إلى رؤية التصرفات والوصف في نفس وقت استماعنا لـ: (بروكس) يتحدث. وفيما يلي كيف جمع الطالب.. كل شيء معا في الفقرات الثالثة والرابعة.. وتخلص من العناصر غير المهمة.

«ولسماع وجهة نظر شركات السجائر حول القضية قابلت (بنيامين بروكس) ممثل إقليمي لشركة (آر جيه رينولدس) للتبغ، وهو رجل ضخم أصلع الرأس، تحدث بقوة قائلا: «حقنا القانوني أن نعلن عن منتجاتنا أسوة بالمنتجات الأخرى». ومال في مقعده إلى الأمام مؤكدًا رأيه: «وحتى لو منعت إعلانات السجائر، لن يتوقف الناس عن التدخين»، وأضاف: «لقد ارتفعت مبيعاتنا بعد منع الإعلانات التليفزيونية».

وأكد السيد (بروكس) على أن الأبحاث المتعلقة بالسرطان التي تجريها شركات السجائر غير نهائية، وتعتقد الشركات بأن التدخين المعتدل ليس أكثر ضررا من تناول الكحول المعتدل. ويشعر (بروكس) نفسه بأن منتجات التبغ قد اختيرت دون سواها لتمنع إعلاناتها بينما استمرت إعلانات منتجات خطرة كالكحول والحلويات.

إذن اكتشاف الأفكار، ووضع الحقائق على الصفحة هي واحدة من وظائف المسودة. أما وظيفة المراجعة فهي إعادة صياغة هذه الأفكار والحقائق، وترتيبها، ودمجها، وتطويرها. وكما قال (دونلد موراى) أن إعادة الكتابة مثل مسح الأوساخ من على النافذة بممسحة، كلما مسحت أكثر، صارت الرؤية أوضح في الجانب الآخر، وهكذا فإن العملية الطبيعية بالنسبة لنا جميعا تقريبا، هي أن ننتقل بالتدريج من النثر الضبابي المتعثر نحو الوضوح.

تدريبات:

١ - لخص الفقرة التالية فيما لا يتعدى الثلاث جمل. واكتب الملخص بكلماتك، مع تضمين لجوهر الأصل، دون تشويه للفكرة الرئيسية.

«إن المتأمل لأعداد الجمعيات التعاونية، والخيرية على اختلاف أنواعها وتخصصاتها في العالم يشعر بحجم علامة الاستفهام القابعة أمام غياب تحقيق التعاون والخير، رغم هتافات تلك الجمعيات، والميزانيات المرصودة لها، خلاف التبرعات التي تجمع باسم الخير. ولا يرى المتأمل سوى احتمالين: الأول أن تكون علاقة الخير باللاخير في العالم هي علاقة المحدودة باللامحدود. حينها تكون النتيجة لا شيء تماما مثل إضافة نقطة ماء للبحر. أما الاحتمال الثاني فهو أن تكون في المسألة «أن» ليست ذات الأخوات، بل أداة النصب، أو بمعنى أدق النصب والاحتيال».

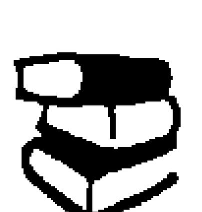
٢ - اختر قصيدة ولخصها.. بكلماتك الخاصة، مع الاحتفاظ بالمشاعر والإيقاع الموجودين في القصيدة، بالإضافة إلى أسلوب الأفكار.

٣ - افترض أنك تكتب تقريراً حول علاقات في محيطك، أو أي موضوع آخر، وتجري مقابلة مع أحد المعنيين، اختر الجمل الأكثر أهمية لتضمنها نصا، ثم لخص الباقي فيما لا يزيد عن جملتين.

٤ - من السهل أحيانا أن تتبين الأخطاء في أوراق الآخرين أكثر مما تفعل في ورقتك، اختر فقرتين أو ثلاثا من مسودة أولى لشخص تعرفه، ثم أعد كتابتها من خلال إعادة ترتيب ما هو ضروري. وحذف التفاصيل الزائدة، وتلخيص الأجزاء الأخرى ذات العلاقة ودمجها. بحيث تركز الورقة على موضوعها الرئيسي.

* * *









كتابة مخطوطة محترفة

قـالت طالبة لأسـتاذها الذي انتـهى من تقويم امتحـانها: أعتـقد بأنك غير عادل، وحاسـبتني على نسيان الفواصل، والأخطـاء الإملائية، والنحوية ولـم تنتبه إلى أفكاري. وقـالت أنت الذي تقـول بأن المحتوى هـو الأكثر الأهـمية، والذي ينبغي أن نفكر فيه. ولكن عندما يـصل الأمر إلى ورقتي فلا تفحصها مثلما يفعل جميع مدرسي اللغـة الآخرين؟! فسألها الأستاذ عن شعورها لو أنها اشترت سيارة جديدة، ووجدت أن المكيف به سلك غير موصل، ومقبض الباب الأيسر مكسور، ومسَّاحـات المطر مفـقودة. هل ستـعتبر مـثل ذلك: «فحص» مبـالغ فيه؟ أم أنها ستشعر بأن الشركة المصنعة لم تكن مسئولة بالقدر الكاف.

تعد الأفكار التي تعـبر عنها في أوراقك العـنصر الأكثر أهميـة تماما مثلما يحكم على السـيارات كمنتج بشكل عام، ولا يـحدد حجم المحرك نوعيتها فقط. وتظهـر مثل هذه المشكلة لدينا ككتاب، حيث تـبدو الأفكار التي اكتشفناها مثيرة، وتطغي سعادة التعلم على ساعات من ألم القراءة وتـسجيل الملاحظات في المكتبة. ونعتقـد بأن قراءنا يـجب أن يشعـروا بنفس القـدر من المتعة، وبـنفـس القدر من السعادة. وقد يتصور الـبعض أن الطاقة المستهلـكة في تجميع ورقة أساسية، تجعل أموراً مثل تـفاصـيل الإملاء، وعلامات التـرقيم غيـر مهمـة. إلا أن دور القارئ مختلف بشكل واضح، فهو لن يفعل شيئا سوى قراءة الصفحة. فإذا كان عليه أن يدرس كل جملة مـرتين لأن الترقيم مربك أو مـحذوف. أو عليه أن يتوقف لكي يخمن الكـلمات غريبة الإملاء. فإن انتباهه سـيتشتت دون شك ويبتعد عن المعنى

إلى الآليات. والأسوأ من ذلك أن يمل القارئ ويصبح ساخطًا. مثل صاحب السيارة التي صنعت وتصدر منها أصوات خفية، وربما يتجاوز قارئ الورقة المكتوبة بكسل نقاط القوة، ويشك في وجود أخطاء.

ويحتاج الحل إلى وقت، لكنه سهل. فيبذل جهد أخير، من خلال تصحيح مخطوطتك فيما يتعلق بكل جانب من التفاصيل يكون المسئول عنها أنت، وتضمن تركيز القارئ على العنصر الأكثر أهمية، وهو أفكارك. وتتضمن هذه المرحلة الأخيرة، والإجبارية من التدقيق، بضعة خطوات أساسية، حيث تجد، في الغالب أنه من الضروري أن تدقق النحو، والاستخدام والإملاء وعلامات الترقيم، قبل أن تطبع نسختك الأخيرة. ليصبح الاهتمام بصياغة المخطوطة وتدقيقها آخر الخطوات التي تجريها في عملية الكتابة.

ويتناول ما يلي من العناوين، بعض العناصر المهمة مما ينبغي أن تكون ملمًا بها، وهو لا يغني عن مراجعة النحو وآلياته في كتاب من الكتب الأساسية في هذا المجال.

علامات الترقيم

تهدف علامات الترقيم إلى توفير رموز، تخبر قارئك من خلالها طريقة قراءة جملتك. أما «قواعدها» فهي عادات متفق عليها، مثلما تم الاتفاق على أن تكون القيادة على جانب من الطريق، وإذا ما كسرت العادات، تكون المخاطرة، رغم شعور الذات بالجرأة.

الفواصل (،)

١ - استخدام الفاصلة بين الجمل التي يتركب منها كلام تام الفائدة. مثل: إن الشخص التقي، يخاف الله، ولا يؤذي أحدًا.

٢ - وبين الكلمات المفردة المتصلة بكلمات أخرى تجعلها شبيهه بالجملة مثل: «ولله ما في السموات، وما في الأرض».

٣ - وبين أنـواع الشيء، وأقسامه، مثل «أدوات النداء وهي: يا، أيا، هيا، أي، الهمزة».

٤ - وبعد لفظ المنادي. مثل: يا علي، كن طموحًا.

الفاصلة المنقوطة (؛)

١ - تـوضع الفاصلة المنقوطة بين الجـمل الطويلة مثل (إن الناس لا ينظرون إلى الزمن الذي عمل فيه؛ وإنما ينظرون إلى جودته).

٢ - بـين جملتين إحـداهما سبب في حـدوث الأخرى. مثل: إني لصادق فيما أقول؛ إذ لا أعرف الكذب إطلاقا.

النقطة (.)

توضع بعد الجـمل التامة المـعنى. مثل: «لكل عـالم هفوة». و«لكل جواد كبوة».

النقطتان (:)

توضع بين المجمل وما يفصله مثل: الكلمة: اسم وفعل وحرف.

علامتا التنصيص (« »)

توضع بين علامتي التنصيص، ما ينقل بنصه من الكلام.

الشرطة (-)

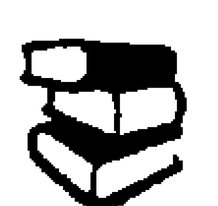
توضع الشرطة بعد العدد في أول السطر مثل: هناك عوامل عديدة منها:

١ -

٢ -

الشرطتان (- -)

توضع بين الشرطتين الجمل والعبارات المعترضة مثل: علينا - أبناء العرب - أن نوحد صفوفنا.




القوسان ( )

يكتب بين القوسين الجمل المعترضة التي لا ترتبط بالسياق. مثل وصية عمر (رضي الله عنه) للأشعري.

الهمزة وأنواعها:

الهمزة حرف لا صورة له في الخط. وإنما تكتب بصورة الألف أو الواو أو الياء. والهمزة أنواع منها:

(أ) الهمزة في أول الكلمة:

وهى التي تكون من أصل الكلمة (أمن، أخذ، ..) وهمزة المخبر عن نفسه: وهى التي تكون في أول الفعل المضارع المسند إلى المتكلم المفرد (أفهم، أدرس، ..) وهمزة الاستفهام (أزيد مريض؟).

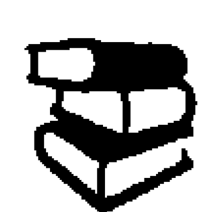
وهمزة النداء (أزيد). وهمزة الوصل: وهى همزة ملفوظة على ألف زائدة يؤتي بها للتخلص من النطق بالساكن في أول الكلمات أما إذا كانت مسبوقة بحرف أو كلمة. فتسقط لفظا وتكتب ألفها كما في (اسقني) وهمزة الوصل أو همزة القطع: وهي التي تأتي أول الكلمة وفى وسطها ملفوظة ومكتوبة مثل (الإثنين، أفهم، لئن...)

(ب) الهمزة المتوسطة:

وهي التي تكتب على حرف يناسب حركتها، وحركة الحرف الذي قبلها. وأقوى الحركات الكسر، وتناسبه النبرة أو الكرسي كما في (لئن). ويليه الضم وتناسبه الواو (ؤ) ويليه الفتح وتناسبه الألف (أ). ويليه السكون وهو أضعف الحركات وتناسبه أن تكتب الهمزة منفردة (ء).

وتكتب الهمزة المفتوحة المسبوقة بألف ساكنة على السطر، مثلما في (قراءة، إساءة، تضاءل، بناءان).

بينما تكتب الهمزة المفتوحة أو المضمومة المسبوقة بواو ساكنة على السطر على نحو (السموءل، نبوءة، موءودة).





أما الهمزة المتحركة المسبوقة بياء ساكنة فتكتب على نبرة مثل (هيئة، دنيئة، بريئة).

وإذا جاءت الهمزة المنفردة المنونة تنوين نصب بعد حرف انفصال تركت على حالها ورسمت بعدها الألف، على نحو (جزاءا، ضوءا، درءا) إما في حالة تنوين النصب بعد حرف اتصال كتبت قبل الألف على نبرة مثل (بطئا، عبئا، دفئا).

(ج) الهمزة المتطرفة:

التي تكتب على الحرف قبلها، ولا تؤخذ حركتها بعين الاعتبار. مثل (الهادئ، اللؤلؤ، الملأ).

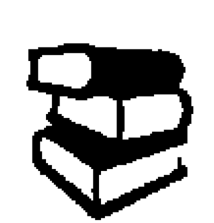
اتساق الزمن

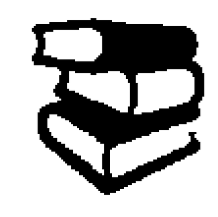
ستكون متابعة القارئ، عمومًا، أوضح لمناقشة ما، إذا كانت أزمنة الأفعال متسقة. فعندما تبدأ في الزمن الماضي، ابذل جهدك لتبقى فيه، ما لم يكن هناك سبب منطقي للانتقال إلى زمن آخر. وإذا بدأت بالزمن الحاضر، حاول أن تظل فيه. ومن الطبيعي أن تكون هناك أحداث عندما تكون الانتقالات في الزمن ضرورية إلا أن الانتقالات الفجائية هي التي تسبب الخلط.

وفيما يلي المثال:

«كان الرجل يمشي بمحاذاة النهر، عندما وجد طفلا حديث الولادة ملفوفا بغطاء ممزق ومرميا على الأرض في جو قائظ، سينحني الرجل حتما، ولن يقاوم بكاء الطفل الرضيع، فهو ابنه، بحكم الرعاية، رفعه ومضى به ولا يلوي على شيء..».

يصاب عقل القارئ، عند هذه النقطة بالدوار: ماض، ومضارع، ومستقبل - أين نحن؟ بدأت الفقرة في المثال السابق، بالماضي، وتوقعت ما سيحدث مسبقا، وعادت إلى الماضي.





وفيما يلي بضع وصايا حول اتساق زمن الفعل:

١ - استخدام، إن أمكن، نفس الزمن في الفقرة الواحدة كلها.

٢ - استخدام، أن أمكن، نفس الزمن في المقال كله (مع مراعاة وجود أوقات، تحتاج فيها إلى وصف حدث من فترة زمنية أخرى، يكون فيها الانتقال الزمني أمرا ضروريا).

٣ - عندما يكون الانتقال من زمن لآخر أمرا لا بد منه، نبه القارئ إلى ذلك من خلال الانتقال إلى فقرة جديدة، أو باستخدام نقلة قوية.

استخدام الضمائر

ولنفس سبب تمسكك باتساق الزمن، وزمن الأفعال، يتطلب منك المنطق أن تتمسك باستخدام محدد للضمير، سواء كان متكلما - الشخص الأول - أنا، أو نحن، أو أعتقد، أو نعتقد - أو الشخص الثاني - أنت - أو الثالث، هو، هي، أو أحدهم..)

مثل: «إذا لم تستطع العمل في فترات التوتر النسبي، فإن على المرء أن يراجع تصرفات طفولتك وأفكارها. فقد ينطوي على نفسه، وربما يبكي، وتستطيع أحيانا رؤيته في سورة غضب».

وذلك لأن التحول من شخص لآخر يصرف انتباه القارئ ويمزق وحده الكتابة. ومن الأفضل أن يستخدم نفس الشخص، في كل الفقرة وفى كل المقال، إن أمكن وقد يعترض البعض على استخدام الشخص الثاني (أنت) لأن القارئ ربما لا يرى أهمية لمشاركته، كما في المثال السابق. بينما يعترض آخرون على استخدام الشخص الأول (أنا) بحجة أن ذلك عادة ما يضلل الكاتب غير الخبير فينشغل بمناقشة أموره أكثر من مناقشته للمادة. وهكذا غالبا ما يصبح الشخص الثالث (هو) الأكثر أمنا في الاستخدام، ولا سيما في الكتابة الرسمية.

هذا، وينصح في حالات كتابة الرسائل الجامعية، أو البحوث العلمية ألا يكثروا من استعمال ضميري المتكلم والمخاطب، وأن يلاحظوا - إذا استعملوا ضمير المتكلم - التواضع والأدب الجم، فالحديث عن النفس غير محبب.





استخدام الكلمات

بتأثير العادات والتقاليد الطويلة، صارت بعض الكلمات وبعض المقاطع مقبولة، ولا غبار عليها اجتماعيا في الكتابة الرسمية، كاستخدام كلمة أجنبية بحروف عربية، مثل كلمة «الكمبيوتر» أما الأخطاء فقد تعد دليلاً على التجاهل. فيستطيع المرء مناقشة مدى صحتها وإن ظلت كما هي.

الاختصار

تكون الاختصارات مقبولة وفعالة بالنسبة للمقالات الشخصية وأنواع أخرى من الكتابة غير الرسمية. ولكنها ليست كذلك بالنسبة للأوراق الرسمية الجادة التي تتناول فكرة ما أو قيمة معينة في ورقة دراسية بحثية، ما لم يجر العرف على ذلك. مثال:

ق م = قبل الميلاد

م = التاريخ الميلادي

هـ = التاريخ الهجري

الفقرات

الفقرة هي مجموعة جمل تعرض فكرة واحدة، وإن كانت في بعض الأحيان تقتصر على جملة بعينها، كأن يطرح الكاتب فكرة ما أو يرغب في أن يعطي فكرة ما تأكيدا معينا، ومن ثم يدعمها وحدها ثم يطورها في الفقرة التالية.

ويتوافر في الفقرة الجيدة ما يتوافر في الكتابة الجيدة. فكما تتوخى الوحدة في الموضوع الواحد، تتوخى أيضًا ذلك في الفقرة أيضًا. فعادة ما تعالج الفقرة فكرة مركزية تقرر في جملة، تسمى الجملة الرئيسية، وغالبًا ما تكون الجملة الرئيسية في البداية حيث يتعرف القارئ أو السامع على ما يريد الكاتب قوله. هذا، وقد تنازل بعض الكتاب المعاصرين عن تمسكهم باستخدام جملة واحدة مهيمنة، وصار ترابط الفقرة من خلال النغمة أو الاتجاه، أو الصور ذات العلاقة،

أو الأفكار المرتبطة ببعضها، أو القوائم المدرجة، أو المفاهيم. وسواء استخدمت جملة رئيسية واحدة أو بعض العلاقات «المتضمنة»، فلا بد من وجود وحدة ترابط. حيث ينبغي أن تكون جميع الجمل وجميع الأفكار من خلال النغمة، أو الصورة الظاهرة في نفس الفقرة، مترابطة بوضوح، وذات وحده وشكل منطقين.

وفيما يلي نموذج لفقرة ضعيفة:

«لا يصدق معظم الرجال في الغالب أن تدخين سجائر (مارلبورو) تجعلهم أكثر رجولة. وليس لديهم الكثير من الإعلانات حتى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية حسبما يقول (عصر الإعلان). ما الذي يحاول الإعلان أن يفعله؟ أحدث الإعلانات لـ (كورفيت) تظهر صور لثلاث فتيات بلباس البحر يلعبن الكرة الطائرة على البلاج مع سيارة تقف خلفهن. ويتحتم عليك أن تنظر من خلال الفتيات لترى السيارة. كتب (فانس باكارد) كتابا حول الضغوط الخفية في الإعلانات التي تحاول أن تجعلنا أفضل إذا ما اشترينا فرن تحميص جديد».

وهذه الفقرة تفتقد الترابط والوحدة. حيث ترتبط جميع الجمل بالإعلانات، لكنها لا ترتبط ببعضها. ولهذا تخلو الفقرة من التركيز على الفكرة التي ستدور حولها الأفكار الأخرى.

وهنا نموذج لفقرة قوية:

«يبدو أن للإعلانات هدفين: الأول إغرائنا بالنظر إلى الإعلانات أو قراءتها. وثانيًا تقنعنا بطريقة ما، بأن حياتنا ستكون أفضل بمجرد أن نشتري المنتج المعلن عنه. وقد أظهرت إعلانات (كورفيت) الأخيرة ثلاث فتيات بلباس البحر تلعبن الكرة الطائرة على البلاج مع سيارة تقف خلفهن.

وكان من الواضح أن وظيفة الفتيات الوحيدة هي جذب انتباهنا إلى الإعلان. بينما تتحدث الكلمات على الصفحة عن ناقل الحركة، وقوة المحرك، والإشعال الإلكتروني. وليس الجنس، وان كانت العناصر الجنسية يمكن ربطها بطرق غامضة بالسيارة. وفي نمط مشابه، صدر إعلان مؤخرا (لمارلبورو) أظهر

جبلا أخضر رائعـا مع (كوبوي) ذا رجولة واضحة يمتطي جواده. ومن الواضح أن الـهدف ليس بيع عـقارات أو جيـاد، بل جذب انتـباهنا. وتـبدو الكـلمات على الـصفحة على نفس قـدر أهمية الحقـائق. وفي كلتا الحالتـين، وفي جميع الأمثلة الأخرى تقريبا نرى نـفس النمط: جذب انتباه القارئ، ثم الإعلان عن سلعة تبدو حقيقية، مع شعور يجعلك تعتقد بأن شراءك للسلعة سيعزز صورتك، إن لـم يعزز حياتك كلها».

هنـا لدينا جملة تـركيز واضحة متبـوعة بحقائق مدعمـة وتفسير. والأفكار جميـعها مرتـبطة بالجمـلة الرئيسـية في البدايـة. وينهي القارئ الـفقرة مع شعور بتماسك الفقرة وترابطها المنطقي.

شكل المخطوطة

ليس من الصعب إعداد مـخطوطة محترفين، ولا توجد طريقة وحيدة لعمل ذلك، بل هناك العديد من الأعـمال والمهن، التي تتطـلب اتباع أسلوب معين في الأوراق المقدمـة، ويمكنك الإطلاع عـلى عدد لا محدود من المـكتبـات العامة أو الخاصة أو الكتب التي تتحدث عن طرق كتابة الأوراق في مجالك.

تصحيح «البروفة»

يعني مـصطلح البـروفة، الذي يسـتخدمه الناشـرون، ورقة تجريبـية للمادة المطبوعة. تراجع بمقارنـتها بالمخطوطة الأصلية، وتجـري عليها التصويبات. ولكي تصحح البروفة، علـيك أن تفحص الأخطاء التي حدثت أثناء نقل مقالك من آخر مسودة إلى الـصفحة المطبوعة. وهنا، ليس المطلوب منك مراجعة الأخطاء النحوية والإملائية وعلامات الترقيم في أصل مـقالك، لأن المفروض أن تكون جميعها قد صححـت في مسودات سابقة. ولكن من الواضح أن هناك أخطاء في الإملاء وفي علامات الترقيم، حدثت مرة أخرى أثناء الطباعة.

وربما تكون كلمات أو مقاطع قد حذفت دون قصد. فمهما كانت الأخطاء، تـظل مسئوليـتك أن تجرى الفحص النهـائي، سطر، إثر سطـر، لتصوب الأخطاء الأصغر، ولا سيما إذا كان شخص آخر من طبع ورقتك.




١ - اقرأ ما كتبته بالفعل، وليس ما تعتقد أنك كتبته. وقد يتطلب هذا مرور بضع ساعات على الأقل أو بضعة أيام بحيث «تبرد» الورقة، ثم تستطيع أن تطور موضوعيتها.

٢ - اقرأ بصوت مسموع، فالآذان تلتقط الكلمات أو المقاطع المفقودة، وتتحرى أحيانا الترقيم غير الصحيح حين لا ترتاح إلى الإيقاع.

٣ - افحص أخطاء الإملاء من اليسار إلى اليمين أو من الأسفل إلى الأعلى، حيث يستطيع العقل أن يركز على الكلمات وحدها، دون الاهتمام بالسياق.

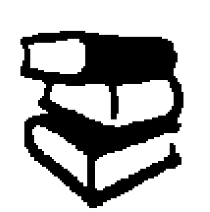
هل يبدو هذا كثيرا؟ ليس أكثر من توقعاتنا من الطبيب ألا ينسى المقص داخل بطن المريض بعد الجراحة، ولا من السباك ألا يترك أنبوبة دون توصيل. ولا من المحامي ألا يحذف اسمك من قائمة عمتك الغنية في آخر وصية لها.

الأخطاء دائما تحدث، وجميعنا معرضون لارتكابها، ولكن حقا لنا وعلينا طلب أعلى مستوى ممكن مما هو متوقع.

تدريبات

فيما يلي فقرتان تحتاجان إلى بعض التصويب.

١ - «يعني الأصدقاء ما يقولونه عندما يشيرون إلى أن ما تخاف منه موجود في خيالك وحسب. ولكنك تعرف كما أعرف هذا النوع من الدواء ضد الخوف لا يشفى مطلقا. ربما يعطينا هدوءاً مؤقتا ولكنه لا يبنى ثقة في النفس ولا يعالج الخوف. الخوف حقيقة وهو عدوك الأول، يمنع الناس من التقدم في الحياة ويضيع عليهم فرصًا ثمينة ويجعلنا نصاب بأمراض في معدتنا وجميع أجزاء جسدك بينما يكون الخوف في الواقع ليس سوى قصور في الثقة في النفس فإذا عززت ثقتك بنفسك لن تخاف».




٢ - «لكي تصبح مهما قم بالخطوات التالية:

* ليكن مـظهرك مهم، فالمظهر يساعـد على أن تفكر بأنك مهما حقا. ولنرفع هنا من روحنا ونبنى ثقتنا بنفسنا مع ما نلبس.

* كن على يقين بأن عملك مهم ولابد أن تعطيه من الاهتمام ما يعادل ذلك الشعور فلنتقن عملنا.

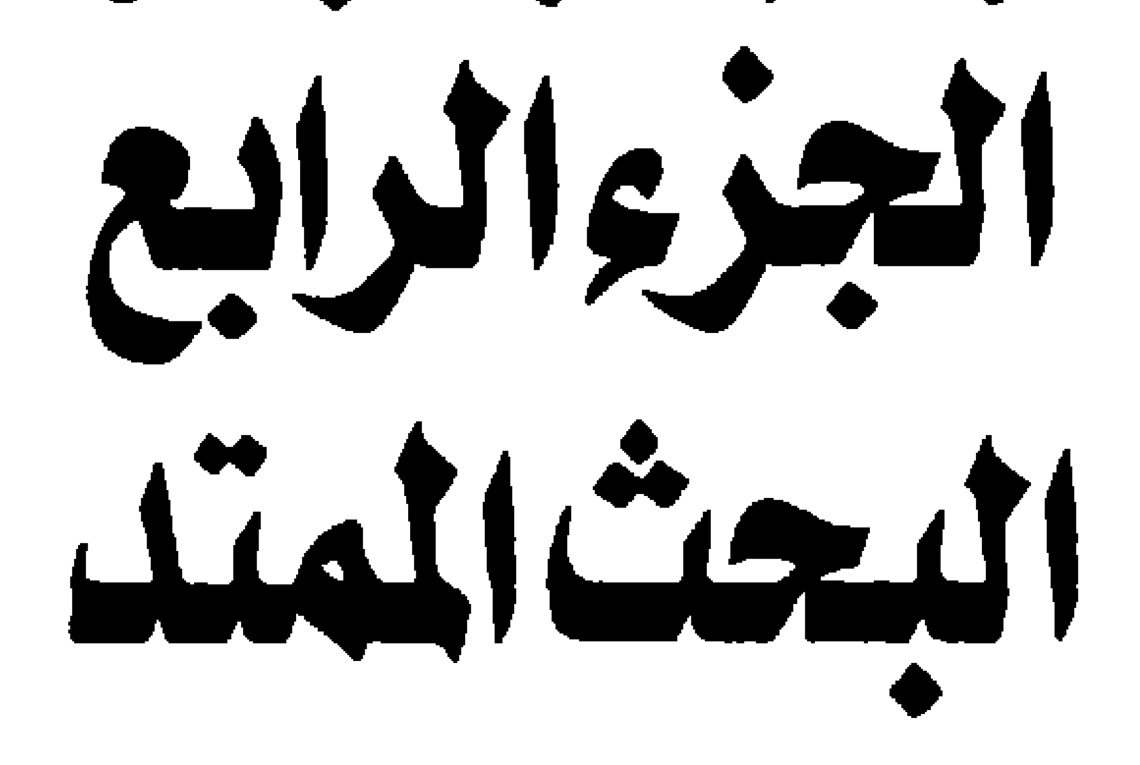
* تحـدث مع نفسك يـوميـا عدة مرات حـول أهمـيتك وأنك شخص يستحق أفضل مـعاملة وأفضل شيء في الدنيا. في كل موقف يمرك بك أو تـمر به اسأل نفسك كيف يـتصرف الشخص المهم، ثم افعل ما يمليه عليك ضميرك».

تم الرجوع في هذا الفصل إلى:

ملخص قواعد اللغة العربية، فؤاد نعمة - المشار إليه سابقًا.

كيف تكتب بحثا أو رسالة، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية.

* * *



«نحن نتسرع ونفترض أن الملاحظة تأتي بالفطرة، وبأننا ولدنا ملاحظين بطبيعتنا، ولكن الحقيقة هي أن معظمنا ولد كسولا، حتى صارت ملاحظة ما هو أبعد من الضروري في الحياة تتطلب جهداً عظيماً. والنتيجة هي أننا نعيش في عالم لا نعرف عنه أكثر مما يعرف كلب، أو قط: نحن ألفنا بضعة أمور نظراً لارتباطنا الطويل بها: ولا نعرف العديد من الأمور الأخرى، ولكن بقدر ما تمضي بنا ملاحظتنا العلمية لها، يمكن أن نقول بتحفظ أن لدينا فضولاً».

(إيه.إي.أوريج)



رؤية ما وراء السطح

«التخيل أكثر أهمية من المعرفة، لأن المعرفة محدودة، بينما يعانق الخيال العالم بأكمله»

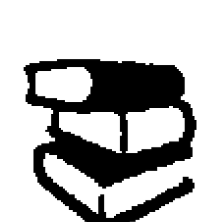
(ألبرت أينشتين)

كان الأخوان (كاثي وديـفيد ميشيل) لا يزالان في العـشرينيات من عمرهما عندما حـصلا على درجة الماجستـير في الصحافة من جامـعة (ستاندر). وبعد أن احترفا الـعمل الصحفي سنـوات عديدة بأجر زهيد، في مـناطق ما بين (فلوريدا) و(إيوا)، انتهـزا فرصة شراء صـحيفة أسبـوعية صغـيرة في شمال (كالـيفورنيا). وبـحماس متجدد عملا أربع عـشرة ساعة في اليوم، حـيث راحا يجمعان قصص اجتمـاعات مجـلس إدارة المدرسة المحلـية، وأصحـاب مربى الماشـية، وغيرهم، ويـكتبانها، وهمـا يعيشان في غرفة خلـفية وحيدة هي مكتب الـصحيفة، ويناما على سرير كنبة.

وفي نفس ذلك الوقت، وعلى بعد بضعة أميال، لفت انتباه الناس مركز من أكبر مراكز البلاد لإعادة تأهيل مدمني المخدرات، بعد شرائه مسدسات بستين ألف دولار وذخيرة بـ ٣,٨ مليون دولار. وبشكل طبيعي ترك الشابان الولاية والأخبار المحـلية وانتقلا إلى (سان فرانـسيسكو)، وأمر مـا، نبه (كاثي ميشيل) إلى ضرورة مطاردة هذه القـصة. وهكذا بدأ (ديفيد) يتقصى، وعرف عدداً من الحقائق التي لا تصدق.

فما بـدأ منذ بضع سنوات سابقة كعمل ناجح وكبير، ومركز محترم لمساعدة مدمني المخدرات، صــار مجتمع أسـلوب حياة بـديل بمدارسه، وعيادته الـطبية، ومـحاميه، وشرطته الداخلية أيضا. لـقد توسعت المنظمة من خلال فتح مراكز في اثنـتي عشرة ولاية وبضـعة بلدان أجنـبية، ولكن بدأ الأخـوان بكشف الغطاء عن قصة أكـثر أهمية، تتعلق باتـهامات إيذاء الأطفال والضرب والـسيطرة الكلية على الدماغ، وتراكم مدهش للثروة من جراء التعامل مع الأعمال المعفاة من الضرائب، وحتى بعـد تحريـات فوقيـة واسعة، رفض المسئولون المحلـيون الـنظر في تلك الادعـاءات. وما أحبط الشـابين بصـورة أكبر أن صحـفًا أخرى تجاهـلت القصة، وبدت خائفة من التحقيق، ولا سيما بعد أن هدد ثمانية وأربعون عضوا من مكتب مركـز التأهيل القانـوني برفع قضية تـتعلق ببضعـة ملايين. ولم يكن لدى الاثنين سوى شجاعتهما وإيمانهما بالحقيقة التي جعلتهما يستمران.

وللسـنة التالية، طرق الشابان (صاحبي الجريدة) الموضوع وحدهما، وفحصا آلاف الخيوط، وتحدثـا إلى المسئولين في البلاد وحكـومة الولاية، وكشفا سجلات مالية، وأجريا مئات من المكالمات الهاتفية، ولم يتركا ورقة مطبوعة إلا وتم التحقق منهـا من مصدر آخر. وعند بـضع نقاط من البحث بدت القـضية في طريقها إلى الموت، وشعرا بأن ما لديهما ليس سوى شكوك. ولكن اقترح عليهما بعض القراء الاستـمرار في المثابرة، واستمرا في حضـور دعوات الأفراح المحلية وأعياد الميلاد. وظلت تـلك الحقائق التي لا تصـدق تنمو على مـدار الأعوام. وعرفا أن الأطفال الملتـحقين بالمدرسة الخاصة التابعة لـلمركز يهربون بمعدل ٣٠ طفلا كل شهر. وأن بعض من الأعضاء السابقين في المركز وحتى السائقين العابرين عادة ما يعاقبون من خلال أشخـاص مأجورين، حيث تحـلق رؤوسهم ويرتدون المـلابس الزرقاء. كما ادعى بعض الأفـراد أنهم اختطفـوا وبقوا على غيـر إرادتهم، ولا أحد يهتم بهم. وبدا كل ذلك صـعب التصديق - حتى إن محامـيًا من (لوس انجلوس) كان يعمل قاضيًـا لمركز إعادة التأهيل لمصلحة عمـيل قتل تقريبًا، حيث ألقى اثنان من أعضاء المنظمة ثعبانا في صندوق بريده.





من الصعب معرفة الحقيقة، ومن الصعب إثباتها، ولا نستطيع في أحسن الأحوال سوى أن نعمل في اتجاه الحقيقة الغالبة. يمكن أن يكون الفضول، والشك، والعقل المتفتح، بعض ما نحتاجه من اجل مطاردة حقائق ما وراء مجرد الحسابات السطحية، ولكن النجاح يعتمد في النهاية، فيما يبدو، على قدرتنا على تقييم الحقائق، وتفسيرها، وعلى رغبتنا ومثابرتنا على محاولة إيجاد نسق، ونمط ومعنى لتلك الحقائق المكتشفة. لم يكن كل من (كاثي) و(ديفيد ميشيل) مسئولين عن كشف مراكز إعادة تأهيل الإدمان، فحسب، بل كان عنادهما وشجاعتهما في مواجهة مثل ذلك الصراع الساحق جعلهما يفوزان بجائزة الخدمة العامة، وكانت تلك هي المرة الرابعة فقط من تاريخ الجائزة التي تقدم فيها لجريدة أسبوعية.

وهكذا، قد يمضي بحث جاد في مادة ما إلى ما هو أبعد من مجرد كتابة تقرير، ووراء ملاحظة الحقائق، أو الاستماع إليها، أو جمعها. فالبحث يعني أن تطارد التفاصيل بطريقة تبدأ بفهم نمطها أو ربطها بما يمكن أن يقترح معنى معقولاً. وعلى الرغم أن هناك عديداً من طرق تنظيم التحقيق فيما يتعلق بالحقيقة الغالبة، إلا أن هناك ثلاث مراحل عامة أساسية بالنسبة لعملية التحقيق وهي: حصر تركيزك على نقطة واحدة، يمكن التعامل معها من المادة، ومطاردة الحقائق، أو الآراء المهمة، واختيارها، ثم تفسير النتائج.

حصر التركيز

تعمل عينيك كعدسات لخيالك. ولديك القدرة على رؤية كل شيء والتركيز على أحد تفاصيله الدقيقة. وقد وجد الكتاب الناجحون أن العمل الأكثر فاعلية والأكثر أهمية، عادة ما يكون مركزا ومحددا على نقطة أو اثنتين فقط من مجالات محدودة من مادة أكبر. وعلى هذا، لم يكتب الأخوان (ميشيل) عن «إيذاء المخدرات في أمريكا».

ولكنهما ركزا على مركز إعادة تأهيل متعاطي المخدرات القريب منهما. وبحثا دون كلل جميع الأنشطة الصغيرة، كل حدث وكل حادث. وعلى الرغم من أن نتائج عملهما تمخضت في النهاية عن معلومات كافية لتملأ كتابا، إلا أن اهتمامهما لم يتحول إلى موضوع آخر.




ربما تكـون أغلب الموضوعات التي تسند إليك، إن لم يكن جميعها، واسعة التـناول، ولكي تـتعامل معـها بنجـاح، درب نفسك عـلى أن تحلل الموضوع إلى مكوناته الأصغر، لكي تركز على جزئية واحدة أو اثنتين فقط.

وفيما يلي مثال على كيفية البدء.

واجب

ابحث موضوع السكن الداخلي في كلية ما.

كما هـو واضح أن الموضوع كبير ومتشعب؛ ولهذا ينبغي تجزئته إلى مكوناته الأساسـية مثل: المبـاني، ومرافق الطلاب، ومبـنى السكن، والحياة الاجـتماعية، والـتقالـيد، والـقواعـد، وشروط الـسكن، والإدارة، والتـكالـيف، والصـيانة، والإشراف.

ثم اخـتر مجموعة واحدة وقسمها إلى مكـونات مختلفة. فإذا اخترت الحياة الاجتماعية، على سبيل المـثال فسيكون أمامك: الأفلام، والأنشطة، والرحلات، حمام السباحة، النفقات، وغيرها.

وبهـذا تكون لديك مادة كافيـة لدليل صغير. فإذا كـنت تريد كتابة مقال أو تقرير، من الأفضل أن تفكر مرة أخرى. وتركز على منطقة واحدة بعينها. ويمكنك أن تبـدأ بطرح أسئـلة محـددة يمكن أن تؤدي إلى حقـائق، تقود إلى اسـتنتاجات معقولة.

وفيما يلي مثال:

واجب:

اكتب عن عادات وتقاليد بلاد ما.

أولا؛ جزِّئ الموضوع إلى مكونات أساسية مثل:

نوعية الأطباق، مراسم الزواج، مراسم العزاء، الأزياء، العلاقات الأسرية.

ثم اختر واحدة من المكونات الأساسية المدرجة سابقًا وحللها إلى أجزاء أصغر. فإذا اخترنا مراسم الزواج، مثلا، فسوف يكون لدينا عددًا من الموضوعات مثل: الخطبة والمهر وشقة الزوجية ومراسم الاحتفال والأزياء والأيام التالية للزواج، وتلقى التهاني وسوى ذلك.

وأخيرًا التركيز على واحدة أو اثنتين من المكونات الصغيرة السابقة والتوسع في البحث عنها من خلال طرح أسئلة مثل:

* من الذي يصحب العريس في زيارته للخطبة؟
* ما الذي يتوقعه والدا العروس من المتقدم للخطبة؟
* كيف يحدد المهر وتوزع الالتزامات؟

وقد تتطلب إجابات بعض الأسئلة البحث. وربما تظهر حاجة إلى مصادر مكتوبة، ربما كتاب في التاريخ، أو آخر في علم الاجتماع أو في علم النفس. وقد لا تجد حقائق ملموسة بالنسبة لبعض الأسئلة مطلقا. وربما تحتاج إلى أن تعتمد على الاستنتاج والرأي. ولكن غالبا ما يمكن الوصول إلى الحقيقة، بالإصرار، والعزم الكافيين.

مطاردة التفاصيل واختيارها

تعاملت نصف فصول الكتاب السابقة تقريبًا مع مطاردة تفاصيل معينة، واختيارها. ومن الممكن أن تطبق أية طريقة أو أسلوب من الطرق والأساليب التي تمت مناقشتها سابقا، عند نقطة ما، أثناء تحقيق أي مادة. وغالبا ما يكون من الأفضل أن تحتفظ بها جميعا في عقلك، وتختار منها إذا ما تطلبت طبيعة المادة نفسها ذلك.

* **ابحث عن العناصر الخمسة:** فكر في العناصر الخمسة كأكثر الأساليب استخداما في كتابة المقدمة. من؟، ماذا؟، أين؟، متى؟، ولماذا؟ أسئلة تطبق على كل مادة بشكل عام.

* **ابحث عن التغيير**: ربما يكون التغيير عنصراً مفتاحياً. لماذا يحدث التغيير أو لا يحدث؟ من يتأثر بالتغيير؟ متى سيحدث؟ كيف سيجري؟

* **ابحث عن التباين**: ربما يقود التباين، أو الصراع، أو الاختلاف، أو المعارضة إلى مركز القضية. لماذا يوجد صراع؟ ومن أين نشأ؟ ومن المتورط فيه؟ وأين بدأ ومتى؟

* **ابحث عن النتائج**: كيف تؤثر واحدة على الأخرى؟ أي من الحقائق ستكون ذات اثر أشد خطورة؟ من المتأثر؟ متى سيأخذ الأثر مكانه؟ وماذا ستكون النتيجة؟

* **ابحث عن توصيف التصرفات الأساسية**، والحديث، أو الوثائق المكتوبة، والخلفية، وردود الأفعال أو الآراء والوصف المادي أو البيئة، فجميعها (عندما تكون ملائمة) تساهم في النمط الكلي لأي قضية أو حدث تقريبا.

* **ابحث عن عناصر المشهد**: العناصر الملموسة، والمحسوسة للمشهد هي عناصر الحياة. وتوجد مواد التحقيق في عالم حقيقي، وفي مكان ومع وضع موجود في إطار زمني ومع أناس لديهم غرض أو دافع. ولا يعني البحث الموضوعي عن الحقيقة أننا نهمل العالم المحسوس من أجل الاختصار. انظر إلى مادتك في وضعها الحقيقي، وفي سياق عالمها الخاص، من أجل أن تفهم، ويفهم قارئك فهما كاملا.

* **ابحث عن الناس وراء المادة**: سواء من خلال الملاحظة، أو من خلال المقابلة أو البحث المكتبي، ضع عينيك على العنصر الإنساني؛ لكي تجعل الكتابة أكثر أمتاعا، وتضفي منظورا إنسانيا على القضية.

دور المشاعر

ينبغي أن تضيف إلى جميع الأساليب السابقة، بضع نقاط، حول الاتجاهات العقلية والانفعالية أثناء البحث. لقد سبق وأن رأينا أننا نحتاج، لكي نصل إلى

الحقيقة الغالبة، إلى أسلوب موضوعي. فلن يقود ما هو ذاتي، ونابع من ميل شخصي أو اتجاه انفعالي، إلى شيء، سوى إثبات ما يعتقده الشخص بالفعل. وهنا ربما نواجه تناقضًا، حيث جاءت أهم الاكتشافات وأفضل الكتابة من التورط المكثف، من المشاعر الشخصية العميقة بشأن المادة. فقد تقود الخبرة أحيانًا إلى الاعتقاد بأن الصوت الإنساني في الخبرة الشخصية يتحدث من منطلق الملاحظة الشخصية الصادقة ويرن حديثه في أذن القارئ. وما لم نكن قادرين على الشعور بالمادة، إلى جانب التعامل معها بموضوعية، لن نكتشفها بشكل كامل أبدا.

يجب أن تقترب من المادة بعقل مفتوح، ولكن بشعور مفعم بالحذر أيضا. وهذا ما يعني أن تكون حساسًا. فقد أجرى (بير كوري)، العالم الفرنسي مع زوجته (ماري كوري)، بحثا استمر عشر سنوات حول الكريستال، لأن الكريستال جميل، وقد تعلق الجمال بالتقدير الجمالي. أي أن الانفعال هو الذي دفع البحث الموضوعي وسانده. وفي حالة (كوري)، تكامل الانفعال مع الحقائق الموضوعية وأثرت عملية البحث. وفي مناسبات أخرى، ستجد أن الحقائق الموضوعية تتعارض مع الشعور الداخلي. وحينها لا تستطيع تجاهل الحقائق مطلقا أو تشويهها لمجرد ذلك، بل يجب أن تقدم الحقائق بشكل عادل ودقيق، بغض النظر عن مدى ألمها. ربما يتعارض الانفعال مع الموضوعية، وربما يتكاملان مع بعضها البعض. وفي كلتا الحالتين، سيعزز بحثك وتعزز كتابتك من خلال الالتزام المكثف الذي يوزن الميزتين بشكل فعال.

دور الخيال

لابد أن نقول أيضا إن الخيال ضروري لنجاح فعل البحث، فالعالم المدرب على التحليل واستخدام الطريقة المنطقية، على سبيل المثال، ربما يتبع منحني غير منطقي لكي يقفز من المخيلة نحو اختراق غير متوقع. وقد تبدو سنوات الدراسة التجريبية ليست ذات علاقة للوهلة الأولى، ولكن ما يحدث في الحقيقة هو أن هذا الإعداد المسبق يساعد على استخدام الحدس بشكل مثمر. لقد دربت عيونك ومرنت أذنيك على فهم تفاصيل محددة وحقائق معينة، وربما بدا ذلك غاية في

حد ذاته، إلا أنه لم يكن سوى إعداد لهدف أهم. فـمعرفة الحقائق لا يحل محل فهم معانيها مطلقا.

وفيمـا يلي ما كـتبه أحد الطلاب عـندما كـلف بإجراء بـحث حول مطعم الجامعة:

«يدخل الطلاب من الباب الجنـوبي. يتظمون في صف، ويبرزون بطاقاتهم الجـامعية. ويتناول الواحد منهم سكينـة، وشوكة، وملعقة، ومنديلا ورقيا وصينية من فوق الحامل. ثم يدفـع بصينيته نحـو طاولة الخدمة المصـنوعة من الألومنيوم، حيث يمكنه أن يخـتار صنفًا واحدًا من اللحـوم، وصنفين من الخضروات، وصنفًا حـلوًا وخبـزًا وزبدة، ونوعًـا من خمسـة مشروبـات أو ستة. ثم يـتفرق الطلاب لاختيار الطاولة التي يجلسون علـيها للأكل، وعادة ما تكون الطاولة التي تجمعهم مع أصدقائهم».

لا حاجـة لأن نستـمر. فهذا تـقرير موضـوعي بشكل مـفرط. كل ما قاله الكاتب يمكن التحقق منه من خلال ملاحظ آخر، وقد منع بنجاح أية انفعالات من التأثير على ملاحظاته. لكـنه لم يخبرنا بشيء اعتقد أنه مهم. لم يفعل سوى نقل الحقـائق بموضوعية دون اهتـمام لقيمـتها أو معناهـا. وكانت المشكلـة الحقيقية أن المؤلف لم يلتزم نحـو المادة، ولم يربطها بمخيلته. فـما أسهل ما تخطئ في طبيعة الموضوعية وتعتقد أن على عقلك أن يتصرف مثل الآلة، أو مثل كاميرا تسجل ولا تقيم.

ولكن فيما يلي ما كتبته طالبة أخرى حول نفس الموضوع:

«جلست الفتاة على طـاولة الغذاء وكتابين أسفل ذراعـها. لا تضم صينيتها سوى سلطة جبنة حلوم من الحجم الصغير فوق خس ذابل وبرتقالة يميل لونها إلى البني. وضعت أحد الكتـابين منبسطا بجانب صـينيتها. فتحت الآخر - نص عن السرطان - مسنـودا على الكتاب الأول بحيث يرتفع قلـيلا. حافة الصينية تمسك بصفحات الكتاب المفتوحة. دفعت بنظارتها الداكنة على أنفها بسبابتها. نظرت إلى

الطابور الذي لا يزال متبعثرا مارا بماكينة الحليب، ثم بدأت بتقشير برتقالتها وهي تقرأ في الوقت نفسه.

كانت تستخدم أظافرها لتحفر البرتقالة بينما تتفحص عيناها فصلا عن «الأورام الأولية المتعددة» وهي تقرأ كان العصير يجري من بين أصابعها وهي تلعق كل أصبع ببطء. ولا ترفع عينيها عن النص. وتدفع مرة أخرى بنظارتها إلى أعلى أنفها بسبابتها، ثم تبدأ بتفصيص البرتقالة، وتقضم كل جزء بأسنان صغيرة بيضاء. ورذاذ من العصير ينتشر على صينيتها. تميل على الصينية بنفسها بحيث لا يقع العصير على ثوبها. عيناها مثبتة على الكتاب. واضعة كل شريحة من البرتقال في فمها بشكل آلي.

أنهت الصفحة وقلبتها بسبابتها الرطبة. العنوان الفرعي «الورم القتاميني الضار» تمص شفتيها وتلعق أصابعها. تلقي نظرة سريعة على الصفحة التي أمامها وهي تتحسس بيد واحدة، تبحث عن شوكتها وتقلب جبنة الحلوم».

لقد بدأت الطالبة بوصف أيضا مثل الطالب الأول، ولاحظنا، أنها لاحظت الحقائق، ومع ذلك لم يكن عملها ممتعا فقط، بل تضمن معنى أكبر. لم تنقل لنا التفاصيل الموضوعية فحسب، بل بدأت الكتابة ولديها فكرة. فبدأنا نشعر بشيء حول طبيعة التعليم، وحول آثار التعلم عندما تصبح المشاركة مكثفة وعميقة، فرفعت متناقضات المشهد من وعينا. فقد نظرت الطالبة إلى حقائق مختارة (وتجاهلت الباقي) ومن خلال عينها بدأنا نكتشف العالم.

كتب (جون سياردي) وهو شاعر وكاتب مقالاً، ذات مرة يقول فيه: «الحقيقة هي أي شيء تتم رؤيته على أنه مهم بصورة مهمة. وتلك هي الأهمية التي تعلمنا شيئا عن قدرات حياتنا الخاصة. ففعل التفصيل عندما يأتي من خلال خيال الإنسان، يعني توضيح العالم». ولا أعرف طريقة أفضل لشرح هذه النقطة. فعين العالم وعين الشاعر ليستا بذلك الاختلاف، لأن كلتيهما تدرك العالم بمعرفة خيالية، وتختار التفاصيل وتزنها لقيمتها ولأهميتها، وترفض مجرد البرق بينما

تحتفظ بما يضيئ حفراً أعمق. فالحقائق لا تكون مملة وبلا حياة إلا عندما تدرك بعقل فاقد الترابط، وفاقد العلاقة الخيالية بالعالم الذي نعيش فيه.

تقييم وتفسير

يعني التقييم إصدار حكم على قيمة شيء ما. ويجب أن تقيم كل حقيقة حصلت عليها أثناء بحثك بناء على قيمتها. لذا يؤثر مصدر كل حقيقة، على قيمة الحقيقة بطرق مختلفة عديدة. أما التفسير، فهو من ناحية أخرى يعني توضيح أو شرح أهمية شيء ما. فعندما نقيم نحن نسأل عما إذا كانت الحقيقة جيدة على نحو ما أم غير جيدة وعندما تفسر، تسأل عما تعنيه الحقيقة أو عما تقترحه فيما يتعلق بالمادة ككل.

تقييم المصدر

قبل أن تستطيع تثمين قيمة الحقيقة، تحتاج إلى أن تفكر في مصدرها. فقد تلقى كل من (كاثي) و(ديفيد ميشيل)، على سبيل المثال، عشرات من المعلومات السرية من أصحاب رتب محلية، وكتاب في مكاتب البلدة، ومندوبين ووجهاء ممن يعتقد أنهم غطاء لمسئولين أعلى. وأثبت كل من هؤلاء الأفراد قيمة ما قدموه من معلومات، ولكن لكل وجهة نظره. وليس لأحد منهم السلطة على مركز إعادة تأهيل المخدرات، ولم يدخل معظمهم المركز. إلا أن هناك شخصا يدعى (ريتشارد أوفش) وهو أستاذ في علم الاجتماع في (بيركلي) كان يدرس المجتمعات النموذجية لسنوات وأنفق في مرة من المرات بضعة شهور زار خلالها مركز إعادة التأهيل وقابل أعضاءه. وهو لا يمتلك معلومات مجلوبة من الداخل، فحسب، بل كانت لديه سلطة مجتمعية، وأراد أن يساعد.

ولا تحتاج الصلاحية إلى لقب ولا إلى درجة علمية، فربما تكون ربة البيت ذات صلاحية فيما يتعلق بالحاجة إلى تحرير المرأة، كما يكون الخباز ذا صلاحية بالنسبة للتغذية بالخبز، كما يمكن أن تأتي الصلاحية من الخبرة أو من دراسة أكاديمية. وينبغي اختبار كل مصدر فيما يتعلق بالمادة قيد البحث. فليس بالضرورة

أن يعطي لقب «خبير»، أو حتى السمعة الوطنية قيمة عالية للمصدر. فمن وراء تمرير المعلومات قد يثير الشك فيها. فربما يكون أحد لديه شكوى أو آخر يتصرف من منطلق اهتمام ذاتي، فيوفر معلومات متحيزة أو غير كاملة؛ ولهذا يجب وزن المصادر بحذر شديد، مثل وزن الملاحظات الشخصية بلا شك، فغالبا ما يتورط البشر. علق الحكم حتى تستطيع الحصول على مزيد من الحقائق والبراهين. وبغض النظر عن مصدرك، حاول أن تتحقق من جميع البيانات التي بين يديك من مصدر ثان.

تقييم الدليل

متى ما تم جمع الدليل، يجب أن يقيم على أساس حالته. هل هو حقيقة؟ أم استنتاج، أو مجرد رأي؟ وإذا بدا الدليل حقيقيًا، هل يمكن التحقق منه؟ كيف وممن؟ أما إذا كان استدلالاً، فهل تستطيع أن تثق في المصدر الذي قام بذلك الاستنتاج؟ وهل أكد الاستنتاج أكثر من مصدر؟ ثم هل تدعم الحقائق الأخرى هذا الاستنتاج؟ بحيث يستطيع المرء أن يعتبره حقيقة بشكل معقول؟ وأخيرًا، إذا جاءت المعلومات من رأي، هل هو رأي معلومات - أي من شخص عالم بأمر المادة، أم أنه رأي من رجل شارع عادي؟

كما ينبغي أن تقرر ما إذا كانت الحقيقة كلها نموذجية، أم في سياق معين فقط. ولكل وضع قيمته، والاستثناءات دائما ما تكون موجودة، ويمكن أن تثبت ما يفوق التوقعات. أنت تحتاج إلى معلومات مترابطة، ومتسقة، أو نموذجية لما يمكن أن يقترحه النموذج من نمط. ففي قضية نهب «وترجيت» كان خمسة من اللصوص الأصليين كوبيين مبعدين وراء الخطة بأكملها. ولأن الزعيم كان موظفا سابقًا في (سي آي إيه)، شك آخرون في تورط المنظمة المباشر. ومع ذلك تحولت هذه الحقائق، عندما جمعت القطع معا مع أدلة أخرى، إلى استثناءات. كما تراكمت بيانات أخرى، واقترحت خريطة الدليل أن من قام بالسطو واحد من داخل البيت الأبيض.

وصارت جنسيات الأشخاص الذين ارتكبوا الاختراق غير مهمة في الخطة، فمن الواضح أن بعض حالات الاستثناء يمكن أن تكون نقطة التركيز في بحثك ولكن ستجد في الغالب أن خريطة الحقائق وعلاقاتها ستقود إلى الاستنتاج الأكثر عقلانية أكثر مما تفعل التوقعات.

تفسير النتائج

الرغبة في المعرفة، أو الرغبة في التأكيد هي واحدة من أهم مميزات الإنسان ونتيجة لذلك نحن نبدأ أحيانًا بالتفسير أو إصدار حكم قبل أن تنتهي من البحث وربما نقفز بسبب قلة صبرنا أثناء البحث عن الحقيقة، إلى استنتاجات متعجلة قبل توفر جميع البيانات ونجد أنفسنا مدفوعين من ثم، إلى تشويه الدليل الباقي لدعم التفسير، ولا نتحمل العملية المملة المتعلقة بإعادة التقييم والتفسير من جديد. ولكن ما يقوله الكتاب، والفنانون والعلماء - وكل من هو مرتبط بمحاولة إيجاد معنى للعالم - أن التشوش عبارة عن مرحلة طبيعية في عملية الإبداع، وأننا ينبغي أن نتحرك من خلال التشوش حتى نصبح قادرين على كشف الترتيب، أي أن علينا أن نتعلم تقبل الشك المؤقت والارتباك كأمر طبيعي فيتحرك بعض الباحثين بشكل منطقي خطوة خطوة. وتتراكم الحقائق والبيانات والنصوص والآراء دون وجود علاقة بينها، أو أهمية ويبدو العقل مترددا. وربما تتبع ذلك ساعات أو أيام من المعاناة مع المادة، ولكن الحدس أو عناصر اللاوعي في عقلنا تصبح حليفتنا في النهاية وقد بينت الدراسات النفسية بأن الدورات المتعاقبة من العمل المكثف باسترخاء تشجع على الاختراق، حيث تتشكل الخرائط وتكتشف العلاقات.

فالمعنى الأصلي للكلمة الإغريقية التي تعني «أن تعرف» متضمن لمفهوم العلاقات الجنسية: فتعني «أن تعرف»: أن تربط معًا، أو أن توحد الأضداد وإذا رغبنا في معرفة أهمية شيء ما علينا أن نجمع الأجزاء ونربطها، ثم نكتشف كيف ترتبط العلاقات التي تبدو ضد بعضها بشكل متفاوت والتفسير من ثم، هو عملية تدخل عقلانية تطبق على كومة بيانات، وربما يؤدي التدخل المتهور إلى تفسير مشوه أو خاطئ أما التدخل الحذر والمبنى على جمع الأدلة الممكنة، فعادة ما يقود إلى تفسير يمكن التحقق منه.




يجد العقل البشري حقائق في المميزات التي تشكلها خرائط أو روابط منظمة. ومهمتك ككاتب أن تكتشف الخريطة وتوضحها للقارئ.

تدريبات

١ - فيما يلي ثلاثة مصادر توفر معلومات تتعلق بتقويم الطالب (رشاد على عبد الله) للالتحاق ببرنامج الطلبة المتميزين. قيم كل مصدر وقيم المعلومات التي يوفرها كل منهم ثم ابحث عن الأنماط أو العلاقات وفسر الدليل من خلال التوصل إلى استنتاج معقول حول تأهل الطالب للمشاركة في البرنامج.

أ - صف أكثر الكتب أهمية مما قرأته هذا العام.

أفضل كتاب قرأته هذا العام هو كتاب الدكتور (أحمد زويل) عادة ما أقرأ السير الذاتية.

ب - ما هي أهدافك وطموحاتك؟

أخطط لفتح مكتب محاماة ناجح خاص بي وانخرط في السياسة. أتمنى أن أصبح عضوًا في البرلمان.

جـ - صف إنجازًا أنت فخور به على وجه التحديد.

في الربيع الماضي أصيب والدي الذي كان يدير مشروعًا عائليًا عبارة عن مغسلة بسكتة دماغية. وفتحت مع أخي المغسلة وأدرناها بمفردنا لشهرين، وحققنا ربحًا لشهرين حتى شفى والدي.

د - لماذا تود أن تشارك في برنامج الشرف؟

لأن ذلك سيكون إنجازًا شخصيًا. وربما يساعدني ذلك في القبول بكلية الحقوق.

عـرفت (رشاد على عـبد اللـه) منذ ثلاثـة أعوام من خلال العـمل معًا في جمعية الأمل الخـيرية، ولمست فيه روح المـثابرة، والرغبـة في مساعدة الآخرين، ودماثة الخلق، ولهذا أرشحه للالتحاق في برنامج الطلبة المتميزين.

(د.سامي سليمان)

يسرني ترشيح الطالب (رشـاد على عبد الـله) للالتحـاق ببرنامج الـطلبة المتميزين. فقـد درسته لمدة عامين مادة التاريخ، والدراسات الاجتماعية وكان طالبًا متـفوقًا، مجدًا، يبدي آراء مـتميزة تنم عن شخصيـة قوية متفتحة واطلاع واسع، وهو يستحق الرعاية دون أدني شك.

(حورية حسين)

نماذج من درجات سجل الطالب

درجات امتحان السات ٦٠١ ودرجات الرياضيات ٥٤٥

نتائج السنة الأخيرة:

لغة إنجليزية : ممتاز

جبر (٢) : جيد

تاريخ : ممتاز

تربية رياضية : جيد جدًا

علم نفس : ممتاز

دراسات اجتماعية : ممتاز

لغة فرنسية (٢) : ممتاز

الأنشطة: عضو في جمعية الأمل الخيرية. عضو في نادي الخطابة.

الجوائـز: جائزة أحسن لوحة فنـية في المدرسة الثانويـة، ميدالية برونزية في السباحة.

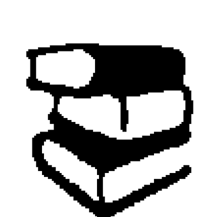


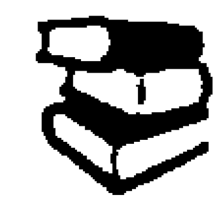

٢ - هنا بعض العناوين العريضة اختر واحدا منها وأضفه إلى مكونة واحدة وصمم سلسلة من الأسئلة التي تساعدك على إيجاد حقائق معينة واستطلاع آراء عالمه بالأمور حولها.

* الالتحاق بالمدارس الحكومية.
* المعارض الفنية المحلية.
* امتحانات الثانوية العامة.
* غلاء الأسعار.
* سوق السيارات.
* القيادة الحكيمة.
* كليات القمة.

تدريب المفكرة

مع حلول هذا الوقت يبدو فتح مفكرتك كل يوم جزء طبيعي من روتينك فإذا كنت جادًا بشأن ذلك، ربما تكون واحدا من الأفراد المحظوظين الذين أصبحت الكتابة في المفكرة بالنسبة لهم نشاطا مستمرا مدى الحياة، يثري المشاعر ويحرك الذكريات ويثير الأفكار والخيال. وعليك أن تستمر في استخدام الكتابة الحرة، من أجل تحقيق النمو والعفوية حول ما يحركك. ولكن ينبغي أن تستخدم المفكرات أيضًا لعمل أكثر موضوعية وأنت تبدأ بتصنيف المادة إلى مقالات وواجبات، استخدم المفكرة لتبقى على المسار بالنسبة لملاحظتك الفعلية وتساؤلاتك، واستبصاراتك الليلية. حاول أن تكتشف منعطفاتك في المادة، وخاطر بمطاردة فكرة ربما لا تقودك إلى أي مكان، ولكنها من الممكن أن تفتح لك تفسيرات جديدة. أي أن كتابة المفكرة مهمة لاستكشاف حياتك الفكرية وحياتك الانفعالية على قدم المساواة.

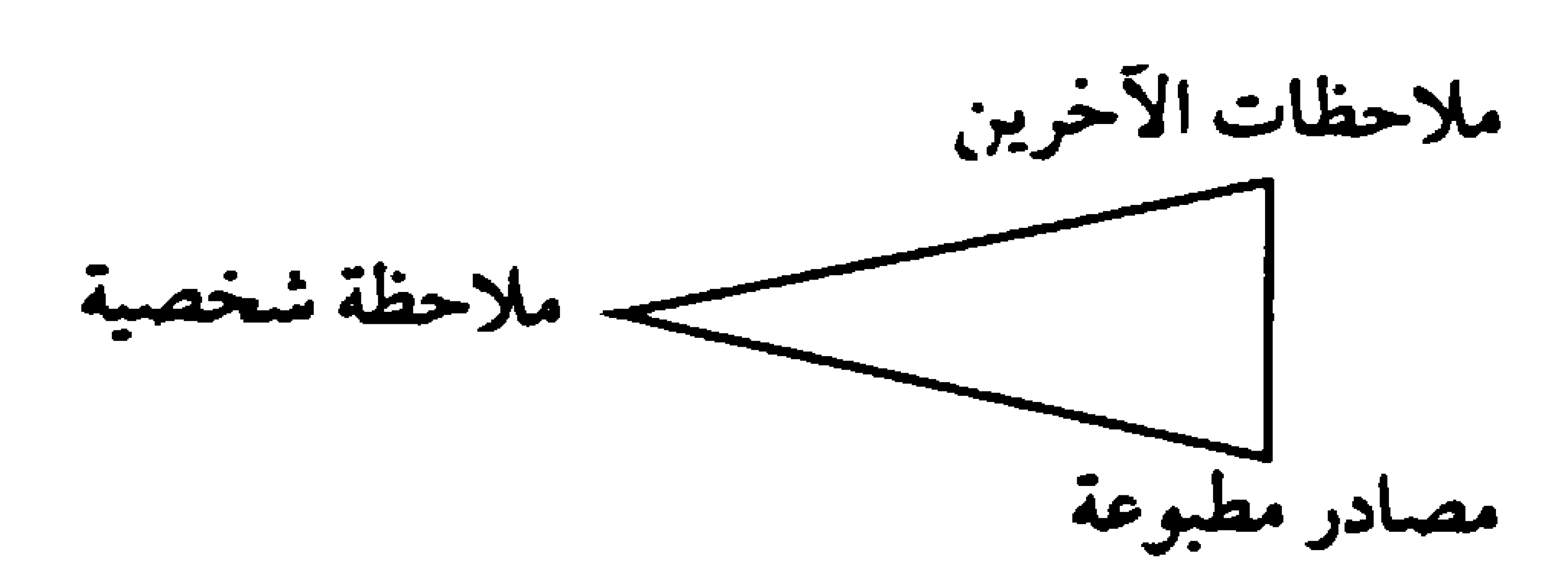






المصادر الأولية والمصادر الثانوية

كتب (جون دي وت ماكي) ذات مرة: «لا يوجد كاتب جيد يعتمد على تأمله الخاص فقط، بل لابد أن يعرف إما من خلال تجربته الشخصية أو من خلال البحث. ونحن مستعدون الآن لأن نضع معا العملية التي يمكن للكاتب من خلالها أن يكتشف مادته مع أمنية أن يعرف الواحد منا شيئًا عنها. ويمكننا أن نصف بحثًا كاملاً كعملية مثلثة يتعلق ضلعها الأول بملاحظتك الشخصية، ويكون ضلعها الثاني امتداد الملاحظة من خلال استخدام عيون الآخرين وتجاربهم كما تروى لك بشكل مباشر في مقابلة أو تسجل في وثيقة أصلية، بينما يتعلق الضلع الثالث بالبحث في مصادر ثانوية، واستخدام المعرفة المتراكمة والاستبصار الذي توصل إليه مؤلفون آخرون عبر التاريخ».



المادة الأولية

يوفر لك المصدر الأولي معلومات بطريقة مباشرة نوعا ما. من خلال المقابلة الشخصية، أو المحادثة عبر الهاتف، أو الرسائل، أو المذكرات، أو المفكرات، أو دفتر الأستاذ، أو الملاحظات المكتوبة، أو المخطوطات، أو الكتب التي تضم

حسابـات أولية. كما يمكن أن تعد التجربة الشخصية مصدراً أوليًا، إذا ما تعلقت بمادة بـحثك بصورة مباشرة. فـإذا كتبت، مثلاً، حول ضرر التـفرقة العنصرية في المدارس الـعامة وقـد عرفت هذا شـخصـيا، أو شاركت في حـادث عرقي، فإن ملاحظاتك تعـتبر مصدراً أوليًا. وهكذا ستـتعلق المقابلات المباشرة مع الآخرين أو مع من تم إخبارهم بالأمر، كمدير المدرسة، أو الأخصائي النفـسي، أو الأخصائي الاجتمـاعي في الجامعة القريـبة، أو تقرير الشـرطة حول الحادث، أو مقتطف من مفكرة مدرس.

المادة الثانوية

يوفر المصـدر الثانوي مـعلومات مسـتخدمة، أو تحـليلاً أو تفسـيرًا للوثائق الأصليـة. وربما تتضمن المصادر الـثانوية الكتلـة الأكبر من المادة المتوفرة لك حول العـديد من المواد. فقدرتك الشـخصية على الملاحـظة محدودة، وكذلك عدد من تقـابلهم أو مـصادرك الأوليـة التي تصل إلـيها عـادة، لكن عدد الـكتب، وعدد الصحف والمجلات، والأفلام، والمواد المسجلة، وتقارير الحكومة، والأدلة وسواها لا حدود له. فالتحقـق من حدث تفرقة عنصرية جـرى في مدرسة المدينة العامة، من مصـادر أوليـة قد يكـون أمرًا استـثنائـيا، ويتـطلب الفـهم الأعمق والأشمل للعنـصرية، وللحادث الـذي هو مجرد جزء من قضيـة أكبر، الرجوع إلى مصادر ثانوية.

وعادة ما يـشعر الطلاب بأن التحقيقات من خلال المادة الثانوية عملية مرهقة نوعا ما، وهي واجب أكثر منه متعة - تعني ساعات طويلة في المكتبة، وأكوام من الملاحظات المـدونة. ولكل مادة متـعتها عنـدما تطارد بصـورة تحقيق، أو نقد، أو بدافع شك. فإذا أقبلت على العمل بـعقل ضجر، سيثير ذلك مللك حقًا. أما إذا سـلحت نفـسك بشيء من الالتزام الـشخصي، فـإن - حتى - المواضـيع المملة، كتطور خنزير الأرض تصبح مثيرة. ومن الضروري دائما، أن تطرح سؤالاً محوريا - سؤالا يأتي من تضييق المادة مثل: هل تتعلق هذه الحقيقة بالآخرين؟ أو هل هذا

الصراع مع الآخرين؟ أو ما هي أهمية هذا الموضوع؟ أو فيمن يؤثر؟ أو هل هو جزء من نمط أكبر؟ أو هل هو حقيقي؟ أو هل يمكن معرفة الحقيقة؟

توثيق المصادر في السياق

نظرًا لأن مصدر أي معلومات تحصل عليها يؤثر في قيمة المعلومات، فعلى الكاتب أن يوفر دائما توثيقًا كاملاً ودقيقًا. ففي الأوراق الرسمية ينبغي تعريف المصادر في إطار السياق، وفي قائمة منفصلة في النهاية. وفي التقارير أو المقالات النقدية، عادة ما يكفي تعريف المصادر في إطار السياق.

ويجب توثيق جميع المصادر الأولية والمصادر الثانوية. وهناك عدة أساليب للتوثيق يعتمدها المعلمون، أو المؤسسات التعليمية والعلمية كل حسبما يفضل. وتستطيع أنت الاعتماد على عدد من الطرق لتكملة الوثيقة في مادة ما دامت توفر لك، بشكل عام، من؟، وماذا؟، وأين؟، ومتى؟ في بعض الأحيان.

المصادر الأولية

من: في المرة الأولى من استخدام المعلومة من المصدر، قدم الاسم الكامل للمصدر، بالإضافة إلى منصب المصدر الكامل أو وصف لصلاحيته التي تؤهله للحديث حول المادة.

ماذا؟ إذا كانت المخطوطة، وثيقة أصلية، أو كتابا مستخدما، قدم العنوان الكامل (أو وصفا إذا لم يكن هناك عنوان) وإذا كان المصدر فردا، قدم منصبه.

أين؟ يمكن أن يود القارئ التحقق من المعلومات (إذا كان المصدر كتابا منشورا، فلا تقل أنه موجود في المكتبة - وبدلا من ذلك، قدم نفس التوثيق الموصوف في السياق، أسفل تحت المصادر الثانوية.

المصادر الثانوية

بالنسبة للمصادر الثانوية (أو المصادر الأولية المنشورة)، نفس المعلومات العامة ضرورية، بالإضافة إلى متى نشرت المعلومات.




مثال:

أعلن الرئيس السابق ريتشارد نيكسون قائلا: «لا توجد خنازير أرض في إدارتي». (التايم، ٢ سبتمبر ١٩٧٤).

وينبغي أن يرد «التنصيص» المباشر، والفقرات، والملخصات جميعها إلى مصدر كامل التوثيق.

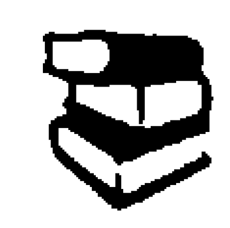
كما تجب الإشارة إلى مصادر الإحصائيات، والحقائق، والأفكار، والملخصات بشكل كامل.

يحتاج القارئ لأن يعرف على وجه التحديد من هو مصدرك؟ وعلى أي المعلومات حصلت من المصدر؟ وأين يمكن الحصول على المادة؟ (إذا كانت مادة أولية) أو أين ومتى طبعت المعلومات؟ وعليك أن تتبين أن متطلبات دقة التوثيق هذه ليست من أجل التحقق من المادة من خلال مراقب آخر فقط، بل لأنه كلما كان مصدر المعلومات أقوى، بدت الحقائق أقوى بالنسبة للقارئ، وسيظهر تحقيقك بشكل أكثر شمولا.

البحث الكامل

ينفق العديد من طلاب الجامعة معظم وقت بحثهم تقريبًا في المكتبة. ويعرف الكاتب المحترف أن تنوع المصادر الأولية والمصادر الثانوية - وموقعها - واسع جدا، بحيث لا يشكل البحث المكتبي الواقعي سوى مساحة صغيرة من البحث الخيالي. ووفقا للمادة، وفيما يلي قائمة جزئية للمصادر التي يمكن التفكير بها من أجل التحقيق:

* المذكرات.
* دعاوى المحكمة.
* مكتبات حكومية.
* حسابات دفتر الأستاذ.




* الصحف (المجلات).

* المسوحات.

* المكتبات الطبية.

* الجمعيات التاريخية.

* المكتبات الخاصة المسجلة.

* ملفات الصحيفة.

* الرسائل.

* أدلة الكلية.

* مكتبات الشركات.

* الملفات الرسمية.

* مكتبات المتاحف.

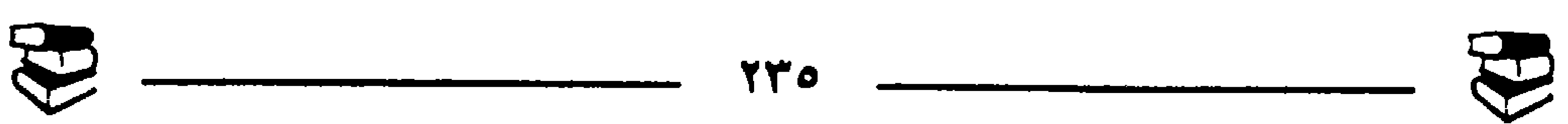
* تقارير الشرطة.

* السجلات.

* ملصقات الأشرطة.

ربما لا تتوفر جميع هذه المصادر لطالب الكلية بطبيعة الحال، ولكن الكاتب الذي يبذل جهدًا أكبر - في مقابلة، أو في كتابة لرجل الكونجرس، أو في تفحص «دليل الهاتف»، أو البحث في بعض الأرشيفات المتربة - هو الكاتب الذي ينشط لكي يثري مادته، ويعرف أن جميع الأفكار مرتبطة في العالم الذي نعيش فيه.

وفيما يلي نموذج تحقيق أجرته طالبة حول المنافع التي يجنيها الطلاب من تبادل الكتب. حيث قابلت (ماري) الكثير من الطلاب والموظفين، ومحاسبًا، ومسئولاً ماليًا في الجامعة. ودرست القوانين المطبوعة من خلال المجلس الأعلى للطلاب قبل بضع سنوات سابقة، بالإضافة إلى البيان الربع سنوي المقدم من

خلال المحاسب، ومدقق لجنة الطلاب التي تشرف على التبادل. وكان تقريرها النهائي عبارة عن ست صفحات طويلة.

وفيما يلي الفقرات الثلاث الأولى:

«خلال الثلاث سنوات الأخيرة حقق مشروع تبادل الكتب الطلابية أكثر من ١٢٠٠ دولار فائدة لأن اللجنة المختصة لديها قصور في التعامل مع النقود. ومن الواضح أنه عندما تأسس المشروع في عام ٧٨، لم يكن ربحيًا. واليوم يوجد مبلغ ١٢٠٠ دولار في حساب توفير في البنك الوطني تدر فائدة قدرها ٥,٥٪».

وقال (مارل جرين) وهو محاسب خارجي عينته اللجنة المشرفة منذ ثلاثة أعوام، عندما كان طالبًا في الماجستير تخصص إدارة الأعمال، قال إنه لم تكن هناك عملية تسجيل دفترية حقيقية:

«على الرغم من وجود نسبة ١٠٪ عمولة على كل عملية تبادل، إلا أنه لم تكن هناك سجلات تتعلق بكيفية التعامل مع هذه النقود». وقال أيضا، بأن كل ما وجده هو صندوق حذاء به عدد من فواتير نفقات مختلفة.

ولكن لا يوجد دفتر أستاذ. يدير (جرين) الآن عمله المحاسبي الخاص ولكنه مستمر في العمل في مكتب التبادل لمرة أو مرتين في الشهر. هذا وكشفت مقدمة (جرين) للممارسة المحاسبية بأن مشروع تبادل الكتب الطلابية قد ربح، في السنوات الثلاث الآخيرة ولكن الكتيب الذي أصدرته لجنة الأعضاء من الطلاب المشرفين في عام ١٩٧٨ - ٧٧ والمكون من أربع صفحات، لم يظهر سوى سطر وحيد يبين كيفية التعامل مع نسبة الـ ١٠٪، وهي النقود المحصلة من عملية التبادل، من حيث الإنفاق. حيث ذكر السطر الوحيد، أن النقود ستنفق على نفقات التشغيل ومرتبات الطلاب العاملين وهو ما يحدث حاليا على حد قول (جرين). ولكن لا يزال لدى مشروع تبادل الكتب فائض يقترب من ٤٠٠ دولار سنويًا.

لجنة الطلاب المشرفة على برنامج التبادل على علم بالمشكلة. وقد عبرت عن ذلك فيما نشر في «دقائق» عددي سبتمبر وأكتوبر من ٨٦، وساد اعتقاد بإمكانية




رفع الأمر للمجلس الأعلى لـلجامعة لتقديم توصية. إلا أن إجراءً واحدًا لم يتخذ في هذا الصدد تمـاما مثلما حدث ذلك فيما بـين شهري مارس وسبتمبر من العام السابق.

جمعت الطالبة في النهاية ما يكفي من الحقائق، لشرح خطة التفعيل وقصور القيادة التي سمحت بتراكم الفائدة. ولـم تـفشل في تقييم التبعات بطريقة إنسانية. فالطالبتان الموظفتان جزء من الوقت ربما تقاضيتا ٢٠٠ دولار زيادة لو كان أجرهما في صـورة مرتب شهري. وانـتقلت الكـاتبة عبـر صفحات مـادة غير ذات علاقة لتكشف الدلـيل الذي تحتاج إليه. فقرأت مدقـقات ثلاث سنوات ماضية من أرقام اللجـنة المطبوعة ودرست الحسابات الماليـة، رغم أنها لا تعرف شيئًا عن المحاسبة. وعنـدما جمـعت ما وجدت مع مـصادر أخرى، اكـتشفت نمط قـصور في الفعل وشعور لدى جميع الأشخاص المشتركين بأن ما يجري ليس من شأنهم.

يتطلب التحقيق في حقيقة محتملة مسئولية، ومبادرة، وتقريرًا. ومن خلال جمع الملاحـظات الشخصـية، والمصادر الأولية والمـصادر الثانويـة، ستتوفر لديك جميع ما تحتاج من أدوات البحث في أي مادة تقريبًا.

تدريبات

١ - متى ما ضـيقت التركيز عـلى بحثك، ستحتـاج إلى التفكير في أنواع المصادر التي يمكن أن تسعى إليها. وفيما يلي مثاله لكيفية البدء.

الموضع: نظام الدرجات في كلية ما

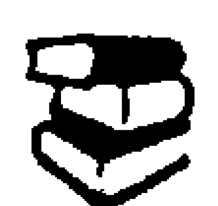
ملاحظات الآخرين

الملاحظة الشخصية

مصادر مطبوعة

ملاحظة شخصية:

* تجربة في الفصل




* اتجاه من تقابلهم

ملاحظات الآخرين:

* ملاحظة بعض المعلمين

* عميد الكلية

* المسجل

* بعض الطلاب

مصادر مطبوعة:

* نسخ كمبيوتر للدرجات

* متوسطات الدرجات الحالية من العميد

* إحصائيات المسجل

* دوريات خاصة بالتقويم

لن تتوفر جميع المصادر، لأن بعض المصادر سترفض تقديم المعلومات. وعادة ما ستحتاج إلى إدراج قائمة أطول مرتين مما خططت استخدامه.

٢ - اختر موضوعات وناقشها، ثم قم بإعداد قائمة بالأنواع المختلفة من المصادر التي يمكنك التفكير فيها من أجل بحث كامل.

٣ - اختر بعض الجمل أو المقولات مما يعجبك وقم بتوثيقها.

* * *







المقدمات الخيالية

كان يوما صيفيا سعيدا - دافئا يشير إلى مزيد من الحرارة والرطوبة. تحرك الأطباء بصمت وسط مرضى لا حصر لهم في مستشفى الأمراض المزمنة اليهودي في (بروكلين)، وباشروا بحقنهم تحت الجلد في أحد الفخذين، وكان ذلك مجرد اختبار لمناعتهم، حيث تم إخبار المرضى، بعدم وجود أي خطر حقيقي. ورغم شعورهم ببعض من عدم الراحة، ورؤيتهم لورم مؤقت، ظل هناك أمر لم يعرفه المرضى، وهو أن الحقن كانت تحتوي على خلايا سرطانية حية.

كتب (وليام باري فور لونغ) الفقرة السابقة كمقدمة لموضوع في مجلة (غوود هاوس كيبنج)، وكان من الممكن أن يكتب: «إن مادة تقرير هذا حول الأطباء الذي يجربون تجارب السرطان على البشر». لكنه لم يفعل. فالكتاب المحترفون لا يبدأون موضوعًا معلوماتيًا أو مقالاً أو تقريرًا أعمالاً بمثل جملة شرح الغرض المملة تلك. فإذا كنت كاتبًا وتود أن تخبر قارئك بمادة ورقتك، لماذا تصبح مثيرًا للملل، حينما يكون بإمكانك أن تصبح ممتعًا؟

لقد سبق أن درست مقدمة العناصر الخمسة في الفصل الخامس عشر. وبمعرفة أنواع أخرى من المقدمات الأكثر خيالية يمكنك الحصول على مدى مدهش من البدائل لتقديم فعال. فربما تكون المقدمات الخيالية، جملة أو حتى صفحة أو أكثر (حسب طول مشروع الكتابة بشكل عام). والهدف هو إشراك القارئ ببعض عناصر المادة الملموسة بصورة مباشرة، أثناء تقديم الفكرة الأساسية سواء بشكل

مباشر أو غير مباشر. فما تفعله المقدمة الخيالية هو عبارة عن محاولة لجذب اهتمام القارئ من خلال استخدام اقتباس، أو سؤال، أو صراع دارماتيكي، أو فكاهة أو صدمة - تقود إلى المادة نفسها بوضوح وبمنطق؛ ولهذا يجب أن تكون للمقدمة نغمة معينة، وتقدم فكرة أساسية في ورقتك، وتقترح على القارئ تنظيم المقال التالي. وتتطلب كتابة هذه الجمل القليلة الكثير من الجهد، وهو ما يفسر سبب تأكيد الكتاب المحترفين على قيمة المقدمة. فعلى سبيل المثال، يقول (دونلد. أم. ماري)، وهو كاتب مقال وروائي وصحفي، وحاصل على جائزة ومدرس: إن العديد من الكتاب ينفقون جل جهودهم على المقدمة - ليس لجذب اهتمام القارئ فحسب، بل نظرا لتركيزها، وتنظيمها المحتمل.

المقدمة الاستفزازية

ربما تسهل جملة استفزازية فرعية الطريق لانتزاع اهتمام القارئ. مثل:

«حركة تحرير المرأة، حركة فاشلة، وبدلا من أن تجعل المرأة حرة في البحث عن أفضل ما يميزها، جعلتها تجرى وراء تقليد الرجال».

هكذا استخدم كاتب طالب جملته الأولى القوية والمباشرة، وهي في الحقيقة استنتاج مبنى على بحثه. فهو لم يقدم الحقائق، بل المعنى الذي فسره من خلالها. وهكذا لا يصبح تقديم النتيجة في الجملة الأولى، قويًا، ومثيرًا للتحدي، ومشحونًا بالرأي فحسب، ولكنه ينتزع اهتمام القارئ ورغبته في الاستمرار في القراءة حتى يرى ما إذا كان الكاتب قادرا على إثبات ما قاله بدليل مادي حقيقي أو مناقشة منطقية.

وربما تأتي المقدمة الاستفزازية من الموقف نفسه وليس من الحكم على الموقف كما سبق. وفيما يلي أفضل الأمثلة وأكثرها شهرة في جميع الأوقات.

«في البداية خلق الله الجنة والأرض».

بعد قراءة الجملة الأولى، يصعب التوقف، فقد تورط القارئ في الاستمرار، حتى يرى كيف فعل الله ذلك.

مقدمة التباين أو الصراع

كان (الدوس هاكسلي) أستاذا في مقدمة التباين حيث يقول: «أشد محنة يمكن أن يتعرض لها المتنبئ هي أن تثبت خطأ نبوءته. والمحنة الأكبر التي تليها هي أن تصح نبوءته. وقد عشت في الخمسة والعشرين سنة التي تلت صدور كتابي «عالم شجاع جديد» كلتا الحالتين. أحداثًا أثبتت خطأ نبوءتي، وأحداثًا أخرى أثبتت صحة نبوءتي ولكن بشكل محزن».

تناقض هذه المقدمة مثير جدًا للاهتمام، بحيث يشد القارئ على الفور. ويضمن في الوقت نفسه عنوانه بوضوح، وتصميم مقاله (نصفه لوصف الأحداث المثبت صحتها، والنصف الآخر لعرض الأحداث المثبت خطؤها).

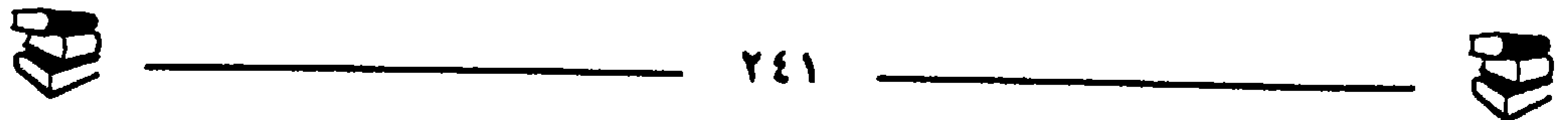
لسبب ما لدى الإنسان اهتمام داخلي بالصراع: (رعاة البقر، والهنود الحمر، والبنات، والأولاد). أوجد صراعًا أو تباينًا محددًا بوضوح، ولا سيما ما هو غير متوقع، وستكون لديك مقدمة طبيعية كهذه:

«ربما تكون عملية الاستعمار واحدة من أكبر اكتشافات الإنسان من حيث الفائدة. إلا أنها تؤدي أيضا إلى أن يفقد الفرد حقوقه وحريته ويعيش ديكتاتورية سياسية، وعالمًا أكثر خوفًا مما تخيله جورج أورويل عام ١٩٤٨».

أكد هذا الطالب الكاتب على الآراء المتصارعة من خلال استخدام فقرتين تتكون كل منهما من جملتين. وقد لا يحب الكثيرون الفقرة ذات الجملة الواحدة، وهو أمر صحيح حينما تستخدم لتأليف جملة عشوائية، لا تتطور فيما بعد، أو بدون دليل يدعمها. ولكن بشكل عام، ينبغي تجنب الفقرات ذات الجملة الواحدة إلا حينما يكون التركيز الشديد أمرًا مطلوبًا - وذلك لجعل المقدمة مكانًا نموذجيًا، لأن التأكيد الشديد هو كل ما تحتاجه لشد انتباه القارئ.

مقدمة السؤال

يمكن أن تفشل مقدمة السؤال فشلاً ذريعًا إذا بدت بديلا لمقدمة ثرية الأفكار والخيال. فحاول تجنب طرح سؤال متكلف أو مغلق النهاية مثل: هل يستطيع

الإنسان أن يعيش بدون حب؟ أو ما معنى الحياة؟ أو هل يمكن التخلص من المرض؟ إذ يمكن للسؤال ذو الفكرة الحقيقة، أن يشد اهتمام القارئ إذا ما نجح في إثارة فضوله، أو ترك أثرًا على قيمه، ومعتقداته، أو أي شيء آخر. وفيما يلي مقدمة لطالب أثارت قضايا شرعية:

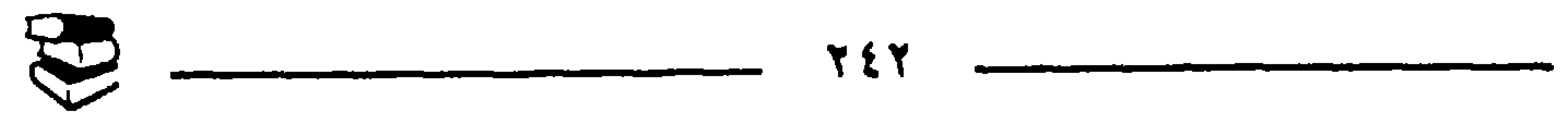
«في عام ١٩٧٤ صوتت رابطة النفسانيين الأمريكية على رفع الشذوذ من تصنيفها للأمراض العقلية. وجاء ذلك بعد مناقشة مكثفة. واستخدم التعريف الرسمي الجديد مصطلح «اضطراب جنسي» ولكن أبرز تصرف الرابطة هذا أسئلة خطيرة حول اعتبار الطب النفسي علمًا. هل يمكن أن يحدد الفرق بين الأمراض والانحرافات الاجتماعية بالتصويت بدلاً من الدليل التجريبي؟ وإذا قرر الأطباء بالتصويت بأن الفتاق ليس مرضا هل سيقبل القرار؟ وإذا قرر النفسانيون أن ليس لديهم طريقة أخرى لتحديد الأمراض العقلية غير التصويت، كيف يمكن تقبل شهاداتهم. هل يمكن للنفسانيين أن يعيدوا بسهولة تعريف طبيعة مصطلح «غير طبيعي؟»».

في عصر غلبت عليه سيطرة علم النفس، صار لمثل هذه الأسئلة أثر علينا جميعا. هذا وتنظم مقدمة السؤال ورقتك بشكل طبيعي، حيث يتعين عليك أن تجيب على سؤالك.

مقدمة الفائدة المجمعة

تحاول مقدمة الفائدة المجمعة أن تغمر القارئ بالحقائق، حتى لو كانت بدون تقديم أية مادة مرفقة لبضعة جمل في المقال، في بعض الأحيان. فيبدو الأدراج الدراماتيكي، أو الإحصائي مثيرًا للاهتمام بشكل آلي. وفيما يلي مثال:

«سبعة موتي بسبب جروح، وسيدة في العام الواحد والعشرين عاجزة من الرقبة إلى أسفل. وأربع أرامل. واثنا عشر طفلا بدون آباء. أكثر من ١٥٨ ألف دولار نفقات علاج ودفن. ومائتان وست سرقات. كانت هذه الإحصائيات لمدينة واحدة هي (لوس أنجلوس) خلال شهر واحد بدون تشريع استخدام المسدس».

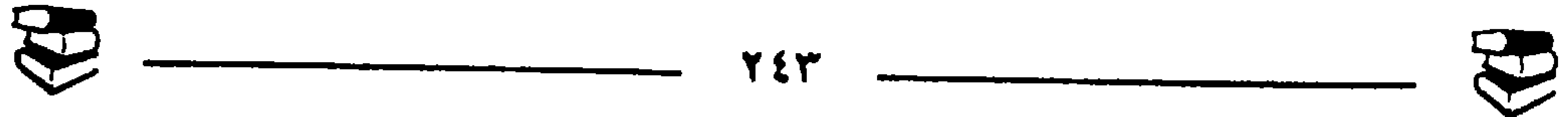
المقدمة السابقة مأخوذة من تقرير طالب. ورغم أنها لم تشر إلى مادة التقرير مباشرة، إلا أنهــا تضمنت النغمــة والتركيز - وحتى الاستــنتاج. فقد قدم المؤلف سلسلة من الحقائق الموضوعية، وتم اختيار كل حقيقة بحذر وفقا لمدى تأثيرها. أما الجملة النــهائية والأخيرة فــتقترح ما سيــتم التعامل معه في بقــية الورقة بمزيد من الــتفصيل والتشريح. وإذا ركزت الورقــة، لأي سبب، على السرقات التي ترتكب بــاستخدام المسدسات، فإن المقدمة ستــفشل لا محالة، لأن الجملة الأخيرة تتضمن قضية أكبر.

المقدمة الوصفية

ربمــا تسمى المقدمة الوصــفية أيضا مقدمــة أدبية، لأنها تتخــذ مفهوم المشهد نموذجــا لها. فلدى الإنســان اهتمام طبيــعي بسماع القصص. ويــقدم المشهد قصة مصغرة وهي لــهذا واحدة من أكثر الطــرق شيوعا، وأكثرها تــأثيرا لتوريط القارئ بشكل ملموس.

هذا وتبين الفقرة الــتالية كيف افتــتحت طالبة تقريرًا لــعلم الاجتماع متعلق بالشيخوخة، حيث بدأت بزيارة بيت مسنين:

«جلست الــسيدة المســنة منحنــية الظهر أمــامي. وكان كرسيــها المتحرك في مــواجهة نــافذة مطلــة على محــطة غاز (ســونوكو). بــراميل مشــحمة وقطع من الإطــارات القديمة وصنــاديق كرتونيــة من قطع السيــارات الباليــة مرصوصة خلف المحطة. وبدا الضوء القادم من النافذة مشحما وباهتا. شعر المرأة العجوز مموج في حلقات والضوء المنــسكب يضفى عليهــا هالة. ومن الغرفة القــريبة ينبعث صوت التلفــاز معلنــا عن برنامج «الــعالم يدور». قمــت بمحاولة بــنصف قلب أن أقول مــرحبــا. ولكن العــجوز لم تــتحــرك. كان على ســريرهــا صلــيب معلق ووردة بلاستــيكية. وبجانب السرير زجــاجات بها حبوب خضراء وأسنــان اصطناعية بلثة وردية في كأس ماء، ونــسخ بالية من «هضم القــارئ». حاولت أن أقول «مرحبا» مرة أخــرى بصوت أعــلى هذه المرة، ولا تــزال السيــدة بلا حراك. كانت الأرض مــلمعة، والجدران البــيضاء حديثة الــطلاء. والسرير مرتبــا. لم يكن المكان سيئا.

ولكن العجوز منحنية الظهر جلست تحملق خارج النافذة نحو محطة الغاز وفي الإطارات القديمة والمواتير والبطاريات الميتة».

وفي الحقيقة، لا تحدد الأنواع المختلفة من المقدمات إلا بخيالك الخاص. فقد استخدمت مقدمة (فورلونغ) في البداية هذا الفصل، بعض الأطباء وهم يحقنون المرضى بخلايا سرطانية، فكان دمج المقدمة الأدبية بالجملة المدهشة. وعلى هذا يمكنك بسهولة الدمج بين مقدمة السؤال ومقدمة التباين أو المقدمة الأدبية ومقدمة الصراع، وهكذا.

أما ما يجب التأكيد عليه فهو أن المقدمة ليست ضرورية. إذ يمكنك كتابة خيال معلوماتي ملائم أو مقالة بدون مقدمة أو من خلال استخدام مقدمة العناصر الخمسة. ومعظم الطلاب والكتاب المبتدئين لا يكتبون مقدمات مطلقا. ومع ذلك تبدأ مقدمة شعور من الاحتراف منذ الجملة الأولى. وينجذب خيالنا ونترقب قائلين لأنفسنا: «جاء الوقت ليقول لنا الكاتب شيئا مهما». فما يمكن أن تفعله لك المقدمة قد يتفوق على أي تقنية كتابة أخرى تقريبا، فهي تجذب الجمهور، وتضفي مزاجًا، أو نغمة، وتقترح نقطة تركيز وتنظيم لمقالك، وتعد القارئ نفسيًا لكي يستقبل أفكارك - كل ذلك في نفس الوقت.

البحث عن المقدمة

القليل من الكتاب المحترفين ينتظرون حتى يجمعوا كل التفاصيل المتعلقة بالمادة قبل أن يكتبوا المقدمة. فهم يمرنون أنفسهم على البحث عن مقدمات في نفس وقت البحث عن المادة؛ ولهذا تتعلق المقدمات مباشرة بمرحلة الاستكشاف وتشكيل المسودة الأولى. فإذا صادفت اقتباسًا جميلاً، أو عنصر صراع، أو تغييراً دراماتيكيًا، أو مشهدًا حسيًا، أو حقيقة مروعة، اختبرها في عقلك فوراً: هل يمكن أن تكون مقدمة جيدة؟ وإذا استطعت أن تفوز بمقدمة قبل أن تجلس لتكتب، فأنت تتخطى بذلك واحدة من معوقات الكتابة، وهو مواجهة الورقة البيضاء. فلن يكون هناك ورقة بيضاء.




بل ستكون لديك جملة، أو فقرة في عقلك. وبالتالي تصبح المقدمات حيوية بالنسبة للكاتب والقارئ على حد سواء. حيث تساعدك معرفتك بتوفر أول جملة، أو أول فقرة مسبقا على خفض توترك، والتخفف من تدفق الأفكار، بحيث تنطلق الكتابة نحو بداية جيدة.

ولكن لا تثق في نفسك أبدًا، وتوافق على أول مقدمة تخطر ببالك، بل استمر في البحث، فالمقدمة الأفضل تتحول إلى اكتشاف أعمق لمادتك. وحاول دائما أن تكتب بضع مقدمات بصوت مسموع لزميلك. جرب الأمر مع أصدقاء. اقرأ بضع مقدمات بصوت مسموع لزميلك. واعرف إلى أي منها سيستجيب بصورة أفضل، وأي منها ستجعله يود سماع المزيد. ومن ناحية أخرى، يعترف بعض الكتاب المحترفين بأنهم ينفقون أحيانا وقتًا في كتابة المقدمة يساوي زمن كتابة المقال كله.

أما إذا لم تكن قادرا على تبين المقدمة الجيدة أثناء بحثك عن المادة، تقدم وابدأ مسودتك الأولى، فربما تجد ضالتك أثناء كتابتك للورقة. فقد اكتشف عديد من الكتاب أن استنتاجاتهم جعلتهم يكتبون مقدمات أفضل مما تفعل الفقرة الأخيرة. كما لا تخف من تحريك الفقرات وتبديل موقعها. وتذكر بأن التسويد ليس سوى عملية استكشاف، وما قد تكتشفه هو أن المشهد أو الحقيقة أو التفاصيل التي لم تتبين أهميتها قد تكون مقدمة طبيعية تدور حولها بقية أفكارك بشكل منطقي. وتكون مجموعة منطقية في حد ذاتها. أي دع المقدمة تعمل لك، وحاول أن تجدها وأنت تدرس المادة، ولكن إذا لم تستطع لا تقلق. دعها تجدك أثناء عملية الكتابة.

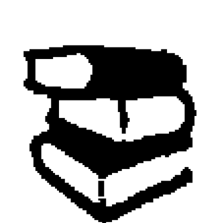
تدريبات

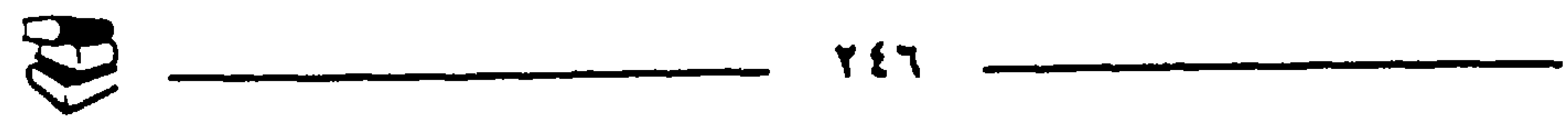
١ - اقرأ المقدمات التالية وناقش التقنية التي استخدمها الكاتب. واعرف نوع النغمة أو المزاج الذي بدأ به، إن وجد. في ضوء الجملة المختصرة، والفقرة المقدمة، ما الذي تتوقعه من تصميم أو تنظيم للمادة؟ أي نوع من المقدمات يمكن أن يجعلها مثيرة أو تجعلك ترغب في الاستمرار في القراءة؟

* «وقفة الأديب ووقفة الناقد مـختلفتان؛ لأنها بمثابة اختلاف المرحلتين اللـتين تكمل إحداهـما الأخرى، لا اختلاف الضـدين اللذين ينفى أحدهـما الآخـر، لأن الأديب يـصور الإنـسان تجـسيـدا في أفراد ومواقف، وأما الناقد فيـتناول بالتحليل هؤلاء الأفراد والمواقف لعله يقع على مبدأ كامن وراءهـا، يكون هو مبدأ الأديب قد أضمره في طويـته ليخرجه لـلناس متـحليا فـيما خلـقه لهم من هؤلاء الأفراد والمواقف، فوقفة الناقد من أدب الأديب ومخلوقاته، أشبه ما تكون بـوقفة العالم من الطبيعة وكائناتـها: كل منهما يجد نفسه بإزاء كثرة من وقائع، فيحاول اسـتقطابهـا في أم واحدة تربطهـا جميعا بصل الرحم». - مقدمة د. زكي نجـيب محمود لـكتاب «التـعادلية والإسلام»، لتوفيق الحكيم.

* «أشرقت الحياة عليّ في ضـاحية من ضواحي القاهـرة، وفيها عيشة طويلة وادعة، تتخللها مشاعر الرضا ويغلفها نظام مستقر لا يختل، سواء في أشكال التعامل الـسائدة أو المسموح بها داخل الأسرة، أو في تتابع الأحداث المقدر لها أن توجه مسار الجميع عبر الأيام، وفي هذا الصبح المبكر من الحـياة كان الهواء مفعـما حولي بسيرة العمل كـأنما هو الخيـر الأسمى في الوجود، وفيـما بعد عـندما قد عرفت طريقي إلى دراسة الفلـسفة شعرت بشيء من التناغم بين هذا المعنى ومـا قصد إلـيه أفلاطون في جمـعه بين الحق والخيـر والجمال». - مقدمة من كـتاب «نحن والمسـتقبل»، (لـلدكتور مـصطفى سويف)، مـكتبة الأسرة.

* «تكـاد المحـرمات في الـقبـائل البـدائـية أن تـربو عـلى المبـاحات والمحـللات. لأن المحرمات تـشمل القـداسة والنـجاسة والـعصيان والاحتقار والاستقـذار، فهناك أمور محـرمة لأنها عظيـمة مبجلة، وأمور مـحرمة لأنها نجـسة أو مشئـومة، وأمور محرمـة لأن إتيانها





عصيان لرب معبود أو روح قدير، وأمور محرمة لأنها تحتقر وتعاف وعدد هذه المحرمـات في جملتها كثـير يكاد يشمل كل عمل يزاوله الإنسان الفطـري، بل ربما كان المباح نـفسه داخلا في التحريم على وجه من الـوجوه، لأنه لا يباح إلا بصلوات وشـعائر يعرفها الخبراء ولا تعم معرفتها كل أحد، كالصيد والزرع والحصاد وما شابهها من أعمال الجماعة أو الفرد، فإن الخوف من الأقدار عليها بغير صلواتها ورسومها يجعلها في حساب المحظورات». - مقدمة «إبليس»، لعباس محمود العقاد.

* «لمـاذا يصعب على السـمان كثيرًا أن ينـحفوا، حتى لو اتـبعوا نظامًا غذائيًا عنيـفًا؟ ذلك جزئيًا لأن عضلاتـهم مبرمجة من أجل اختزان الشحوم، أيا كـانت طبيعة مأكـلهم. في الواقع فقد أثبت فريق من الباحـثين، برئـاسة (ديـبورا ميـويو) من جامـعة (دوك) أن الإنزيم المسـمى (اس سـي دي - ١) الذي يـعـيق احـتراق الـشـحوم في العضلات، هو أكبـر بثلاث مرات عند السـمان منه عند الآخرين. ذلك إلى درجـة أن الجين الذي يـرمز للإنزيم يـبقى يعـبر عن نفسه بشك زائد في خلايا الأشـخاص السمان العضـلية حين زراعتها في المختبر. وأصبح الآن معروفًا أن عضلات السمان تستمر في مراكمة الشحوم حتى مع اتبـاع أنظمة غذائية محددة». - مقدمة مقال نشرته «العربي العلمي»، ملحق مجلة العربي.

٢ - اكتب ثلاثة أنواع مختـلفة من المقدمات مبـنية على مادة من اختيارك. وافـترض أن هـذه المادة تمـثل جوهـر ملاحظات وبـحثًـا أجريته. أي العناصر ستكون الأكثر إثارة لكي تبدأ بها؟ أي العناصر يمكن أن تقترح طريقة لتنظيم بقية المادة؟

٣ - يـشكل الجمهور، والاهتمام فرقا في كيـفية بداية الكتابة. اختر واجب سابق أو تمرين، واكتـب له مقدمات جديـدة، تخاطب فيهـا جماهير مختلفة.





فيما يلي بعض المقترحات للكتابة الحرة هذا الأسبوع.

١ - اكتب عن يوم اشتريت فيه شيئًا كنت تريده بشدة، لكنك ندمت على ذلك فيما بعد. صف المادة التي اشتريتها، واشرح التفاصيل التي جعلتك تنجذب إليها. ضمن شعورك نحوها قبل أن تشتريها وبعد ذلك. ما الذي جعلك تندم على الشراء ولماذا؟ وكيف تغير اتجاه مشاعرك؟

٢ - اكتب حول ألم مبرح يلازمك: أخت ماتت بحادث، اليوم الذي طردت فيه من أول عمل لك، أو طردت من فريق رياضة، أو الوقت الذي اكتشفت فيه بأن أخاك الصغير يتعاطى مخدرات، ركز بشدة على مشهد واحد بعينه وضمن شخصيات وحوار.

النسخ:

مارس نسخ المقدمات التي ربما تختلف عن الجمل لتملأ فقرات. انسخ على الأقل ثلاثة أنواع مختلفة من المقدمات من هذا الفصل. ابحث عن مقدمات صادمة بشكل خاص وأنت تقرأ الصحف أو المجلات واحرص على نسخها في مفكرتك.

* * *




الفصل الحادي والعشرون

صيغ مرئية

قال (ألدوس هكسلي) ذات مرة: أنه ينبغي أن تكون لدى الكاتب حاجة أولاً، لتنظيم الحقائق التي يلاحظها، وحاجة ليعطي معنى للحياة. فاكتشاف النمط الذي شكلته سلسلة من الحقائق، هو أن تجد لها نظامًا ومعنى. ويشاركك جمهورك تلك الحاجة. ولا يمكن رؤية المعنى في عملك بدون صيغة أو نمط. فالحقائق العشوائية، مثل النقاط المتفرقة على ورقة كتاب تلوين للأطفال، لا يتم تواصل المعنى إلا عندما توصل النقاط وترتبط في أشكال يمكن تبينها.

وبدون النظام والصيغة أو التصميم، نحن لا نفعل سوى التشويش، والتشويش بلا معنى.

ومن أبسط الأمثلة التي تثبت ذلك، محاولة خلط تسلسل وصفة مطبخية، كالتالي:

* نخفق المقادير السابقة مدة دقيقتين ونضيف الحليب.
* نوزع ما تبقى من التوت واللوز على الآيس كريم ونحتفظ بكمية قليلة للتزيين.
* نسكب خليط البرتقال ونخفق الجبنة في وعاء مع اللبن والسكر.
* نقطع الكعكة الإسفنجية إلى قطع كبيرة ونضعها في أسفل طبق زجاجي.
* نحمي الفرن عند درجة ١٨٠ .

* عند تقديم نضيف الآيس كريم.

* ندهن صينية بحجم ٢٠ سم ونغطيها بورق زبدة.

وهكذا يتضح أنه بدون الترتيب المناسب، لا شيء ذا معنى. ونظرا لأنه لا توجد وصفة تخدم جميع الطبخات، عليك ألا تتوقع أية خطة أو طريقة للترتيب تخدم جميع أنواع الكتابة. ففي المقال الشخصي، عادة ما ينمو ترتيب الأجزاء بشكل عفوي من تجربة عشتها مع مادتك. وربما تنمو الصيغة في الكتابة الموضوعية، أحيانا من مادة معقدة، أو الجمهور، أو السياق، أو الغرض، أو ربما تقوم على محدودية التصميم التقليدي (المتعارف عليه). والجزء المحبط من «تنظيم الحقائق» هو أن لكل مجموعة من الحقائق يوجد ترتيب مختلف.

كيف تقترح المقدمة الصيغة؟

في العديد من المجالات يمكن اكتشاف تنظيم الورقة أثناء عملية البحث عن المقدمة الأفضل، وقد سبق أن لاحظنا كيف اقترحت مقدمة العناصر الخمسة تسلسلاً طبيعيًا لتقرير موضوعي. هذا ويوفر هيكل العناصر الخمسة جميع المعلومات الأساسية في الجمل الأولى القليلة، بعد ذلك بشكل منطقي المعلومات الأقل أهمية على أن تكون الأقل أهمية في النهاية. ويشرح التصميم المرئي ذلك.

مقدمة العناصر الخمسة

الحقائق المساندة الأكثر أهمية

تفاصيل ثانوية

ملخص النتائج أو تقييم معقول يعزز مقدمة العناصر الخمسة

لاحظ بأن المقدمة لا تخلق أية صيغة. وبدلا من ذلك، تجد في عملية البحث عن مقدمة، أنه ينبغي عليك فحص كل ما قمت بجمعه من معلومات؛ فعليك أن تختبر قيمتها، ومعناها، وأهميتها، وعليك أن تفكر في الجمهور، وفي الغرض، وفي السياق. فكل من هذه العوامل تؤثر على اختيارك للمقدمة، وهي نفس الحقائق التي تؤثر على التنظيم الكلي. وفي عملية البحث عن مقدمة، يدفع العقل بشكل للمادة نفسها. تماما مثل طريقة (التغيير، السياق، النتيجة، والتوصيف) للبحث، التي تمنحك استراتيجية لإيجاد المعنى المحتمل في المادة، بحيث تعطيك المقدمة طريقة لإيجاد صيغة فعالة.

فالمقدمة ليست مجرد شيء يلصق في مطلع المقال، ليجعل منه أمرا مثيرا، بل تتكامل مع جميع أجزاء المادة التي تعمل عليها.

ولأننا كائنات أصولنا بصرية، وضع كتاب محترفون بضعة مخططات محددة مساعدة أنفسهم على رؤية صيغ تنمو عادة من المقدمة الخيالية التي تمت مناقشتها في الفصل السابق. وعلى أية حال، تذكر بأن أنماط التنظيم هذه، هي ليست سوى مقترحات، لا تعد قواعد.

تصميم المقدمة الاستفزازية

لأن المقدمة الاستفزازية عادة ما تكون تعميما جريئا نوعًا ما - وعادة ما تصدر حكمًا - فإن طبيعتها تتطلب أن تكون مدعمة بالدليل الموضوعي - ومهما قدمت الحقائق والبيانات، فإن قوة المقدمة تعزز من خلال إعادتها كاستنتاج، بكلمات مختلفة في العادة.

جملة استفزازية أو تعميم جرئ
(الأفلام الأجنبية أفضل من الأفلام العربية)

١ (المديرون على استعداد للتجريب والمخاطرة)

٢ (القصة والشخصية تسبق نوعية نجومية الممثل)

٣ (التكامل الفني أكثر أهمية من النجاح التجاري)

الاستنتاج: أعد الجملة أو عززها
(الأفلام العربية في المرتبة الثانية حاليا)

يمكن تنظيم تسلسل الحقائق في وسط الورقة إما من الأكثر أهمية إلى الأقل أهمية أو بالعكس. فالنقاشات الجيدة قدمت كلتا الطريقتين. فمن خلال البدء بأضعف الحقائق يمكنك بناء أقوى الحقائق، بحيث تزيد من قوة ورقتك وأنت تتقدم وتتمنى أن تجر القارئ معك طول الطريق. أما في حالة استخدام البداية بأقوى النقاط، أنت تتمنى أن تشرح حقيقة تصميمك الجريء بسرعة من خلال توفير دليل دامغ وغامر. ونرى في المثال السابق، أن المادة نظمت من الحقائق «الأقل أهمية» فصار التكامل الفني هو الحكم النقدي الأخير والأهم. ورغم أن كلتا طريقتي التنظيم يمكن أن تكون فعالة، إلا أنه من الأفضل أن تكون لك طريقتك الخاصة، فلا تقفز بعشوائية من نقطة قوية إلى نقطة ضعيفة. بل ابدأ بقوة، وقدم حقائقك بتسلسل مخطط له وانته بقوة أيضا.

تصميم التباين

تستدعى المقـدمة الانتباه بـالنسبة لـبعض أنواع المضامـين المتضاربة بـالنسبة للقارئ، بـحيث تتعامل بعدالة ومسـاواة مع كلا جانبي الصراع. فإذا كنت تبحث حول الزيادة الأخـيرة في الرسوم الدراسية، على سبـيل المثال، فستجد العديد من الطلاب يعارضون ولـكنك ستجد أيـضًا تفسيـرًا يدعم الزيادة من جانب الإدارة. وعند درجة أعلى من البحث، حـول ما يتعلق بتكالـيف الرعاية، ربما تتحول إلى من يبـررون الميزانية العامة الكـبيرة وآخرون يعارضونها. والـطريقة الأسهل لتنظيم مثل هذه المـعلومات هي تجمع الحقائق في مجموعات تدعم كل واحدة موقفا معينا في النصف الأول من تقريرك وحقائق أخرى تعزز الموقف الآخر في النصف الثاني من المقال، ولمثل هذا التنظيم فائدة التبسيط لك وللقارئ.

مقدمة التباين
يفضل الجمهوريون تخفيض الضرائب
يريد الديمقراطيون زيادة الضرائب لصالح البرامج الجديدة

↓

جميع الحقائق التى تدعم الجمهوريون
الجمهوريون يطالبون بتخفيض الضرائب

↓

جميع الحقائق تؤيد الديمقراطيين

↓

استنتاج، أو تحليل، أو ملخص للنتائج
مطلبو برنامج عمل، ولكن الدعم العام هذا العام لصالح
الجمهوريين ستمرر الضرائب الأقل

ولكن هذه ليس الطريقة الوحيدة لتباين المادة، حيث توجد طريقة أخرى لكشف الصراع، بشكل أكثر مباشرة من خلال حقائق متعاقبة تدعم الموقف الواحد وحقائق أخرى تدعم الموقف الآخر (يتم هذا عادة من خلال تقديم فقرة أو صفحة لكل موقف بتسلسل متناوب) ويحب معظمنا المناقشات الجيدة، فالتبادل إقداما وأحجامًا يخلق مزيدًا من الشد والمتعة بين المتنافسين الجيدين.

وكلمة التحذير هنا أن الطريقة المتناوبة للتنظيم هي الأكثر صعوبة بالنسبة للقارئ والكاتب على حد سواء. وما لم تستخدم نقلات واضحة في كل تغيير، يصبح ضياع القارئ أمرًا سهلاً.

ولهذا ينبغي أن تجمع مصادرة جيدة للنقلات قبل أن تبدأ، مثل: ولكن، أو من خلال التباين، أو في مقابل ذلك المشهد، أو ولكن من ناحية أخرى، وهكذا.

التصميم الأدبي

تقترح كل من مقدمة الفائدة المجمعة والمقدمة الوصفية إمكانية الانتقال من تفاصيل محددة إلى عموميات أكبر، أو فهم ملخص للتفاصيل. ويبقى الاستنتاج كما في عمل الأدب، معلق حتى الصفحة الأخيرة. ويعد هذا النوع من التنظيم، عكس تنظيم الهرم المعكوس.

فلتصميم المقدمة الأدبية بضع مميزات للبحث الموضوعي أو المقالة الشخصية المكتوبة في مقررات العلوم الإنسانية أو الاجتماعية. فطبيعتها تجذب اهتمام القارئ على الفور. وتحافظ الأهمية المتصاعدة للتفاصيل على ذلك الاهتمام، وتبنى خطوة خطوة نحو ما تتمنى أن يكون استنتاجا غير مرئي. كما تقترح الصيغة عقل منطقي في العمل، يميل إلى قيادة القارئ نحو قبول التعميم المستنتج. مثلما يستمر القارئ في قراءة رواية غامضة، حتى يصل إلى النهاية ويكتشف جميع الحقائق التي أدركها.






وإذا اعتبرنا وجود المقدمة في استعادة الأحداث، نرى أن دورها في الكتابة يمكن أن يكون محوريا بالنسبة للقارئ وللكاتب.

فبالنسبة للقارئ، تخلق المقدمة اهتمامًا وتجذب الانتباه. كما تقترح نغمة، ومزاجًا واتجاهًا. أما بالنسبة للكاتب، فهي توفر طريقة ممتازة للبدء في المسودة الأولى. وتقترح تصميمًا أو تنظيمًا للتقرير بشكل عام.

لا يحتاج ترتيب مادتك لأن تكون هادئًا فقط، كما في عملية اختيار أفضل مقدمة، بل ينبغي أن تكتشف نمطًا تنظيميًا لجميع التدفقات، وربما لهذا السبب يكون الكتاب المحترفون على استعداد لأن ينفقوا وقتًا طويلاً على المقدمات. فهم يعرفون بأنه متى ما وضعت المقدمة، فإن باقي الورقة سيتدفق بسهولة أكبر. وفي النهاية تظهر الصيغة، بطبيعة الحال، من المحتوى، وليس من المخطط المسبق تحديده. ولا تكون التصميمات المرئية بديلة عن ربط عقلك بالمادة. لأنها لا توفر سوى خطوط عريضة، يمكن أن تساعدك على «رؤية» المحتوى، واكتشاف إمكانياته.





تدريبات

١ - فيما يلي ثلاث مجموعات من الحقائق المجمعة. ادرس العلاقة في إطار كل مجموعة، وحدد أيا من التصميمات المرئية المناقشة في هذا الفصل يمكن أن تكون الأفضل بالنسبة لتنظيم الحقائق.

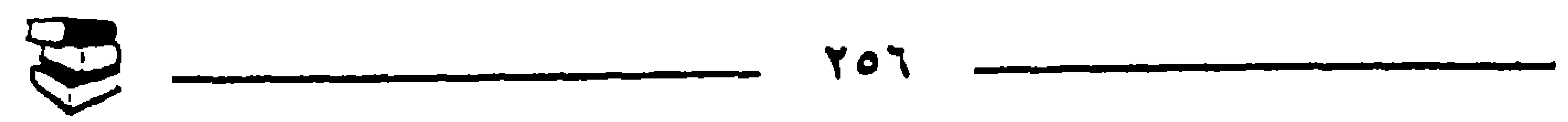
أ - تكاليف الزواج ترتفع.

* البطالة تزداد.
* أعداد الإناث أكثر من أعداد الذكور.
* اتجاهات الشباب والفتيات نحو الزواج تغيرت.
* رفض بعض الآباء والأمهات استضافة أولادهم المتزوجين.
* الشقق معقولة الثمن بعيدة.

ب - يساعد تناول الحديد على تجنب الضعف المصاحب لفقر الدم.

* ينصح الخبراء بشرب القهوة والشاي قبل تناول الوجبات بمدة ساعة على الأقل حتى لا تمنع امتصاص الحديد.
* هناك نوعان من الحديد في الأطعمة نوع يمتصه الجسم بسرعة ثلاثة أضعاف سرعة امتصاص النوع الآخر.
* تساعد الحمية التي تحتوي على الفوليك في تجنب فقر الدم ويقلل الكثير من كمية الفوليك في الطعام مما يجعله عديم الفائدة للجسم.
* مصادر حمض الفوليك الرئيسية هي الشمندر والبروكلي والأفوكادو والسبانخ والفاصوليا المجففة والحمص والصويا والعدس والبرتقال والديك الرومي والملفوف والبازلاء.

جـ - تتميز القرى السياحية الحديثة بوجود بحيرات اصطناعية وحمامات سباحة ومساحات خضراء واسعة:

* يشتكي القاطنون في المدن الرئيسية الكبيرة من الزحام والتلوث والضوضاء.

* يهتم الصغار والكبار بالخدمات الترفيهية، ولاسيما المطاعم والأسواق والسينمات والملاهي وذلك لأنها المنفذ الوحيد لهم في نهاية الأسبوع.

* ينصح الخبراء الناس بعدم التكدس في مدن دون أخرى.

٢ - ارسم خطا مرئيا عريضا يمثل التصميم على موضوع كتبته ليس بالضرورة أن يبدو مثل أي تصميم تمت مناقشته في الفصل، ولكن يجب أن تكشف التنظيم - أو قصور التنظيم - في مقالك.

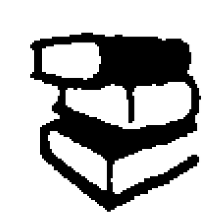
تدريب المفكرة

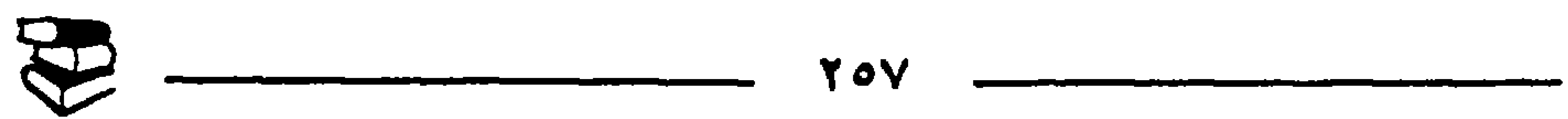
العب:

١ - هل بحثت في مفكرتك مؤخرا؟ هل كتبت أغاني؟ هل حكيت نكت؟ هل اكتشفت قصيدة العالم الأحقر؟ لماذا لا تحاول اكتشاف عناوينك الخاصة لكتب لن تكتبها أبدًا؟ كن ثائرًا.

٢ - أدرج اثنى عشر خيالا من خيالات تراودك كثيرا: اختر أحد الخيالات وتوسع في الكتابة عنها في مفكرتك.

* * *







الإيقاع والتنوع والتوكيد

هل «استمعت» لكتابتك؟

فيما يلي فقرة لطالب لم يفعل ذلك:

«(الأستاذة شيرلي) في قسم الإنجليزي، التي أجريت المقابلة في مكتبها، قالت لي بأنها تعتقد بأن الكتابة يجب أن تكون من المتطلبات في الجامعة كلها. ولا تعتقد أنها يجب أن تقرر على طلاب الأدب فقط. وما يشاع عنها أن لها معايير عالية فيما يتعلق بالكتابة. وتقول بأن الكتابة تعبير عن الذات الداخلية. وتقول يجب أن تكون الكتابة جزءا من تجربة نعيشها في جميع المحاضرات».

تلك جمل صحيحة، ولكن هذا الطالب لم يستمع بأذنه الداخلية، والنتيجة تكرار ممل. يجب أن تعكس الكتابة الجيدة تنوعا ونقاط التأكيد الموجودة في أفضل المحادثات؛ يجب أن تعبر عن إيقاع الصوت البشري.

الإيقاع

يعني الإيقاع، التدفق. فالكتابة الجيدة لها تدفق يقترح أنماط صوت حديث حي، كما يعني أكثر من مجرد صوت، فهو لا ينفصل عن الوضوح وعن الترابط والوحدة، والترتيب وجميع عناصر الأسلوب الأخرى، التي تعمل معا في إطار سياق محدد. ودائما ما تكون الكتابة المفرغة من المعنى مصاحبة للإيقاع الضعيف، وتكون الإيقاعات الضعيفة، إشارة لمعنى يفتقد وضوح التعبير. وهكذا يصر الكثير من أفضل كتابنا على ضرورة تنمية الأذن لسماع إيقاع الصفحة المكتوبة. وأفضل

طريقة لفعل ذلك هو الاستماع إلى كتابة جيدة وهو يقرأ بصوت مسموع. فالأذن أكثر حساسية للإيقاع من العين.

اقرأ الفقرة التالية - من كتاب «ما وراء النهر» لطه حسين - بصوت مسموع:

«لست أدرى أين وقعت أحداث هذه القصة، ولكنى أقطع بأنها لم تقع في مدينة القاهرة، فقد تتبعت شاطئ النيل كله في هذه المدينة، فلم أجد ربوة شديدة الارتفاع والاتساع، يقوم عليها قصر فخم ضخم شاهق في السماء، ويتكاثف فيها شجر باسق ملتف يُظل ضروبا من النجم لا تعد، وفنونا من الزهر لا تحصى، وهذه الربوة المرتفعة الواسعة تنحدر في يسر إلى النهر، كأنما تسعى للقائه، أو كأنما تيسر للشجر والزهر السعي للقائه..»

بدأ (طه حسين) نافيًا أمرًا، ثم تبعه بالقطع، واستمر في سرد مقاطع متماثلة في الطول تقريبا بها من الإيقاع ما يجعل القارئ يسمع موسيقى منبعثة من كلمات مثل الارتفاع والاتساع وفخم وضخم وغيرها؛ ولهذا من الأفضل أن تقرأ بصوت مسموع وتتغنى بالقطعة.

وقد أوضح مسح أجرى على مجموعة من الطلاب، أن ثلثيهم يواصلون القراءة الصامتة، رغم أن الإيقاع، الذي هو ضروري للكتابة، لا يمكن تعلمه في صمت. فإذا كنت ستتعلم العزف على آلة ما ستعزف عليها، وتستمع إلى الأصوات المنبعثة منها، وإذا كنت ستتعلم الكتابة الجيدة، عليك أن تقرأ بصوت تستمع إلى الإيقاع. وإذا اخترت من منطلق كسل أو خجل أو أي سبب آخر، أن تقرأ بصوت غير مسموع، فأنت تتجاهل واحدة من التقنيات الأساسية التي وجدها أفضل كتابنا ناجحة. فبكل سهولة، يتميز من يقرأ بصوت مسموع مقارنة بمن لا يفعل.

ولا يعد الإيقاع جزءًا من أي جملة، لكنه دائما ما يوجد في السياق. ولهذا لا توجد جملة «صحيحة» أو «نموذجية» يمكن اتباعها، كما أن الجملة ليست مطلقة، فربما تفشل جملة جيدة في سياق، فشلا ذريعًا في سياق آخر؛ ولهذا




ينبغي وضع المادة والجمهور والسياق والغرض وصوتك الخاص في الاعتبار - وبشكل واع في هذه المرحلة، حيث يمكن أن تشعر بأنك غير واثق من نفسك، ولكن من البديهي في مرحلة لاحقة، وبعد أن تتدرب وتصبح لديك خبرة، ستساندك أذن خيالك بشكل تلقائي.

ومما يذكر أن تنوع تركيبة الجملة وطولها من العناصر الأساسية، في الرسم، والموسيقى، والرقص، واللغة، والإيقاع، دائما ما يتم بلوغها من خلال وضع نسق متنوع.

التدقيق من أجل التنويع

في نسق الجملة

يمكن أن تكون الجملة بسيطة، أو مركبة، أو معقدة، أو حتى مركبة معقدة. ومن المهم معرفة تنظيم كل جملة من خلال نسق واضح بحيث يكون التدفق في السياق الأكبر لمقالك.

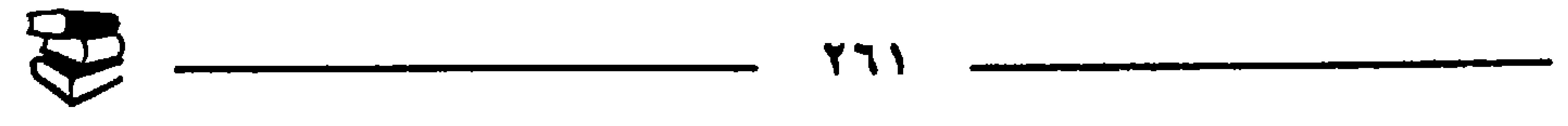
التنوع ضروري، والرتابة مميتة، ولكن من خلال التدقيق الحذر، نستطيع تحويل بعضًا من التركيبات المملة إلى جمل ذات أطوال متنوعة وإيقاعات متباينة.

ولعمل ذلك حاول أن تضع دوائر على الكلمات المكررة. وابحث عن الفعل، ثم أعد بناء الجملة.

في عملية أداء هذا النوع من فعل التدقيق، نحن لا نوضح المعنى فقط، بل نعززه، من خلال خلق إيقاع أكثر طبيعية حتى نحصل على جملة أكثر دقة. والخطوة الأولى في التدفق هو التنوع في الجمل، ثم جعلها أفضل دون تعمد تطويلها أو تقصيرها، بعدها سيبدأ الإيقاع في التدفق، ولا سيما مع استخدام بعض المحسنات البديعية التي سبق ذكرها.

وفيما يلي العملية:

١ - ضع دوائر حول الكلمات غير الضرورية والكلمات المكررة.

٢ - حدد أماكن الفعل.

٣ - أعد بناء الجملة.

٤ - اقرأ بصوت مسموع.

الجملة المتوازية

هذا، وتحتاج الكتابة الجيدة إلى أكثر من مجرد خليط من جمل طويلة وقصيرة. فلا يوجد الإيقاع عبثا، بل هو لزيادة الوضوح والتأكيد على أهمية العناصر المرتبطة؛ ولهذا، عليك أن تألف مفهوم التوازي - كطريقة لتشكيل الجمل، حيث يتم التعبير عن سلسلة من الأفكار المترابطة من خلال تركيبة نحوية ذات علاقة. ومن الممكن ألا يكون للتركيبة النحوية أية تأثير - كأن تكون هناك سلسلة من الأفعال المتشابهة، أو سلسلة من الأسماء - بحيث تتدفق على الصفحة في نمط متواز.

لنبدأ بفكرة واحدة.

وعد والد أحمد بشراء دراجة له.

ولكن ماذا لو أن والد أحمد قطع وعدين. وكان الوعدان مرتبطين؟

وعد والد أحمد بشراء دراجة له على أن يسمح له بقيادتها قبل العيد.

لدينا الآن فكرتان مرتبطتان، ولكن تركيبة الجملة لا تبين تلك العلاقة. الفكرة الموعودة قبل «الواو» عبر عنها بشكل مختلف عن الفكرة الموعودة بعد «الواو». وفيما يلي كيف يمكن أن نجعل العلاقة وثيقة.

وعد والد أحمد بشراء دراجة له، والسماح له بقيادتها قبل العيد. في هذه الحالة، هناك توازي (الشراء، والسماح) والنتيجة شكلت علاقة سيكولوجية أقرب في عقل القارئ. وبدت الأفكار أشد ترابطًا.

مثال آخر:

تؤمن بالله والأمومة والوطن (أسماء متوازية).

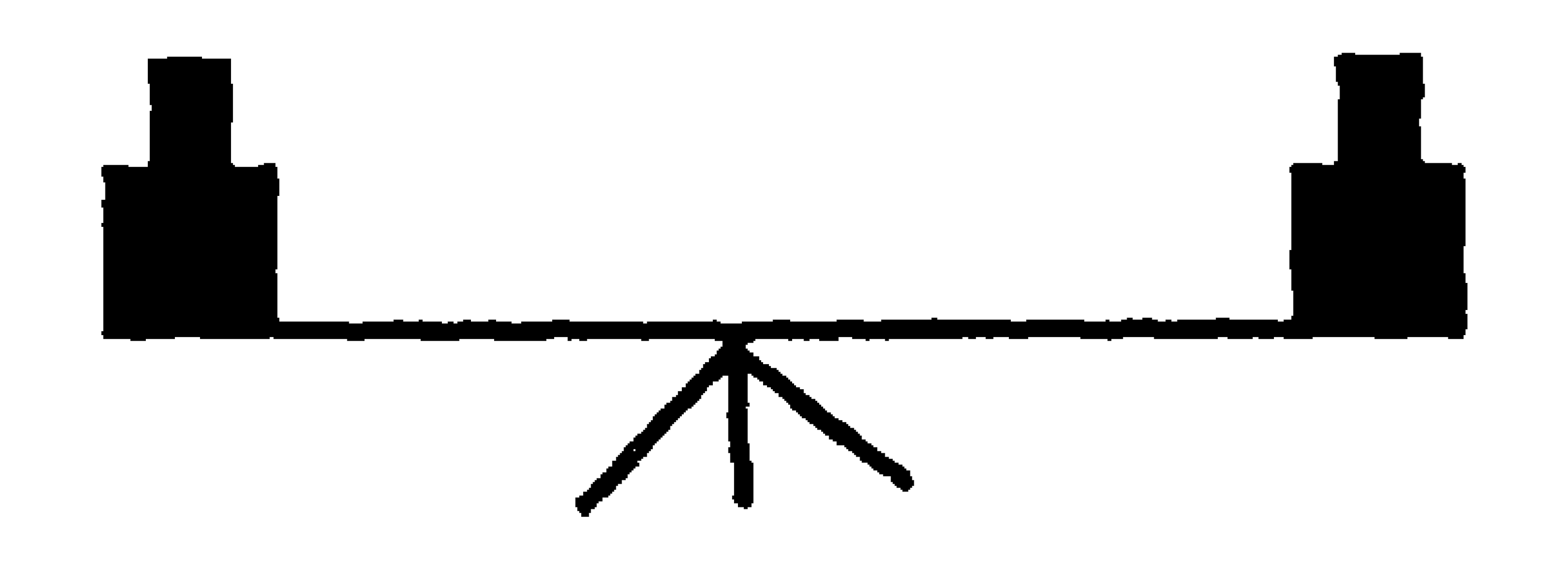



هذا، ولا يعد التوازي مجرد وسيلة نحوية يستخدمها مدرسو اللغة. بل هو واحد من أقدم تقنيات اللغة وهو موجود في الكتب السماوية.

وفي جميع الأحوال يؤكد التركيب المتوازي الإيقاع ويوضح العلاقة. والنتيجة ترابطًا بندر بلوغه.

الجملة الموزونة

للجملة الموزونة علاقة بالتوازي. ولكن الموازنة تعني أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام متساوية في الوزن. كأن نقول: ضروبًا من النجم لا تعد، وفنونًا من الزهر لا تحصى.



وتميل كل من التركيبات المتوازية والموزونة إلى التوازن في الكتابة الرسمية بشكل أكثر تكرارًا من الكتابة غير الرسمية، ولكن حتى أكثر المقالات اعتيادية ربما تصل إلى نقطة تحتاج عندها إلى تأكيد العلاقة بين الأفكار بصورة أوضح، وهكذا يمكن للأسلوب غير الرسمي أن يزيد من أثره على القارئ من خلال جمل موزونة ومختارة بشكل حذر. ولا يظهر مثل هذا التناسق للأذن فقط، ولكنه يقترح أيضًا منطقًا لا يقبل الجدل تقريبا، ويمكن أن يكون مؤثرا بشكل خاص في توضيح التباين أو في إنهاء المقال بنهاية دراماتيكية.

هل يخلق الكتاب جملاً موزونة التركيب أو متوازية في المسودة الأولى؟ يفعل البعض ذلك، دون شك. وربما تفعل ذلك أنت أيضًا بعد أن تألف التقنية. ولكن مكان تعليم نفسك ذلك، هو مرحلة المراجعة والتدقيق. حيث يمكن التعبير عن أية سلسلة من الأفكار المتباينة بأسلوب موزون. ولا تخف من ترتيب أجزاء الجملة أو تجميع بضعة جمل لتصل إلى التوكيد المرغوب فيه.

يمكن بـلوغ التوكيد بـطرق أخرى. والطريقـة الأقل براعة هي إضافة علامة تعجب. والأسوأ منها، وضع خط تحت الكلمات المهمة لمجرد أن تتأكد بأن قارئك قد التقط النـقطة!!!. ولكل من علامات التعجب، والخط تحت الكلمات مكانته، ولكن قد يصبح الأمر متعبا، ويتحول إلى مجرد علامات ترقيم خارجية على المدى الطويل. بينمـا ينبغي أن تصبح الجملة الجـيدة معبرة في ذاتها. ومن خلال ترتيب الكلمات ترتيـبًا صحيحًا، يمكـنك التحكم برد فعل القـارئ. وتطلق على الجملة صفة الـدورية عندما تؤجل الجملة اسـتخدام الكلمات الأكثـر أهمية حتى النهاية، وتستـخدم قبلها بعض العـبارات الداخلية. وتهدف خـدعه إرجاء الكلمات الأكثر أهمية، إلى خلق شك وإثارة فضول الـقارئ ودفعه لتوقع القادم، ثم يشبع فضوله في النهايه.

مثال:

جملة بسيطة:

قررت (بسمة) برشيح نفسها للرئاسة.

جملة دورية:

(بسمة)، التي اعتقدت أنها امرأة بلا موهبة، قررت ترشيح نفسها للرئاسة.

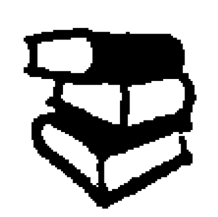
ينبغي أن يتبع الترتيب الكثافة الطبيعية للتفاصيل. مبنية من الأقل أه ية إلى الأكثر أهمية، ويخلق الإيقاع وكذلك الشك إحساسا بالتوتر المسيطر عليه.

فلدى الجمل أجزاء متحركة وعليك أن تشـعر بالحرية وتجرب تغيير ترتيبها. انقل الأجزاء، وركب الجمـل، ثم أعد تركيـبها. واقـرأ تجاربك بصـوت مسموع واختبرها بأذنك.

حاول أن تجرب، وركب الجمل وأعد ترتيب الأجزاء.

جرب ثانية، وأعد تركيب الأجزاء.





ومن خلال بضع محاولات نسخ ومن خلال القراءة بصوت مسموع، ستكتشف الفرق في التوكيد وفي الإيقاع على الفور. وإذا حولت كل الجمل إلى جمل دورية أو جمل موزونة، لن يكون هناك إيقاع أو تنوع.

التوكيد

التوكيد تابع يذكر في الكلام لدفع توهم قد يحمله الكلام إلى السامع. مثل: حضر القائد نفسه.

وينقسم التوكيد إلى نوعين:

* أولهما توكيد لفظي ويكون بتكرار لفظ مؤكد مثل «الحرية الحرية أغلى مطلب».

* وثانيهما توكيد معنوي ويكون بالكلمات الآتية:

(نفس، عين، كل، جميع، عامة، كلا وكلتا)، وألفاظ التوكيد المعنوي لابد أن تتصل بضمير يطابق المؤكد.

كأن نقول: «جاءت المرأتان أعينهما» أو «جاء الرجال أعينهم» أو «الأمة العربية جميعها قلب واحد» أو «حضر القوم عامتهم».

كما أن ترتيب كلماتك، لكي تتجه نحو المصطلح أو الفقرة الأكثر قوة، ستقود القارئ إلى الفكرة ذات الأهمية الأكبر. ويمكن أن تبلغ غرضك بشكل أكثر فاعلية.

وعلى أية حال، ليس هذا سوى أمر متعارف عليه. فمسألة تأثير ترتيب الكلمات في المعنى، أمر عرفه الكتاب والمتحدثون منذ زمن بعيد. وبدون شك، عرفت ذلك مسبقًا ولك أن تستفيد منه في خطابك اليومي، ولا سيما عندما تحاول أن تكون مؤثرًا، أو تجعل «الإيقاع» والتنوع والتوكيد أكثر طبيعية في حديثك. فعليك أن تساوي بينهم في كتابتك. واقرأ في أثناء مرحلة التدقيق بصوت مسموع، واستمع لما كتبت، وكن على استعداد لتركيب الجمل، إعادة ترتيبها، أو

حتى إعادة الكتابة حتى تتمتع كل جملة بالقوة والطبيعة، كما لو كنت تتحدث بصوتك الخاص.

تدريبات

١ - تعرف على طريقة تجعل كل جملة من هذه الجمل أكثر فاعلية:

* يجب أن يكون إيماننا عميقًا بأنفسنا، ونؤمن بما نقوم بعمله، ولا ننسى أن قيمة العمل في بواعثه.

* حالة العالم الاقتصادية تتدهور، رغم دعوات تبنى التنمية في المجالات الاجتماعية وفي الاقتصاد، والقوى العاملة.

* لا يمكن أن يتساوى الظلام والمناطق المنيرة.

٢ - اختر مما تقرأ، فقرات لا ترتاح إليها وأعد كتابتها لتصل إلى إيقاع أكثر طبيعية، وذلك بأن تضع دوائر حول الكلمات غير الضرورية والمتكررة. ثم تحدد الأفعال، وتركب جمل أو تعيد بناء جمل أقوى حول الفعل.

٣ - دقق آخر واجب كتبته من حيث الإيقاع والتنوع والتوكيد. ولا تجري تغييرات لمجرد التغيرات، بل اقرأ كل جزء بصوت مسموع، ولا تعد كتابة إلا تلك الجمل التي تحتاج إلى تحسين، بحيث يبدو الصوت طبيعيا بالنسبة للأذن بشكل عام.

تدريب المفكرة

نسخ:

نظرًا لبطء العين، يعد النسخ واحد من أفضل الطرق لتعلم التأليف. كما أنه، يساعدك، في نفس الوقت، على تطوير أسلوبك. وتستوعب من خلاله العديد من الإيقاعات، وتنويعات تراكيب الجمل، وهذا ما سيظهر في كتاباتك الخاصة في وقت لاحق في المستقبل.

١ - انقل الفقرة التالية وانتبه عن قرب للإيقاع جملها:

«اليوم، التاسع من يوليو ١٩٧٥، أي بعد مضى ثمانية وخمسين عاما على اليوم الذي وحدنا فيه حياتنا، وبعد مضى ما يقرب من العامين على رحيلك عني، سأحاول أن أتحدث عنك ما دام قد طلب إلى ذلك. أولئك الذين يعرفون حياتك العامة، ويعرفون عن حياتك عالما وكاتبا أكثر مما اعرف عنها أنا نفسي، كتبوا وسيكتبون مؤلفات جميلة وعميقة عنك. أما أنا، فإنني أريد بكل بساطة أن أخلد للذكرى مستعيدًا ذلك الحنان الهائل الذي لا يعوض؛ ولا شك أنك تدرك ذلك أنت الذي كتبت لي ذات يوم: «لسنا معتادين على أن يتألم الواحد منا بمعزل عن الآخر». لقد قضينا في هذا الوادي، في قلب (الدولوميت) أسابيع طويلة من الصيف خلال ثمانية عوام؛ وقبل عامين كنا نقضى فيه أيضا أسابيع أخرى. لقد أردت العودة إليك، لكنك لم تكن قادرًا على المشي، وما كنت لأتركك وحدك أبدا. . » من كتاب «معك» لسوزان طه حسين.

٢ - انقل كلا من الفقرات التالية، قبل أن تقوم بالكتابة الحرة، فقرة كل يوم. وستصاب بعدوى الإيقاعات:

«سيدهشك أن تكتشفي هذه الرسالة في صندوقي، فوق حزمة من الإسناد. ولربما كان أفضل أن أودعها لدى مسجل العقود فيردها إليك بعد موتي، أو أن أضعها في درج مكتبي، وهو أول الأدراج التي سيخلعها أبنائي وجسمي لم يبرد بعد. ولكني منذ سنوات أنشئ في فكري هذه الرسالة فأتمثلها أبدا، خلال ساعات أرقي، بارزة على رف الصندوق. يخيل لي أني أسمع هذه الصيحة، منذ الدهليز، وأنت عائدة من المصرف: «السناد في الصندوق!» تنادين بها الأولاد من خلال نقابك الأسود». - من كتاب «عقدة الأفاعي»، (فرانسوا مورياك)، تعريب نزيه الحكيم.

«.. أستغرق في أحلامي الشريرة، فأحلم (بنابليون)، وكيف كان حبه الشديد لذاته، سر إرادته التي لا تعرف المستحيل في سبيل تحقيق ما يريد، أحلم به وبعشيقاته وانتصاراته، والمجد الذي أعطاه له الناس.. أثارتني شخصية (هتلر)، أحسست أنني لو سرت في طريق الشر سأكون مثله.. في نوع من أحلام اليقظة جاء إلى الشيطان، وأغراني أن أصبح زعيما (كهتلر)، قال لي: أنت لا يمكن أن تكون (كنابليون)؛ لأنه من النوع المتمرد، الذي يعبد ذاته ولا يقيم وزنًا للشرائع والقوانين.. ولكنك تشبه (هتلر) في أعماقك نار محرقة، لهيب متقد، شقاء روحك يمكن أن يلهب حماس الجماهير، يمكن أن يحرق العالم.. إن أعظم زعماء التاريخ أثرًا، هم الأشقياء، الذين دفعهم شقاؤهم العظيم إلى إحراق العالم، إلى التغيير..» - من كتاب «رسائل من السجن» لسمير الهضيبي.

«لو رجعت إلى الذاكرة ما وجدت إلا صورًا متناثرة لا تعني شيئا. قمرا يطل من نافذة عالية، أقمارا ثلاثة يخرجن من تحت القبو صفا واحدا، حنطورا يتهادى في الميدان بامرأة كالمحمل. الزمن القديم في الحي العتيق، لم يبق من حياته الحافلة إلا ما تعيه الطفولة. مناظر غائمة وأصوات غائبة وحنين دائم وقلب يخفق كلما حركته روائح الذكريات، ما كان أجدر ذلك كله أن يتلاشى في ظلمة الماضي، فلا يستطيع الحب أن يستنفذه من الموت لولا خالدة الذكر أم أحمد. قوية، سمراء، متحدية، في ملاءمتها اللف ووجهها السافر وشبشبها الرنان وصوتها الغليظ النافذ ولسانها الذي لا يهمد ولا يعرف الحرج. بيتها كان يقع ملاصقا للشرفة التاريخية لبيت القاضي، يصل إليه الزائر من ممر ضيق متصاعد مترب..» - من رواية «صباح الورد» لنجيب محفوظ.

«الحمد لله الذي تفضل على فسخر لساني وقلمي للتعريف بدينه، وأنهضني بواجب الدعوة إلى شرعه، أسأله عز وجل أن يقدرني

على الشكر الذي يرضيه على نعمته الجليلة هذه، وأن يتوجها بأجل نعم الدنيا بعد الإيمان، ألا وهي نعمة الإخلاص لوجهه، وأن يقصيني من حظوظ نفسي التائهة الأمارة» - من مقدمة كتاب «الحكم العطائية» للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

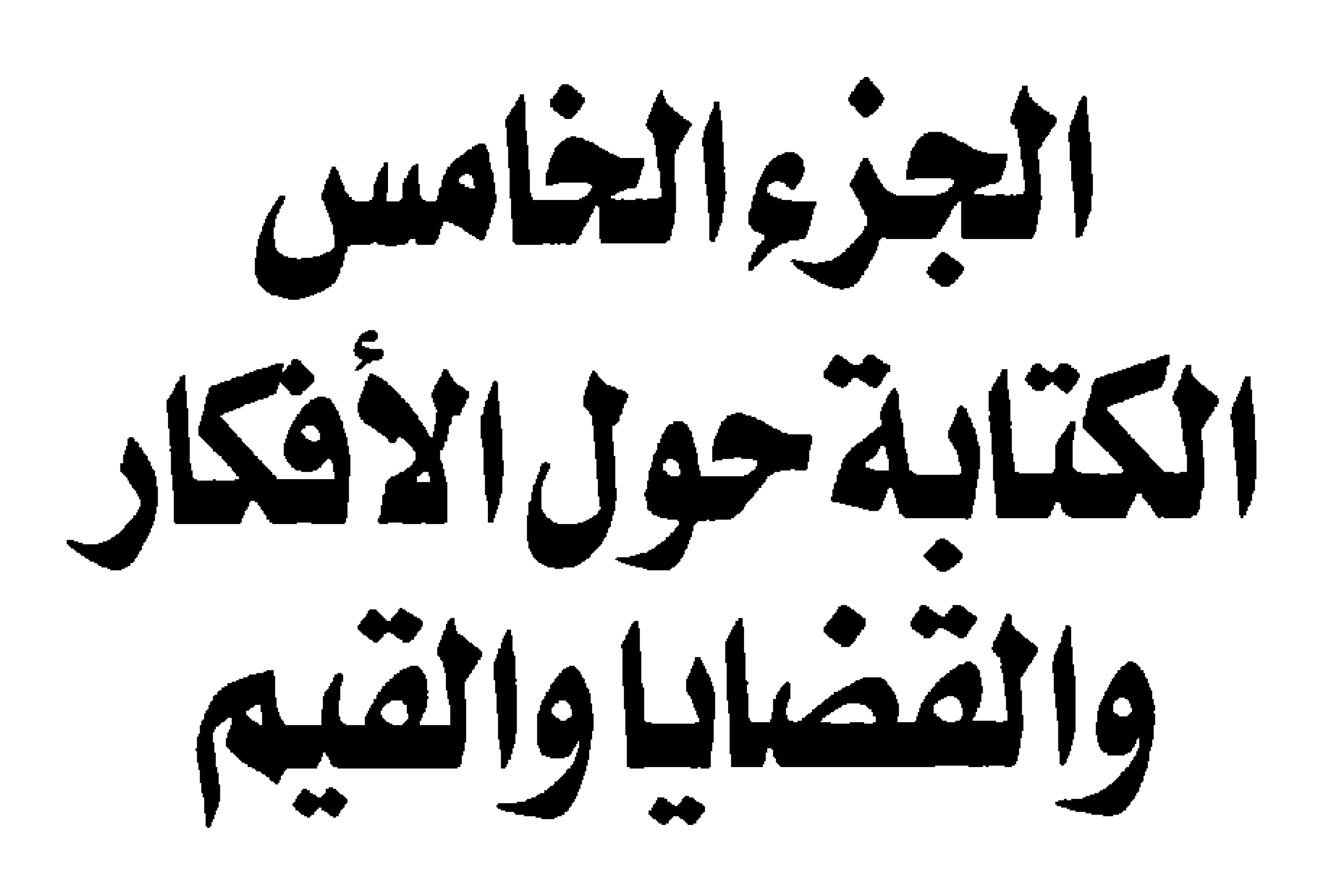
* * *

تم الرجوع في هذا الفصل إلى:

ملخص قواعد اللغة العربية، المشار إليه سابقًا.

* * *



«صوت الفكر صوت ناعم، ولكنه لا يستقر حتى يسمع، وفي النهاية، وبعد رفض لا ينتهي ينجح. وهذا أمر من أمور قليلة يمكن للمرء أن يتفاءل بوجودها فيما يتعلق بمستقبل البشرية».

(سيجموند فرويد)



أنماط كلاسيكية من التفكير

أيا (أرسطو) الكبيـر الطيب، كلما احتجنا إلى مواجـهة التعقيدات والقضايا الصعبة في زمننا، توجهنا إلى اليونانيين القدماء طالبين النصيحة.

فمنهم ورثنا أدوات تفكير عـديدة، لا تقدر بثمن، لحل المشكلات الصعبة، وطرقًا لتنـظيم عمليات تفـكيرنا وفحص أفكارنا. فـقد كانت فكرة (أرسطو) التي علمتنا أنه من خلال الفهم الـعميق للأمور، نستطيع أن نجد ترتيب للعالم وخريطة له. وضح لنا عمله بأن علـينا أن نتعلم وأن نرى الحقيقة أولا كما هي في الواقع، وكان ذلك مفهوم أصيل وجوهري في ذلك الوقت. وتتبع (أرسطو) الحقائق، وبين أنه من خلال فحص العلاقات وتصنيفها، يمكن أن تقود الحقائق إلى مبادئ عامة.

ومثل ذلك، تعد الكتـابة الجيدة، والفكر الـواضح، وجهين لعملة واحدة. فنـحن نبدأ بإدراك مكثف، وبمـعرفتنا كـيف نرى الشيء، وتفاصيـله، نتعلم اتباع حواسنا - ونميل إلى البناء على ذلك.

ومع الوقت يصـبح ما يجذب انتـباهنا، تـفاصيل أو حقائق أضـاءتها فكرة مجرده أو فكرة مجسدة في حقـيقة. وعلينا أن نطور تقنيات أفضل، تساعدنا على تـبين العلاقات وصـياغة الأحكـام. ويرجعنا هـذا إلى الوراء، إلى زمن (أرسطو) القديم مرة أخرى. فـمن عمله ورثنا عـددًا من الاستراتيجيـات التي تحقق أهدافنا مثل: المقارنة، والتباين، والـتصنيف، والتعريف، والتحليل. وتوفر لنا كل واحدة من هذه الاستـراتيجيات، سواء منفردة أو مشتركة مع أخـرى، طريقة قيمة للتعبير عن أفكارنا التي في عقولنا - وتنظيمها، من ثم، في مقالاتنا.

فإذا قمت بمثل هذا النوع، من العمل من قبل، وبدا لك مربكا أو مملا، اصبر، فأنشطة العقل، ليست منفصلة عن حياتك الداخلية. كل العمل الفكري المحترم، ينبع من قوة روحية. كما تكمن جدارة العقل في قدرته على تبني مبادئ جديدة، وأساليب جديدة، حتى عندما تكون الأمور صعبة. وتذكر بأن الهدف ليس الأسلوب أو التقنية في حد ذاتها، ولكن الإثارة، غذاء للعقل، للروح، وهي تأتي من إتقان استبصارات فكرية أعمق.

المقارنة والتباين

تعني المقارنة، إبراز التشابه. أما التباين فهو إبراز الاختلاف. ولاحظ بأنه في كلتا الحالتين استخدم التعبير إبراز. لأن استخدام استراتيجية المقارنة والتباين تمكن الكاتب من أن يكون محدداً. وقد ثبت بأن تلك واحدة من أكثر الطرق نجاحا بالنسبة للكتابة حول الأفكار المجردة. ولكن لكي تستخدمها في الكتابة، عليك أن تراها في مادتك أولاً.

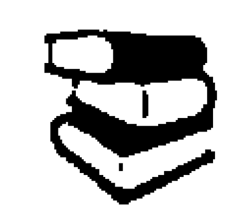
هل تريد أن تفهم الحركة النسائية؟ حسنا. إحدى الطرق لفعل ذلك، مقارنتها بالثورات الاجتماعية الأخرى، كجهود الأمريكيين السود في سبيل الحصول على حقوقهم المدنية.

مقارنة

«كل من النساء والسود حصروا بشكل اعتباطي في مهن معينة وأدوار اجتماعية محددة وذلك بسبب مواصفات الجنس واللون الموروثة.

كلاهما اعتبروا أقل ذكاء من الذكور البيض، وكلاهما منع من التعليم في وقت من الأوقات.

كلاهما «تشرفوا» بمميزات نمطية: السود لقدرتهم البدنية ومرحهم، والنساء لعذريتهن وأمومتهن. وتبعا لذلك عادة ما يحاول كل من السود والنساء العيش في إطار نمطهم».




قـال (أرسطو) إن رؤيـة العلاقات، هي واحدة مـن الأمور الأعلى في سلم الذكاء الإنساني. ونحن من خلال المقارنة، نرسم معا مميزات متشابهة تجمع الأشياء أو المفاهـيم التي قد تـبدو مخـتلفـة. وعلى نفس الـقدر من الأهمـية يكون دور التباين. فكر في الحركة النسائية، وحركة السود من أجل المساواة.

التباين

على الرغم من أن عدم الموافقة على الوسائل، يميل السود إلى دعم الأهداف ذات الحقوق المتساوية، ولكن النســاء انقسمن وكونت بعضهن مجموعات لمعارضة الحقوق المتساوية.

حركة الـسود تمخـضت عن قائد سحر الجـماهير هـو (مارتن لوثر كنج). شخص واحد مثل المثل العليا وعبر عنها. أما حركة النساء فقد مالت إلى التفتت.

الضـغط من أجل التغـيير دائما مـا يبدأ أولا بالـسود ثم يتبع بـوقت قصير بالنساء (هل هي علاقة السبب والأثر؟).

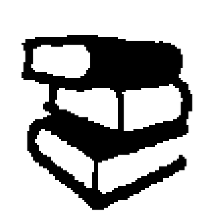
المـقارنة والتباين، معـا، أو منفصلين، يمكن أن يـقودا إلى استبصار. حيث تستدعى التبـاين أو التضاد بعضًا من المميزات التي يسعى لها كتاب التقارير في أي مادة. ويمـكن أن ينطبق نـفس الشيء في الغـالب على محلل دائـرة الولاية الذي يدرس الإنفاق العسـكري أو عـلى تنفيذي أعمال يـدرس اتجاهات السوق. المقارنة والتباين هما اسـتراتيجيات مـفاهيميـة توضح، مثلما يـوضح مفهوم الذكورة من خلال الأنوثة والعكس.

التصنيف

التصنيف هو ترتيب الأشخاص، أو الأماكن، أو الأفكار، أو أي شيء آخر في مجموعات، أو فئات وفقا لمواصفات مشتركة.

والـهدف من التـصنيف هـو الفهم الكـلي لشيء ما من خـلال فهم ترتيب أجزائه.





والتصنيف، في الحقيقة، أمر نفعله كل يوم تقريبًا دون الكثير من التفكير الواعي. فنجمع عند الغسيل الملابس الملونة في كومة، والملابس البيضاء في كومة أخرى، أو يكون التجميع على أساس الملابس الصناعية والملابس القطنية. وبغض النظر عن مجموعتك، أنت تفعل ذلك لأن خلطهم عشوائيا قد يعني إفساد بعض الملابس. ويحدد الغرض الطريقة التي يتم التصنيف على أساسها، وتستطيع أن تطبق نفس المبدأ على الأسئلة الصعبة والقضايا. فلا يمكن تفسير مفهوم من خلال خلط جميع أجزائه، لأن ذلك سوف يؤدي إلى فهم مربك.

وهكذا، عندما نصنف، نحن نحدد المميزات التي يجب أن يتمتع بها أي بند من البنود أو أي مفهوم ليوضح في إطار صنف معين. ويتم اختيار البنود في التصنيف، وفقًا للغرض، وتؤلف من تصنيف فرعي. فإذا قررت أن تكتب مقالاً فكاهيًا عن جاذبية الذكور الجنسية بالنسبة لإناث الكلية، ربما عليك أن تأتي بالتالي:

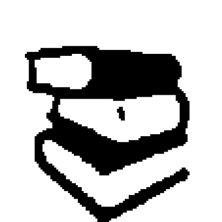
* صنف: عشاق الكلية المحتملين.
* صنف فرعي: حزب الأولاد، مشجعو الوشم، أصحاب الشعور الطويلة، وهكذا.

وإذا أردت أن تكتب مقالاً جادا عن نفس المادة، من ناحية أخرى، فإن تصنيفك الفرعي سيكون مختلفًا تمامًا.

* صنف: عشاق الكلية المحتملين.
* صنف فرعي: الخائفون من الالتزام، الناضجون والحساسون، الجادون والطامحون، وسواهم.

أما الخطوة الأخرى في التصنيف، فتحدث عندما تتعرف على المميزات المختلفة لأي بند من البنود في التصنيف الفرعي.

* تصنيف فرعي: الناضجون والحساسون.
* مميزات مختلفة: احترام الذات، تحمل المسئولية، اللباقة في التعامل.




ولكن كيف يمكن أن يساعد كل هذا في العمل مع مادة مجردة؟

أولاً: يقدم لك وسائل لتضيق نطاق أي مادة واسعة إلى موضوع أكثر تحديدًا، يمكن التحكم به.

ثانيًا: ربما يشكل التصنيف والتصنيف الفرعي الذي تصل إليه كميات مختلفة من ورقك (بمعنى آخر، يساعدك كل هذا على ترتيب متن المقال).

ثالثا: ربما تنفع تقنية التصنيف في حد ذاتها، كطريقة للتقديم.

وفيما يلي كيف قدمت طالبة إدارة أعمال لورقتها التي تدور حول النظم الاقتصادية:

«تعتمد العلاقة بين النظام الاقتصادي وبلد ما ومقدار التنظيم الحكومي لذلك النظام على خمسة هياكل تنظيمية هي: الشيوعية، والاشتراكية، والفاشية، والرأسمالية المنظمة، والرأسمالية الصرفة. ولا أستطيع في هذه الورقة القصيرة حول هذا الموضوع التعامل مع كل ذلك، وسأحاول بدلا من ذلك أن ألقى الضوء على وظائف متباينة من الحكومة في نظامين يبدو عليهما التشابه وهما الرأسمالية المنظمة والرأسمالية الصرفة، وسوف أحاول أن أوضح بأن هذه الوظائف مختلفة في الحقيقة اختلاف الليل والنهار».

الاقتصاديات موضوع صعب ومجرد، تم تصنيفه بخمس طرق من ترتيب الهيكل الاقتصادي في المجتمع. ثم ضيقت الطالبة موضوعها، واقتصرت على اثنين من هذه الهياكل. ومن خلال محاولتها رؤية تصنيفات المادة الفرعية المختلفة (فكريا) وفقًا لغرض معروف، استطاعت أن تصنف الترتيب الناتج وبدأت عملية الفهم. فالتصنيف يساعد كلا من الكاتب والقارئ على تركيز الفهم.

التعريف

ربما يخفض التصنيف المادة من مستوى مفهوم عام إلى مجموعات أكثر تحديدا، ولكن ما لم نتفق جميعا على معنى هذه المجموعات، لا تكون واضحة.

لقد مررت في الغالب بجميع تجارب النقاش مع شخص ما، حيث تبادلت حوار ساخن وانفعالي، لمجرد أنك استخدمت نفس الكلمة لتعني أشياء مختلفة.

فبدون التعريف، ربما لا يحدث التواصل. الرأسمالية، مثلا، لا تزال مصطلحًا عامًا، أما الرأسمالية المنظمة فهي أقرب إلى المصطلح الخاص. ربما غير مألوفا بالنسبة للعديد من القراء. وفيما يلي كيف استمرت الطالبة في ورقتها حول النظم الاقتصادية:

«النظام الرأسمالي هو واحد من أقدم النظم الاقتصادية في العالم. وهو في جوهره يوصف من خلال السوق الحرة والملكية الخاصة للإنتاج وسبل التوزيع. فعندما يتقابل فلاحون من غرب أفريقيا، على سبيل المثال في سوق لبيع وتبادل بضائع مبنى على حاجاتهم ورغباتهم، دون أي تدخل من سلطة أخرى، يكونان مرتبطين بشكل أولى من الرأسمالية. ولكن الرأسمالية المنظمة مختلفة تماما. توصف من خلال الملكية الخاصة الخاضعة لأحكام الحكومة. وتمنع الأحكام نظريًا أي شخص أو أية شركة من السيطرة على المكاسب. وفي المقابل تعني الاشتراكية أن الحكومة لا تنظم السوق فقط بل تملك معظم الإنتاج وسبل التوزيع، وتستحوذ على المكاسب».

لقد استخدمت الطالبة طرقًا تقليدية من طرق التعريف. حيث وصفت المميزات الأساسية لكلا النظامين. وقدمت شرحا محددا لأحد النظامين، ومثالاً للآخر، وقارنت النظام الثاني بنظام لا يشبهه.

ومثلما تشكل الأحاسيس التجربة، تشكل الكلمات الأفكار. وقد يؤدي الفشل في تعريف الكلمات إلى تفكير فاشل. ولكننا هنا نتعامل مع أمر أكثر من مجرد تعريف لمصطلحات محددة. فالتعريف موجود في كل فكرة تتعلق بفهم الأفكار في حد ذاتها. وربما تتطلب مفاهيم مثل: الحرية، والتخيل، والقدر، والطبيعة الإنسانية، وكذلك الرأسمالية مزيدًا من الشرح - مطاردة المعنى من خلال مقال كامل أو حتى كتاب. وهكذا فإن التعريف يعني، تصنيفًا من خلال الدقة، ويعني كشف الطبيعة أو المميزات الأساسية للمفهوم.

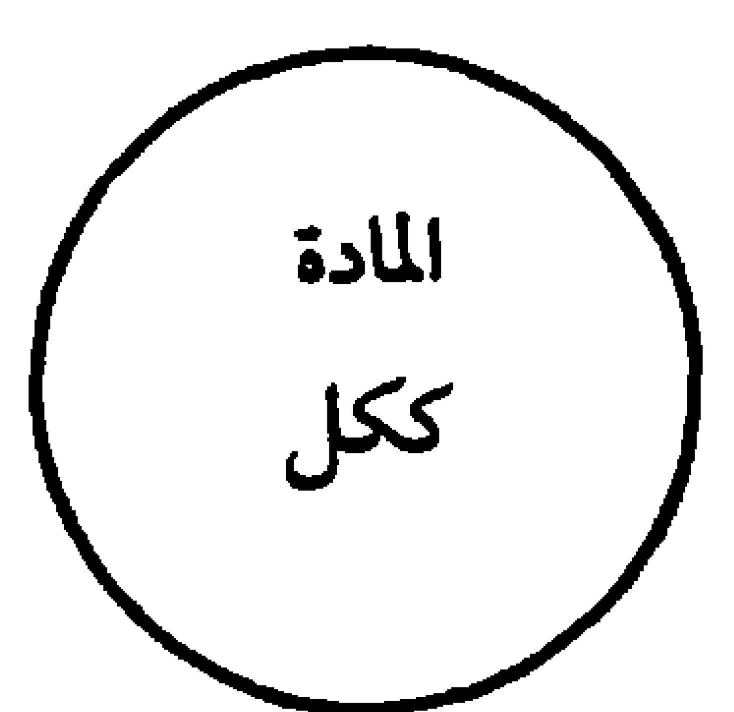
وتبدأ الحاجة إلى التعريف بداخلنا عندما نقترب من مادتنا أولا، ثم نبدأ الكتابة، فيما بعد، لتصبح الحاجة إلى التواصل وشرح ما عرفناه عامة.

التحليل

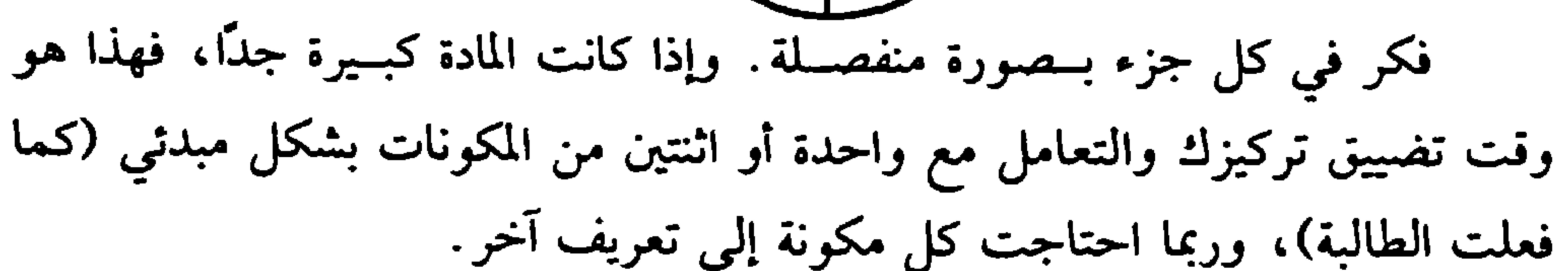
لكي تحلل مركب كيميائي، أو قصة قصيرة، أو حملة سياسية، أو طبيعة الحياة الجيدة، عليك أن تقسم المادة إلى أجزاء للدراسة الفردية، مثلما هو الحال مع التصنيف. إلا أن التصنيف يتوقف عند تعريف الأجزاء، بينما يواصل التحليل حتى تقسيم علاقاتها.

وفيما يلي، العملية التحليلية:

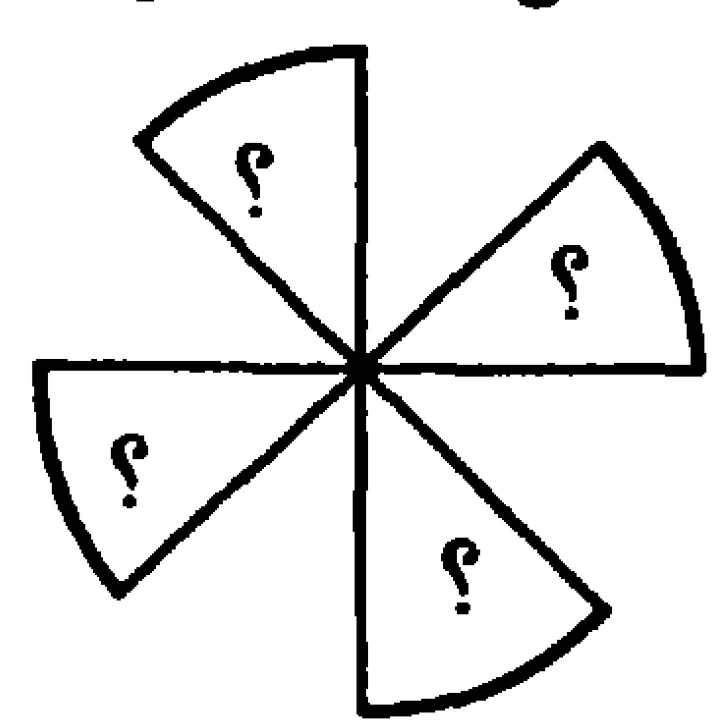
فكر في المادة عموما كفكرة، أو مناقشة، أو قضية، أو أي شيء في سياقها الكلي. والتعريف العام ضروري عند هذه النقطة.



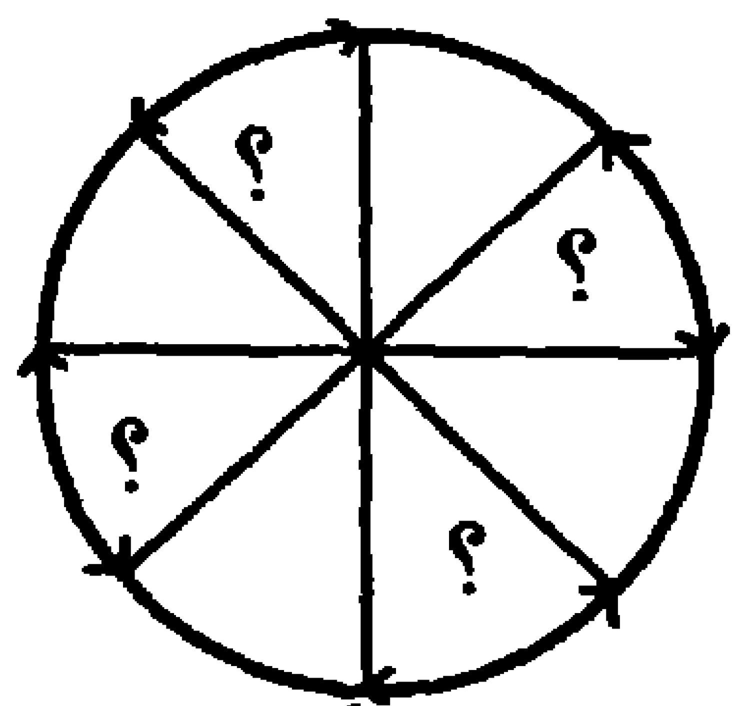
قسم المادة إلى مكونات مختلفة في التصنيف (يتحدد هذا من خلال غرضك)



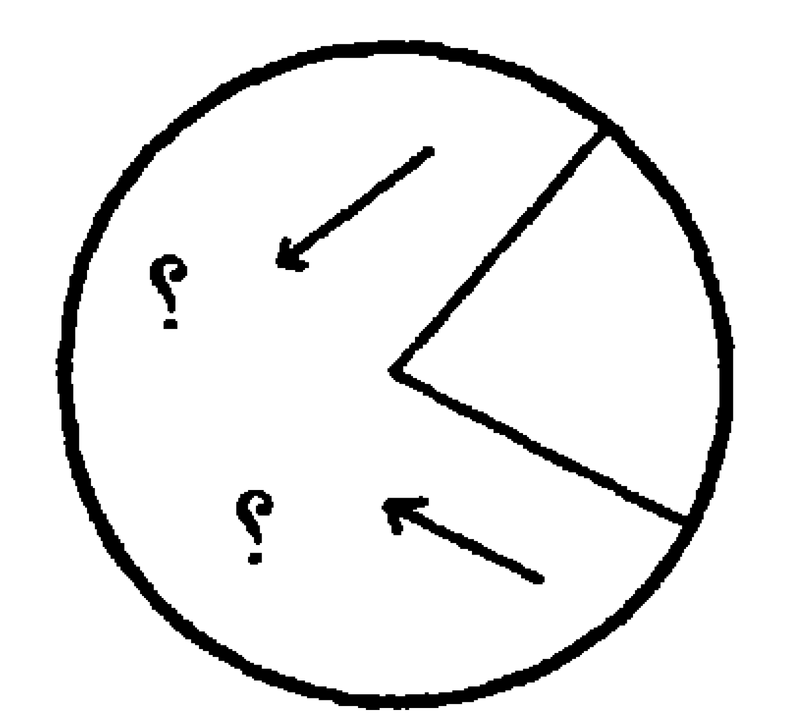
فكر في كل جزء بصورة منفصلة. وإذا كانت المادة كبيرة جدًا، فهذا هو وقت تضييق تركيزك والتعامل مع واحدة أو اثنتين من المكونات بشكل مبدئي (كما فعلت الطالبة)، وربما احتاجت كل مكونة إلى تعريف آخر.



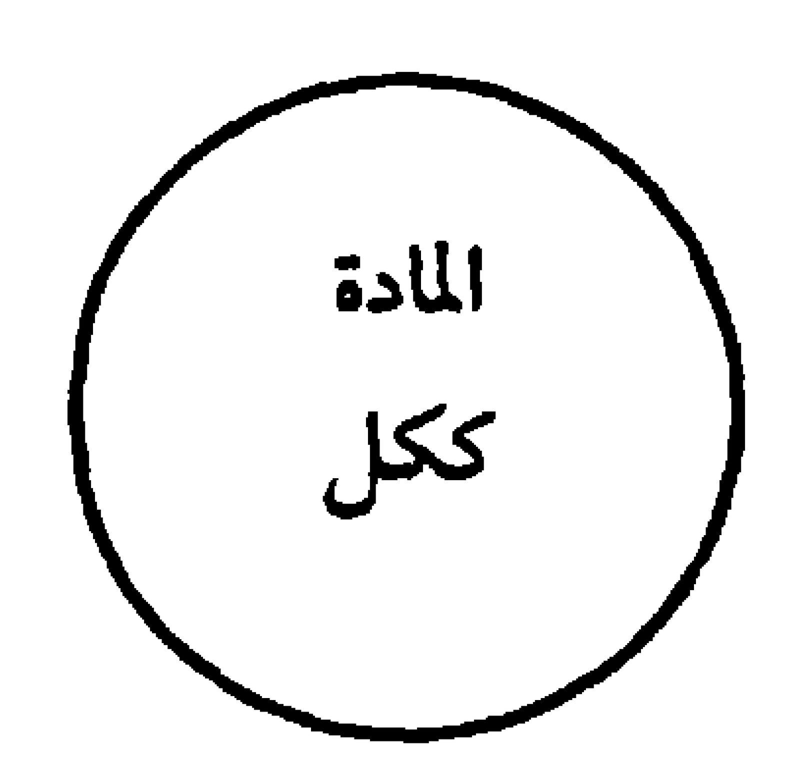
قيم علاقة كل جزء بالنسبة للجزء الآخر. وستثبت إستراتيجيتي المقارنة والتباين أهميتها في هذه المرحلة.



إذا اقتصرت تركيزك على مكونة واحدة، فكر في كيفية تعلقها بالمادة ككل.



فسر نتائجك، في ضوء ما صرت تعرفه عن المادة من دراستك للأجزاء وعلاقاتها (عادة ما يلغى الطلاب هذه المرحلة النهائية، إلا أن التحليل يكون عديم القيمة، ما لم تجمع المادة مرة أخرى وتشكل بصورة كلية).



تستطيع رؤية استخدام التحليل لطرق تقليدية أخرى، مثل التصنيف، والمقارنة والتباين، والتعريف، ومن خلال جمعها واكتشاف العلاقات، ستجد أن التحليل يصبح واحدًا من أهم الاستراتيجيات الفكرية التي يمكنك تعلمها. ومن أجل مزيد من الوضوح، ينقسم التحليل بشكل تقليدي إلى ثلاثة أجزاء مرتبطة وذات اقترابات مختلفة نوع ما، تحددها أهدافك.

تحليل البند

إذا كان غرضك هو أن تفهم تنظيم حكومة الولايات المتحدة فيمكنك تقسيمها إلى (الكونجرس) و(الرئاسة) و(المحكمة العليا). بحيث يتم التفكير في كل بند بشكل منفصل. ما هي تركيبة الكونجرس؟، ولماذا قسم إلى (مجلس الشيوخ) و(مجلس النواب)؟ وما هي مسئولية كل واحد؟ وكيف يتم اختيار الأعضاء؟ ثم يمكن بعد ذلك أن تصف الأجزاء وخصائصها الفردية (كما في التصنيف) وتستطيع، في المرحلة التالية، أن تفكر في العلاقات. ما هي مسئولية رئيس المحكمة (بالكونجرس) ورئيس (المحكمة العليا)؟ وكيف تتأثر المحكمة (بالكونجرس) والرئيس؟ وأخيرًا، وفي ضوء ما وجدت، تستطيع أن تجمع المعلومات والتفسيرات، مرة أخرى لتفكر فيما أصبحت تعرفه عن المادة ككل.

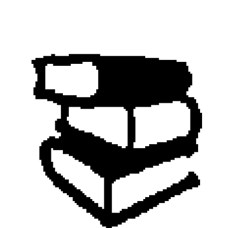
من الواضح أن هذا المثال يقترح التخطيط لكتابة كتاب - أو بضعة كتب، ولكن حتى لو ضيقت حدود تركيزك حول أي عنصر من العناصر، فإن طريقة تحليل التغيير، ستظل كما هي، من حيث التقسيم إلى أجزاء، لدراسة كل جزء بشكل منفصل.

تحليل العملية

إذا أردت فهم العلاقات التي هي جزء من سلسلة زمنية، عليك أن تتبع وتقيم العملية. ويحاول هذا الكتاب العمل على عملية الكتابة وأثناء الإعداد له، أنفقت سنوات عديدة على التفكير في المراحل الحقيقية التي يمر بها العقل وهو يستكشف مادة ما، والكلمات التي توضع على الورقة لأول مرة، وإعادة العقل لتشكيل تلك الكلمات وتوضيحها. ومحاولة تقسيم العملية إلى مراحل واضحة. وقراءات حول كيفية وصف الآخرين لمثل هذه المراحل في كتاباتهم.

ومحاولة رؤية كيفية ارتباط كل واحدة منها بالتسلسل. ومع ذلك لم يتم التمخض عن أي اكتشاف جديد. فقد تحول الإظهار والاستكشاف، والتسويد والترتيب والمراجعة والتدقيق إلى عملية طويلة يعرفها الكتاب المحترفون والعديد من مدرسي الكتابة، ولكن ذلك كان استبصاراً لا يقدر بثمن. فمن خلال تعريف





مراحل العملية وعلاقاتها ببعضها، اتضحت مادة الكتابة ككل. وساعد التحليل على فهم سبب عدم جدوى بعض طرق تدريس الكتابة حين تدرس خارج التسلسل. فطرق الاستكشاف التي تناقش في هذا الفصل هي في الحقيقة طرق للفحص والتفكير في المادة، التي يمكن أن تصبح طرق لتنظيم نفس المادة على الورق فيما بعد. وهكذا يعني تحليل عملية، استكشاف الطريقة التي يعمل بها العقل ويسير بها العالم - في تسلسله الحقيقي.

تحليل السبب والأثر

يمكن أن تتضمن العملية كل من السبب والأثر، ففي أي وقت تحدث فيه الأحداث في تسلسل، فإن الاحتمال القائم هو أن حدثًا قد سبب الآخر. وعادة ما يكون مثل هذا النوع من العلاقة المحتملة، مشحونًا بالخطر. وعلينا دائما أن نفرق بين العوامل الضرورية والعوامل الطارئة، أو الصدفة. فإذا سبق (س) (ص) فهل يكون (س) السبب في حدوث (ص) بالضرورة؟

فعلى سبيل المثال، إذا افترضنا إن أناسًا يعيشون في منطقة بعيدة جدًا عن (هيروشيما) عندما ألقيت أول قنبلة ذرية عليها وسمعوا الخبر في الإذاعة، وبعد لحظات تحولت السماء إلى سواد مائل إلى الاخضرار، وعصفت الرياح وضربهم إعصار، أفقدهم منزلهم. ورغم بعدهم ظلوا مقتنعين بأن ما عاشوه كان سببًا للقنبلة الذرية. وكان ذلك خوفا عاديا، ورابطة طبيعية من روابط العقل. فقد وصف (تولستوي) كيف اعتقد الرقيق في طبقته الاجتماعية أن رياح الربيع كانت بسبب البراعم الجديدة النامية على أشجار (البلوط). رغم أن العلاقة في كلتا الحالتين كانت علاقة صدفة أو علاقة طارئة، فهمت على أنها سبب بشكل غير صحيح. وكان هذا النوع من المظهر الخادع شائعا عبر التاريخ الذي أطلق عليه المنطقيون وصفا خياليا - يعني ببساطة «بعد ذلك، لذا نظرًا لذلك» - بعد أن أكلت القطة كبدة نيئة، تسلقت الشجرة، وكان هذا سبب تسلق القطة الشجرة، أنها أكلت الكبدة نيئة. ربما تبدو هذه الأمثلة سخيفة، ولكن عندما يواجه طبيب بأعراض مرض، لابد أن يحدد السبب، ويمكن أن تكون تبعات الخطأ قدرية.

كيف إذن يمكننا أن نكون متأكدين بشكل معقول من علاقة السبب - الأثر.

في المختبر العلمي، هناك قاعدتان ينصح بها كاختبار:

١ - بدون (س) لن يكون هناك (ص).

٢ - كلما وجدنا (س) نجد (ص).

ويجب أن يقابل أمرا أو آخر من هـذين الشرطين (البـعض سيقول الاثنين) السبب لكي يـعتبر مؤكـدا بشكل معـقول. ومثلـما يمكن أن تصـلح هذه المعادلة للتعامل مع التـعقيدات خارج المختبر، يمكن أن تـقود أيضا إلى تشويه ومبالغة في التبـسيط. كأن يقال: بدون (هتلر) ربما ما كانت الحرب العالمية الثانية لتندلع، رغم أن (هتلر) لم يكن السبب الوحـيد للحرب. فقد لعبت آلاف من العوامل الأخرى دوراً مهمًا. كانت هناك عوامل سببية، وعدد غير قليل من العوامل الأخرى.

عملية التأليف والكتابة

أي من الـعمليات الـعقلية المـراجعة في هذا الفـصل هي الأفضل؟ أي منها ستكون الأكثر أهمية بالنسبة لك في أوراق البحوث؟ وأي منها ستخدمك جيدا في عملك؟ أما الإجابة، فهي كـلها. قسمت هذه العمليات الـفعلية في استراتيجيات مـنفصلة من أجل المناقشة والتوضـيح، ومن الأسهل عليك أن تتعلم طريقة واحدة في الوقت الـواحد. ولكن صـحيح جدا، أن يـؤدي استخـدام كل ما عرض إلى تشويه للطريقـة التي يعمل بها العقل البشـري بالفعل. فالكاتب الحكيم لا يجلس ويقول: «سـاكتب الآن مقـالة (مقـارنة وتبايـن) لمجلة ما»، بـل يبدأ بمادة - عن إصلاح السجن في (كاليفورنيا)، مثلا، أو عن معالجة النساء في الأدب الأمريكي. وفي عملية دراسة المادة لا يستخدم الكاتب الطرق المشروحة في هذا الفصل فقط - المقـارنة والتباين والمفارقة، والـتصنيف والتعريف والتـحليل - ولكن جميع الطرق الأخرى التي تمت تغطـيتها في هذا الكـتاب. فهو يبحث عن من؟ وماذا؟ وأين؟ ولماذا؟ ومتى؟ وكيف؟ بالنسبة للأمثلة الإنسانية سيجعل تلك المادة تأتي حية وتبدو وثيـقة الصـلة بالمـوضوع؛ سيـبحث أيضـا عن التغـيير، والـصراع، الخصائص،

والمقدمات المحتملة التي ستخلق بداية خيالية. كما يقيم الكاتب ويفسر. ويمكن أن يستخدم كل من هذه كجزء من مثال رسمي سواء كان على حده أو مرتبطا بأمر آخر. كل اختيار هو طريقة لنهاية - طريقة لشرح مادة للجمهور. أما التأليف فهو فعل تركيب أجزاء منفصلة لتشكيل كل. ففي الكتابة «لا يؤلف» المرء وهو يمضي في عملية تفاعل إلى الوراء وإلى الأمام مع جميع الاستراتيجيات المحتملة، ولكنه يختبر المادة في مقابل جميع الإمكانيات المتغيرة في العقل.

ولكن تذكر، أن كلا من هذه الطرق ليست سوى طريقة في حد ذاتها. وحتى عندما نركبها، فهي لا تتضمن معلومات؛ ولهذا عليك أن تتحول إلى الخبرة الشخصية، والمقابلات، والقراءة، وحيث تستخدم مثل هذه الطرق في سعيك نحو الحقائق، والتفاصيل، والمادة التي تقود إلى الفهم. وتأتي الحيوية في الكتابة من غمر لطاقاتك، ومن الالتزام بالتجربة التي تكتب عنها. حيث لن تكون الأفكار ولا القضايا ولا القيم المجردة مهمة إلا إذا عشتها، واستخدمتها بطريقة ملموسة، وشعرت بها وأوليتها اهتمامًا. ويجمع المقال المؤلف بشكل كامل، كل ما لديك وكل ما تعلمته: أنها العملية التي تعمل بصورة كاملة، فلا تتوقع أن تأتي بسهولة. البدايات والتوقعات، والارتباك، ورمي الأوراق جميعها أمور طبيعية. وسيكون هذا العمل هو الأكثر تطلبا مما حاولت من قبل، ولكن الإصرار، يثير التحدي، ويحفز التزام الذات، واستغراق العقل. فابدأ بفعل التأليف باستخدام كل ما تعلمته ومارسته.

وفيما يلي بعض الخطوط العريضة للخطوات التي يمكن أن ترغب في أخذها وأنت تقترب من الفكرة، أو القضية أو القيمة انطلاقا من الطرق المختلفة التي قد تكون مفيدة في الإعداد للكتابة.

عملية الاستكشاف

١ - ابدأ بإلقاء نظرة عامة للمادة ككل.

الطريقة

عرف مصطلحات المفاهيم باستخدام القاموس. واستخدام دائرة معارف أو




مقالاً عامًا لتستكشف خلفيتها، إذا كان ذلك ضروريًا. وفكر في الطرق المختلفة التي يمكن من خلالها تصنيف المادة. ما هي مجموعاتها الأساسية؟ وكيف تستطيع أن تضيق المادة إلى مكونة واحدة محددة، أو صنف فرعي يمكن معالجة في مقال صغير؟

عملية الاستكشاف:

٢ - من سؤال أو سلسلة من الأسئلة حول المادة المضيقة.

الطريقة

عرف أبعد من المصطلحات المحددة والمكونات التي تخطط للكتابة عنها. استخدام - إذا كان بالإمكان - تقنيات للمقارنة والتباين للتركيز على هدفك بصورة أكثر وضوحا ولصياغة أسئلة محددة للتحقيق.

عملية الاستكشاف

٣ - ابحث عن التفاصيل وخصص مصادر أصلية للمقابلة، إن أمكن بالإضافة إلى قراءة بضع مقالات أو فصل من كتاب ذا علاقة.

الطريقة

ابحث عن العناصر الخمسة وعناصر التغيير، التباين، والنتيجة، والتوصيف وجمع أمثلة محددة لتجعل المادة ملموسة كلما أمكن. ثم حلل وفسر وقيم ما اكتشفت.

وستتبين فيما بعد أن الكاتب المحترف يستخدم العديد من هذه التقنيات في مقال رسمي، ولكن عليك أن تتذكر بأن الناتج الذي ستراه، ناشئ عن عملية تشبه العملية الموصوفة هنا كثيرا.

تدريبات

١ - صف واحدا من البنود التالية، وافترض بأن غرضك هو أن تكتب مقالاً فكاهيًا.

* أصدقاء مقربون.

* إعلانات التليفزيون.

* عارضات الأزياء.

٢ - صنف نفس المادة مرة أخرى بغرض جاد: أن تكتب مقالاً نقديًا للمادة.

٣ - اختر ثلاثة موضوعات من قراءاتك تتحدث عن تعريف لمصطلح أو مفهوم أو أكثر. واذكر رأيك فيه من حيث طريقة التعريف.

٤ - فكر في مشكلة ما، وابدأ بتعريفها، ثم جزءها إلى مكونات أصغر، وقرر أي من الأجزاء يمكن أن يصلح لمقال مقارنة وتباين، وما نوع الاستبصارات التي يمكن التوصل إليها. وابحث عن جزء واحد يمكن أن يبحث لذاته، والاستبصار الذي يمكن التوصل إليه من ذلك، ثم حدد النتائج التي يمكن أن يقود إليها «تحليل العملية»، وما يمكن أن يقود إلى تحليل «السبب والنتيجة» وكيف يمكن لطريقة العناصر الخمسة أن تلعب دورا في تحليلك؟

* * *



حل المشكلة الخلاق

«في أحد أطراف مخزن الحبوب الكبير وعلى منصة مرتفعة ارتقى (ميجور) سريره المصنوع من القش، تحت قنديل تدلى من عارضة خشبية كان في الثانية عشرة من عمره وقد راح مؤخرا يفقد بعضا من قوته. لكنه ما زال يحافظ على جلال شكله كخنزير، بالإضافة إلى مظهره الحكيم الطيب، رغم أن نابيه لم يقطعا بعد. لم تمض فترة طويلة حتى بدأت الحيوانات بالوصول وأخذت أمكنة مناسبة لها، كل حسب طريقته الخاصة كان أول الواصلين الكلاب الثلاثة: (بلوبيل)، و(جيسي)، و(بينشير). ثم جاءت الخنازير واستقرت لتوها في التبن أمام المنصة، أما الدجاجات فجثمت على عتبات الشبابيك، وارتفعت الحمائم إلى الروافد، واستقلت الأغنام والأبقار خلف الخنازير وبدأت بالاجترار».

كان ذلك خيالا جميلا من «مزرعة الحيوان» (لجورج أورويل)، حيث نقل المؤلف ما يدور في عالم البشر بما فيه من سياسة واجتماع واقتصاد إلى عالم الحيوان ليطلعنا على ما يجري من خلال الحيوانات مثلما كان أرسطو نفسه يصل إلى الحقيقة غير المباشرة هذه من خلال اعتقاده بأننا لكي نعرف شيئًا، علينا إن نفعل أكثر بكثير من مجرد رؤيته، حيث ينبغي علينا مقارنته أو مباينته، ووضعه ضمن سلسلة من الأشياء التي هي من نوعه، فنعرفه، أو نقسمه، ونحلل أجزاءه وجميع هذه الاستراتيجيات هي طرق لفهم الشيء نفسه بصورة أفضل، ولكننا توصلنا مؤخرا لمعرفة أن عقل الإنسان يحتوي على طاقة كامنة لتنشيط استراتيجيات

أخرى ربما تساعدنا على التركيز على قضية ما، أو قيمة ما، أو فكرة ما، أو مشكلة ذات نتائج مساوية في الفائدة.

لعب خلاق

الهدف هو اكتشاف حل عقلاني، أو فهم منطقي للمشكلة والطريقة هي استخدام اللعب، أو الخيال، أو الحدس، أو حتى ما يمكن أن يسمى بالتأمل غير العقلاني.

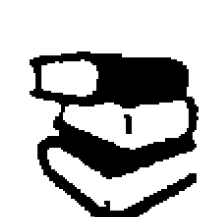
فإذا جربت أيًا من تمارين المفكرة في هذا الكتاب، فأنت قد اشتركت في عدد مما يبدو أفعالاً غير عقلانية من اللعب، وربما ابتدعت عناوين أغاني، أو ألفت قصصا، أو أطلقت صورا سخيفة. من الصعب أن تحاول إقناع أفراد مدربين على استخدام المنطق لكل مشكلة بذلك، ولكن نوع اللعب الذي يطلب منك في مفكرتك ذا علاقة في الحقيقة. فاللعب في حد ذاته متعة، فهو يولد طاقة عقلية، ولا تعتمد مثل هذه المتعة على وجود هدف أو مخرج، كما ليس بالضرورة أن تفضي إلى شيء. فقد تؤدي إلى لا شيء، لكن العملية وحدها مهمة - عملية اللعب المسترخي المفتوح. وبدون اللعب، وبدون الاستعداد لتعليق التقليدية، ربما نكون محدودين بالعادية وبالحياة التي عرفناها مسبقا، والتي باتت متوقعة بالنسبة لنا. فبدون اللعب ربما لم يكتشف أبدا ما يبدو غير قابل للتخيل كالكمبيوتر، وجراحة الليزر، والموسيقى الإلكترونية، وسواها. ولولا اللعب ربما لم يكتب أحد رواية مطلقا، ولم تؤسس رابطة لكرة سلة الماء، ولم يوجد علاج للسرطان. ويمكن للعب أن يقود إلى شيء، أو يقود إلى استبصارات جديدة بصورة مدهشة. والطريقة الوحيدة للاكتشاف هي اللعب. وستستمتع في كلتا الحالتين.

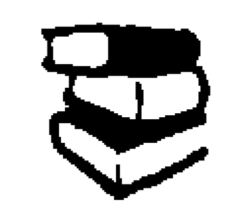
وقد وجدت الدراسات التي أجريت حول عملية الإبداع، ثلاثة أنواع من اللعب الضروري لحل مشكلة خلاق.

١ - الاستعداد العقلي لتجاهل أكثر القوانين الأساسية للطبيعة والإنسان.

٢ - اللعب بالكلمات.

٣ - اللعب بالاستعارة والتناظر.





ويميل القرن الحالي إلى تسيد الخبرة العملية الموضوعية المعقولة، ونشعر رغم ذلك بأننا إذا ما فعلنا، نتوقع أنفسنا ونكون خاضعين لنموذج من عالم خلقه شخص آخر. نحن نحدد أنفسنا بمنظر الثعلب فقط، أو البقرة فقط، ونفشل في تبين بأن الرؤى الأخرى ربما توسع نظرتنا للحقيقة. ونحن غير واعين بأن التحول إلى العالم الذي نتوقعه بسرعة كمعقول كان هو ذاته محتمل التطور إلى طريقة غير عقلانية. بمعنى آخر، إنه من خلال تحديد أنفسنا بالنموذج العقلاني باستخدام العمليات الفكرية العقلانية فقط، نخاطر بعزل عقولنا في عالم المنطق التقليدي والرأي التقليدي. وإذا نحن لم نفتح عقولنا للأفكار التي تتحدى الرأي العام أو التي تبدو ليست ذات علاقة بالتقنية، وإذا نحن لم نطور شيئًا يدعى «استعداد الشك لعدم التصديق» يحكم علينا بالهلاك وبرؤية ضيقة، وفكر عادي.

ورغم ذلك من الصعب أن تعلم أي شخص كيف يستخدم الحدس، وكيف يخلص المرء نفسه من المشكلات أو القضايا، وكيف يشعر بالتعاطف وكيف يلعب بصورة خيالية. توجد طريقة وضعها (وليام غوردن) وفريق من العلماء والمخترعين وعلماء النفس تسمى (Synectics) وهو مصطلح مشتق من الإغريقية ويعني ببساطة تجميع الأجزاء المختلفة، التي تبدو بلا علاقة، وسيكون من الأسهل أن نعرف العملية كلها كواحدة من عمليات التفكير أو التخيل من خلال أنواع متغيرة من التشابه الجزئي أو التناظر.

صياغة التشبيه هو فعل إنساني طبيعي، وقصة مزرعة الحيوان مثال على ذلك، حيث يوضح التشابه ويشرح، ولكن التشبيهات يمكن أن تقوم بدور أكبر، فتستطيع أن تساعدك على اكتشاف ما يبدو غير قابل للتخيل، ويمكن أن تحل مشكلات قديمة بحلول جديدة وأنيقة، وتستطيع أن تجلب استبصارات لطرح أسئلة حول القيمة. عقد التشابه (المجاز) هو استراتيجية لإظهار ما يدعى الآن «الجانب الأيمن من العقل» فغير المعقول، والحدس هو الجانب الخلاق الذي يخترق أوضاع العقل التقليدية، والمادة التالية مأخوذة من تقرير (لغوردن) حول أبحاثه في أكثر من أربعين عاما، ومن دراسات أخرى حول عملية الخلق والإبداع.

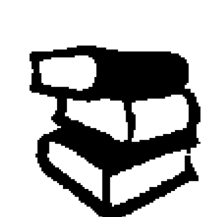
التشبيه المباشر

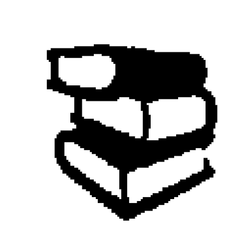
التشـبيه المباشر، هو مقارنة مميزات متشابهة أو متوازية في شيئين، لولا ذلك يكونان مـختلفين من دون شك فيـصف (غوردن) كيف تخيل (ألـكساندر غراهام بـيل) التليفون من خلال الـتفكير في الكـيفية التي يمكن أن تـتحرك بها عظام أذن الإنسان من خلال غـشاء رقيق، وبالـتالي، كيف يمـكن تحريك قطـعة من الحديد بصورة مشابهـة من خلال غشاء سميك نوعا ما. كما قام الفزيائي (جورج جاموا) باكتشافات حول لعبة القوة في إطار نواة ذرة من خلال افتراض أن مادة النواة مبنية بنفس طريقـة بناء أي سائل عـادي، فصار من الممكن فـهم ترابط النواة في ضوء تشابه مباشر لشد السطح في قطرة صغيرة من الماء.

وثبت بأن أغنى مصدر للتشبيه المباشر يوجد في حقل الأحياء. فنحن ملمون بعالم الأحياء الـعضوي حولنا، ومن الواضح أن مـنفاخ (بلاك سميث) هو نموذج لرئتي الإنـسان أو الحيوان. فقـد قال (السير مارتش أيـزومارد برونيل): لكي تحل مشـكلة الـبنـاء تحت الماء من الأفضـل أن تلاحظ دودة السفن وهي تـبنى أنـبوبة لنفسها، وتشق نفـقا من الخشب، كما نشأ تصمـيم (ليوناردو دافنشي) لآلة طائرة من دراسـته للطيور. و(لـيوناردو) هو أحد من أفـضل أمثلة العـقل الذي استخدم التشابه من أجل استـبصار جديد، فقـد كان يرى الأرض ذاتها كائـنا حيا، مشابه لجسم الإنسان. وفيما يلي ما كتبه في مفكرته:

«يمكننـا أن نقول إن للأرض روح نمو، وأن لحمـها هو التربـة وعظامها هي الطبقـات المتراكمة للـصخور، التي تشـكل الجبال وغضاريفـها هي صخور التوفه المسـامي، ودماءها هي انـدفاع مياهـها. وبحـيرة دمها الـكامنـة حول القلب هي المحيط، ويتم تنفسها من خلال زيادة الدم وانخفاضه في نبضها، وفوق هذا إن في قلب العالم نارا تنتشر في أرجاء الأرض».

يـوفر التـشابه المبـاشر فرصة لـلقفـز من المعروف إلى غـير المعروف، وهي الطريقة التي نصنع من خلالها الغريب والمستحيل، وتجعله يبدو مألوفا، وممكنا.





التشابه الشخصي

التشابه الشخصي هو أكثر صعوبة من حيث الرؤية، لأنه يتطلب التقمص العاطفي. فلكي تقوم بالتشابه الشخصي، يجب على عقلك أن يقارن نفسك بالمشكلة أو بشكل أكثر تشبيها، كما عليك أن تضع نفسك بشكل تخيلي في المشكلة، أي تخسر نفسك، وتدع أناك تستسلم، وتقوم بقفزة في الخيال. وكما هو معروف أن الفنانين يتمتعون بمثل هذه القدرة فقد كتب الرسام الياباني (هوكوساي): «إذا أردت أن ترسم طيرا، عليك أن تصبح طيرا» وقال (كياتس) في إحدى رسائله: «نظرت إلى خارج النافذة ورأيت عصفورا، وأصبحت العصفور، ثم رأيت قطعة من القش وأصبحت القشة».

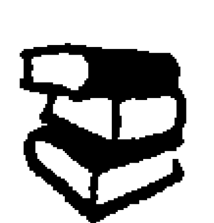
عادة ما يعمل العلماء (أو يلعبون) بنفس الطريقة فما يقال عن (مايكل فاراداي) مكتشف البنزين في القرن الثامن عشر، والمهتم بدراسة الكهرباء، وصاحب الفضل في اكتشاف أول دينامو، ووضع الأساس النظري لنظرية المجال الكلاسيكية، أنه لكي يفعل ذلك كان ينظر إلى قلب الإلكتروليت (المنحل بالكهرباء) ويحاول «اللعب بذرته المرئية» بعين عقله، ولم يقل أنا ماضيا في محاولة تخيل ما يحدث هنا، بل قال: «أنا جزيء راقص»، وأصبح كذلك. وبفسل ذلك، تبين الأسرار الداخلية للتحليل الكهربائي، وقال (اينشتين): أن هذا النوع من «اللعب» يبدو «ملمحا ضروريا من ملامح الفكر المنتج».

من الواضح أن الملاحظة المنفصلة، والتحليل المنطقي عادة ما يكونا ضرورة. وفي وقت من الأوقات ينبغي هجر الموضوعية لصالح المشاركة بالتقمص العاطفي من خلال التشابه الشخصي.

التشابه الخيالي

نجد أحيانا أن عقولنا مقفلة، بسبب التفكير التقليدي، أو مذهب الكلبين، أو بفعل حدود اللغة نفسها، وربما نضلل أنفسنا بشكل واع ونقول: «لو كان بالإمكان حل هذه المشكلة منذ سنوات مضت».



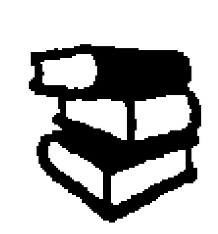


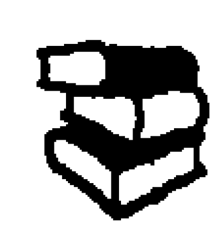
ربما يكون الحل في اختراق مثل هذا السد المنيع بالخيال، فليس للخيال حدود ولا أعراف. وربما نجد أنه من المفيد أن نتخيل حل مشكلة من المشكلات في شكلها الجوهري أو المثالي، فنتخيل أكثر الحلول رضا وأكثرها لطفًا. ثم ماذا لو أن الناس لا يقومون إلا بما نتمنى، ويصبحون أفرادا محبين، وحنونين، يراعون الآخرين ويسامحونهم؟ ماذا لو أننا غير خاضعين لسطرة الجاذبية الأرضية؟ وماذا ستكون نظرتنا للأمور لو أن المال لم يكن لازمًا لمتطلبات العيش، قد نحتاج، بمعنى آخر، لأن نتخيل الحل الأفضل بغض النظر عن جميع قوانين الطبيعة، وعن الرأي العام والتجربة، بشكل مؤقت. وعلينا أن نبنى عالمًا مثاليًا يكون في طياته الحل المثالي.

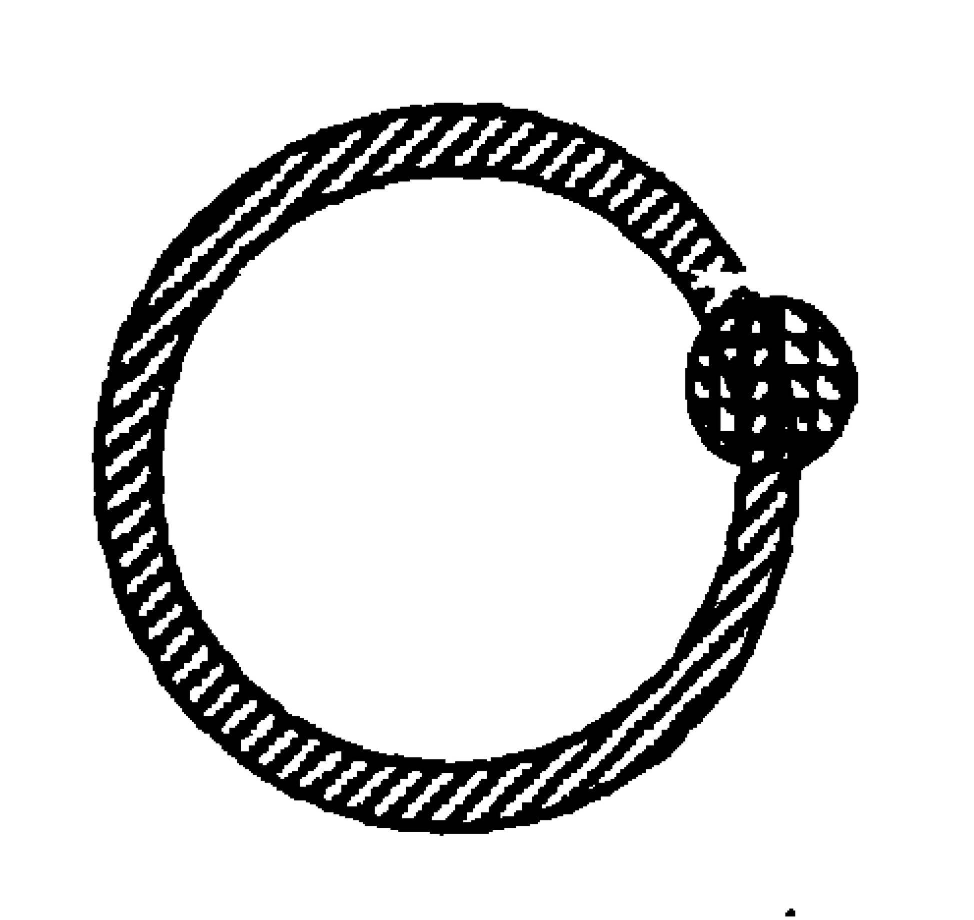
ومرة أخرى كان على (مايكل فارادي) أن يرمي المصطلحات الكهربائية الشائعة في تاريخه، لأنه وجدها تحد من فكره، وتقيده. ومن خلال تخيل مفاهيم جديدة ومصطلحات - ببناء لغة جديدة تمامًا - استطاع بحثه أن يكون حرًا، ويتقدم. ولو أنه بقى محدود بالمصطلحات التقليدية، ما استطاع تصور الحلول الممكنة التي كان يسعى لها.

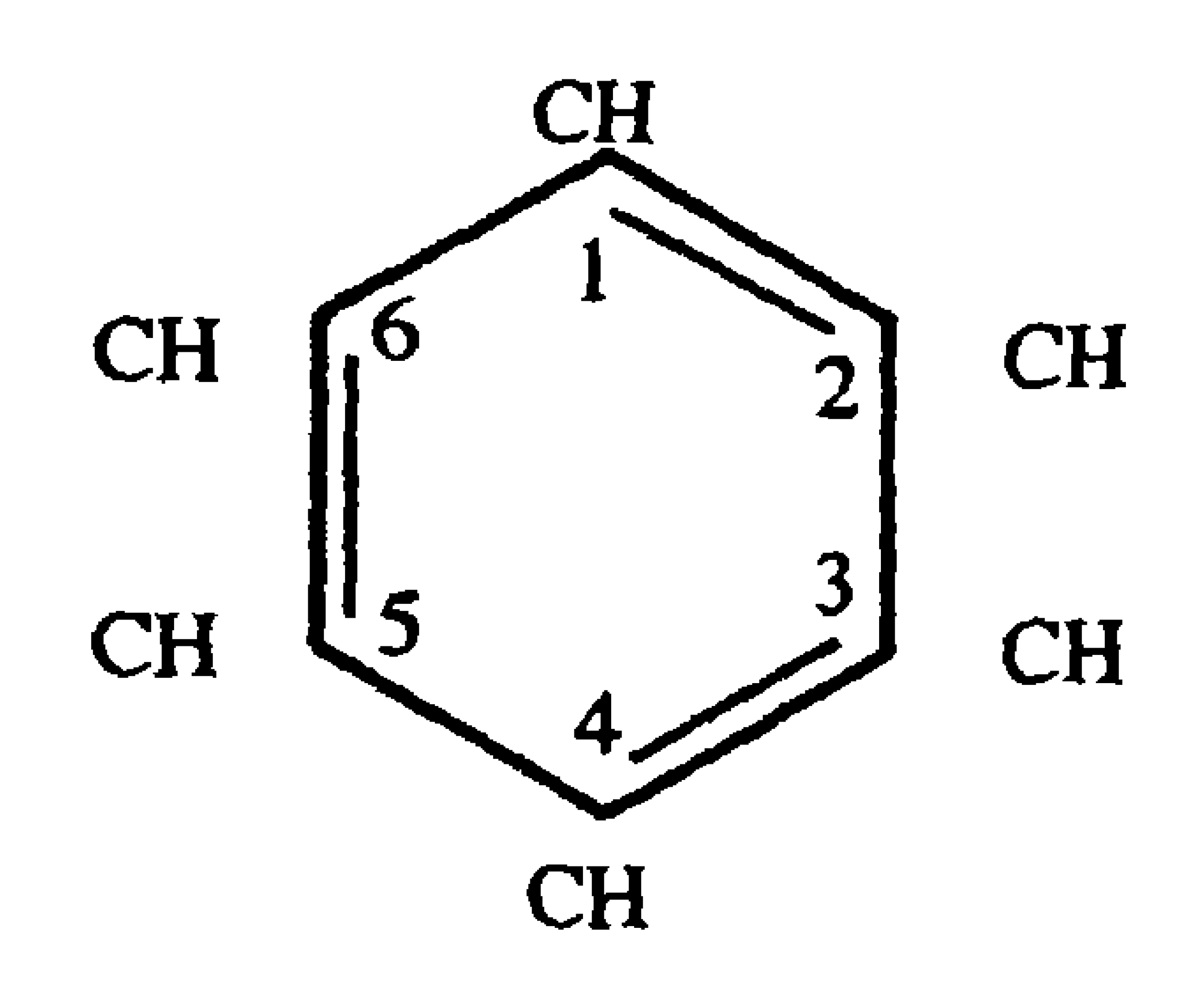
التشبيه الرمزي

الطريقة الأخيرة هي الأكثر صعوبة، فهي تتطلب منك أن تقارن المشكلة أو القضية بمبدأ تجريدي أو بخيال موضوعي لشيء ربما يكون غير دقيق تقنيًا، وسخيفا خياليًا، أو تصويريًا. واحد من أشهر الأمثلة هنا ما حدث عندما حل كيميائي القرن التاسع عشر الألماني (كيوكول) مشكلة جزيء البنزين الذي كان يعتقد بأنه سلسلة من ذرات الكربون. بينما لم يشرح التشبيه بالسلسلة جميع تفاعلاته على وجه التحديد. وكان (كيوكول) يعمل على حل المشكلة بلا نجاح لبضعة شهور، وأخيرًا، وبعد تعب مضني من الدراسة، وحيث كان مسترخيًا في كرسيه، تخيل فجأة ثعبانا وهو يبتلع ذيله، وتبين على الفور بأن جزيء البنزين لا يمكن إلا أن يكون «حلقة» مكونة من ست ذرات من الكربون مربوطة مع بعضها في شكل سداسي، ولم يكن سلسلة، وهكذا صار تخيل الثعبان تشبيها رمزيا ساهم في حل المشكلة.





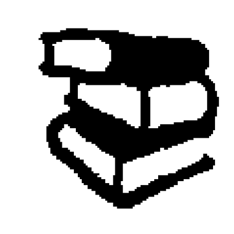


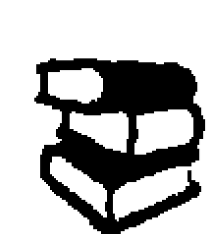


قصة أخرى مشابهة تحكـي عن (جيمي كلارك ماكسويل) الذي وضع نظرية المجالات الإلكترومغناطيسية على أساس رياضي. قيل أنه واجه عقبات في دراساته عـندما لم يوفر له المنطق ولا اللغة ولا الرياضـيات الإجابات التي يحتاجها. فكان في كل مناسـبة يبدأ بحـلم نهاري، ويدع خـياله يندهش بصـور عقلية مـختلفة. وقامت الصور الخيالية لديه بشكل مـتكرر بدور شرح حلول للمشكلات التي لولا ذلك ما كان سيجاب عليها بشكل رمزي.

وللأسف، لا تحدث التشبيهات الـرمزية فيما يبدو إلا بعد تعلم الاسترخاء، واللعب بـأنواع أخـرى من التشـبيهـات. أي أن على عـقلك أن يكـون متفـتحًا للـتصور. ونادرًا مـا يمكن استدعـاء مثل تلك الصـور بالأمر. فالـعمليـة تتطلب استعدادًا كي يتمكن العقل من التجوال والحلم. وهذا يتطلب أن يثق المرء بخياله، وبأن مثل هذه اللعبـة ربما تكون بناءة في النهاية. يتـحدث من يستخدم التشبيهات الرمزية، عنها كـما لو أنها تحدث «مكتـملة» أو في لحظة، أو تأتي في عجلة، أو تكشف عن نفسـها فجأة. وهـذا يعني أن علـيك أن تتعلم الاسـترخاء، واللعب بأنواع التشبيهات الأخرى أولاً - الشخصية، المباشرة، الخيال - إن لم يكن لسبب آخر فهو للحفاظ على مخيلة واسعة وخلاقه. ومتى ما دربت نفسك على الثقة في عقلك، والثقة باللعبة كآلية للإبداع تبدو التشبيهات الرمزية طبيعية جدًا.

إذا نحن جمعنـا نموذج الجانب الأيسـر للعقل لملاحظـة منفصـلة (المقارنة، التـباين، والتعـريف والتصـنيف، والتـحليل) مع نمـاذج الجانب الأيمن من العقل صاحب الحدس للعب الخلاق (تشبيه مباشر، تشبيه شخصي، تشبيه خيالي، تشبيه





رمـزي) يكون لدينـا مدى كامل من الأدوات العـقلية التي يمـكن الاقتراب بها من مشـكلات معـقدة، وأفـكار وقيم. كـل واحدة منـها عـلى حده، أو في بـضعة تركيبات، ستمدك باستراتيجيات للاقتراب من أي نوع من أنواع القضايا التي يمكن أن تواجهها تقريبًا - استراتيجيات للتفكير، وللإظهار، وللاكتشاف.

تدريبات

كل من هذه التدريبات من المفترض ان تجري مع أعضاء آخرين.

١ - لتحرر عـقلك من محدوديته، عـلى الواحد أن يجد طـريقًا لاختراق الصور الـتقليدية والتوقعات. يشرح مـا يلي كيف يستطيع العقل أحيانًا أن يكون واقعًا في شرك التفكير التقليدي.

وصل النقاط التسع، بأربعة خطوط مستقيمة فقط، ولا تمر على أي خط مرتين، ولا ترفع قلمك عن الورقة.

•　•　•

•　•　•

•　•　•

٢ - لدى أمريكا الكثير من الحبوب. بلد صغير من العالم الثالث يعاني من المجاعة.

أولاً؛ ناقش المشكلة مـباشرة. عرف واتفق على جميع جوانبها. ثم أظهر تشبيهًا مباشرًا (يتضمن التشبيه البيولوجي أو التشبيهات الخيالية لحل محتمل)، اعصف ذهن أي صور، بغض النظر عن مدى سخفها. تذكر بأن ما يبدو ليس ذا علاقة، قد يقود إلى حلول ذات علاقة.

٣ - افتح إحدى الصحف المحلية واختر مشكلة ثم حللها لكي تعرف منطقيًا جميع جوانبها. ثم استخدم تشبيهًا شخصيًا لتحقق فهمًا أعمق لوجهات

النظر المتعصبة. (ما الذي تحاول أن تضع نفسك فيه؟) كيف يمكن أن تعلم نفسك التبرير؟ أظهر مشاعرك بأمانة. ثم توصل إلى حل للمشكلة.

٤ - شركتك لديها مصاعب مالية. أمرك الرئيس بأن تقوم بتطوير منتج يجعل المصنع يكسب مليار دولار في سنة. مجموعتك البحثية غير مهتمة بطريقة بيع مثل هذا المنتج، وإنما بتطويره تعليماتك الوحيدة هي أنه يجب أن يكون المنتج غير عادي. جديد تمامًا، بحيث لا يقاومه العالم.

أولاً، ارصد الاحتمالات، وكن على استعداد لتجاهل جميع الحدود، بما فيها القوانين الطبيعية. توصل إلى منتج لا يقاوم والناس بحاجة إليه، ثم توصل إلى طريقة لصناعته.

استخدام أي نوع من أنواع التشبيهات المحتمل لمساعدة فريقك في اختراع نموذج سليم.

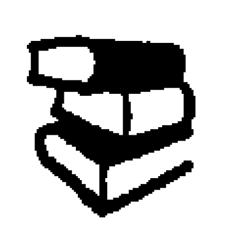
٥ - رفعت بلدتك سن تعلم القيادة، ويناقش زملائك ذلك لأن عمر الثامنة عشر كاف لقيادة، والخدمة في الجيش، والزواج. وعادة ما يتحول الرفض إلى مشاجرة. عرف المشكلة بمصطلحات منطقية. وأوجد ستة حلول عقلانية على الأقل.

ثم أظهر أنواعًا مختلفة من التشبيهات - مباشر، شخصي، خيالي، رمزي. وادفع التشبيهات نحو روابط أعمق، ووسعها بقدر الإمكان. بأي الطرق يمكن أن توسع التشبيهات فهمك للمشكلة والحلول المختلفة؟ هل تقود إلى أي حلول جديدة؟

تدريب المفكرة

١ - ابدأ بمهارة كتابة نكات بسيطة في مفكرتك.

٢ - اكتب فقرة مطولة باستخدام واحد مما يلي لشرح فكرة أو مفهوم.

* زجاج مكسور.

* صمغ.

* عدسات لاصقة.

* شوربة عدس.

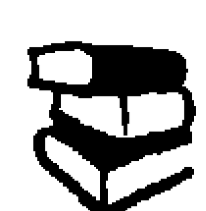
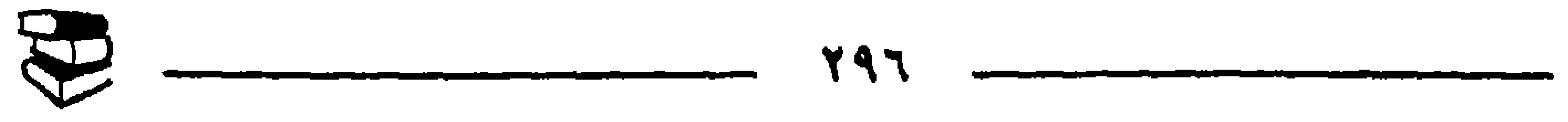
* صابون.

٣ - توصل إلى حل مبتكر يمكن من نقل طعامك المفضل إلى العمل، من خلال مرورك بمعاناتك اليومية في الموصلات العامة.

٤ - ما وجه الشبه بين كعكة الشكولاته وحماتك؟

٥ - عادة ما يكتب المؤلفون مقالات تكون مقارنة أنفسهم أو حياتهم فيها بشيء آخر. قارنت (آن مورو) حياتها بصدفة، وقارن آخرون أنفسهم بشكل ساخر، وبشكل جدي بالحيوانات، قارن حياتك بشيء ما من الطبيعة.

* * *

الفصل الخامس والعشرون

صياغة المقال الرسمي

ليس للمقالات الرسمية شكلاً مفروضًا. ورغم أن الأمر سيكون أكثر سهولة لو كان بالإمكان إخبارك بأن تكتب هذا أولا، ثم ذلك، أو سواه، إلا أن الوضع، كما هو الحال في معظم الأنواع الأخرى من الكتابة، متوقف على المادة، والجمهور، والسياق، والغرض، فهي التي ينبغي أن تقودك. ففي الكتابة حول الأفكار أو القضايا أو القيم، ربما يكون الهدف متغيرًا، بينما يبقى الهدف عند الكتابة عن شكل أو آخر متضمنًا مفهوم الشرح، حتى يتم اقتياد القارئ نحو بعض الاستبصارات المتعلقة بالمادة. وظهر، مع مرور الوقت، عدد من التقاليد المتعلقة بكيفية الوصول إلى النهاية بصورة أفضل.

الجمهور والسياق

ربما تأخذ المقالات الرسمية التي تكتب للجمهور المحلي في المجلات القومية، صيغة الدراسات المتخصصة للمجلات الأكاديمية أو يمكن أن تكتب - كما يحدث عادة - لواجبات جامعية. ومن الواضح أن حاجات هذا الجمهور المتغيرة وتوقعاته، ستكون مختلفة. وهذا هو الفرق الذي يجب أن تضعه في عقلك دائمًا. لأن المصطلحات المتخصصة والرطانة المحترفة ربما تكون مرضية في العديد من الظروف، بينما تكون المصطلحات البسيطة والتعريفات الحذرة للمفاهيم المجردة، مشكلة محيرة بالنسبة لجمهور آخر. ولهذا عليك أن تكون الشخص الذي يسأل نفسه الأسئلة المطلوبة. ما هي تجربة الجمهور مع المادة؟ وأي مستوى من

الألـفاظ يمكن استخدامه حـتى يتبينه الجمـهور؟ وأي المصطلحـات والمفاهيم ينبغي التأكد من أنها واضحة لديه؟ وما المعرفة التي يحتاج إليها جمهوري؟

تدفعك معرفـتك بجمهورك أيضا إلى التفكـير في نغمة ورقتك. وقد عرفنا النغـمة في وقت سابق، على أنها الاتجاه الذي يتبناه المؤلف نحو مادته. فيمكن أن يكون التهكم مـؤثرًا في بعض الأحيان، بينما يصلح الغضب أو العدائية في أحيان أخرى. ولكن بالنسبة لمعظم المقالات، سيكون من المتوقع أن تكتب بنغمة مباشرة، وجدية ونزيهة. وما ينبغي علـيك عمله هو أن تعطي انطباعًا بالموضوعية على أقل تقدير. وكما قال (ايريك فروم): «لا تـعني الموضوعية الفصل، بل الاحترام، أي ليس الـقدرة على تشـويه الأمور. والأشخاص والذات وتـزييفها». والـنغمة التي تظهر «الاحترام» ستكون في الغالب الأكثر إمتاعًا بالنسبة للجميع.

وأخيرًا، كمـا هو الحال مع النغمة، سيتـحدد الصوت الذي تكتب به جزئيًا من خلال الجمهور والسياق. فربمـا يرغب بعض الأكاديميين بصوت رسمي بصورة صارمة، مع غـياب كامل للأنـا الشـخصيـة. بيـما يشـعر آخرون بـان الصوت الشخصي يجب أن يستخدم ف . الورقة التي تتعامل مع القيم أو التي تحاول ملاحقة القـارئ ليقبل بمـناقشة مـعينة. ولكن عـندما يكـون السياق خـارج غرفة الدراسة بالجامعة، ربمـا يكون الصوت مفروضًا من خلال سياسة أفراد الشركة أو من خلال الصحيفة التي تـخطط أن تقدم مقالك لها. ومـرة أخرى، أنت مسئول عن معرفة جمهورك واتخاذ الحكم مسبقًا.

المقدمة

في صيغ الكتابة السابقة، ربما تكون المقدمة الخيالية طريقة فعالة لجذب انتباه قارئك وخلق شعور فوري بالمشاركة. ودائما ما يستخدم الكتاب المحترفون مقدمة. ولـكن المقال الأكاديمي ربمـا يتطلب مقـدمة رسميـة أيضًا. وقد تـتضمن مثل هذه المقدمة جميع العوامل التالية أو بعضها:

١ - نظرة عامة للمادة، عادة في جملة أو جملتين:

«بدأت الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم المساعدات الخارجية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. وأنفقت في العام الماضي وحده أكثر من ١٤٣ مليار دولار، في محاولة لمساعدة الدول غير النامية».

تقدم النظرة العامة للقارئ مع صورة عريضة بحيث يمكن رؤية تقدم مزيد من التفاصيل المركز عليها من المقال في المنظور.

٢ - مراجعة مختصرة للسياق التاريخي أو الحضاري:

«منذ ١٩٦٥ درست لجنتان وطنيتان آثار العنف التليفزيوني على الأطفال. وتوصلت اللجنتان إلى نفس النتائج وهي أن العنف التليفزيوني يستطيع أن يعلم السلوك المعارض لمصلحة المجتمع ويؤثر فيه، ويجعله صحيحًا. وقد قدم كبير الأطباء في الولايات المتحدة دليلاً لمجلس الشيوخ يشير إلى أن تقارير الاجتماع الساحق ولجنة الاستشارة العلمية أوضحت بأن للعنف التليفزيوني أثرًا غير ملائم على بعض أفراد المجتمع. ويأتي ذلك بعد عشرة أعوام من تقرير (إن بي سي) الذي قدم فيلما حول اغتصاب فتاة بمقبض مقشة، والذي أعقبته مهاجمة ثلاث فتيات في (سان فرانسيسكو) فيما بين ١٠ و١٥ سنة لطفلة في التاسعة وذلك بعد ثلاثة أيام من عرض الفيلم».

٣ - تعريف المفهوم الذي سيتم التوسع فيه في المقال:

«في ١٨٨٦، عرف (توماس هنري هكسلي) التربية على أنها: «تعليم الفكر في قوانين الطبيعة، والتي لا تتضمن مجرد الأشياء وقوتها، بل الرجال وطرقهم». ولكننا اليوم نعرف التربية على أنها عملية تتطلب الحضور الإجباري في المدرسة لمدة اثنتي عشرة سنة. وهذا ليس سوى معتقدات غبية تقول أن التربية هي التعليم».

من خلال البدء بالتعريف، تبدأ مباشرة بالتركيز على الموضوع.

٤ - تصنيف المادة:

«هناك نوعان من السعادة، الأول: السعادة المبنية على الاستهلاك والامتلاك. والثانية، في المقابل: المبنية على العطاء والمشاركة».

يوجه التصنيف انتباه القارئ إلى تصنيفات خاصة أو مكونات مخطط لمناقشتها.

جملة الأطروحة

ربما يتطلب المقال الرسمي «جملة أطروحة»، وعادة ما تكون جملة خلاصة للمقدمة. وقد تبدو التسمية مخيفة أحيانًا، ولكنها ببساطة مجرد تلخيص للفكرة الشائعة في نتائجك في جملة واحدة. وينبغي أن تكون جملة بسيطة، وغير معقدة للمناقشة التي تخطط لدعمها بالأدلة والعقل. وتركز جملة الأطروحة بشكل تقليدي، على مزيد من حدود المادة، حيث تحدد غرض الورقة أو اتجاهها بكلمات دقيقة، وتشير إن أمكن إلى أمر يتعلق باتجاه الكاتب نحو المادة.

مشكلة التلوث في بحيرة (انجلو) لا يمكن حلها إلا من خلال تضافر جهود حكومة المدينة وشركة (أف أم).

* مادة الورقة: مشكلة تلوث بحيرة (انجلو).
* حدود الورقة: كيف يمكن حل المشكلة.
* غرض المناقشة: شرح قضية إمكانية حلها من خلال الجهود المتكاتفة للمنظمتين.

اتجاه الكاتب:

هذا هو السبيل الوحيد لحل المشكلة بطرق شتى، تشبه جملة الأطروحة مقدمة العناصر الخمسة، الفرق هو أنه بدلاً من مجرد تجميع الحقائق المهمة، تصاغ هذه الحقائق وتعطي غرضًا أو اتجاهًا أو معنى. وعادة ما تكون جملة الأطروحة الضعيفة بسبب الفشل في تضييق المادة، أو بسبب عدم استخدام اللغة الدقيق، أو





الفشل في اقتراح غرض واحد شائع للورقة، أو بسبب تركيبة جملة شديدة التعقيد ومربكة.

فجملة مثل «يجب التخلص من التلوث» تعد واسعة أكثر مما ينبغي. وجملة مثل: «مشكلة التلوث هنا يمكن أن تحل بطريقتين جيدتين» تعد غير دقيقة. وجملة مثل: «بحيرة انجلو» مليئة بالتلوث الذي تسببه شركة «إف أم»، لأنها ترمي فيها الكيماويات، منذ سنوات وبمعرفة المدينة. «بلا غرض واضح». وجملة مثل: «على الرغم من أنه أصبح من الواضح الآن أنه لا يمكن إحراز أي تقدم إلا من خلال التكاتف، وبعد أن أنفقت الشركة عشرين عامًا في رمي المخلفات الكيميائية في البحيرة، دون إحساس بالذنب، أصبح لديها وعي مؤخرًا بالعلاقات العامة ،نسيئة، وتود حل المشكلة، وهي نفس المشكلة التي تريد المدينة نفسها أن تحل على الرغم من أن عروض تاريخ الصراع والبيروقراطية الخرقاء تمنعها من تكاتف القوي». شديدة التعقيد.

وفيما يلي أربعة خطوط إرشادية ينبغي أن تؤخذ بالحسبان أثناء صياغة جملة الأطروحة:

١ - استخدام جملة أو جملتين بسيطة ومباشرة.

٢ - استخدام لغة ذات دلالة دقيقة.

٣ - تضييق المادة إلى فكرة واحدة تكون الأكثر أهمية في ورقتك.

٤ - الإشارة إلى الغرض أو المناقشة في المقال بشكل واضح.

الأمر جيد حتى الآن. ولكن متى ينبغي كتابة جملة الأطروحة؟ يرى العديد من الكتاب أن جملة الأطروحة يجب أن تصاغ قبل بداية المسودة الأولى. وربما تستغرق بضع ساعات للتفكير والكتابة، أو إعادة الكتابة. لقد سبق أن درست مادتك، وطرحت أسئلتك، وضيقت تركيزك، ولابد أن تكون لديك الآن فكرة عامة، على أقل تقدير، عما تريد أن تكتب عنه. وبدلا من البداية بشكل عشوائي، تساعد صياغة جملة الأطروحة على التنظيم قبل الكتابة، حيث تدقق

هذه الصياغة لتتبين المناقشة السائدة أو الغرض. إنها تدفعك إلى تشكيل اتجاهك الخاص نحو الفكرة، إذا لم تفعل ذلك بعد. كما تدفعك لأن تكون دقيقا فيما يتعلق بما توذ قوله. وهو جوهر ما نقصد عندما نقول «التفكير الجيد». فما لم تضع نفسك في مثل هذه العملية، ربما تجد مسودة مقالك في طرق فرعية ليست ذات علاقة، أو تناقش ست أفكار في الوقت نفسه، أو تبدأ باتجاه (أ) وتنتهي بمناقشة (ب). وهكذا تكون جملة الأطروحة مهمة ليست فقط بالنسبة للقارئ ولكنها أكثر أهمية بالنسبة للكاتب. إنها تتطلب منك تنظيم أفكارك غير المنظمة بدقة.

ومن ناحية أخرى، لا يعمل عقل كل واحد بنفس الطريقة. ويجب الاعتراف بأنه نادرًا ما يكون بعض الكتاب قادرين على كتابة جملة الأطروحة في مقدمة المسودة الأولى. كما لا يعرفون ما هي مناقشتهم، في العادة، ما لم يصلوا إلى استنتاج. وأحيانا لا يكونون محظوظين بتلقي استبصارات جديدة إلا حين يسمحون لأنفسهم باتباع طرق جانبية «ليست ذات علاقة». وعلى الرغم من أن ذلك لا يحدث للجميع، فأن جهد تأليف جملة الأطروحة مقدما ربما يغلق الإبداع ويمنع احتمال اكتشاف أفكار في طريقة الكتابة. إذن النتيجة: أنك إذا لم تضع جملة الأطروحة قبل المسودة الأولى فسوف تتوه في الغالب، وتكتب مقالا غير منظم، وستكون محاطًا بهؤلاء الذين يبدو أن لديهم عقولاً مركزية بصورة أكبر. ولكن إذا كنت من ذلك النوع من الأشخاص، فلا تقلق. فقط لا تقدم مسودتك الأولى. ولكن استخدم تلك المسودة كوقت للاكتشاف. ثم انظر، بعد ذلك، إلى ما كتبت، وادفع نفسك عند تلك النقطة إلى تعريف جملة أطروحتك. اكتبها بجملة بسيطة، ثم تبين مقالك، وأعد كتابته في ضوء إدراك عرضك الجديد. وتقوم جملة الأطروحة المكتوبة بعد المسودة الأولى بنفس وظيفة تلك المكتوبة قبل المسودة الأولى، فهي تعرف وتوضح، وتساعد على تحديد التنظيم ومنحك شعوراً باتجاه المقال وبعد سنوات من الإحباط، قد يتبين الكاتب بأن القارئ لا يهتم بمتى تنظم، ولكن بالتنظيم فقط.

المقدمة الرسمية:

أي تركيبة مما يلي:

* نظرة عامة للمادة.

* مراجعة للسياق التاريخي أو الحضاري.

* تعريف المفهوم الأساسي.

* تصنيف المادة.

بالإضافة إلى:

* جملة الأطروحة.

* الالتزام بمكونة واحدة ضيقة.

* توضيح هدف أو مناقشة.

* اقتراح اتجاه الكاتب.

* جميعها في جملة أو جملتين بسيطة ومركزة.

متن المقال

من الواضح، أن بقية الورقة ستتشكل من خلال المادة والغرض. ولا يوجد مثال واحد يمكن أن يشرح تنوع الأشكال المتاحة لك.

وتحدث الكثير من الكتابة المبتسرة لسبب بسيط هو أن ليس لدى الكاتب شيء يقوله. فإذا وجدت مادة لجسم المقال حتى لو كان قصيرًا، ربما أفضل نصيحة لك أن تتحرى مصدرًا أو اثنين على الأقل حول الموضوع، ليس لسبب آخر سوى إثارة تفكيرك حول المادة.

الاستنتاج

الاستنتاج هو آخر اتصال سيكون لك مع القارئ، وستحتاج لأن تترك انطباعًا قويا. وفيما يلي بعض طرق الفشل:

* ألا يكون لديك استنتاج على الإطلاق، وتدع القارئ يخمن.
* أن تعتذر عن عدم قيامك بعملك بشكل أفضل.
* أن تعيد كل شيء قلته بنفس الكلمات.
* أن تتجاهل الدليل في ورقتك.
* أن تنهى حديثك بقولك: «الاستنتاج هو. .».

من الأسهل، أن تقول ما لا يجب عمله من أن تقول بوضوح ما يجب عليك عمله. ولكن الاستنتاج الجيد يخرج بشكل طبيعي من المناقشة أو الدليل الموجود في ورقتك. وبذلك يكون كل استنتاج جيد هو بطريقة ما ذا أصالة ولا يمكن شرحه مسبقًا. وإذا لم تشعر بأنه كذلك، فيما يلي بعض الطرق المجربة والحقيقية التي يمكن أن تفكر فيها:

١ - تعميم أهمية الدليل الذي تقدمه. لا تدرج جميع نقاطك فقط، بل وضح معناها، سجل مداخلات معقولة من الخريطة الكلية للمعلومات أو الأفكار التي تعمل عليها.

٢ - قدم حلا، إن دعت الحاجة. كن متواضعا واعترف بأن حلك قد لا يكون الأوحد، ولكن، في نفس الوقت، كن واثقا ومتأكدًا بأن ما قدمته يمثل بداية جيدة نحو حل القضية.

٣ - استخدام التشبيه.

٤ - فكر في التبعات والاقتراحات التي يمكن أن تكون فعالة، أو سيحملها المستقبل (ولكن كن واعيًا وتجنب التعميم المبالغ فيه مثل: «سيدمر البشر أنفسهم. .»).

٥ - استخدم اقتباسًا مدهشًا يعزز أفكارك، دون أن يحل مكان حكمك الخاص. ولا ينبغي أن يستخدم الاقتباس في الفقرة الأخيرة إلا لكي يضيف مزيدًا من القوة والدعم.

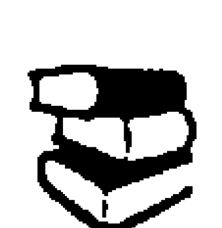
٦ - إذا كانت الـورقة طويلـة، قم بإعادة طرح فـكرتك الرئيـسية لمزيد من التأكيد، ولكن لا تكرر نفس الكلمات الواردة في المقدمة.

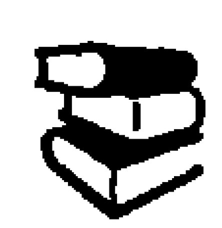
بغض النظر عن الـطريقة التي تستخـدمها، ابن فقرتك الأخيرة على أساس الدلـيل المقدم في مـقالك. وإذا كـان في الإمكـان، حاول أن تـربط استـنتاجك بـافتتاحيتك، أو بـبعض العناصـر الموجودة في مقدمتك، أو بمـقدمتك العامة، أو بـجملة أطـروحتك، أو بعـنوانك. وكن على وعي خـاص بترتيب الـكلمات في الجمـلة الأخيرة. وسيـكون الأكثر تـأثيرًا: جملـة مؤكدة قصـيرة، أو مقطع قوى بشكل خاص.

ربما تتساءل، عنـد هذه النقطة، عن قـيمة هذا العمل. وعن علاقتك بك: هل هو مـتسق مع اهتمامك بـأن تصبح مهـندسا أو بيولـوجيًا؟ ولكن المدهش أن التدريب على الأنمـاط الرسمية المتعلقـة بالفهم والتنظيـم، أثبتت أنها طرق تساعد على اكتشـاف الافكار وتوضيحها. حيث يتـطلب مثل هذا التدريب ارتباط عقلك بجميع مصادره، في جهد معرفة ذاتية ليس لفهم العالم الملموس حولك فقط، بل فهم الأفـكار والقيم المجردة الموجودة في ذلك العـالم. كما أن القدرة على تضييق المادة إلى ميزة واحـدة، تصنف وتحلل وتوضح هي واحـدة من أهم القدرات قيمة في أي حـرفة من الحرف أو مـهنة من المـهن؛ لأن ذلك في الحقيـقة نوع من ذكاء المعرفة الذاتية المرتبط بالرجل المتعلم أو بالمرأة المتعلمة بصورة أكثر وضوحًا.

إذا كنت تشعر عـند هذه النـقطة أن التعـبير عن نفـسك صار ضائعًا وسط رطانة وأشكال وتقـنيات مختلفة، ربما يـكون من الجيد أن تذكر نفسك مرة أخرى بأن كل ذلك ليس سوى وسائل لبلوغ نـهاية. «فعلى المرء أن يتقن تـقنية، بطبيعة الحال» كما قال (بابل كاسال)، ولكن عليه في الوقت نفسه، «ألا يكون عبدًا لها، بل عـليه أن يفـهم أن غرض التـقنـية هو نـقل المعـنى الداخلي، أي نـقل رسالة الموسيقى».

وفـيما يلي نموذج مقال لـلدكتور (قسطنـدي شوملي)، بعنوان «الخوارق في الأدب»:



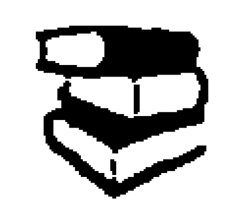


«إن كلـمة الخوارق ترجمة لكلمة (الفانتستيك) (Fantastique) وهي مأخوذة من الأصل اليوناني (فتستيكوس) (Phantastikos) وتعني كل ما يتعلق بالخيال أو القدرة على التخيل. وتحمل هذه الكلمة معاني كثيرة يجب تمييزها جيدا. فمعناها الـلغوي في اللغـات الرومانية هـو العجب أو الغريب، ومـعناها الاصطلاحي هو التصويـر العقلي لما هـو موجود في الخيال، وهـذا هو المعنى الذي يـستعمله علم الإنسان أو علم الأنثربولوجـيا والفلاسفة لتعريف الخيال. وهناك أيضًا معنى آخر، وهو الفانتستيك أو الخوارق كجنس أدبي. وهذا هو المعنى الذي يهمنا هنا.

وما زالت الخـوارق كاصـطلاح أدبي لا تحظى بالـقبـول الكامل في الآداب الغربيـة. ذلك أنها تشـير إلى نظريـة خاصة بكافـة الدراسات الاجتـماعية وليس بالأدب فـقط. فيمكن أن تجد الخوارق في مجالات غـير الأدب. كالفن السينمائي والفن التـشكيلي وفن الـرسم. ولا يزال استعمـال لفظ الخوارق أو الفـانتستيك، ينحصر في عـدد محدود من اللغات، فهناك عدد كبـير من الثقافات التي تستعمل ألفاظًا أخـرى للدلالة على الخوارق: فهي تعـرف باللغة الإنجليزيـة بالسوبرنتشرال (Supernatural) وتعرف في الأدب العربي بالقصص العجيبة، ونطلق عليها أحيانًا كـلمة الغريبة أو الخرافية. ولحل هذا الأشكـال نعتقد أنه من الأفضل اختيار تسمية تتناسب والبـناء الداخلي لـهذا الجنس الأدبي على أن تـطلق مثل هذه الـتسميات مجازًا.

ولادة الخوارق

إذا حاولـنا البـحث عن أصول قصص الخوارق، نـرى أنها قـديمة جدا قدم التـفكير الإنـساني. إنها ملك أقـدم أجيال الإنسـانية. ولقـد وجدت في العصور الـقديمة بصورة خـاصة، حيث كان الإيمـان بالأشياء غيـر الطبيـعية يتمـيز بالعمق والقـوة. وصلتنا أقدم قصص الخوارق من مصـر القديمة حيث أثرت على ما تلاها من قصص وخاصة قصة ألف ليلة وليلة. وفي العصر الحديث بعد أن بطل الإيمان بالخوارق، جعل الكـتاب من الاعتقـادات القديمة مـادة للخلق الـفني، واكتسبت الخـوارق أشكالا عديـدة للتعبيـر، مما سمح لـها بالاستـقلال وتكوين جنس أدبي مستقل.



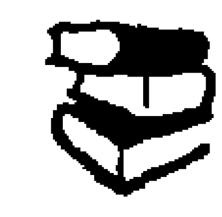

وتطـور هذا الجنس الأدبي بصـورة فعالة في منتصف القـرن الثامن عشر، حيث أخـذ مكانة مـرموقة بـين الأجناس الأدبيـة الأخرى. وتعـتبر رواية «عاشق الـشيطان» (١٧٧٢) لـ (جاك كازوت)، أول رواية فـنية في هذا الميدان. وفي بداية القـرن التاسع عشر، كان أدب الخوارق يـعتبر بحق من إنتاج المدرسـة الرومانتيكية الألمانية، فقد نما هذا الأدب وتـطور مع كتاب هذه المدرسة أمثال (تيك) في الواقع هو الأب الفني لقصص الخوارق. ولكن رغم هذه الأبوة والتأثير الكبير لتيك على معاصريه في كافة البلاد، يبقى (هوفمان) من أكبر الذين أبدعوا في كتابة هذا الفن رغم أنه لم يكن زمنيًا سابقًا على (تيك).

وفي منتصـف القرن التاسع عشر، أدخل الرومـانسيون الخوارق إلى فرنسا، وصـارت قسما من الأدب الـفرنسي، وتعـتبر قصص (غـي دي موبسان) و(شارل نـوديه) و(بروسيه ميرميه) أكـثر القصص اقتـرابا من جنس الخوارق. وابتدأ الأدب الأمريـكي الإنتاج في هـذا الميدان (بارفـينج واشنـطن) الذي كان من أوائل الذين تأثروا بتيك.

ورغم ذلك يعتبر (إدجار آلان بو) هـو الذي لا ينافس في هذا المجال. فقد أعطى لقصص الخوارق نبضا قويا وروحا جديدة.

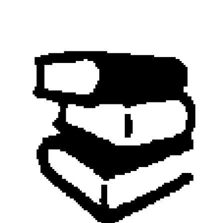
وتعتبر قصص الخوارق الحديثة من إنتاج خيال كتابها في الدرجة الأولى. إلا إننا غالبا مـا نجد لها جذورا في أعماق التاريخ والحكـايات الشعبية القديمة. ورغم ذلك تبقى المخـيلة هي النواة الرئيسـية التي تسمح للكاتب بـتكوين الصور الذهنية المحسـوسة لها. وإذا أردنا أن نحدد الخوارق بصورة واضحة فمن الضروري أن نميز الخوارق الفنية - وهي التي تـعرض باللغة المكتوبة أو على الشاشة البيضاء، وتظهر حوادثـها كأنها خرق لـلقوانين الاجتمـاعية أو الفردية - عن الخـوارق غير الفنية، وهذا النوع من الخوارق خاص بالإنسان ونابع عن رغباته اللاواعية، وهو غير ممكن دون اللجوء إلى علم التحليل النفسي.

ومن الضروري أيـضا التمييز بـين مرحلتين في عملـية إنتاج الخوارق: تنتج الأولى عن التركيب الـلغوي في حين تـبدو الثانيـة كعملـية سيكولـوجية وترتبط




باللاوعي، ولكنها رغم ذلك تخضع لنظام وتراكيب الألفاظ اللغوية، ولقوانين ناتجة عن المرحلة الأولى وغير ممكنة دونها. فبعد عملية القراءة والمشاهدة والتفكير الواعي للقارئ للأشكال الفنية اللغوية تتحول الصور الصوتية والمرئية إلى صور ذهنية تصور الخوارق.

وتحديد الخوارق يمكن أن يتم بدراسة العلاقة التي تربطها بالأجناس الأدبية المجاورة لها كالقصص الخرافية والقصص البوليسية وقصص الخيال العلمي وغيرها. ونستطيع أن نقول منذ البداية أن عالم قصص الخوارق يتميز عن عالم القصص الخرافية، فعالم الثانية هو عالم السحر والعجائب المستمرة حيث كل شيء ممكن وفي كل لحظة. أما الخوارق فتفرض عالما تسود فيه قوانين العلوم الطبيعية والعلل والمسببات، وبالتالي فإن لا مكان للعجائب فيه. وعليه فإن الخوارق تبدو وكأنها خرق للنظام العادي والقوانين المرعية الثابتة. والحكاية الخرافية لا تروي من أجل أن تصدق، ولا يطلب من القارئ أن يأخذ القصة على أنها حقيقة، وهي تختار منذ البداية وبطريقة مباشرة أو غير مباشرة ميدان الخيال لوقوع أحداثها، وعلى العكس من ذلك فإن القصة الخارقة تصف الحياة العادية وما تصوره لا يخرج عن نطاق عالمنا. تجري حواراً بين القارئ والقصة، وتضفي نوعا من الغموض على العلاقة بين المتكلم والمخاطب والمرسل والمستقبل. ومن جهة أخرى، يرى البعض أن قصص الخيال العلمي هي جزء من أدب الخوارق. والواقع أن هذه القصص تهتم بصورة خاصة بإنسان مجتمع المستقبل الذي سيعيش في العصور القادمة، في حين أن قصص الخوارق تصف الحياة العادية. وفي حين أن بطل القصة الخارقة يعيش في مجتمع عادي مألوف، فإن البطل في قصص الخيال العلمي يصادف عالما معاديا يحارب فيه من أجل البقاء، ورغم ذلك يقابل دائما بالرفض والعداء. وتتميز القصة البوليسية عن القصة الخرافية، ففي حين أن قصص الخوارق تهتم بتفسير الظاهرة غير الطبيعية فإن القصة البوليسية حين تنتهي لا تترك مجالا حول الشك في وجود ظواهر غير طبيعية. والحدود الموجودة في بعض قصص الخيال العلمي نوع من الخوارق أو غير ذلك.




الخوارق جنس أدبي

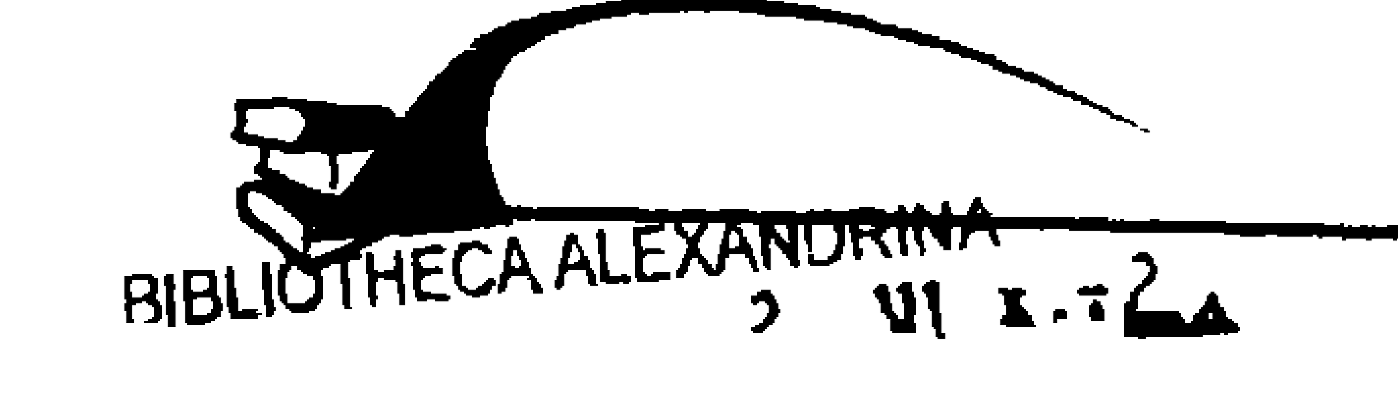
إن دراسة الخوارق في الأدب تفرض علينا معرفة ما إذا كانت تمثل حقا جنسًا أدبيًا، ويبدو أنه من المناسب أن تقرر منذ البداية أن الخوارق تمثل جنسا أدبيا. وهذا يفرض علينا بطبيعة الحال معرفة الصفات والمميزات التي تمكننا من تحديد صفات هذا الجنس.

والواقع أن مشكلة الأجناس الأدبية من أصعب المشاكل وأقلها دراسة ومعرفة. فتصنيف الأعمال الأدبية في أجناس محددة لا يزال حتى الآن مختلفا عليه في العديد من الآداب. فالأجناس الأدبية في ثقافة ما لا يمكن أن تتطابق مع الأجناس الأدبية الموجودة في ثقافة أخرى.

ذلك أن قواعد تنظيمها وبنائها تعتمد على ظروف متغيرة. إن العلاقة التي تنشأ بين العمل الأدبي والمحيط الذي يولد فيه هي في الحقيقة من المشاكل المعقدة. وأن الإطلاع على آراء بعض النقاد حول الخوارق وطبيعتها مفيد جدًا في هذا المجال. يقول البعض مثلا أن الخوارق كالشاعرية، ليست سوى مظهر من مظاهر العمل الأدبي، وإنها طريقة خاصة لرؤيته والشعور به وتخيله. إلا إننا لا يمكن أن نشبه الخوارق بالشاعرية، لأن كلا منهما يمثل نظرة مختلفة إلى النص الأدبي، فالشاعرية تقترح تفسيرًا مجازيًا ورمزيًا، وتعطي للكلمات معاني عديدة، في حين أن الخوارق لا رمز فيها، وتسرد حوادث حقيقية ولا تتوافر فيها دلالات خاصة تدعو إلى تفسيرات مجازية وتؤخذ الكلمات فيها بمعناها الحرفي.

ويرى بعضهم أن الخوارق تعتمد على معطيات اجتماعية تاريخية ولا تتعدى أن تكون ظاهرة أدبية لها معنى تاريخي. ولكن هذا التحديد غير كاف وغير مقنع، فالخوارق كمظهر من مظاهر بناء العمل الأدبي يجب أن يحتل مكانة خاصة في بنائه الأساسي وليس في مجال الظروف الفكرية والاجتماعية والتاريخية التي يولد فيها.

وهناك فريق من النقاد يعتبرون الخوارق جنسا أدبيا، ورغم ذلك يعتبرون أن كل محاولة لتعريف الخوارق تعتبر من أصعب الأجناس الأدبية على التحديد، فهي

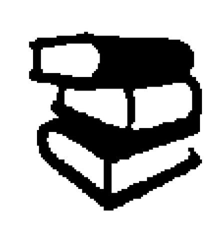




تجمع أدبا يضم أنواعا متعددة من أشكال التعبير الأدبي، كالحكاية والقصة والرواية، وهذا كثير بالنسبة لجنس أدبي واحد. ومن هنا كان الاتجاه الذي يدعو إلى اعتبارها أسلوبًا من أساليب السرد فقط. والواقع أن مثل هذا الاعتبار لا يتعلق بالخوارق فقط بل بالأجناس الأدبية الأخرى، وتعتبر كلمات (فرنسيس دي ماندر) الخاصة بالحكاية الشعبية مثالية في هذا المجال. فهو يقول: إن الحكاية تعبر دائمًا عن فكرة أو وجهة نظر، ترتب الأحداث والشخصيات من خلالها. وغالبا ما نجد في الحكاية كل الإمكانيات التي يمكن أن تصنع منها رواية أو قصة أو أقصوصة. وهذا ما يدفعنا إلى القول بأن الحكاية لا تعدو أن تكون سوى قصة مكثفة. ومثل هذه العلاقة وإن ظهرت واضحة بين هذه الأعمال الأدبية، فإننا لا نستطيع إثباتها. ويبدو أنه من الصعب أن نقول أن الخوارق تكون جنسا أدبيا في حين أن الأجناس الأدبية الأخرى ما زالت غير محددة بعد. وما لم تتوفر هناك نظرية عامة للأجناس الأدبية. وكل ما يمكن قوله وفعله هو الإشارة إلى أن الخوارق موجودة وأنها تظهر بحيوية من خلال عدد كبير من الأعمال الأدبية.

إن الصعوبة في تحديد القوانين الخاصة بجنس أدبي من المشاكل المنهجية المتعلقة بتحديد وتعريف الخوارق. وهذا مما جعل الناقد الفرنسي (تدروف) يقول: إن فكرة الجنس الأدبي يجب أن تكون نوعية وغير ثابتة. والخوارق حسب رأي (تدروف)، هي التردد الذي يبديه إنسان ما لا يعرف القوانين العامة للكون أمام مظاهرة أو حادثة تبدو في الظاهر أنها غير طبيعية، ويفسر ذلك كما يلي: «إن القارئ أو المشاهد، يرى نفسه مضطرا للاختيار بين تفسيرين، أما أن يعتبر هذه الظاهرة غير الطبيعية تعود إلى أسباب معروفة ومن النمط العادي وبذلك يكون ما شاهده من تصور الخيال أو أن يقبل بوجود الخوارق ويدخل بذلك تعديلا على مجموع الأشياء التي تكون مفهومه للعالم. والفانتستيك أو الخوارق تتميز في تلك الفترة التي يكون فيها الإنسان غير مقتنع بهذه التفسيرات. وفي اللحظة التي يختار فيها القارئ أو المشاهد أحد التفسيرات المطروحة يخرج من نطاق الخوارق إلى مجال الظواهر الغريبة، أو الظواهر العجيبة وفي الواقع أن هذا التردد والذهول عملية ناتجة عن رفض أو قبول السرد الغريب أو العجيب لأحداث القصة. وهذا





التردد في ظني غير كاف لتحديد الخوارق في الأدب. إن مثل هذا التحديد للخوارق من وجهة نظر القارئ يتم تحت الظروف المحيطة به، فالتردد غالبا ما يرتبط بالخوارق ولكنه لا يحدده، وهو يعود في الدرجة الأولى إلى الظروف الاجتماعية والثقافية والتاريخية. وفي الحقيقة أن الخوارق لا تنتج عن التردد بين الطبيعي وغير الطبيعي، بين الغريب والعجيب، ولكن من التناقض أو التداخل القائم بينهما أو الرفض الكامل أو الجزئي أحدهما للآخر.

دراسة دلالية للخوارق

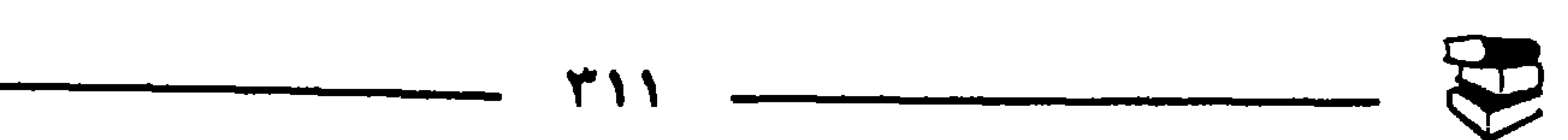
إن فهم الخوارق يدعو إلى معرفة مجموعة من العلاقات التي تكون العمل الأدبي من حيث البنية والنظم والمفردات والأسلوب والإخراج وتركيب المشاهد. والخوارق لا تظهر في تركيب معين بل إنها تنتج عن البناء العام للنص الأدبي؛ والمهمة الرئيسية لدراستها تنحصر في وصف هذا البناء. والواقع أن الحادثة الواحدة يمكن أن تروى على أنها خارقة للطبيعة أو عجيبة أو غريبة أو خرافية في الوقت نفسه وهذا ما يؤيد القول، أن البناء وليس الحادثة هو ما يميز الخوارق، وأن وحداته التي يتكون منها هي جزء من بناء قصصي عام. فالخوارق لا يمكن ظهورها إن لم تكن مميزة في النص كبناء منظم أعد لخلقها. وتسمح لنا الدراسة الدلالية بتحديد التركيب القصصي ومجموعة الأساليب البلاغية الداخلة في ذلك البناء والتي تعمل على إظهار الخوارق. وفي الحقيقة أن قواعد بناء القصة الشكلية والضمنية في الخوارق تمثل مجموعة من العلاقات المعقدة والمتنوعة التي تظهر على ثلاثة مستويات:

١ - بلاغية وذلك عن طريق إعطاء الكلمات وظائف بلاغية ورمزية.

٢ - تعبير عن طريق اتباع طرق خاصة لعرض الأحداث.

٣ - تركيبة، أي تركيب العمل الأدبي بما في ذلك ترتيب الحوادث.

والواقع أن الخوارق لا تظهر من عرض أحداث غير طبيعية، ولكن من التلاعب بالرموز والأساليب التي تعطي للمواقف الحقيقية ظروفا متناقضة

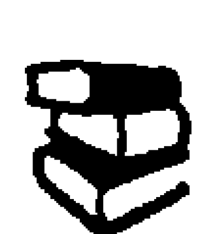
ومتعاكسة. إن المؤلف عند الكتابة لا يقوم باختيار الكلمات والعبارات بطريقة عشوائية أو للتنفيس عن عواطف مكبوتة، وإنما يقوم بذلك بطريقة موزونة، ولأسباب فنية يقوم بإعطاء الأفضلية للتعابير المجازية أكثر من غيرها. وهذه العملية تؤدي عن طريق الموازنة والمقابلة بين العناصر المختلفة من وحدات المفردات والتراكيب إلى تقديم شكل منظم وموجه للمعنى. وفي الحقيقة إن الترادف بين الصور والمعاني في النص عملية تخدم وتعمل على تنمية الحركة وخلق وحدة فنية تربط بين مكونات النص المختلفة. فالترادف ميزة خاصة في النص وتؤدي عملا هاما من حيث إنها تعمل على خلق مستوى من المعنى المستقل عن المستوى العملي المباشر للنص الأدبي، وتؤلف معنى موازيا للمعنى العام للحكاية. وقد يصور المستوى الأول الحادثة نفسها بشكلها غير الطبيعي.

وتوجد مجموعة من السمات الخاصة التي تلعب دورًا هامًا في قصص الخوارق كذكر الحوادث بسرية مطلقة أو ذكر الخوارق مباشرة، أو الإشارة الذاتية الغامضة إليها، أو استعمال علامات مميزة مثل: أنا + فعل ماضي + س من الشخوص المميزة + لحظة يظهر فيها شيء خارق = لحظة التحقق من الظهور+ وصف بدائي ثم وصف نهائي له + سلسلة متطورة لحوادث التي تجري+ انتقال من مكان إلى آخر ومن زمان إلى آخر. كما أن سرد مجموعة من الحوادث الطبيعية ثم سرد مجموعة أخرى من الحوادث غير الطبيعية ومحاولة الوصل بينهما عن طريق الأحداث المشتركة، يؤدي هذا الخلط بينهما أو دمج الواحدة بالأخرى.

إن التحديد الكامل للخوارق غير ممكن، ودقة التحديد تعتمد في الدرجة الأولى على أسلوب التحليل. والحقيقة أن دراسة الخوارق يمكن أن تتم باتباع مناهج مختلفة، كل منها يحاول الوصول إلى تحديها بطريقته الخاصة. ويمكن حصر هذه المناهج بثلاثة اتجاهاته رئيسية:

١ - منهج التحليل النفسي:

وينصب الاهتمام في هذا المنهج على العلاقة القائمة بين النص الأدبي واللاوعي من أجل تعليل الأحداث الخارقة ولا يعتبر النص في هذا الاتجاه سوى




لحظة من لحظات الخلق المرتبطة بالوعي. ولقد كانت محاولة (فرويد) تفسير قصة «قراديفا» لـ (وهم يانسن) مثالية في هذا الميدان. فقد قام (فرويد) بتحليل نفسيات كافة الشخصيات في القصة وانتهى إلى اكتشاف الأساليب التي استطاع من خلالها الكاتب بناء قصته.

ويحاول (لوي فاكس) في كتابه «سحر الغريب» تقديم دراسة مستفيضة لسيكولوجية الخوارق، فهو يشير إلى أن الخوارق تمثل التعبير عن حالات شعورية غامضة، أو هي الشعور أو مشاهدة الأشياء الخارقة. والواقع أن طريقة التحليل النفسي ضرورية للبحث عن الخوارق في اللاوعي على اعتبار أنها تعبر عن الرغبة المكبوتة للكاتب. ومثل هذا المنهج هام لاشك، ولكن لا علاقة مباشرة له بالشكل الداخلي للنص. وإذا كانت الحقيقة السيكولوجية ليست سوى حقيقة جمالية، فلا بأس بها، وإلا فلا علاقة لها بالعمل الأدبي. ودراسة الخوارق حسب هذا المنهج لا تكفي. وأن الاعتماد عليه دون اللجوء إلى التحليل اللغوي يجعل المنهج ناقصا. أن اللاوعي يختلف من إنسان لآخر، وفكر الواحد يختلف عن فكر غيره، في حين أن اللغة عقد اجتماعي ثابت.

٢ - المنهج الاجتماعي التاريخي:

إن هذا المنهج يهتم بدراسة الخوارق والظروف التاريخية المرتبطة بها. ويرى أن العلاقات التي تربط بين المعاني الخاصة بالعمل الأدبي والظروف الاجتماعية والتاريخية المحيطة به ليست ثانوية بل هي أساسية. ويرى بعض النقاد، أن للخوارق وظائف اجتماعية وأدبية، فمن وظائفها الاجتماعية مقاومة المحظورات ومخالفة القوانين واجتيازها. ومن الوظائف الأدبية أنها تدخل في نطاق البناء الأدبي، لتجري نوعا من التعديل في مجرى الأحداث الجارية أو لإجراء توازن في حالة غير متوازنة. والواقع أن تحديد الخوارق ابتداء من المظاهر الثقافية لا يجدي شيئا. ذلك أن الأفكار تختلف حسب الأفراد والثقافات، وتتحول حسب ظروف الفرد الواحد وحضارته. إن المواضيع والأفكار ليست هي التي تكون الخوارق، ولكنها المادة الخام لها. إنها لا تكمن في الموضوع أو الفكرة التي نستعملها ولكن في الشكل أو الطريقة التي تنتج عن استعمالها.

٣ - الاتجاه الدلالي أو السيمي:

إن تحديد الخوارق يجب أن يتم بطريقة يمكن أن تؤدى في النهاية إلى تصنيف عام للخوارق. وفي الظروف الحالية يبدو أن العلم الوحيد القادر على تحديد الخوارق بطريقة علمية، هو الدلالة أو السيمية، وهو علم كافة الأنظمة والتراكيب الممكنة للمعاني. وعلى عكس الاتجاه الاجتماعي التاريخي، إن هذا الاتجاه لا يعتبر النص ميدانا أثريا، ولكن ينظر إليه كبناء، أي أن المعنى الدلالي للنص لا ينتج مباشرة من الألفاظ وطريقة ترابطها في الكتابة، بل هو ناتج عن المسار الذي يسلكه عبر البناء القصصي. وهذا المسار هو الذي يولد المعنى الذي تعبر عنه الألفاظ.

وعليه فإن تحديد الخوارق يتم بالعثور على بناء وتركيب «المفجر» لهذه الخوارق. وفي مثل هذه الحالة، فإن الذي نبحث عنه، ليست الخوارق في حد ذاتها، ولكن البناء والتركيب اللذين يؤديان إلى خلقها. ونحن بهذا المنهج لا نشمل دراسة الخوارق من جميع مظاهرها، ولكن سنكون قد حددناها في نطاق «سيمية قصصية.» - من مجلة الباحث.

تدريبات

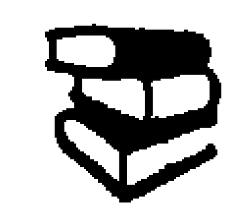
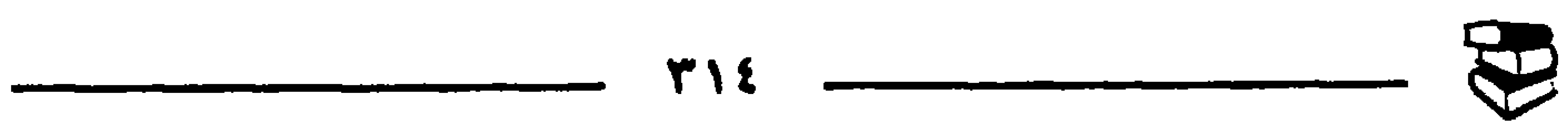
١ - فكر في فرضيات البحث التالية (جملة أطروحة، أو مشكلة البحث)، وإذا وجدتها متسعة المجال، اقترح طرقًا لتضييق التركيز أثناء الكتابة واجعلها أكثر دقة.

أ - رمى الكيماويات خطر على صحة الإنسان.

ب - يؤثر التدخين على الإنتاجية.

جـ - الأطفال الذين يتغذون على حليب الأم أكثر ذكاء.

٢ - أي مما يلي من جمل الأطروحة فعال؟. وأي منها يعطي القارئ إشارة واضحة لما هو متوقع في المقال الذي يتبع؟ إذا وجدت ما هو غير ملائم، وضح المشكلة.

أ - محدودية فرص الالتحاق بكليات الطب تسبب غش الطلاب من أجل درجات أعلى.

ب - الحديث السلبي مع الذات هو سبب تدهور الثقة بالنفس والاكتئاب.

جـ - الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا.

٣ - اقرأ مقالاً من اختيارك. وفكر في الأسئلة التالية:

أ - أي الطرق استخدم الكاتب لصياغة المقدمة؟

ب - كيف نظم الكاتب متن المقال؟

جـ - ما هي تركيبة الطرق الرسمية المستخدمة في متن المقال للتوضيح والشرح؟

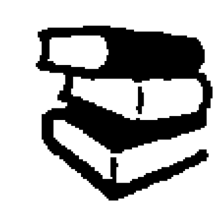
د - هل الاستنتاج فعال؟ وهل يمكن أن تتبين أيًا من الطرق التي تمت مناقشتها في هذا الفصل أصبحت جزءًا من الاستنتاج، أم هي طريقة فريدة تعامل بها الكاتب مع المادة؟

تدريب المفكرة

انسخ

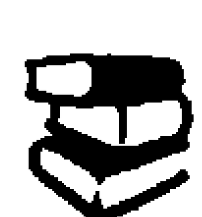
عادة ما يكون الاستنتاج الجيد الصدى لبداية المقال وذلك من خلال تذكير القارئ بما تم التركيز عليه. وتبدو مثل هذه القضية مرضية بالنسبة للقارئ بشكل خاص. حيث تخلق شعورًا من الشمول والاكتمال. فالمقدمة والاستنتاج يعملان معا مثل طرفي الكتاب لدعم متن المناقشة واحتواءه.

وإحدى الطرق لبلوغ شعور يتعلق بكيفية التوصل لذلك، هو نسخ بضع مقدمات وبضعة استنتاجات يدويا. وحبذا لو اخترت بعضًا من المقالات لكتاب محترفين في هذا السياق، ومواضيع من مجلة ذات نوعية جيدة، انسخ فقرات المقدمة، واتبعها فورا بفقرات الاستنتاج. ادرس العلاقات والتقنيات في المقالات




التي أظهر من خلالها المـؤلفون صدى المقدمات في اسـتنتاجاتهم، وفي تلك التي تقدم مناقشة أو تحليلاً بحيث يتم تكامل خلاصة قوية أو حكم ناجع.

* * *




الفصل السادس والعشرون

تحدي البساطة

«جعل البسيط معقدا أمر مألوف، أما جعل المعقد بسيطًا، وبسيطًا جدا، ذلك هو الإبداع»

«مارفين بيل»

حكى (ثيودور بيرنستين) الصحفي في (ذا نيويورك تايمز)، قصة سباك نظف البلاعات بحمض الهيدوكلوريك وكتب إلى مكتب البحوث الكيميائية يتساءل عن مدى سلامة ذلك. ورد عليه المكتب بقوله: «أن تأثير حمض الهيدروكلوريك قد بدأ بدون شك، ولكن الباقي المتآكل لا يتوافق مع الاستمرارية المعدنية»، وتأثر السباك بمثل هذه الاستجابة، وشكر المكتب لإثباته ذلك. ووصلت رسالة أخرى تقول: «لا نستطيع أن نفترض وجود مسئولية لإنتاج بواقي سامة أو غير سامة مع حمض الهيدروكلوريك. نرجو أن تسمح لنا أن نقترح عليك توظيف إجراء بديل» وبفخر يفوق ما سبق، عبر السباك عن تقديره مرة أخرى. واستدعى المكتب، يائسًا عالمًا كبيرًا، كتب رسالة ثالثة إلى السباك قال فيها: «لا تستخدم حمض الهيدروكلوريك، لأنه يسبب تآكل الأنابيب».

للرطانة مكانها الصحيح في اللغة، عند تواصل المفاهيم المتخصصة ما بين شخصين. وتحتاج كل حرفة وكل مهنة إلى مصطلحات متخصصة. فمثلما ينبغي على اللغويين أن يتحدثوا عن التركيبات العميقة. يحتاج الميكانيكيون إلى مناقشة مسألة تراكم الكربون، ويفكر المسئولون في الحكومة في إدارة النظم. ومع ذلك فالمسألة ليست مسألة معرفة جمهورك فقط. حيث إن معظم الجمهور، حتى هؤلاء المدربين في التخصصات التي تكتب عنها عادة ما يفضلون التواصل الواضح الملموس. فقد كان (أينشتين) ينال الإعجاب نظرًا لقدرته على الكتابة عن

التعقديات العلمية ببساطة. كما كان (فرويد)، الذي ساهم أكثر من غيره، في كتابة معظم رطانة القرن العشرين، لطيفا في تعريفه للمصطلحات.

تظهر المشكلة مع الرطانة، حينما نستخدمها بشكل استعراضي من أجل لفت الانتباه، أكثر منه من أجل التواصل، أو عندما تسبب الغموض، لتخفي الجهل الناتج عن قصور الإدراك. ورغم ذلك نود جميعنا أن يعتقد الآخرون بأننا أذكياء وحكماء، ونسعى إلى البساطة، فالأغبياء وحدهم هم البسطاء. أما الأذكياء، فهم من نتصور بأنهم يؤثرون فينا بكلماتهم. فلماذا كل ما نحتاج إلى فعله هو الاستماع إلى مدرسينا؟

«.. ربما تكون أخطر المشكلات التي تظهر التواصل مع استخدام المعرفة هي تلك التي تنبعث من الشخصية الاجتماعية الشخصية المنظمية للمعاهد التعليمية.. تعرض المدارس العامة عدداً ضخمًا من الهياكل المعيارية والأحكام الأخرى التي تشجع بشكل يمكن التنبؤ به. بالإضافة إلى استضافة آليات تكييف تقلل من الشكوك الخارجية».

ما سبق مؤثر جدا ولكنه حزين. لأن هذا الأستاذ (في التربية) لم يحاول أن يعلمنا أي شيء. مادته الحقيقية «انظروا إليّ» هكذا يقول «فقط انظروا إلى جميع الكلمات الكبيرة التي اعرفها». وعادة ما يحدث لنا جميعا هذا، ولا سيما عندما نبدأ في كتابة رسمية حول قضايا مجردة، أو قيم. حيث ننتقل إلى نغمة جديدة، ونتبنى صوتًا متعاليًا، كما في المثال التالي:

«اختيار متغيرات خارجية المنشأ بالنسبة لإحداثيات متعددة واقعة على نفس الخط احتمال مشتقات عوامل ارتباط متعددة محددة».

يمكن أن تملأ كلمات مثل: التظاهر الطنان، والتكلف، والمبالغة في الاختصار، والإطناب، والعديد من الأسماء المشابهة قاموس. وعن الذين يعشقون اللغة، والذين يحترمونها، ويلومون أجيال على إساءة استخدامهم للزيف الفكري يقول السير (ارثركويلر كوتش):

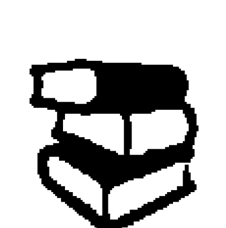
«إذا أصبحت لغتك رطانة، فإن فكرك، إن لم يكن كل شخصيتك سوف ينسجم معها. وحيث يجب أن يكون عقلك مستقيمًا، سيراوغ، وسيتم السعي وراء الصعوبات التي ينبغي مواجهتها بعدالة وقبضة ثابتة، باللف والدوران والمراوغة. فالأسلوب هو الرجل، وكنز الرجل في قلبه، وفي عقله وفي كتابته أيضًا».

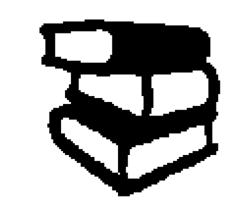
وربما نضيف: كتابة المرأة أيضًا.

منتج الكتابة فعل اجتماعي، مثل الأفعال الاجتماعية الأخرى التي تتطلب التزامًا. فمسئوليتنا في حالة الكتابة الرسمية، تكون الشرح الواضح بحيث يفهم القارئ استخدام الرطانة، أو التجريد وإلا أصبح في الأمر مراوغة. وهذا ما جعل (كويلر كوتش) أن يعتبر اللغة، قضية أخلاقية. وهذا يعني أنك باستخدام الكتابة الواضحة، المباشرة، تواجه مسئوليتك، والتزامك بالتواصل حول ما تعرف.

استخدم بعض المشاهير وغير المشاهير اللغة ليتجنبوا المسئولية أمام المسئولين الحكوميين إبان حرب (فيتنام). فوصف الجنرالات الأسلحة التي كانت ستستخدم في قتل الناس بالأدوات غير الشخصية. وكان معنى المقطع العسكري «رد فعل الحماية» أننا فجرناهم، قبل أن يفجرونا. وهكذا فإن كل من هذا الأمثلة اللطيفة من التعبيرات، تعبير بديل لمصطلح مباشر، وبسيط حول أمر بغيض. وبالتأكيد ليس جميع التعبيرات اللطيفة عن الأمور البغيضة مسألة غير أخلاقية. حيث نسمى الحانوتي (المتعهد)، ونستبدل حقائق المواقف القاسية بأخرى أخف وطأة، فنسمى الزنا (انحرافا)، ونصعد البوابين إلى مهندسي صيانة، ونرقى المسنين إلى مواطنين في زهرة العمر. إلا أن التعبير اللطيف عن الأمر البغيض قد يؤدي بنا إلى أن نضل طريقنا إلى الحقيقة بنفس الطريقة التي تعيقنا بها الرطانة باستخدام كلمات مقعرة.

نستطيع أحيانًا، للأسف، أن نضلل أنفسنا بمجرد استخدام الكثير من الكلمات، بحيث نرسم دائرة حول المادة، دون أن نلمسها بشكل جيد. فيما يلي مثال لإسهاب طالب:





«حقيقة جعل القرار الموضوعي لاتباع قواعد لم يكن شيء شعروا به من أعماق قلوبهم. عادة ما يوافق المرء على قانون وهو ضد قيمه الأخلاقية. وعندما تكون مواجهة بهذه الادعاءات وتعديلاتها، أو تلامسات، سرعان ما يصبح من الصعب تحديد ما يجب أن تكون استجابتنا على وجه التحديد».

ربما أصبحت تبعات اللغة المقعرة الآن واضحة. فعندما نستخدم الرطانة بدعوى أنها غموض تعبير لطيف لأمر بغيض، ونستخدم الإسهاب من أجل مزيد من الإتقان، نحن نخاطر بحجب المعنى الحقيقي، حتى عن أنفسنا.

عندما كتب (ثورو) نصيحته الشهيرة «البساطة، البساطة» كان يتحدث عن حياتنا. ولكن النصيحة تنطبق على كتابتنا أيضًا. معظم القضايا الاجتماعية والقيم الأخلاقية معقدة، وشرح التعقيد بكلمات بسيطة ليس خطأ، بل علاقة تواصل. ورغم ذلك لا أحد يستطيع الجلوس وبدأ مسودته الأولى وهو يقول: «ساكتب الآن جملة مترابطة وبسيطة». وكل ما يمكننا عمله هو أن نرجع إلى ما كتبنا ويسأل المرء نفسه: «هل أعرف ما أحاول أن أقول؟» و«هل يستطيع القارئ متابعتي؟» وكلا السؤالين مهم. فما لم تكن قد اكتشفت أفكارك وأظهرتها بشكل كامل، وقصدت الدقة، فإن التفكير كله في العالم سيفشل في ترقيع ارتباكك. متى ما شعرت بالثقة بأنك تفهم أفكارك، فأنت ملزم من ثم بأن تسأل عما إذا كان القارئ قادرًا على فهمك؟

يجب أن يكون هدفك هو إيجاد أبسط لغة ممكنة بينما لا تزال تنقل جدية نواياك وثقلها الكامل. وسيخدمك كلا المثالين التاليين:

* «اندفع ممثل حكومي رفيع المستوى في شراء خاص لنبات الفلورا لقريب له من الدرجة الأولى».

* «اشترى الراجل وردا لمامته».

الصياغة الأولى رنانة، والثانية ثرثرة عامية، ومن الممكن أن يكون الأفضل فيما بينهما، وهو:

«اشترى السنتور زهورًا لوالدته».

إذا كنت قد شققت طريقك في هذا الكتاب عبر الفصول المبكرة المتعلقة بالمراجعة والتدقيق، لابد أن تكون معدا تماما للتعامل مع المتطلبات الإضافية التي تضعها الأفكار المعقدة على كتاباتك: تخلص من الكلمات الزائدة قدر المستطاع، واستخدم صوراً ملموسة بدلاً من الصور المجردة، وقف بالجملة البسيطة، وابن فقراتك على أساس غرض منطقي. وهكذا، يعني التبسيط بالضرورة أن تكون مباشراً - تجنب الإسهاب والغموض - ولكي تكون دقيقا، انقل المعنى الدقيق، باستخدام أسماء ملموسة وأفعال نشطة. ولكن ينبغي أن نضيف إلى تلك القائمة من التقنيات، مفهوما مبكرا، وهو: الأمانة. ليست أمانة الفهم فقط، ولكن الأمانة في صورة التقديم. يجب أن يكون هدفك تقديم ما تعرف، بصوتك أنت، كتعبير عن خيالك وعن فكرك، وتجنب إغراء كتابة ما تعتقد أنه يعجب الآخرين. وبدلا من ذلك اختر تحمل مسئولية تقديم الوضوح والدقة، بعمق وأناقة.

تدريبات

١ - فكر في المعنى الحقيقي لما يلي، وحاول كتابة نسخة بسيطة لكل واحد:

* يبدأ (فرويد) بعرض أخيولة «ضرب الطفل» كما بدت له في تحليل حالات عديدة لعصابيين من الجنسين، ولكن بصفة غالبة عند النساء.

* إن مفهوم التدفقات النقدية لا يواجه المشكل العديدة التي يواجهها أساس الاستحقاق عند تحديد الربح المحاسبي.

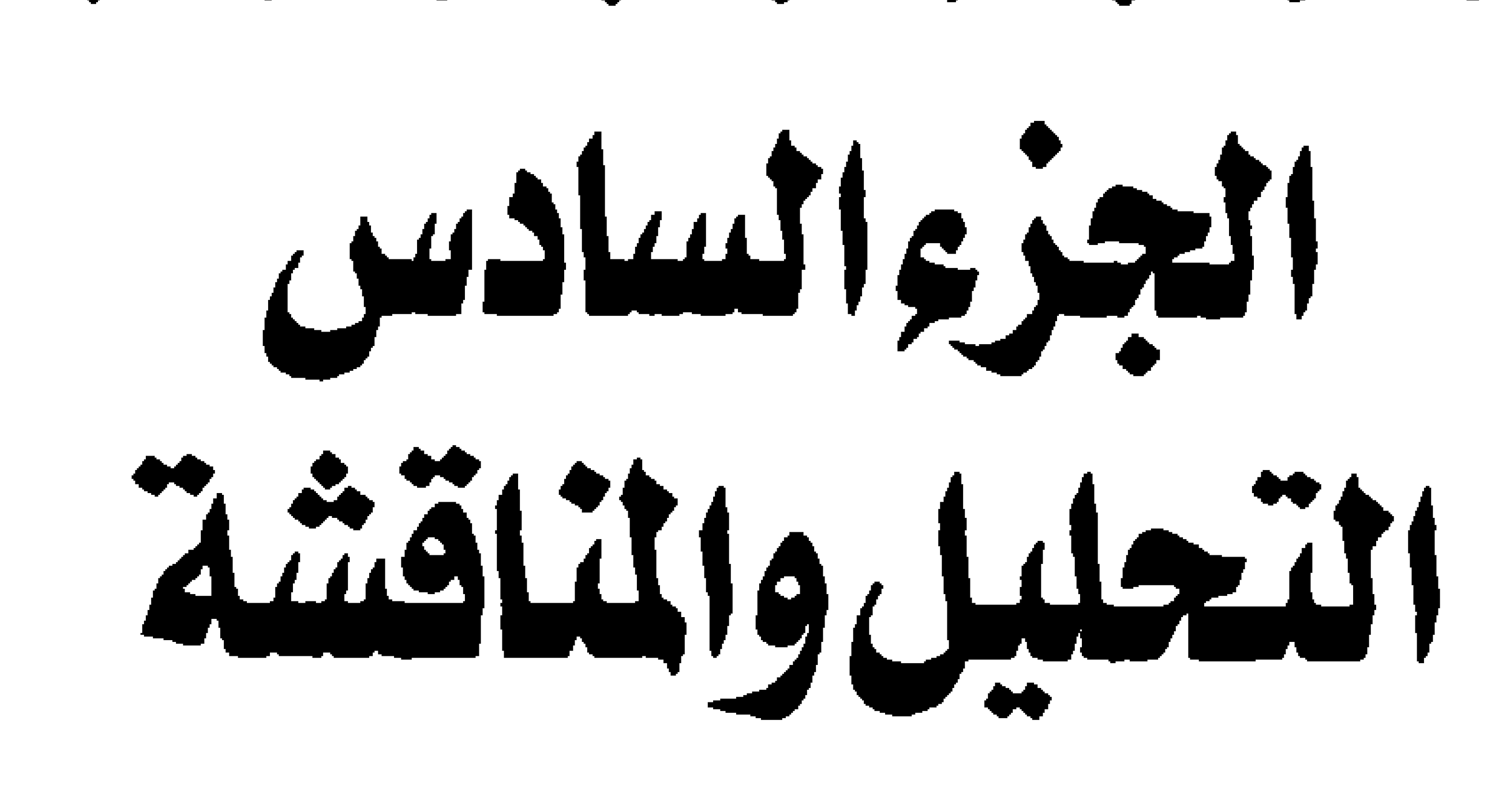
٢ - صارت الكلمات التالية والمقاطع مستهلكة، وفارغة، وطنانة، وألفاظ ذات رطانة. أوجد كلمة بسيطة أو مقطعا بسيطا كي يحل محل ما لم يعجبك.

* الشفافية.

* تفعيل العمل المؤسسي.

* سواد الليل.

* المنظومة التعليمية.



الجزء السادس
التحليل والمناقشة

«في الحديث الجيد، لا ينبغي على عقل المتحدث أن يعرف حقيقة الأمر الذي يجب أن يتحدث حوله».

(أفلاطون)



التفكير النقدي

كانت شمس الشتاء قد أوشكت على الغروب، وزحف الظلام على مكتب أستاذ الأدب عندما طرق الباب. فقد كان مجتمعًا بالطلاب الجدد لبضع ساعات، وبدا التعب على وجوههم جميعا. أما الطارق فكان شابًا أسود حصل على درجة راسب لأول مرة في امتحان الأدب. جلس الشاب بالقرب من المكتب، يلوي ورقة في يديه، وقال منفعلاً: «كل ما تريدنا أن نفعله هو أن نكرر ما تفكر فيه، أفكاري جديرة بالكتابة، مثل أفكارك تمامًا».

جاءت أنوار الحرم الجامعي نحو نافذة المكتب من مبنى الألعاب عابرة الشارع. ربما كانت زوجته في انتظاره على العشاء. ولكنه أخذ نفسا عميقا وحاول أن يشرح للشاب قائلا: «قد تكون أفكارك قيمة بالفعل مثل أفكاري، ولكن ينبغي عليك شرح قيمتها. فأنت لم تستطع أن تؤكد، بأن قصيدة (روبرت فروست)، قد تعاملت مع شبح، ربما يكون رأيك صحيحًا، لكنك لم تشر إلى دليل محدد في القصيدة، يبين كيف توصلت إلى مثل هذا الاستنتاج. فما كان من الشاب إلا أن رد: «هذا ما شعرت به، وهذا ما جعلتني القصيدة أشعر به».

وأنفق الأستاذ ربع ساعة، يمر على القصيدة مع الطالب. ويسأله: أين وجدت الدليل الذي يشير إلى أن المتحدث في القصيدة شبح؟ أين وجدت «أجراس الموت في الكنيسة؟» (سطر واحد لم يبين ذلك) فزاد غضب الشاب، وزاد إحباط الأستاذ. وراح الأستاذ يتأمل في مدى تشابه جميع الطلاب المبتدئين. وأخيرا،

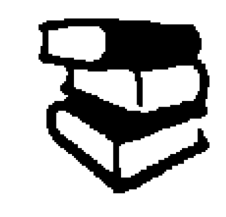
انفجر دون تفكير: «جميعكم معشر الطلاب المستجدين تعتقدون بأن الحقيقة لديكم، بينما وصلتني رسالة مختلفة - شعرت بها، وهذا يجعلها حقيقة في حد ذاتها».

كان الأستاذ غاضبا جدا لأن السياق جلبه إلى قضية أخرى. كان عصفا مباشرا لصورته الذاتية. فمسك ورقة الامتحان مرة أخرى وطلب من الطالب الانصراف. واقترح عليه بضعة أماكن يمكن أن يعرف منها الحقيقة. لكن الأستاذ ندم على غضبه فيما بعد، فقد كان يعرف بأن كليهما كان تحت وطأة انفعال، انتصر على عقله.

تعرفنا على طبيعة الحقيقة مع أكثر تحديات تعقيداتنا الفكرية. هل جميع الأفكار على نفس القدر من الحقيقة؟ هل هناك شيء مثل الحقيقة مطلقا؟ إذا كان الأمر كذلك، كيف نستطيع أن نعرفه؟ وإن لم يكن، فبأي الطرق نستطيع أن نحدد ولو حتى الحقيقة المحتملة لأي شيء؟ فالذين هم أكثر ثقة، فيما يتعلق بممارسة شيء يسمونه حقيقة مطلقة (حقيقة لا تنكر ولا تناقش) عادة ما يعتمدون على حدسهم وعلى إيمانهم في الاقتناع، والمشكلة هي أن الحقيقة المطلقة التي عرفت عن طريق الإيمان لا يمكن شرحها للآخرين. أنت إما أن تصدق أو لا تصدق. وبالعكس، عندما نستخدم العقل، نطلب أن تشرح الحقيقة من خلال دليل أو مناقشة. وفي أبسط الصور، يمكن أن نعقد مقارنة مع مفاهيم «الإخبار» و«التوضيح» التي تم التأكيد عليها في الفصول السابقة. ربما تخبرني أنك قد فهمتني أو عرفت الحقيقة، ولكن المنطق يتطلب أن تبين لي كلا من دليلك وطرقك التي عقلت بها واستخدمتها لكي تصل إلى استنتاج.

وهكذا، يصبح العقل أو المنطق، طريقة للسعي نحو الحقيقة المحتملة، وذلك من خلال المداخلة أو تفسير الحقائق القابلة للملاحظة - وهو أمر بدأنا بالعمل به في الفصول المبكرة. وعلى أية حال، قبل أن تمضي قدما، تحتاج لأن تتبين بعضا من المشكلات التي تتداخل مع العقل. كشف ما جرى بين الطالب والأستاذ بعضها. كان الأستاذ متعبًا واندفع غاضبًا، ووضع جميع الطلاب الجدد





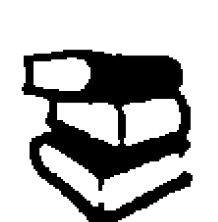
في نفس التصنيف. وكان الطالب مقتنعًا بأن جميع الأساتذة متشابهين، وأن انحياز عرقي قد أثر على حكم الأستاذ. فأراد الأستاذ من الطالب أن يستخدم المنطق ليشرح الحقيقة، وشعر الطالب بأن الانفعال الذي أثاره الشعر فيه هو حقيقته الخاصة. وانتهى كل منهما بشعور يقول بأنه على صواب. ولكنهما يمكن أن يكونا أحيانا على خطأ.

الحواجز الانفعالية أمام العقل

في حديث جرى مؤخرا أمام جمهور من الطلاب الذكور، حول النمو المدهش لقدرات النساء الرياضية. وأشير فيه إلى أن من بين عشرات الحقائق الأخرى أن الفارق في سباق المائة متر الذي حدث قبل عشرين عاما ما بين أسرع امرأة في العالم وأسرع رجل كان ١١,٨٨٪ لصالح الرجل، لكنه انخفض مع نهاية منتصف الثمانينيات إلى ٩٪، واستمر في الانخفاض مع التحاق عدد أكبر من النساء بالتدريبات الرياضية المبكرة. كما أن الرقم الذي سجله مارثون النساء (٢٦ ميلا جريا) وهو ساعتان، و٢٤ دقيقة و٥٢ ثانية - إشارة إلى إمكانية فوز النساء بالميدالية الذهبية في مارثون الرجال في الألعاب الأولمبية عام ١٩٥٦. وهذا يعني بأن جميع الأدلة كانت تميل إلى إثبات أن التدريب الأفضل والتشجيع الإيجابي للنساء قادر على أن يغطي الفارق بين مثل هذه الحدود المحصنة، كالقوة البدنية والقدرة على الاحتمال. أما ما حدث فهو استجابة جميع الجمهور من الذكور بصوت غير مريح. وأخيرًا، قال أحد الشباب دون أن يفكر: «حسنا، لن تكون النساء قادرات على لعب كرة القدم» ووافق بقية الحضور على ذلك بارتياح. وبدا كما لو أن الأمر قد استقر، والسبب هو إننا عندما نلتزم انفعاليا نحو أمرٍ ما، نتجاهل المعلومات المخالفة بسهولة.

ما الدور الذي تلعبه الانفعالات أو الاتجاهات الثقافية فيما يلي من الجمل؟

١ - الطريقة المناسبة لقطع اللحم هي حمل الشوكة في اليد اليسرى والسكين في اليد اليمنى. اقطع قطعة واحدة، ثم ضع سكينك أعلى الطبق، ثم انقل شوكتك إلى يدك اليمنى.




٢ - ربما يشعر العالم بالسلام إذا اهتم الأغنياء بالفقراء، وتوقفوا عن التعالي عليهم والاستهزاء بهم.

٣ - مما قاله أحد أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي ذات يوم هو أن مشكلة التعامل مع السوفييت تكمن في صعوبة الثقة بهم.

سيتغلب الدعم الانفعالي الذي ربطناه بسياقنا، ومجموعتنا، وثقافتنا، أو ديننا، على منطق العقل، حيث ما يبدو طبيعيا بالنسبة لنا نحن البشر هو الاعتقاد بأن طريقتنا في العيش تعني الكثير، بينما عادات الآخرين مضحكة. كما يبدو من الطبيعي أن نؤمن بسيادتنا. الكلمة الهندية (سيبينس) تعني (الناس)، مصطلح يقترح بشكل واضح أن الآخر كقبيلة (سيو) و(الرجل الأسود)، كانت أقل من الناس. كما تبنى (هتلر) مثل هذا الاتجاه، ليقنع أمه بأن اليهود كانوا (جنس) دخيل يستحق معاملة بربرية. والأمريكيون أيضًا ليسوا مستثنين. حيث يمكن للاتجاه العرقي الذي يفصل السود عن البيض، أن يجعل الناس يتصرفون بصورة يدينون بها الآخرون بشكل طبيعي.

نحن نخلق مثل هذه الأنماط القوية في عقولنا بحيث لو عرضت علينا حقائق على عكس ما نعرف، ربما نميل إلى أن نفترض بأنها حقائق غير صحيحة وأن الأسلوب الذي نفكر به هو الحقيقي.

ومن الأمثلة على ذلك: ما حدث أثناء حرب فيتنام. حيث كانت تقارير التليفزيون والصور الصحفية تبين، بشكل يومي خلال نهاية الستينيات وأوائل السبعينات، كيف تبكي النساء الفيتناميات على جثث أطفالهن وأزواجهن وهن مثقلات بالألم فوق التوابيت. ورغم ذلك، كان العديد من الأمريكيين مصرين على أن الشرقيين لا يقدرون حياة الإنسان كما يفعلون هم. وحتى على الصعيد اليومي، نحن نميل إلى رؤية مدينتنا، وحينا أفضل من سواهما، كما نميل إلى أن نعتقد بأن طريقتنا في الأكل والملبس (طبيعية)، ومتى ما أصبحنا ملتزمين انفعاليا نحو معتقداتنا الخاصة أو الثقافية، يتوقف تفكيرنا المنطقي. رغم أن المنطق كان قبل ألفين وخمسمائة سنة، هو الطريقة الأساسية المقبولة لتحديد الحقيقة لدى العالم

الغربي. فإذا كنا نريد أن نعمل بشكل ناجح، في مثل هذا العالم، علينا أن نتبين كيف يؤثر الانفعال على حكمنا.

الكسل الفكري

تنبعث بعض المشكلات المتعلقة بالتفكير من التفكير الكسول أكثر مما تأتي بسبب الحواجز الانفعالية. حيث نفضل الأفكار السهلة على الأفكار المعقدة. ودائما ما تبدو الحقيقة أكثر دلالة إذا نحن لم نعير اهتماما للتفاصيل أو التبعات.

يحدث التبسيط المبالغ فيه عندما نفشل في تحري الفكرة بشكل كامل، ففي عام ١٩٧٨ على سبيل المثال، أجرت حكومة (أوهايو) انتخابات بعد أن واجهت أكثر من ثلث نظم المدارس العامة في الولاية الإفلاس، وأغلقت العديد من المدارس أبوابها. ورفعت حملة الحاكم شعار «لا ضرائب جديدة». وكانت النية أن الولاية ستجمع مزيداً من الضرائب، لأن التضخم يزداد، وهكذا يمكن أن تحل المشكلة نفسها. ورغم أن التفكير يبدو واضحًا، حيث سينفق الناس نقودا أكثر ليشتروا البضائع عندما يرتفع معدل التضخم، وبالتالي سيدفعون مزيدا من ضرائب المبيعات. وسيذهب هذا الدخل الإضافي إلى المدارس. إلا أن المشكلة قد بسطت بصورة مبالغ فيها. والسبب هو أن الحاكم فشل في شرح أثر زيادة التضخم، الذي سينعكس على نفقات تسيير المدارس أيضًا. فقد كانت تكاليف المدارس تزداد بسرعة أكبر من جراء التضخم. ولكن التبسيط الشديد قد جذب المصوتين، وتم انتخاب الحاكم.

ربما يكون التبسيط أسلوبًا ذا قيمة لأي مدة إذا كنا نوضحها من خلال التبسيط. ولكن عندما نبالغ في التبسيط، فنحن نموه ونضلل ونكذب، بدلا من قول الحقيقة. وفيما يلي بضعة أنواع من التبسيطات المبالغ فيها والتي تبدو منطقية ومقنعة ولكن يتم تجاهل تعقيدات الطبيعة البشرية فيها.

سبب ونتيجة خاطئة

* شرب الخمر ينتج عن توافر الخمر.

* روما سقطت بعد دخول المسيحية، لهذا روما سبب المسيحية.

من الطبيعي إذا كان الخمر غيـر موجود، لن يكون هناك من يشرب الخمر، ولكن حقيقة وجوده لا تجعل منه سببًا وحيدًا للأمراض، فليس كل شخص يشرب الخمر يصبح مدمنًا. كما لا تعني حقيقة دخول المسيحية سببا لسقوط روما في حد ذاتها. لأن ذلك سيكون تبسيطا مبالغا فيه.

التعميم المبالغ فيه

* الديمقراطية أفضل أشكال الحكم.

* الأثرياء كسالى.

* الطلاب الضعاف نتاج لأساتذة ضعاف.

عادة ما يعتمد التعميم المبالغ فيه على قول أو تضمين لعبارات مثل دائمًا، أو أبدًا، أو أعظم، أو أفضل، أو ما شابه ذلك مما يـدعى الحقيقة التي لا ريب فيها. ويمكننا نقد الأمثلة السـابقة من خلال ملاحظة أن الأمم التي بلا ميراث من الحكم الذاتي، قد لا تصلح لها الديمقراطية. كما أن ليس جميع الأثرياء كسالى بالضرورة ولا جميع الطلاب الضعاف هم تـلاميذ لمدرسين يستحقون اللوم، وفي كل حالة، كان على الكاتب أن يقيم طرحه قبل أن يلقى به، فيقول مثلا: أن الديمقراطية عادة ما تكون أفضل صورة للحكم، وأن بعض الأثرياء كسالى، وأن الطلاب الضعاف ربما يكونون نتيجة لمدرسين ضعاف.

الاستنتاجات المتعجلة

* لم يحـصل صديقي إلا على ١٠٠ درجة في اختبار الذكاء وهذا يعني أن قدراته متوسطة وعليه أن يصبح ميكانيكي سيارات.

* أعرف فتاتين تـزوجتا وهما في الجـامعة، وهذا يعـني أن السبب الوحيد لذهاب الفتاة إلى الجامعة الزواج.

عندما يـتم إصدار حكم سابق لأوانه فـي عمليـة التفكـير، أو قبل فحص جميع الأدلة، فإن ذلك استنتاج متعجل. فعلامة ١٠٠ في اختبار الذكاء تشير إلى




أن الدرجة معطاة على نوع واحد من الامتحانات. وقد يكون صديقك عبقريًا مبدعًا في الموسيقى أو في الرسم أو في النحت، ولكن لم يتضمن ذلك في امتحانات الذكاء. ولا يمكن لزواج الفتاتين أن يعتبر دليلاً ملائما نستنتج منه أن جميع الفتيات تسعين إلى الزواج عندما تدخلن الجامعة.

التجريدات غير المعرفة

* «الكولا هي وبس».
* «عامل نفسه أبو على».

ماذا يعني ذلك على وجه التحديد؟ هل يمكن أن نقول أن «بيبسي هي وبس؟» وماذا يعني «أبو علي»؟ عادة ما يستخدم التعبير ليعني أن شخصًا ما يتصرف بطريقة تحل المشكلات - ولكن وفقا لمعايير من؟ تندرج الكثير من الشروط العقلية تحت «أبو علي». ويمكن أن يعني فيما يبدو أي شيء نقصده. فبدون تعريف دقيق، يمكن للقارئ أن يرتاب في مدى معرفتنا لما نتحدث عنه.

يتطلب التفكير الواضح عملاً شاقًا ووقتًا وانتباها حذرًا للتفاصيل. فبعض الناس يتضايقون من التعقيد ويقفزون إلى أول حل سهل. ولكن الكاتب الناجح يبنى مناقشته، تدريجيا، وباهتمام شديد باختيار الكلمة والدليل الملموس، ويكون واعيًا للتوضيح والتبسيط من دون مبالغة.

فكر في أنواع مختلفة من المبالغة في البسيط التي تجدها فيما يلي:

١ - يواجه الزواج المختلط ضغوطًا ثقافية تؤدي إلى الطلاق.

٢ - بدون الدراسة في الكلية لا تستطيع أن تجد عملا.

٣ - مصير من يعانون من السمنة الموت المبكر.

الأساليب الخاطئة للمناقشة

المناقشة طريقة للتفكير تهدف إلى استمالة الجمهور أو التأثير عليه حتى يصدق أمرًا ما. ومن الواضح، أن الأساليب المختلفة للنقاش كثيرة، ولكن يمكن




أن تسبب بعض الطرق مشكلات معينة، فتظهر تفكيرًا مؤثرًا، بينما تفشل في شرح الحقيقة المعلنة.

المشابهة المغلوطة

لقد درست التشابه في الفصل الرابع والعشرين كوسائل لإثارة التفكير الإبداعي. ففي التفكير المنطقي، يكون التشبيه طريقة جيدة لتبين العلاقة. حيث تقود التشبيهات القارئ من شيء يعرفه إلى شيء غير معروف بالنسبة له. فإذا قيل لك: إن تعلم الكتابة مثل تعلم السباحة لأن كليهما يتطلب الممارسة والتكرار، ربما تفهم أكثر عن الكتابة إذا كنت تعرف السباحة. وربما يكون التفكير دقيقًا إذا كان التشابه قريبًا بالقدر الكافي لاستنتاج «محتمل بصورة اكبر». ولكن من خلال التعريف، توجد أوجه اختلاف وأوجه تشابه. فإذا كان علينا أن نقرر بأن الفروق تفوق التشابهات، فينبغي علينا أن نسمى هذا تشابهًا مغلوطًا. ومثال على ذلك، أنه منذ بضع سنوات عرضت شركة (شل) للبترول إعلانات تليفزيونية تقول فيها: «إذا كانت شركة» (شل) للبترول تستطيع أن تصنع مركبات عالية الجودة للطائرات، فتخيل مدى جودة جازولينها. أما المشكلة فهي، أنه حتى لو أن (شل) صنعت مركبات طائرات ذات نوعية جيدة، فإن ذلك لا يضمن جودة نوع آخر من منتجات نفس الشركة، يقع على بعد ألف ميل، تحت إدارة مختلفة، تقود عملية تصنيع مختلفة لاستخراج الجازولين من البترول. لا يوجد رابط ذا قيمة هنا سوى الاسم المشترك للشركة المنتجة، وليس جودة المنتج؛ ولهذا يعد الإعلان مشابهة مغلوطة.

حتى عندما ينجح التشبيه في التوضيح أو الشرح، يبقى مجرد مقارنة، لا تثبت شيئًا.

اللجوء والاحتكام لأصحاب الاختصاص

يمكن لمناشدة أصحاب الاختصاص أن تشكل مكونة ضرورية لصوت المناقشة. فعندما تدعى بأن التخلص من جميع الصواريخ النووية سيقلل من أخطار الحرب، وتطلب رأي مفاوضي أمريكا في جنيف، فإن ذلك يمكن أن يقوى مناقشتك. فمن غير المتوقع أن يفهم معظمنا تعقيدًا مثل هذه الموضوعات. وهكذا

فإن دعوة شخص معروف بدراسته المكثفة حول المادة أو بخبرته المكثفة سيكون أكثر إقناعًا من المناقشة المنطقية وحدها.

من ناحية أخرى، يمكن أن تكون المناقشة الضعيفة مقنعة، وتستطيع أن تخبئ زيفها أو تفكيرها المضطرب باستخدام اسم مشهور. فلا بد أن يعي استدعاء (روني ميلساب) كواحد من مؤيدي التخلص من جميع الصواريخ النووية وزنا للمناقشة. فقد يكون شخص مثل (ميلساب) متخصصًا في الموسيقى، لكنه مشكوك فيه من حيث المعرفة المتعلقة بنزع الأسلحة. ولهذا ينبغي أن تكون على وعي بالفرق الذي بين الادعاءات العامة التي يلقيها من يناهضون الأسلحة النووية في كل مكان، وبين ما يعلنه العلماء فيما يتعلق بالأخطار العديدة للأسلحة النووية. فتسأل من يكون هؤلاء المناهضين؟ ومن أي نوع؟ وأي العلماء الذي يتحدثون؟ ومتى قالوا ما قالوه؟ وأخيرًا، دع الشك يراودك فيما يتعلق بالاستشهاد بقول المتخصصين، فقد تكون هناك ثمة أسباب انفعالية غامضة: كان (جون كيندي) يؤمن بعالم يكون فيه المرء حرًا في الحياة بطريقته الخاصة. وما لم نهجر رؤوس الحرب النووية، لن نعيش حلم (كيندي).

اللجوء إلى الانفعال

الاستعانة الخاطئة بالسلطة، هي طريقة لاستدعاء الانفعالات. فأثناء رئاسة (جيمي كارتر)، أعيدت ملكية قناة (بنما) من خلال معاهدة (بنما). وكثرت المناقشات حول أن أمريكا قد «اشترتها» وأن حياة الأمريكيين تمت «التضحية» بها أثناء بنائها وتشغيلها، مما يمنحها سلطة شرعية على المياه الإقليمية الأمريكية؛ ولهذا ليس بالإمكان أن «تتخلى عنها». وهكذا عزز اللجوء إلى الولاء والعدل والدين والأصول ووحدة العائلة وغيرها، ردود أفعال العديد من الناس بشكل آلي. فالكاتب الماهر أو المتحدث اللبق يمكن أن يستميل الأمة بأسرها من خلال مثل هذه التكتيكات، رغم أن المنطق والدليل يشيران إلى كذب المناقشة.





لأن الرياضيات تبدو «علمية»، ونحن نميل إلى أن نتأثر بأي نوع من الأرقام، كما لو أن الأرقام دليل شرعي في حد ذاتها على الدوام. فقد تحدث أساتذة في إحدى الكليات مؤخرًا، على سبيل المثال، عن ورطة قابلت لجنة يعمل بها، حيث عجزت عن التوصل إلى قرار بشأن تضمين مقرر مقترح في المنهج الجديد، وللخروج من الورطة أعلن المسئول عن أن ٦٢٪ من الطلاب فضلوا مثل هذا المقرر. وصوتت اللجنة لصالح المساندة على الفور.

واعترف المسئول فيما بعد، بأن الإحصائيات كانت مخترعة، ومع ذلك مارست تأثيرا أكبر من جميع المناقشات السابقة.

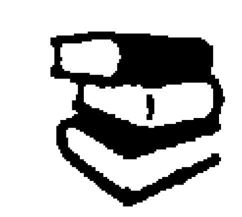
وحتى لو كانت الإحصائيات مستخرجة من مسح معترف به لآراء الطلاب، ستظل هناك حاجة لمعرفة متى تم أخذ التصويت، وعدد الطلاب الذين تم أخذ رأيهم بالفعل، ومفردات الاستبيان، والاستمالة التي يمكن أن يتضمنها، وكيفية تحديد الإحصائيات رياضيًا. وبدون مثل هذه البيانات، يمكن أن تكون الإحصائيات ذات القيمة مضللة. فقد أعلنت الرابطة الطبية الأمريكية، على سبيل المثال، أن الأمريكي في المتوسط يدخن علبة سجائر في اليوم.

ولكن ماذا تعني كلمة المتوسط في الحقيقة؟ إذا كان اثنان فقط من أفضل أصدقائك العشرة يدخنان خمس علب سجائر في اليوم، فإن المتوسط لكل أصدقائك سيكون علبة في اليوم، حتى لو أن ثمانية منهم لم يدخنوا مطلقا.

هل يمكن أن يكون لمثل هذه الإحصائيات ثقلاً في الإثبات؟ كلا، يمكن أن تقدم كدليل، ولكن يجب أن تقيم دائما بحذر مثل أي دليل أو مناقشة.

التفكير الاستقرائي والاستدلالي

يكمن قلب التفكير في العلاقات الواضحة. فالمناقشة ذات التفكير الجيد توضح تركيبة العلاقات، بينما تكون المناقشة الضعيفة ضباب على العلاقات (كما في اللجوء إلى الانفعالات) أو تحاول أن تبدأ علاقة تثير السؤال (مثل التشبيهات




المغلوطة أو سوء استخدام الإحصـائيات). وعادة ما يعتبر أكثر أنواع التفكير تأكيدا اسـتقرائيـة. والانتقال من الخـاص إلى العام، من الحقـائق إلى الاستنتـاج المتعلق بـالحقائق. ويهتم هذا الـكتاب بقيـمة التفكيـر الاستقرائي، حيث تم الـتركيز منذ الصفحة الأولى على ضـرورة تدريب النفس على رؤية الأمـور الملموسة والخاصة والبحث عن تفاصيلـها، لكي يتم التقصي، ومن ثم تحديد المداخلات أو تفسيرات النتائج المبنية على الدليل الذي يمكن التحقق منه بواسطة ملاحظ آخر.

ومثل كل أنواع التـفكير الاستـقرائي، ربما يثبت الـربط بين الحقائق الخاصة والتعميمات بطريقة خاطئـة. فالتفكير الاستقرائي لا يضمن الحقيقة، بل هو يعمل ليـبدأ حقيقة مـحتملة مبنـية على تراكم من الحقائـق المحقق فيها، والملاحظات أو الخبرات التي تشكل علاقة واضحة - نمط - يبدو مدعم لاستنتاج العام.

أما التفكير الاستدلالي، فيعمل على النحو العكسي، إذ ينتقل من العام إلى الخـاص، ومن المجردات الرحبة إلى الحقـائق المعينة. ويـتضمن في أبسط الصور، ثلاثة أقسام من المنـاقشة، تتضـمن القياس المنـطقي: افتراض (المقـدمة الكبرى)، وافتراض آخر (المقدمة الصغرى)، ثم استنتاج ناتج من العلاقة بينهما.

جميع الرجال قتلة   مقدمة كبرى

جون رجل   مقدمة صغرى

لذا جون قاتل

ويجب أن يكـون التعميم المبـدئي إما دليل ذاتي أو ذا طبيعـة تمكننا من أن نتفق على حـقيقته دون الحاجة إلى مزيـد من الأدلة بينما ينـبغي أن يكون التعميم الثاني، وأي مقدمات تليه في السلسلة أكثر تحديدا، وقابلية للتحقق منها. فإذا كان الاسـتنتاج يشرح علاقة مناسبة بـين المقدمات أو وسطها، نستطيع من ثم أن ندعى بأن الاستنتاج صحيح.

ولكن هذا النمط من المناقشة يمكن أن يخلق مشكلات.

* جميع أصحاب الأصوات مواطنون صالحون.




* جون صوت.

جون مواطن صالح.

ونجد هنا بأن جميع المتطلبات تم توفيرها. ولهذا يمكن القول بأن هذا القياس المنطقي صالح بقدر ما يتبع الشكل المفروض. ورغم ذلك فإن الاستنتاج خاطئ. ولكي يكون صحيحًا، لابد أن تكون كل حلقة في السلسلة صحيحة، ولا يمكن أن تكون المقدمة الأساسية أو التعميم في هذه الحالة مقبولا كدليل ذاتي، لأن جميع المصوتين ليسوا بالضرورة مواطنين صالحين، حتى لو أدلى بصوته بانتظام لصالح مشروع الجمهورية. ولذا، حقيقة أن (جون) يصوت، لا تجعل منه مواطن صالحا بالضرورة.

خطر آخر يمكن أن يحدث، عندما يشوه القياس المنطقي بطريقة تجعل العملية المنطقية تبدو هراء.

جميع الكلاب لها أربعة أرجل	جميع الرجال لديهم شعر وجه
قطتي لها أربع أرجل	أمي لها شنب
لهذا قطتي كلب	لهذا أمي رجل

من الأفضل أن يترك تعقيد التفكير الاستدلالي، ودقته لمقررات الفلسفة، ولكن عليك أن تكون على وعي بأن المناقشة ذات التفكير السليم ربما لا تكون صالحة للتفكير على الإطلاق. وأن كل مكون من مكونات المناقشة، وكل علاقة، ينبغي اختبارها والتأكد من صحتها حتى يكون الاستنتاج صحيحا.

فكر في المشكلات المختلفة الموجودة في المناقشتين التاليتين:

* ٧٠٪ من جميع معاملات الأعمال تتم من خلال الهاتف أو من خلال الكمبيوتر. ولم يعد رجال الأعمال بحاجة إلى كتابة رسائل، ولهذا على الكلية أن تلغي مقررات الكتابة.

* يعين في الوظائف الجديدة من لديهم وساطات، بغض النظر عن المعدلات؛ ولهذا لم تعد المعدلات مهمة لمن يريد أن يعمل.

وهكذا فإن ما يجابهنا سلسلة من العقبات الانفعالية، والتفكير الكسول، والقياس المنطقي الذي يبدو منطقيا ولكنه ليس كذلك، وسوى ذلك من قائمة تبدو بلا نهاية. وعلى من يريد الكتابة بشكل واضح، وبشكل مقنع، وتفكير سليم، أن يقف على المبادئ الأساسية في جميع مشكلات البشرية التي تتداخل مع بعضها. وعلينا أن نبقى آملين حتى لو كان من الصعب التخلص من مثل هذه المشكلات، فمن خلال معرفة وجودها، يمكننا الانتصار عليها. وختامًا، لا يكفي وجود الإدراك الحساس للحقائق والتفاصيل والانفعالات والأفكار بالنسبة للكاتب، بل يحتاج الكاتب الناجح أيضًا إلى إدراك العلاقات التي تربط تلك الحقائق والتفاصيل والانفعالات والأفكار.

تدريبات

١ - لأننا تعلمنا الارتباط الانفعالي بالقيم من عائلتنا، ومن مجموعتنا، وأعراقنا، وطبقتنا الاجتماعية، وثقافتنا، لذا فهي قوية وغالبة، وعادة ما يلجأ السياسيون والمعلنون مباشرة إلى الانفعالات بدلا من المنطق. فكر في نوع من أنواع المشاعر التي يسعى لإظهارها كل مما يلي، ولماذا هي قوية؟ وأين تكمن اللامنطقية في كل منها؟

* صوت المحافظ هو صوت للحرية والتكامل، والكفاءة الحكومية.
* إذا استهان بك مرة فسوف يستهين بك ثانية.
* إذا كان لك نصيب في النجاح فسوف تنجح حتى لو لم تجتهد.

٢ - كتب طالبان الفقرتين التاليتين ضمن موضوعات إنشاء لطلاب جدد. قيم المشكلات المنطقية فيهما.

* «الالتحاق بالكلية تجربة مفيدة لكل من يدخلها. إنها بداية لحياة أفضل تعطي المرء فرصة للحصول على مهنة ذات معنى وتعلم التحدي. وليس على خريج الكلية أن يقبل عمل لا يستمتع بالقيام به لمجرد الحصول على المال. هذا، وتعزز الكلية الشخصية حيث

يقابل خليط من الناس من مختلف أنماط الشخصية. وتضع الكلية الشخص أيضا في موضع المسئولية من خلال جعله يتعلم الاعتماد على نفسه».

* «يجب عليك ألا تلبس ساعة إذا كنت مهتما بصحتك بشكل حقيقي. فالمسح الذي أجرته رابطة القلب الأمريكية حول العلاقة بين الأزمات القلبية بالتصرفات والمميزات الشخصية يقول بأن الأشخاص الذين كانوا يلبسون ساعات سجلوا معدل أعلى من الإصابة بالأزمات القلبية من الذين لم يلبسوا. الوقت مهم بالنسبة للأشخاص المضغوطين وسريعي الإيقاع. التأهب للعمل أمر ضروري للنجاح. وأسلوب الحياة المضغوط يسبب ارتفاع ضغط الدم أيضا، مما يزيد من فرص الإصابة بالنوبات القلبية، ويبطئ إيقاع الحياة إلى مستوى أكثر تمتعا بالصحة».

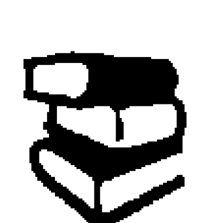
٣ - فكر في كل مما يلي من المقولات. أي منها يضم تفكيرًا استدلاليًا، وأي منها يقود إلى استنتاج مفيد؟

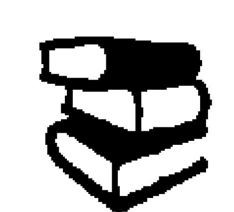
* لا ينبغي أن يأخذ الطالب مقررات لا يحبها في الكلية.

* جميع المراهقين يصابون بحب الشباب، أختي لديها حب شباب، إذن أختي مراهقة.

* معظم الأساتذة في الجامعة من حملة الدكتوراه، وإذا بقى جميع الطلاب في الجامعة حتى يحصلوا على الدكتوراه، فلن تكون هناك حاجة للأساتذة.

* لم تعد هناك أهمية لوجود أبطال في عالمنا المعاصر، لأن الأبطال الذين تواجدوا في السابق مثل (مارتن لوثر) و(جون كينيدي) انتهوا برصاصة.





٤ - فكر فيما يلي من الحوار وحدد العلاقة بالتفكير المنطقي. هل يعبر عن حدود المنطق؟

* ما رأيك بحالة الفن السائدة هذه الأيام؟

* صار الفن يخرب إحساسنا بالجمال.

* هل تقصد الغناء مثلاً؟

* الغناء والرقص والرسم والنحت وكل شيء.

* هل من الأفضل أن نلغى الفن؟

* اعتقد ذلك، ونوجه طاقاتنا وإمكانياتنا لأمور أهم مثل محو الأمية.

* * *



القراءة النقدية

تـظاهر للحظـة، بأنك قرأت مقالاً - منـاقشة - حول التعـددية العرقية في الولايات المتحدة الأمـريكية، يقول فيهـا المؤلف بأنه عندما ترغب امرأة سوداء في (لوس أنجلوس) أن تجد «جـذورها» فهي تبحث عن شيء «غـير موجود»، ويؤكد بأنه عندما نظم أمريكي بـولندي حملة في (شيكاغـو) لحماية البولنديين الذين في الجوار، أضـفى انسـجامًا عـلى المجمـوعة. نـاقش المؤلف أمـر رغبـة الأمريكي المكسيكي الـقاطن في (هونسون) في نـظام تعلـيمي ثنائي اللـغة، الذي يزيد من تفاوت الأعراق.

هل المؤلف على صواب أم عـلى خطأ؟ كـيف يمكن أن تتراوح استجابتك لمناقشة ما بين دعم عداء عرقي إلى ترحيب، اعتمادا على خلفيتك العرقية. ولكن هل تستطيع أن تـفصل انفعالاتك عن المنـاقشة في المقال؟ وهل تقـيمها بالمنطق أم بالدليل؟ ثم هل تسـتطيع أن تحدد صلاحيتهـا أم تبحث فيها عن ثغرات من خلال تحليل عادل وموضوعي؟

تتجاوز الـقراءة الجادة التسلية. حيث يقرأ الكيميائي مجلة علمية ليطلع على اكتشاف جديد في دراسة الجهاز العصبي العضوي.

ويقرأ مـهندس عن الـتطـورات في مجال الـزجاج المعـماري للـتحكم في الـشمس. وتقرأ أم عن الطبيب النفـسي الذي يتحدث عن تربية الأطفال تحت سن الخامسة بالعقاب البدني. كيف يمـكن لكل هؤلاء أن يقيموا ما يقرأون إلا بالتفكير

المنطقي، وتحليل المحتوى، والحكم على الصلاحية؟ فمثل هذه العملية تتطلب تحليلاً نقدياً - استراتيجية تتضمن طريقة للفهم والتقييم وتقنية للكتابة في ذات الوقت.

استراتيجية القراءة بصورة نقدية

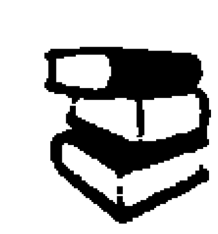
التحليل هو عملية تقسم فيها المادة إلى أجزاء مختلفة. ومن خلال دراسة الأجزاء وعلاقتها ببعضها، يتمنى القارئ أن يفهم المزيد عن المادة بشكل عام. ولكن قبل أن تستطيع تحليل أي شيء تقرأه بشكل حقيقي، عليك أن تتعلم طريقة معينة للقراءة التي تعدك لكل خطوة من خطوات التحليل التي تحتاجه.

فهم المحتوى

الحاجة إلى فهم المحتوى تبدو دليلاً ذاتيًا، ولكنها لا تعد مقالاً ولا يمكن بلوغها بشكل شائع، كما قد نحب أن نعتقد. ويعرف مدرسو الجامعات أن ربع مشكلات مقالات الامتحانات تقريبا يمكن أن تعود إلى فشل الطالب في القراءة وفهم السؤال المطروح عليه. فالقراءة بشكل نقدي هي استراتيجية - وفيما يلي طريقة للوصول إلى قراءة تزيد من فهمك.

١ - ضع خطًا تحت الجمل المفتاحية، ودائرة حول الكلمات المفتاحية. واقرأ كل فقرة كوحدة فكر، وابحث عن الجمل الأكثر أهمية، وضع تحتها خطًا، ولا سيما تلك التي تعبر عن المغزى والنقاط الأساسية المستخدمة لدعم ذلك المغزى. وضع دوائر حول الكلمات المستخدمة بطرق خاصة، والكلمات التي تعرفها أو الكلمات المعادة من أجل التأكيد.

٢ - دون ملاحظاتك على الهوامش، وحاول أن تلخص كل نقطة أساسية في بضع كلمات إلى جانب الجمل التي تشكل النقطة بشكل مباشر. ثم حاول أن تستخدم كلماتك الخاصة في التلخيص. وحاول صياغة الفكرة بكلماتك كي يساعدك ذلك على فهمها وتذكرها. رقم الملاحظات في هامشك بحيث يمكنك بنظرة واحد أن تعرف عدد النقاط الأساسية التي أشار إليها الكاتب.




٣ - استخدم القاموس، لتعرف كل كلمة أساسية لم تفهمها، واكتب تعريفًا ملخصًا في الهامش إلى جانب الكلمات التي وضعت دوائر عليها، حيث تساعدك كتابة التعريفات على تذكر الكلمات ومعانيها.

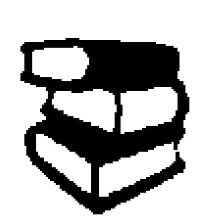
٤ - وأخيرًا، إذا انتهيت من القراءة، اكتب ملخصًا مختصرًا بكلماتك الخاصة، وأعد عرض مغزى المؤلف بصورة موضوعية وعادلة. استعرض النقاط الأساسية، والاستنتاج دون أن تفسر، أو تطلق أحكامًا متعجلة. واستخدم الملاحظات التي في الهامش لتساعدك في كتابة ملخصك. فعادة ما يساعد الملخص على جمع أفكار المؤلف. وما لم تكتب الملخص، تظل معتقدا بأنك تعرف ما قرأت، ولكنك لا تستطيع أن تتأكد من ذلك، لاسيما وأن الملخص عمل عقلي ممتاز يساعد على أعدادك للامتحان، أو لكتابة ورقة بحثية، بالإضافة إلى تعزيز فهمك.

قيم المحتوى منطقيا

متى ما فهمت المحتوى بموضوعية، أنت في وضع جيد لتدقق في مغزى المؤلف بصورة نقدية وبصورة أكبر. فعندما تقرأ عن بيع الكوريين للأقمشة في أمريكا بأسعار أقل، تعرف ما إذا كان المؤلف يحاور منطقك أم انفعالاتك؟ وهل ما يقدم هو أكثر من مجرد جانب واحد من القضية؟ وهل عرضت جميع الجوانب بصورة عادلة ومتساوية؟ وهل المحتوى مبنى على رأي؟ أم على دليل؟ أم على منطق؟ وهل قدم الكوريون كنماذج؟ وهل كانت مناقشة المؤلف مبنية على المبالغة في التعميم؟ أم لديه ثمة ميول ثقافية أو عنصرية؟ وهل الاستنتاج مبنى على دليل أو مناقشة منطقية مقدمة في متن العمل؟

وهنا ستحتاج إلى تحدي كل نقطة أساسية بشكل منفصل، ثم تقارنها بالنقاط الأخرى وتحدد العلاقات فيما بينها، بالإضافة إلى علاقتها بالمغزى الرئيسي، وذلك بشكل منطقي. وإذا رقمت كل نقطة في الهوامش، ستنجز عملك بصورة أسرع.





إذا وجدت نفسك مقتنعًا بسهولة بموقف المؤلف. فهل ذلك لأنك ميال مسبقا إلى تفضيل مثل تلك الأفكار؟ وإذا لم تكن مقتنعًا، هل ذلك لأن عقلك مغلق؟ فبالإضافة إلى التفكير في المؤلف، والجمهور والعمل، عليك أن تفكر في علاقتك أنت بما تقرأ. وهل ستختلف مع المؤلف إذا كانت أهدافه تدعو إلى إعادة الصياغة الاجتماعية لحكومة الولايات المتحدة، لأنك تخاف التغيير؟ أو بسبب القيم غير المختبرة، والمعتقدات التي يتبناها والداك؟ كما من الممكن أن تكون أخطأت الحكم بسبب استنتاج متعجل؟ أم هي الأفكار التي تبدو منطقية بالنسبة لك، لأنها تؤكد على القيم التي تريد الاعتقاد بها بغض النظر عن المنطق؟ أنت لا تستطيع أن تكون متأكدًا بأنك قد فكرت في مادة المؤلف بشكل عادل وموضوعي ما لم تتمكن من ميولك الانفعالية.

فكر في المؤلف والسياق التاريخي

على الرغم من صعوبة أن تعرف من هو المؤلف في بعض الأحيان، أو أن تكتشف طبيعة الجمهور الذي استهدفه العمل أساسًا، إلا أن الجهود يجب أن تبذل، من أجل رؤية العمل في سياقه التاريخي الأصلي.

١ - من المؤلف؟ وما هي صلاحيته للتحدث حول المادة؟

وقد نجد أحيانا خبرة المؤلف، ومؤهلاته معرفة على الغلاف، أو على الصفحة الأخيرة من الكتاب. أما مقالات المجلات، فربما تعرف المؤلف أسفل الصفحة العنوان أو على الصفحة الأخيرة من المقال. وستحتاج في بعض الحالات إلى إجراء بحث صغير. وتحتوي معظم المكتبات تقريبًا، على كتب مرجعية تعرف المؤلفين وتوفر مرشدًا لخلفياتهم.

وترجع أهمية معرفة المؤلف، إلى تأثير تقييم المصدر على قيمة المعلومات. فقبل بضع سنوات، على سبيل المثال، نشر كتاب بعنوان «توثيق الاستنساخ» وأشار إلى إنسان حقيقي تم استنساخه من خلايا إنسان آخر وهذا الإنسان حي ويتمتع

بصحة جيدة. ويؤكد المؤلف بأن قصته حقيقية. ولكن من كان المؤلف؟ كاتب خيال علمي. فهل يؤخذ ادعاؤه مأخذ الجد؟ ربما ولكن صلاحيته لتوثيق تجربة علمية بمثل هذا الثقل، لا ينبغي أن تعد بحجم مصداقية عالم معروف.

٢ - السياق التاريخي:

أين ومتى نشر العمل لأول مرة، ومن كان جمهوره في الغالب؟ فلا توجد قصيدة ولا يوجد مقال أو كتاب من فراغ، لأنه يأتي من علاقة معقدة ما بين المادة، والسياق، والغرض. وكلما استطلعت الوصول إلى مزيد من المعرفة لكل عنصر من العناصر، تمكنت من إصدار أحكام معقولة بصورة أفضل. ربما يرجع الكاتب صدى قيم عصره، وقد يهاجمها. وفي كلتا الحالتين، سيساعد فهم هذه القيم الثقافية على تقييم المناقشة. وإذا استطعت اكتشاف الجمهور أو الغرض الذي كتب العمل من أجله يمكن أن تفهم لماذا أخذ الشكل الذي هو عليه، ولماذا يستخدم الألفاظ الانفعالية أو المنطقية المعقدة أو الألفاظ البسيطة هكذا.

القراءة والقراءة النقدية فعلان مختلفان. فمعظم القراءة تودي إلى المتعة، و تكون عملية امتصاص للمعلومات بدون الحاجة إلى تفكير جاد، أما القراءة النقدية، فهي شكل مكثف ومركز لتقييم ما يقوله المؤلف. وفيما يلي خطوط عريضة، وملخصة لعملية القراءة النقدية.

افهم المحتوى

* ضع خطًا تحت الجمل المفتاحية، ودوائر حول الكلمات المفتاحية.
* دون ملاحظات على الهامش.
* استخدم القاموس.
* اكتب ملخصًا مختصرًا للفكرة الرئيسية، والنقاط الأساسية والاستنتاجات.

قيم المحتوى

* ابحث عن المنطق، وابحث عن عدم اللجوء إلى الانفعالات.
* ابحث عن كلا جانبي المناقشة.
* ابحث عن دليل، أو تحليل منطقي، أو تفكير.
* ابحث عن المصادر ذات المعنى لدعم ادعاءات الحقيقة (إذا ادعى مؤلف إن عشرة آلاف شخص ماتوا في العام الماضي وهم يلبسون أحزمة الأمان، من أين جاء بالمعلومات؟، هل هي من دراسة حكومية؟، أم من منشورات وضعت عند باب بيته؟، أم من خلال «جمعية التحرر من حزام السلامة؟»).

قيم نفسك

* كن على وعي بميولك، هل أنت مع، أو ضد أفكار معينة.
* قيم ما إذا كانت ردود أفعالك نابعة من اتجاهات ثقافية بعينها.
* ابحث عن الرفض الفوري أو التأييد الفوري، ثم قيم نفسك فيما يتعلق بوصولك إلى استنتاج متعجل أو كانت ردود أفعالك وفقًا لافتراضات ثقافية في مجالك.

فكر في المؤلف والسياق التاريخي

* ما هي صلاحية المؤلف ليتحدث عن المادة (خبرة شخصية، أو دراسة أكاديمية؟ أو بحث؟!).
* ما هو الدافع وراء مقال المؤلف؟ (خدمة ذاتية؟ أم نتائج لتحقيق علمي؟ أم مجرد دعاية؟).
* من كان جمهور العمل الأصلي؟ (أين نشر لأول مرة؟ هل هو في كتاب؟ أو في مجلة؟ أم في محاضرة).
* هل توجد أية عناصر في الفترة التاريخية التي كتب فيها العمل تشرح عناصر العمل نفسه؟

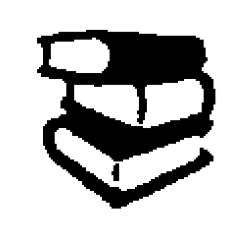



تدريبات

فيما يلي مثال للقراءة حول «المفكرون الجدد وثقافة القطيع» للدكتور أحمد أبو زيد، عالم أنثروبولوجي مصري.

«هل تراجع تأثير المفكرين في أوضاع مجتمعاتهم أم أنهم ماتوا نهائيا ولم تعد لآرائهم قيمة؟».

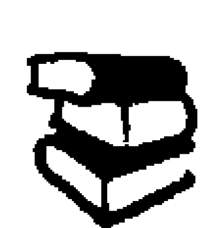
يسود الآن في بعض الأوساط الثقافية في الخارج جو من التشاؤم، حول وضع المفكرين في المجتمع المعاصر، ودورهم في تشكيل الحياة الاجتماعية والسياسية، من خلال مناقشة وفحص ونقد الأوضاع السياسية العامة التي تواجه مجتمعاتهم وتشغل بال الجماهير العريضة، وتؤثر في مستقبل المجتمع الإنساني ومدى مشاركتهم في تنوير الرأي العام سواء على المستوى الوطني أو المستوى العالمي، كما كان عليه الوضع في القرن الماضي، حين كان كبار رجال الفكر ينتقدون من خلال كتاباتهم ومحاضراتهم ولقاءاتهم العامة، بل والمشاركة في المسيرات الجماهيرية وإصدار النداءات والنشرات والبيانات والاحتجاجات، وما كانوا يعتبرونه خروجًا من الأجهزة الرسمية على القيم والمبادئ والحقوق المشروعة لشعوبهم. وكثيرا ما كانت هذه المواقف تدفع الحكومات وأصحاب القرار إلى تغيير سياساتهم الخاطئة، والخضوع لقوة الرأي العام. وقد نجد شيئا من هذا التشاؤم في مجتمعاتنا العربية، التي تشكو من خلو الساحة من المفكرين ذوي التأثير الواضح الذين لعبوا دورًا أساسيا في النهضة العربية في كل المجالات، وأسهموا في تشكيل العقل العربي المعاصر. فمشكلة تراجع دور المفكرين الذي يصفه البعض في الخارج بأنه (موت المفكرين)، مشكلة عالمية تعاني تفاوتًا في مدى وعمق الشعور بهذه المعاناة ووسائل مواجهتها وهي مشكلة سوف تتفاقم غالبا خلال العقود القادمة من القرن الحادي والعشرين. فكل عصر ينجب مفكريه الذين يعبرون بآرائهم وإبداعاتهم وانتقاداتهم عن الأوضاع السائدة في ذلك العصر، وإن كان هذا لا ينفي تراجع التأثير، وبخاصة حين نقارن انكماش عدد رجال الفكر ذوي الرأي المستقل في الوقت الحالي ونوعيتهم ورقابة اهتماماتهم وضعف تأثيرهم في صياغة




الرأي العام، وأحداث التغييرات الجوهرية في مجتمعاتهم وعدم انتباه الجماهير العريضة، فضلاً عن خاصة المثقفين، إلى إنجازاتهم بما كان يحدث في الماضي، بل إن هناك شعوراً عاما يعبر عنه صراحة بعض الكتاب في الخارج بأن المفكرين لم يعودوا يحظون بالاحترام والتقدير اللذين كان مفكرو القرن الماضي يتمتعون بهما، وهذه كلها أمور تواجه المجتمع العربي، وأقيمت حولها مؤتمرات وندوات. وقد ظهر في الخارج في السنوات الأخيرة عدد كبير من المؤلفات التي تسترعي الانتباه وتدل على استفحال المشكلة أو على الأقل إدراك خطورتها الآن وتفاقمها في المستقبل. ويكفي أن نشير هنا إلى بعض الكتابات الحديثة، حتى نتبين وضع المفكرين في بداية الألفية الجديدة وما سيكون عليه الحال في المستقبل ومدى عمق الغور بالقلق إزاء هذه الأوضاع الجديدة. فقد صدر منذ سنوات قليلة لأحد المفكرين الجامعيين في بريطانيا وهو (ستيفان كوليني) كتاب طريف بعنوان «العقول الغائبة»: المفكرون في بريطانيا، يذكر فيه أن غياب المفكرين من الساحة وعدم إبداء الاهتمام الواجب نحوهم في بريطانيا ظاهرة خطيرة، تشير إلى التطورات المستجدة التي تهدد الثقافة العليا أو الراقية، والتي سوف تؤدي بالضرورة إلى تراجع دور رجال الفكر في توجيه الأمور في المجتمع البريطاني بالقوة والفاعلية نفسها التي كانت عليها الأوضاع تحت تأثير مفكرين من حجم ووزن (برتراند رسل) أو (جورج برناردشو). وهذه النظرة المتشائمة نفسها حول المستقبل نجدها في كتاب الأستاذ الأمريكي (راسل جاكوبي) عن (آخر المفكرين) أو في كتاب الأستاذ الأمريكي الآخر (ريتشارد بوزنر) عن Public Intellectuals - A study in Decline وكلها عناوين كاشفة وذات دلالة.

الدفاع عن الفشل

وتجمع هذه الأعمال المهمة وغيرها الكثير، على أن تأثير المفكرين ذوي الرؤية العامة الشاملة أصبح ضعيفا للغاية في المجتمع المعاصر، وأن ذلك الضعف سوف يزداد وضوحا وخطورة بمرور الزمن، وأن دور هؤلاء المفكرين - في حالة وجودهم وهو أمر مشكوك فيه - يتوارى بسرعة رهيبة وتقل فاعليته في الحياة





الاجتماعية والسياسية، وأن الأجيال الجديدة من المفكرين يشغلون أنفسهم بأمور سطحية، ويدافعون عن قضايا تثبت فشلها وعدم جدواها. وأن كثيرا من الأفكار التي يتطوعون بتقديمها حول المسائل والمشكلات الحيوية غالبا ما تكون أفكاراً ساذجة لا تصدر عن فهم دقيق وعميق لطبيعة هذه المشكلات أو حقيقة متطلبات العصر، وأن هذا هو الطابع العام الذي يطبع تفكير من يطلق عليهم بعض الكتاب اسم «المفكرون الجدد» تمييزا لهم عن كبار مفكري القرن الماضي الذين ارتبطوا ارتباطا عضويا بمشكلات الإنسان والمجتمع، وسيطرت أعمالهم وكتاباتهم وآراؤهم على أذهان معاصريهم وتجاوز تأثيرهم في كثير من الأحيان حدود مجتمعاتهم إلى النطاق الدولي وأفلحوا في وضع بصماتهم القوية الواضحة على مختلف جوانب الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية في الفترة التي عاصروها. وليس ثمة ما يدعو إلى الخوض هنا في تفاصيل التعريفات الجديدة المختلفة لكلمة Intellectuals التي نفضل ترجمتها بكلمة (المفكرين)، ويكفي أن نذكر أن المفكر شخص يتميز باتساع الأفق وتنوع الثقافات والاهتمامات والإحاطة بما يجري حوله من أحداث لها انعكاساتها على المجتمع الذي ينتمي إليه بل وقد يشارك في صنعها ويفرض على نفسه مسئولية توصيل أفكاره عن القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية المهمة إلى الجماهير المثقفة غير المتخصصة وإثارة اهتمامهم بهذه القضايا والمشاركة في مناقشتها بقدر الإمكان.

ومن التعبيرات الساخرة التي يتعرض لها المفكرون على هذا الأساس وصفهم بأنهم (صائغو كلمات ألفاظ)، وذلك في إشارة واضحة لما يقوم به الأدباء والروائيون والشعراء والفلاسفة والأساتذة الجامعيون، الذين يشاركون في مناقشة الموضوعات والمشكلات العامة التي تقع خارج نطاق تخصصاتهم الدقيقة. وتمييزاً لهم عن العلماء الذين يوصفون بأنهم (صانعو أعداد وأرقام) وعلى الرغم من السخرية الخفية أو المستترة وراء تعبير «صائغي الكلمات» فإن هؤلاء المفكرين في رأي بعض الكتاب على الأقل ينظرون إلى أنفسهم على أنهم صفوة المجتمع، بل وأهم عنصر في تكوينه، وأن الحياة السليمة لا تستقيم دونهم، وهو ما يعتبره الكثيرون قمة الغرور والادعاء.

وبصرف النظر عن مدى صدق وجدية هذه العبارات والأوصاف، فالمفكر في آخر الأمر يعرف كيف يستثمر ذكاء ذهنه في التفكير والتأمل والدراسة والنقد وإثارة التساؤلات، واقتراح إجابات شافية لهذه التساؤلات المتعلقة بشئون الحياة والمجتمع والوضع الإنساني على مستوى العالم، مع تكريس جهوده للدفاع عن القضايا والحقائق الصعبة العسيرة التي تتقاطع مع الخطوط السياسية والايديولوجية السائدة في المجتمع أو في العالم كله، والتي يعتقد أنها خليقة بالمراجعة والفحص والنقد والدحض أو التأييد، بما يحقق مزيداً من الخير ويرفع الظلم والقهر ويحقق العدالة الاجتماعية ويتفق مع المبادئ الإنسانية الرفيعة. فهو يحاول إذن أن يستوعب بنظرته الشاملة الإنسانية ككل، أو كوحدة عضوية متكاملة حتى في الحالات التي يعالج فيها مشكلة جزئية أو محلية خاصة، وذلك على الرغم من كل ما قد يواجهه من اعتراض ورفض وأذى واضطهاد فهو صاحب رسالة يؤمن بها قبل كل شيء ويعمل على الترويج لها ونشرها من خلال المناقشة والإقناع. بل أن رسالة المفكر تفرض عليه العمل على كشف جوانب النقص في القرارات التي تتخذها السلطات الحاكمة والأسس التي تركز عليها هذه القرارات والأسباب الحقيقية التي تدفع إلى اتخاذها، على الرغم مما يعتريها من عيوب، والتي كثيراً ما تكون خافية على الشخص العادي.

الإنسان عديم الصفات

ويبدو أن هذا الدور التقليدي - أو المثالي - للمفكرين بدأ ينحسر ويتراجع في العقود الأخيرة، وأنهم يفقدون مكانتهم وفاعليتهم بالتدريج ولكن بانتظام واطراد، وأن الكثيرين ممن يوصفون الآن بأنهم مفكرون لا يحملون الرسالة نفسها، التي حملتها الأجيال السابقة على الأقل بالقوة والالتزام، كما يبدو أن هذا التراجع سوف يزداد حدة ووضوحا في العقود التالية من هذا القرن، نتيجة للتغيرات العميقة التي يمر بها العالم المعاصر، وما ترتب على هذه التغييرات من ظهور ما يطلق عليه في بعض الكتابات في الخارج تعبير (الإنسان عديم الصفات والخصائص) الذي يتقبل كل شيء في الحياة السياسية بالذات بغير تفكير أو مناقشة

أو إبداء رأي، بل على العكس من ذلك تماما يحاول تبرير ما يلقى إليه وما يصدر عن أصحاب النفوذ من قرارات؛ ولذا فلن يكون من الغريب أن يصبح المفكرون - بالمعنى (التقليدي) للكلمة، في المستقبل غير البعيد - إحدى الظواهر التاريخية التي ذهبت مع الريح، والتي يمكن أن نقرأ عنها فقط في كتب التاريخ وأن يحل محلهم فئة أخرى من «المفكرين الجدد» الذين سيكونون بالضرورة نتاج عصرهم بكل خصائصه ومقوماته، والقوى والعوامل التي تتدخل في صياغته وتشكيله.

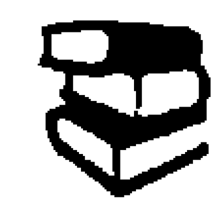
من أهم مظاهر العصر الحديث المسئولة بشكل مباشر عن ضمور القيم التقليدية لرجال الفكر ومثلهم العليا، مما مهد الطريق لظهور المفكرين الجدد، الإيمان الشديد والمتنامي بالتخصص الذي يؤدي في آخر الأمر إلى التعمق في فهم مجال معين بالذات من مجالات المعرفة وإغفال المجالات الأخرى بكل ما يترتب على ذلك من ضيق الأفق الثقافي والانسحاب من الحياة الواسعة العريضة الزاخرة بالأحداث والمشكلات والقضايا الفكرية والإنسانية الشديدة التنوع والتعقيد، والانصراف بالتالي عن الاهتمام بالشأن الإنساني الذي يعطي المفكر أسباب ومبررات وجوده. فعدد كبير من مفكري الأجيال السابقة في كثير من بلاد العالم، بما في ذلك العالم العربي كانوا من الأكاديميين وأساتذة الجامعات المتخصصين في ميادين ومجالات أكاديمية مختلفة لا تتصل في كثير من الأحيان بالدراسات الإنسانية والاجتماعية، دون أن يمنعهم تخصصهم الدقيق من الاهتمام بمشكلات العصر وانعكاساتها على الوضع الإنساني العام، بل إنهم سخروا تلك المعارف المتنوعة لخدمة مجتمعاتهم وشعوبهم، بل وشعوب العالم أجمع، وهو ما لا نكاد نجد له مثيلا بين الأكاديميين الحاليين إلا فيما ندر، وفي حدود ضيقة للغاية. فعصر المفكرين الأكاديميين الذين يجمعون بين الاهتمام والعناية بفروع تخصصاتهم والالتزام الفكري والثقافي العام إزاء المجتمع قد انحسر أو هو في طريقه إلى الزوال والاختفاء بكل ما كان يحمله من فكر جاد مستنير وأفكار تقدمية وآراء رائدة وتحديات للأوضاع القائمة وتحريض على فحصها ونقدها والتمرد عليها من أجل تحقيق واقع أفضل. وقد أصبح الأكاديميون أشد اهتمامًا والتصاقا بحياتهم الأكاديمية المحددة، وانسحب الكثيرون منهم من مجال العمل الفكري العام، وبذلك خلت

الساحة أمام فـئة المفكريـن الجدد الذين ينتـمون في الأغلب إلى مجالات الإعلام المختلفة التي لا تـتوخى بل وقد لا تتطلب بالضرورة، التعمق في المعالجة بالدراسة والتحليـل ولا تهتم في العادة بـالقضايـا الإنسانية الحـيوية أو المشـكلات الفكرية الكبرى بينما تحرص على مـخاطبة الجماهير العـريضة عن أمور ومشكلات حياتية عامة، بل وعـارضة أحيانًا بأسلـوب بسيط، يحمل بين طيـاته بذور تسطيح الفكر وتكريس ما يمكن تـسميته بـثقافة القـطيع، بعد أن كـان مفكرو الأجيـال السابقة يعملون على نشر الثقافة الرفيعة بكل أبعادها.

المفكرون وغريزة القطيع

والواقع أن صفـة (القطيع) تصدق هنا على المفكرين الجدد أنفسهم، بقدر ما تصدق على الجماهير التي يـوجهون إليها خطابهم الفكري والثقافي. وثمة شكوى عـامة من اختفـاء الأصالة والتفـرد في الإبداع لدى الأجيال الجـديدة من المفكرين الذين يقـنعون بمـعالجة المـوضوعات الطـارئة والعـابرة بدرجـة عاليـة من التسرع والسـطحيـة التي قـد تكون مـن مقتـضيات الـكتـابة الصـحفـية والبث الإذاعي والـتليفزيوني وغيرها من وسائل الإعلام الحديـثة. ولقد جاء استخدام لفظ القطيع في سـياق الحديث عن المـفكرين الجـدد في مقال بـعنوان Earth to Intellectuals نشره Bowen Harris في جريدة Dallas Morning News بتـاريخ ١٨ ديسـمبر ٢٠٠٥ ذكر فـيه أن المفكرين الجدد نـوعان: مفكرون عـاجزون عن فهم ومواجهة القضايا الكـبرى؛ ولذا يتنـاولونها في الأغلب بطـريقة فجة وخـاطئة. ومفكرون ينبهـرون بالأفكار الجديدة فيقـعون أسرى أو عبيدا لها. ويـتقبلونها دون دراسة أو فهم أو تحلـيل، ويرددونها في أحاديـثهم وكتاباتـهم لأنها (موضة) جـديدة ينبغي اتباعها والخضوع لأحكامـها ومفرداتها، للتدليل على أنـهم يسايرون ثقافة وتفكير العـصر. فهم في عـمومهم (قـطيع) من العقـول التي تبـدو مستقـلة إحداها عن الأخرى، ولكـنها في حقيقتـها تسير كلـها في المسار الفكـري السائد نفسه، على الرغم من كل ما قد يبدو بـينها من تفاوت ظاهري. ويتمـثل تفكير القطيع بشكل واضح في الـعبارات الطنانة، والشعارات الـتي يرددها هؤلاء المفكرون الجدد بكثرة





لا مبرر لها مثل الهيمنة الغربية، وعالم بغير حدود، وصحوة المارد الآسيوي، والكوارث الايكولوجية، والعالم بعد الحداثي، وتجفيف منابع الإرهاب، وغيرها كثير، دون أن يضيف أي منهم شيئًا جديدًا إلى ما ذكره هؤلاء الآخرون.

فالمأخذ الأساسي الذي يؤخذ على وسائل الإعلام في هذا الصدد، هو أنها أصبحت إلى حد كبير أداة تسطيح للفكر ونشر الآراء والأفكار البسيطة، أو حتى الساذجة على نطاق واسع، مما حرم المفكرين الجادين من وسيلة قوية وفعالة، كان يمكن استخدامها بكفاءة في تنوير الرأي العام بحقيقة الأوضاع في العالم، وتحقيق التغييرات الاجتماعية والسياسية المطلوبة. وثمة مخاوف حقيقية الآن حول مستقبل الفكر الرصين والمفكرين الجادين من التأثيرات السلبية التي قد تنجم عن سيطرة المفكرين الجدد على وسائل الإعلام وتسخيرها لنشر آرائهم التي كثيرًا ما تعوزها الأصالة والعمق والجدية والإحاطة، والقدرة على النقد والتقييم والحكم، كما هو شأن أعمال مفكري الأجيال السابقة التي كانت تترك آثارًا راسخة وعميقة في نفوس وعقول التابعين لها.

وداعا للثقافة الرفيعة

ولا تخلو هذه الأحكام التي تملأ بعض الكتابات في الخارج والتي تتردد أحيانا على ألسنة بعض كبار المثقفين والمهمومين بمستقبل الفكر والثقافة الرفيعة، ودور المفكرين في توجيه السياسات العامة في العالم العربي من القسوة والتحيز للأجيال السابقة من المفكرين، فميادين البحث والدراسة والتحليل ومصادر المعلومات ومجالات المعرفة أكثر رحابة وتنوعًا الآن أمام الفئات الجديدة من المفكرين، عما كان عليه الحال في القرن الماضي مثلا، وذلك بفضل الكمبيوتر والإنترنت، وما أتاحته وسائل الاتصال الإلكتروني من تدفق المعلومات وإمكانية الحصول عليها ونشرها. وتبادل الأفكار على نطاق واسع يتعدى كل الحدود الجغرافية والسياسية. والمفروض أن هذا يسهم في توسيع آفاق المفكرين الجدد الفكرية وتنويع اهتماماتهم وإثارة أخيلتهم نحو ارتياد ميادين جديدة للإبداع والابتكار، كما يضعهم أمام تحديات جديدة ينبغي مواجهتها بقوة ووضوح، حتى

يتسنى لهم المشاركة في تغيير الأوضاع التي تتنافي مع مبادئ العدالة الاجتماعية والقيم الإنسانية.

ولكن هذا لا يمنع - في رأي الكثيرين - من أن عهد المفكر الفرد المؤثر في أبناء جيله والأجيال التالية قد انتهى، أو أنه في سبيله إلى ذلك، وأن عصر الثقافة الراقية الرفيعة العميقة في طريقه هو أيضًا إلى الاضمحلال والانكماش أمام غزو «الثقافات الدنيا» - حسب التعبير الأنثربولوجي - والدعاوي العارضة السطحية التي تستحوذ على اهتمام المفكرين الجدد والتي لا تحتاج إلى جهد أو عناء في العرض والتقبل دون فحص أو اختبار. والخطورة هنا تكمن في أن هذا الاهتمام بتلك القضايا والدعاوي غالبا ما يكون اهتماما وقتيا، وأن الحديث فيها قلما يترك أثرا باقيا في الأذهان أو في حياة المجتمع، أو يؤدي إلى تغيير حقيقي في مجالات الحياة. وهو ما يحدث بالنسبة لكثير من الكتابات الصحفية والأحاديث الإذاعية واللقاءات التليفزيونية التي يزول أثرها فور الانتهاء من قراءتها أو الاستماع إليها أو مشاهدتها، مع وجود استثناءات من ذلك بطبيعة الحال. إنها ثقافة القطيع التي يحمل عبء توصيلها ونشرها المفكرون الجدد عن طريق وسائل الإعلام الحديثة. لقد انتهى عصر المفكر الفرد لكي يبدأ عصر المفكر الجماهيري - إن صح التعبير.

والملاحظ أيضا أن عددا كبيرًا من المفكرين الجدد يشغلون وظائف حكومية تفرض عليهم الالتزام بسياسة الدولة، بل والدفاع عنها وتبريرها، بعد أن كان مفكر الأجيال السابقة يقفون من تلك السياسات موقف الناقد، الذي كثيرا ما كان يتحول إلى موقف الرافض المتمرد الذي تصدر آراؤه وأحكامه عن مبادئ ذهنية واجتماعية وأخلاقية واضحة وراسخة، وكان هؤلاء المفكرون يدافعون بإصرار عن مواقفهم ومبادئهم على الرغم من كل ما كان يصادفهم من عنت ومتاعب، وعلى الرغم مما كانوا يتهمون به من سلبية وعدم فهم للواقع والإغراق في الخيال، بل والعمالة والخيانة في بعض الأحيان. وتلقي الوظيفة الحكومية ظلالا كثيفة من الشك حول مصداقية هؤلاء المفكرين الجدد الموظفين، الذين وصفهم لينين - ظلما - بالأغبياء النافعين useful fools والذين استبدلوا سياسة الدفاع والتبرير بمبادئ المكاشفة والنقد والتوجيه، وهو وضع يثير قلق البقية الباقية من المفكرين

(التقليدين) المهمومين بقضية استرجاع المصداقية المفقودة. ولكن ما السبيل إلى ذلك؟ - من مجلة العربي، نوفمبر ٢٠٠٦.

عند هذه النقطة، ربما أثيرت بضعة أسئلة، أو ربما بضعة تحديات لمناقشة صاحب المقال، ولكن الخطوة الأولى في القراءة النقدية هي أن تتأكد بأن لديك فهما موضوعيا وعادلا لأفكار المؤلف. وعليك أن تعلق للحظة أسئلتك ونقدك. فهذا الوقت لأخذ الملاحظات وتلخيص المقال ككل.

وفيما يلي ملخص مختصر:

«هل تراجع تأثير المفكرين في أوضاع مجتمعاتهم أم أنهم ماتوا نهائيًا ولم تعد لآرائهم قيمة؟».

يسود جو من التشاؤم في الشرق والغرب حول ما آل إليه وضع المفكرين ومستقبل الأمة بعد تراجع الدور الذي يلعبونه في تشكيل الحياة الاجتماعية والسياسية من خلال النقد والتوجيه، مقارنة بتأثير من سبقوهم الذي يمكن أن يؤدي إلى إلقاء قوانين أو تعديلها. وقد وصل التشاؤم إلى ما يعد مبالغة في دعوى موت المفكرين. وفي هذا الصدد صدرت عدة مؤلفات تشير إلى استفحال المشكلة منها «العقول الغائبة» لمفكر جامعي بريطاني هو (ستيفان كوليني)، وآخر المفكرين لأستاذ أمريكي هو (راسل جاكوبي) وكتاب ثالث Public Intellectuals A study in Decline لأستاذ أمريكي آخر. ويوصف «المفكرون الجدد» من ضعيفي التأثير في المجتمع المعاصر، «بصائغي كلمات وألفاظ» وهي سخرية مستترة تشير إلى السطحية والسذاجة. في حين أن ما ينبغي أن يفعله المفكر هو تكريس جهوده للدفاع عن القضايا الصعبة العسيرة المتقاطعة مع الخطوط السياسية والأيديولوجية السائدة في المجتمع والعالم، من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية ونصرة المبادئ الإنسانية الرفيعة. أي أن هذا الدور التقليدي للمفكرين بدأ ينحسر وأخذوا يفقدون مكانتهم وفاعليتهم بشكل مضطرد. وظهر ما يطلق عليه (الإنسان عديم الصفات) الذي يتقبل كل شيء بدون مناقشة.

ومن أهم ما تسبب في ضمور القيم التقليدية لرجال الفكر ومثلهم العليا هو الإيمان الشديد والمتنامي بالتخصص الدقيق الذي يغفل مجالات المعرفة الأخرى

والإصابة بضيق الأفق الثقافي. والانسحاب من الحياة العريضة. الأمر الذي جعل صفة (القطيع) تصدق على المفكرين الجدد أنفسهم، بقدر ما تصدق على الجماهير. حيث تغيب الأصالة والتفرد في الإبداع، وسيادة الموضوعات الطارئة بدرجة عالية من التسرع والسطحية والتي قد تفرضها لغة وسائل الإعلام. فالمفكرون الجدد - كما يقول (بوين هاريس) - نوعان: مفكرون عاجزون عن فهم القضايا الكبرى ومواجهتها، ومفكرون منبهرون بالأفكار الجديدة حتى صاروا عبيداً لها.

ولا تخلو الأحكام في هذا الصدد من القسوة والانحياز إلى الجيل السابق من المفكرين رغم وجود الكمبيوتر والإنترنت ووسائل الاتصال الإلكتروني الذي كان من شأنه أن يوسع الآفاق ولا يضيقها. كما تؤكد آراء أخرى على أن عهد المفكر الفرد المؤثر في أبناء جيله والأجيال التالية قد انتهى، أو في سبيله إلى ذلك، وأن عصر الثقافة الراقية هو أيضًا في طريقة إلى الانكماش أمام غزو «الثقافات الدنيا» والدعاوى التي لا تحتاج إلى عناء. كما أن عددًا من المفكرين الجدد يشغلون وظائف حكومية تفرض عليهم الالتزام بسياسة الدولة ويقعون في أخطاء أخلاقية كالعمالة والخيانة في بعض الأحيان، وهم من وصفهم لينين ظلما بالأغبياء النافعين الذين يلجئون إلى التبرير بدلا من المكاشفة والنقد والتوجيه.

والآن يفترض أن تكون مستعدًا لتحليل المحتوى. متذكرا بأن التحليل هو عملية لتقسيم المقال إلى أجزاء أساسية، وطرح أسئلة حول كل جزء من الأجزاء فيما يتعلق بمنطقيته وصلاحيته، ثم تقييم علاقة الأجزاء ببعضها. وتوجد أنواع من الأسئلة التي سترغب في طرحها حول مناقشات المؤلف. (لا تخلط هذه المرحلة مع مرحلة الكتابة - لأنها ستأتي فيما بعد).

بعض النقاط الأساسية:

* النقطة الأساسية الأولى: جو التشاؤم حول تأثير المفكرين في أوضاع مجتمعاتهم (موت المفكرين).
* النقطة الثانية: من هم المفكرون الجدد؟

* النقطة الثالثة: الإنسان عديم الصفات والخصائص وصفة القطيع.

* النقطة الرابعة: أحكام قاسية وأصابع اتهام ضد المفكرين الجدد.

الاستنتاج

ولا يكتمل التحليل عند هذه النقطة، حيث لا يزال عليك أن تفكر في علاقة انفعالاتك بالمناقشة، وكذلك المؤلف والسياق التاريخي. فقد تبدو بعض أفكار المؤلف مقنعة، وبعضها الآخر غير منطقي. بل ربما تثير غضبك. ولكن إلى أي مدى يكون شعورك ناتج عن ميول أو افتراضات ثقافية خاصة بالجيل الذي تنتمي إليه؟ هل يمكن أن يكون هناك تفكير خارج القراءة نفسها، والتي يمكن أن تساعدنا على الحكم برؤية أكبر على القيمة الكلية لمناقشة المؤلف؟

ذلك ما نشر في مجلة «العربي» وهي واحدة من المجلات الرصينة المهتمة بالثقافة والفكر ولكن عادة ما يعتقد بأنها تميل إلى المحافظة. وسيتعارض الكثير مما جاء في مناقشة المؤلف مع بعض المفكرين الجدد. وربما يتضح بأنهم يدافعون عن أنفسهم. وربما يشعر المؤلف حينها بحاجة إلى توضيح الموقف.

وبخصوص من هو المؤلف؟ يمكنك بمراجعة سريعة، أو سؤال، الحصول على مزيد من المعلومات حوله، كمكان مولده والجامعة التي حصل منها على الدكتوراه، والجهة التي يعمل بها، وبحوثه المنشورة في هذا المجال وغير ذلك وبعد إلقاء الضوء على الكاتب، والسياق التاريخي، وفحص كل جزء من المقال من حيث المنطق، والدليل، تستطيع أن تشعر بالثقة بشكل معقول حيث يمكنك أن تقوم بتقييم كلي: ما هي نقاط القوة ونقاط الضعف؟ هل كانت مناقشة المؤلف مقنعة بصورة أكبر؟ أين فشلت المناقشة ولماذا؟ ثم ما هي القيم النهائية، وقيمة المقال في ضوء الأفكار التي قدمت للتفكير؟

وتذكر أيضا بأن ما يحدث أحيانا هو أن يساء فهم الصوت النقدي، ويعتقد بأنه صوت سلبي. بينما تعني كلمة نقدي في الحقيقة التفرقة الدقيقة؛ ولهذا يجب أن يفرق التحليل النقدي بين الجيد والسيئ. حيث يثني على الإيجابيات مثلما

يتفحص العيـوب تمامًا. وإذا دققنا النظر لن نجد في العادة مؤلفًا على صواب، أو على خطأ بـصورة كاملة. وعلـينا ألا نميل بأحكـامنا إلى جانب أو آخر، بل نحو فهم متوازن وعـادل. وهكذا تكـون الخلاصة أن التحـليل النقـدي يجب أن يقيم العمل بشكله الكامل.

قم بقراءتك النقدية ببطء ومنهجية، وابذل كل جهدك في ذلك في أن تكون موضـوعيًا وافحص الـتفاصيل وسيـقودك كل ذلك إلى استبـصار موزون ومشجع ومعقول.

تدريب المفكرة

استخـدم المفـكرة لتـسجيل ردود أفـعالك نحـو قراءتك. واكتب أي شيء يهمك، بأمانة. حاول أن تسجل الحقائق المثيرة، والأسئلة، والملاحظات. ثم اطرح أسئلة وحـاول أن تجيب عليها. وإذا وجدت نفـسك تتعثر، قم بإعداد خرائط، أو قوائم، أو مواقع، أو أي شيء يـربطك بالعمل، ويـقود إلى فهمه بشكل أوضح. فالكتابة عن القراءة تساعدك على امتصاص الأفكار.

كما يساعـدك البقاء نشـيطًا وأنت تقرأ ويـساعد تـسجـيل الاستجابات على التذكر. حيث تقوم أثناء الكتابـة باختيار الأنماط الظاهرة وتتوصل إلى استبصارات جديدة، تشحذ ردود أفعالك وتحفظها.

ابحث عن معاني الكلـمات الغامضة بالنسـبة لك. وإذا كنت مرتبكًا بسبب قراءة صعـبة على وجه الخـصوص، تحدث عن أفـكارك على الـورق حتى يتضح تفكـيرك. انسخ صفحـات صعبة الفـهم. لأنه في بعض الأحيان يـتحول ما يبدو مـربكًا إلى استبصارات. وقد تكتب صفـحات بصورة تبدو بلا قيمة قبل أن تجرب نوعًا مـن الاستنارة التي تـصبح مكافأة لك عـلى جهدك - فقط لـتوضح لنفسك وتفـهم ما تؤمن به ومـا تشعر به، ربمـا تجد بأنه عنـدما يحين وقت كـتابة ورقة، ستكون قد أنجزت الكثير من العمل مسبقًا.



هيكل التحليل والمناقشة

تتم بعض مناقشاتك في الغالب في البيت أو في النادي، أو في مقهى بالقرب من الكلية. وإذا كنت، مثل بعضنا، فأنت تستمتع بالمناقشة الجيدة، وتحب تحدي التدفقات في افتتاحيتك المنطقية، وحرارة الانفعال التي تسري في البناء. وربما تجد نفسك تحتفظ بآراء لعدد كبير من الموضوعات التي لم تبحثها من قبل بشكل شامل. وربما تتحمس لقضايا مثل تعاطي المخدرات أو الإجهاض. وعلى أساس الآراء نصف المتكونة، ربما تقوم بمناقشة عقلانية وراقية.

ولكن تتطلب جميع المناقشات الرسمية في الكلية تقريبًا اتجاهًا فضولاً ومنعكسًا، يظهر معظم الوقت من قراءتك أكثر من مناقشاتك الشفوية. وتصبح مهارتك في تحليل وتقييم كتابة شخص آخر، بالإضافة إلى قدرتك على تنظيم مناقشتك المضادة، مكونة ضرورية لعملية التعليم. وذلك لأن عالم الدراسة هو ثقافة متركزة حول ما هو مطبوع. حيث نثق بالكلمة المكتوبة، أكثر من ثقتنا بالكلمة المنطوقة، إذا لم يكن لسبب آخر، فهو لأننا نستطيع أن نفكر مليًا في المناقشة المطبوعة بصورة أكثر روية وأكثر موضوعية من سواها. فنستطيع أن نفكر في نقاط التفكير والدليل على ذلك الأشياء التي تحدثنا عنها في فصول سابقة، ونستطيع أن نتحرى مخاطبة المشاعر والأفكار الخاطئة بصورة أكثر سهولة. ونكتب بدورنا من منطلق نقد وردود أفعال لنفس السبب. ويساعدنا فعل الكتابة على توضيح أفكارنا ومناقشتنا لذواتنا. ويمنح الآخرين فرصة لاختبار كلماتنا وأفكارنا

فـي مقابل أعـلى المقاييس. وهكذا فـإن المنـاقشة المـكتوبـة، هي نوع من الحوار والارتبـاط بالأفـكار بـين الكـاتب والقـارئ وإذا كتبت ردًا، تـكون بـين القارئ والكاتب.

وتـتطلب المناقشة الجـيدة، من النوع الذي أصفه هنـا، تحليلاً جيدًا وعرضًا فكريًا للدليل والمنطق. ولكي تصل إلى ذلك، ربما يتوقع القراء منك أن تتبع صيغة أقـرب إلى التقليـدية، أثبتت نجاحًا مـنذ عهد (أرسطـو) في دراساته حول البيان. وسأصف ذلك التنظيم هـنا وربما سيبدو الأمر كـمن يوقع نفسه في ورطة، عندما يحاول ذكـر عشرة عنـاصر للجـمال أو لأي شيء آخر. فليـس هناك قواعد، بل مـجرد طـريقـة. لأن الشـكل المقـنع، لـيس مثل زجـاجة تـصب منـها حـليب ملاحظاتك. وهي أقـرب إلى خطوة الـرقص، حيث يمكـن أن تشعر كـما لو أنه مطلـوب منك اتبـاع علامات خـطوات على أرض الـرقص. وقد تبـدو حركتك خرقاء. وربما تشعر بأنك مكبوب. ولكن بالمران وبالخبرة، ستجد أن التنظيم مجرد إرشادات عقلية، يمكن أن تستمر في اتباعها آليا وبشكل ممل، كما يمكن أن تضيف لها من روحك وحيويتك، وتستثمرها بأسلوب خاص، ورشاقة، وأصالة.

المقدمة الرسمية

يحتاج قارئك إلى إلقاء نظرة عامة موضوعية على المادة قبل أن يغمر، بنقاط أدق من نقاط المناقشة. فعادة ما تتضمن المقدمة الرسمية ثلاثة عوامل:

اسم المؤلف

قدم اسم المؤلف الكامل، وعنـوان المقال، أو الكتاب الذي تخطط لمناقشته. (سيدهشك أن العديد من الكتاب غير الخبراء ينسون أن يفعلوا ذلك).

رسم الملامح أو التوصيف العام

على الرغم من احتـمال أن جمهورك قد قرأ الـعمل الذي تحلله، عليك ألا تتوقع أن الآخـرين يتذكـرونه، أو درسوه عن قرب كـما فعـلت؛ ولهذا لابد من تقديم ملخص مختـصر للمقال أو الكتـاب في سياقه التاريخي. ويمكن أن تساهم




معلومات عن المؤلف وصلاحيته للحديث - أو عن مجاله الثقافي الذي انطلق منه العمل - أحيانا في الفهم العام. كما قد تحتاج إلى الإشارة باختصار إلى تاريخ نشر العمل، ولا سيما إذا كان مهمًا، وربما إلى ردود الأفعال النقدية له حينما ظهر لأول مرة.

الملخص في حد ذاته هو الأكثر أهمية. وبغض النظر عن حكمك النهائي، عليك أن تستمع للمؤلف بعدالة عند هذه النقطة، فتقدم أفكاره بدقة، وبدون أي ميل. كما تقدم المغزى الأساسي للعمل، واستنتاج المؤلف باختصار قدر المستطاع. وإذا كان العمل طويلاً ومعقدًا، ربما تحتاج إلى التعامل مع مزيد من التفاصيل، ومراجعة بعض النقاط الأساسية.

وتوفر تركيبة السياق التاريخي، والملخص المختصر سياق، يمكننا من تتبع تحليلك المفصل بصورة أكبر. وفيما يلي تسلسل الخطوات التي قدم بها طالب مادته باستخدام ما هو أقرب للتوصيف الكامل:

* تعريف المؤلفة ومؤهلاتها.
* نظرة عامة على مناقشة المؤلفة.
* عنوان المقال ومصدره.
* ملخص للمقال.
* المغزى الأساسي.
* حكم (يجب أن يدعم لاحقًا).
* السياق التاريخي.
* التركيز على أطروحة.

كما أنفقت طالبة أخرى وقتًا على التعرف على المؤلفة، وعلى المجلة التي نشر فيها العمل التي هي بصدد مناقشته. ولخصت الأطروحة الأساسية، ثم انتقلت إلى التركيز على كيفية التخطيط لنقد العمل.

جملة التركيز أو (جملة الأطروحة)

إذا كنت تخطط لتحليل مقال كامل، عليك أن تركز على كيفية تحقيق هدفك. وإذا كانت المادة معقدة أكثر مما ينبغي للتحليل الكلي، فإن جملة التركيز، أو جملة الأطروحة يجب أن تشير إلى كيفية تضييق المادة. فالقارئ أيضا يحتاج إلى الانتقال من النظرة العامة للعمل إلى المناقشة الأكثر تحديدا التي تخطط لعرضها في ورقتك.

وقد يكون المقال في بعض الأحيان منطقيًا وفعالاً من حيث المناقشة، لكنه يفشل في الاعتماد على عدد من الدراسات العلمية التي تقدم دليلاً على جانب آخر من القضية مثل:

«يعد كتاب (جون بيندر) على قدر من الأهمية بالنسبة للشباب الذي يبحث عن اتجاه في الحياة، ومعنى. وربما أهم ما قال هو...».

ويمكنك التفكير في المقدمة الرسمية بنفس النمط المستخدم في المشهد البانورامي، الذي سبقت الإشارة إليه. حيث تكون البداية بنظرة واسعة، تعطي خلفية عامة، ثم تقترب، فتبحث عن التفاصيل الرئيسية - المغزى والاستنتاج، وأخيرًا، تركيز المادة واختصارها في عناصر تكون الأكثر أهمية بالنسبة للتحليل أو المناقشة.

التحليل والمناقشة

يجب أن تقدم معظم ورقتك تحليلاً مفصلاً للمغزى الواحد، والمكونات الأساسية للعمل الذي تركز عليه.

١ - صف القدر المحدد من العمل الذي تخطط للتعامل معه. فمقدمتك الرسمية لا تعطي سوى نظرة عامة، بينما تحتاج هنا إلى تفاصيل. وإلى معرفة النقطة الأساسية التي يشير إليها المؤلف؟ ولهذا، استخدم كلماتك الخاصة في التلخيص، وضمن ملخصك باقتباسات قصيرة ولكن مهمة من النص.




٢ - **حلل الفكرة** من حيث المنطق، والدليل، والصحة، وعلاقتها بالأفكار الأخرى.

٣ - **فسر النتائج**، بحيث تناقش سلامة التفكير، أو تقدم مناقشة مضادة ذات تفكير واضح من جانبك.

لا تفترض وجوب أن تتبع ورقتك نفس تسلسل المقال الأصلي. كما لا تفترض ضرورة تناول كل مناقشة في الأصل. يجب تضييق المادة وحصرها، واقتصار المناقشة على العناصر الأكثر أهمية.

فربما لا يركز نقد حول أمر ما إلا على مفهوم واحد أو اثنين من مفاهيم المؤلف. وسيبدو تحليلك دائمًا فعالاً إذا ما مضيت في تفصيل مغزى واحد مهم بدلاً من محاولة مناقشة كل ما جاء في الأصل.

ولكن كرر عند مناقشتك لكل مغزى، أو مناقشة، الخطوات الثلاثة المدرجة هنا، وهي: «ضف، وحلل، وفسر» وتأكد من تضمين اقتباس وأمثلة من العمل نفسه، لتجعل ورقتك ملموسة بقدر الإمكان، ولكي تقدم الدليل الذي يدعم تحليلك.

وفيما يلي مثال لطالب ضيق مادته في مقدمة مختصرة، وحدد أجزاء المناقشة:

«بعد تقديم مقترح يقول إن حق المرء الطبيعي في الحرية والمساواة يقول (لوك) بأن الحرية محددة «بقانون الطبيعة». الذي هو كما يعرفه «العقل». هذا القانون يعلمنا بأن حريتنا ليست مطلقة. ربما لا نقتل أو نسرق، على سبيل المثال ما لم تكن هناك عقوبة لانتهاك قانون الطبيعة.

بالنسبة لقانون الطبيعة، كما هو الحال بالنسبة للقوانين الأخرى التي تهم الناس في هذا العالم، يكون عقيمًا إذا لم يكن هناك أحد في حالة الطبيعة يملك قوة لتنفيذ ذلك القانون.. ويقرر (لوك) من ثم أن الحالة النموذجية للطبيعة، ما دام الجميع متساوين، ولدينا جميعا الحق في فرض القانون، رغم أن العقوبات

أيضا يجب أن تقاد بالعقل. ويستنتج (لوك) في هذا القدر من مقاله بقوله بأنه ليس من اهتمامه أن يصف «قانون طبيعة معين» ولكن من المؤكد بأن هناك مثل هذا القانون. قانون تفهمه المخلوقات العاقلة بوضوح.

ولكن هل يوجد حقا؟ من الواضح أن الناس في القرن الثامن عشر كانوا يعتقدون بذلك. ويشير إعلان الاستقلال إلى ذلك. وإذا اعتقدت ثقافة بأكملها بصحة أمر، لا توجد حاجة إلى سرد تفاصيل وتعريفات. ولكن حتى لو علقنا شكوك قرننا الحالي مرة وقبلنا مثل هذا القانون، كيف يمكن أن يكون قانون الطبيعة عقلانيا بشكل واضح؟ أو يكون عقلانيا بصورة يمكن أن ينفذ بوضوح حتى أن لم يكن معرفا؟ وعلى أية حال، لا يزعم (لوك) بأن القانون عقلاني، وكل ما يقوله: أن القانون هو العقل. وأتوقع أن مشكلتي هي أن ننتهي في دائرة مفرغة: قانون الطبيعة هو يقين، القانون هو العقل، وإذا كنا عقلانيين سنفهم ذلك، وإذا لم نكن لن نفهم. استخدم (لوك) المصطلح بذكاء يقول إذا كنت تصدقني، وتقبل ما أقول فأنت رجل عقلاني. وإذا لم تقبل ما أقول أو تشك فأنت رجل غير عقلاني. وما دامت بقية المناقشة في المقال تعتمد على هذا المفهوم الواحد، فإن القارئ في مأزق، إما أن يصدق ويكون في أمان، أو لا يصدق ولا يستحق الأمان. وهكذا تبدو المناقشة بالنسبة للرجل العاقل غريبة وغير عقلانية».

وصف الطالب النقطة الأساسية التي يطرحها المؤلف.

وتكامل ملخصه المعد بكلماته، مع اقتباسات مختارة من المؤلف.

فبدأ التحليل بطرح أسئلة - وكان التركيز على المصطلح المفتاحي.

ثم تبين بأن العوامل التاريخية أن تؤثر على تفكير المعتقد وتثريه.

وركز بعد ذلك على العلاقات المنطقية في مناقشة المؤلف وتحدي منطقه.

التفنيد والدفاع

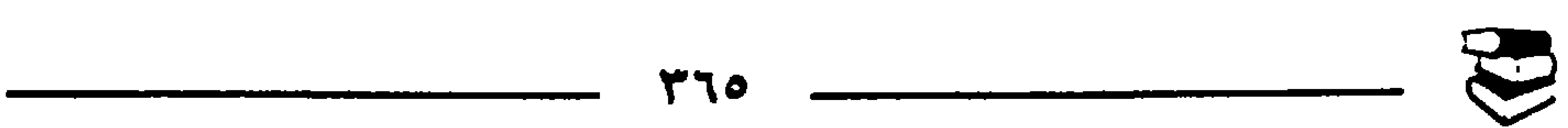
عنصر من العناصر الأساسية في مقال المناقشة، توقع أن تلقى عليك تلك مناقشات أو التحديات مرة أخرى. فإذا أنت عرضتها منذ البداية، تكون قد فوت

فرصة النقد على قراءك، وأضفت مزيدًا من الإقناع والقوة إلى عملك بإبراز قدرتك على التفكير الحذر في بناء مناقشتك. لأن ذلك يبين امتلاكك لرؤية شخصية، ونظرة واقعية موزونة، مما يعطي قوة إضافية لمضامينك الأخرى. وحتى لو أنك لم تستطع أن تعفى نفسك من بعض عدم الاتساق أو التدفق المحتمل في مناقشتك، يبقى الأفضل أن تظهر إيمانك الجيد وتعترف به.

وفيما يلي كيف تعامل طالبا آخر مع هذا الجزء من الورقة المتعلق بالخسائر الاقتصادية التي يسببها استيراد الآلات اليابانية حيث يعرض الفكرة ثم يقوم بتفنيدها والرد عليها:

«صحيح أن الشكل الأنقى من الرأسمالية سيقودنا إلى استنتاج بأن المنافسة ينبغي أن تأخذ مداها وأن الشركات ذات الكفاءة الأقل ستموت بسلام. وكل هؤلاء العمال العاطلين سيجدون في النهاية أعمالاً أخرى في مجالات تحتل فيها أمريكا صدارة المنافسة، وهكذا تمضي الآراء، ولكن ما نسمعه ليس سوى جزء من الحقيقة. أما الحقيقة فهي أن الخمسة وسبعين ألف عاطل ليسوا هم وحدهم المتضررين، فمقابل كل عامل يخسر عمله هناك ثلاثة آخرين يتضررون بصورة غير مباشرة في صناعات مساندة أو أعمال صغيرة - وفقا «للأعمال الأسبوعية»، عدد مارس ١٩٨٧ - وحوالي ٣٠٠ ألف شخص سيحتاجون إلى مساعدات بطالة سندفعها أنا وأنت. كما ستكون هناك خسارة لضرائب ستؤدي إلى تدهور الخدمات بدءا من المدارس وحتى إصلاح الطرق. والتكلفة الاجتماعية من جانب آخر لتحرير السوق الرأسمالي ستكون مرتفعة.

وأخيرًا يستطيع المرء أن يقول أن استثمارات الحكومة ليست سوى حلول قصيرة المدى. وهي مجرد إجراء لانهيار نهائي لصناعة السيارات وأن الحكومة ستكون مطالبة بضخ الكثير والكثير من الدعم، والكثير من دولارات الضرائب في قضية خاسرة. وسيثبت هذا ما لم تقم الحكومة بمبادرات للحد من الشراكة مع مصانع السيارات لتضمن بأن الدعم يخصص للتحديث والتدريب. كما سيكون مصير مناقشتي المتعلقة بالتدخل الفشل بدون هذا الالتزام الإضافي».

تكون الاستنتاجـات أحيانا صعبـة التعميم، حيث يتـدفق كل استنتاج جيد طبيعيا من الدليل أو من المناقشة المطروحة على متن الورقة. ولكن هناك بضع نقاط مهمة حول الاستنتـاج في التحليل يمكن الإشارة إليها. فالتحليل لا يعني شيء إلا إذا أعيد ربط الـنقاط بعـضها وبالكل. وهـكذا لا يكون الـبحث عن تفصيل في مغزى أو حتى مناقـشة أساسية كاملة كافيا، بل يـنبغي الشرح للقارئ علاقة الجزء بالكل.

هل تعتمد الأجزاء على المناقشات العقلانية؟ أم على الانفعال أو التفكير غير الواضح؟ وأين تكون أقل فاعلية؟

وكما لاحظنا سابقا، إن هدف التحليل النقدي، ليس الهجوم على كل شيء يقرأ، بصوت سـلبي، بل هو التفـرقة ما بين ما هو قـيم، وما هو غير ذلك، ثم إقناع القـارئ بتفكيرك. وعـلى الرغم من أن الأمثلة المقـدمة في هذا الفصل تركز على جوانب الضعف، إلا أن المناقـشة النقدية الجيـدة قد تركز على جوانب القوة التي تضيف إليها صوتك الخاص.

وأخيرًا، وعلى نفس القدر من الأهمية، خذ الحذر بحيث لا يعبر استنتاجك عن ميل شخصي، أو يكون نمطا انفعاليا، أو مناقشة انفعالية خاصة بك. إذ يجب أن يقوم الحكم على تفكـير عقلاني ونقدي، وليس على مجرد آراء شخصية. كأن يقول المرء: «لم يعجبني هذا الكتاب المتعلق بالقطط، لأنني لا أحبها».

وفيما يلي كيفية التخطيط لهيكل التحليل والمناقشة:

المقدمة:

* اسم المؤلف.

* نظرة عامة حول المادة، خلفية تاريخية أو ملخص للمناقشة.

* أطروحة (موقفك، مركز ضيق).

الدليل:

* وصف موضوعي للنقطة الأساسية.
* تحليل مفصل للمنطق والعلاقات.
* تفسير متبوع بمناقشة مساندة أو مناقشة مضادة.
* إعادة للوصف والتحليل والتفسير إذا كان هناك أكثر من مفهوم واحد تتم تغطيته.
* رد وتفنيد.

الاستنتاج:

* ملخص كلي للاستنتاجات.
* علاقة الاستنتاجات بالمادة ككل.
* تقييم نقدي للقيمة أو الأهمية أو لمعنى الاستنتاجات، السلبية، والإيجابية.

لا يضمن لك التحليل النقدي اكتشاف الحقيقة. لكنه يمكن أن يوفر لك دليلاً ملموسًا، يسمح لك بشرح استخدامك للتفكير المنطقي لكي تصل إلى استنتاج. كما تسمح العملية للشخص الآخر أن يحدد بدقة أين أخطأت في التفكير. وبالتالي فإن التحليل والمناقشة طريقة تسمح بالتحقق من خلال ملاحظ آخر. وهكذا تستطيع ويستطيع القارئ أن يشعر بمزيد من الثقة فيما يتعلق بالحقائق الغالبة التي تكشفها العملية.

كتابة المسودة الأولى

هل يكتب تحليلاً ناجح في المسودة الأولى؟ الإجابة كلا. حيث تبقى المسودة الأولى بالنسبة لمعظمنا تقريبًا وقتا للاكتشاف. وللشطب والبداية من جديد. وقد قال (أي ام فونستر) ذات مرة «كيف اعرف بماذا أفكر إذا لم أر ما أقول؟!».

من خلال دراسة المادة، وتسجيل ملاحظات قبل البدء بالكتابة كما في الفصل السابق، ومن خلال استخدام الإرشاد الموصوف هنا كهيكل تقليدي للتحليل والمناقشة ربما تكتب مسودتك الأولى ببساطة أكبر، وبمزيد من الوضوح مما لو كنت تمضي بدون اتجاه مقنع مسبقا. ولكن بالنسبة لبعض الطلاب، يعيق الشعور بالشك فيما يتعلق بالصياغة تدفق الأفكار. بينما ينبغي اعتبار الشكل والصياغة مجرد إرشادات، وليست أمرًا منزلاً. ومن خلال التفكير تغربل الآن خبرتك الشخصية بالمادة، التي يجب أن تكون تركيزك الأساسي وأنت تواجه الصفحة الفارغة. كما عليك أن تكون على استعداد لمتابعة أفكارك الجديدة وهي تتشكل، ولا تلوي الأفكار لكي تناسب الصيغة التي تؤيدها. اكتب مسودتك الأولى بأسرع صورة ممكنة، ودعها تستوعب المادة. واستخدم صيغة في مرحلة إعادة الكتابة وأنت تراجع ما كتبته. فقد تجد، على سبيل المثال، بأنك قد فشلت في وصف بضعة أجزاء من المقال قبل أن تحلل النقاط المفصلة. ويجب أن يذكرك الإرشاد الرسمي بأن قارئك يحتاج إلى ذلك الوصف. في هذه الحالة عليك أن تعود للعمل، وتستخدم مرحلة المسودة كما فعلت في الماضي. - لتجرب وتستكشف. واستخدم الإرشادات السابقة لتوضح، وتنظم، سواء قبل المسودة أو بعدها، حسب حاجاتك الشخصية، ولكن استخدمها لأن جمهور الكتابة النقدية سيتوقع صياغة واضحة ومنطقية.

تدريبات

١ - ادرس المقال التالي للدكتور (عبد الهادي مصباح) حول التليفون المحمول، في ضوء ما سبق ذكره فيما يتعلق بهيكل التحليل والمناقشة.

«سعت كبرى شركات التليفون المحمول إلى (د. جورج كارولو) الذي يعد من أكبر العلماء الذين يعملون في مجال أبحاث أمان الأجهزة اللاسلكية، لكي يحصلوا منه على نتائج أبحاث علمية تؤكد أمان استخدام التليفون المحمول على الصحة العامة بالنسبة للكبار والأطفال، وبعد دراسات استمرت ست سنوات، وتكلفت ٢٨ مليون دولار تم تمويلها من الشركات المصنعة للمحمول، لم يستطع




الرجل القيام بهذا الدور، وحرص على أمانته العلمية وأعلن عن الكثير من الأضرار الجسيمة التي تنتج عن استخدام التليفون المحمول خاصة بالنسبة للأطفال، فإلى جانب ما هو معروف عن تأثير المحمول على منظمات القلب واضطرابها بسببه، أضاف (د. كارلو) أن استخدام المحمول أثناء الحمل أو بالقرب من الأطفال في أول عامين بعد الولادة يتسبب من خلال الموجات المنبعثة منه في تلف وقصور الحاجز الدموي للمخ الذي يمثل البوابة التي تمنع الميكروبات والسموم والأدوية الضارة من الوصول إلى المخ والتأثير على خلاياه، حيث تكون عظام الجمجمة لم تلتئم ببعضها بعد مما يكون له الأثر فيما بعد لحدوث أورام في هذه المنطقة.

وإلى جانب الدراسة المهمة للدكتور (جورج كارلو) هناك دراسات أوروبية أخرى تدعمها وتثبت تأثير الموجات الكهرومغناطيسية على الحامض (دي. إن. دي) والتغيير في كهرباء المخ وتعرض الجنين إلى التشوهات بالنسبة للأم الحامل، وغيرها من الأضرار، وأن لهذه الموجات أثرا تراكميا، وكلما زاد استخدام المحمول كان تأثيره الضار أكبر، والمؤسف أن أضرار الموجات الكهرومغناطيسية للمحمول لا تظهر بشكل حاد. لكنها تتراكم مع الوقت، وبمرور الزمن تظهر الحالات المرضية التي نخشاها، وربما لا نربطها باستخدام التليفون المحمول، ولا بما يحيط بنا من التلوث بالموجات الكهرومغناطيسية الأخرى التي تحيط بنا مثل أجهزة الراديو والتليفزيون والكمبيوتر التي تزيد من أضرار المحمول وتضاعفها، والحالات التي ظهرت في نهاية التسعينات كانت بداية تأثيرها بالثمانينيات، واعتقد أن المنطقة العربية سوف تعاني خلال السنوات العشر المقبلة نتيجة الاستخدام غير المرشَّد للتليفون المحمول الذي يستخدم للثرثرة والكلام لعدة ساعات على الأذن، مع ملاحظة أن استخدام المحمول لم ينتشر في هذه المنطقة إلا في بداية التسعينيات، ولقد تم إدراج أضرار التلوث بالموجات الكهرومغناطيسية كنوع من التلوث شديد الخطورة على الصحة مثل التلوث من التدخين والاسبيستوسن وكذلك التسمم البطء بالرصاص.

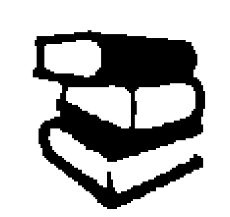
ويقول البروفسور (ليف سولفورد) رئيس قسم الأبحاث بجامعة (لوند السويدية) أن السويد أكبر مصدر للتليفون المحمول في العالم، إننا نحتاج لأن ننتظر المستقبل لكي نشعر بخطورة وحجم ما يحدثه المحمول من أضرار، بل إننا

نشعر به الآن، فأورام المخ الخبيثة تعد ثاني أسباب الوفاة من السرطان في الأطفال الذين هم أقل من ١٥ عامًا، وأيضا، في الشباب أقل من ٤٣ عاما في السويد، ويضيف (د. سولفورد) أنك عندما تستخدم المحمول على أذنيك لمدة طويلة، فإنك تضع بإرادتك (ميكروويف) يمكن أن يطهو خلايا مخك على الهادئ. وفي أستراليا، تعتبر أورام المخ هي السبب الأول للوفاة من السرطان، وهو ما يشير بأصابع الاتهام إلى التأثير طويل المدى للموجات الكهرومغناطيسية الناتجة عن استخدام المحمول، وفي إحدى حلقات برنامج «الشأن الحالي» على التليفزيون الاسترالي ظهر واحد من جراحي المخ والأعصاب البارزين وهو (د. تشارلي تيو) ليعلن أن ازدياد نسبة سرطان المخ بنسبة ٢١٪ في الأطفال في الآونة الأخيرة له علاقة باستخدام التليفون المحمول، والتعرض للموجات الكهرومغناطيسية بكثرة، وحذر الأهالي من استخدام الأطفال والشباب الصغير للمحمول، وفي الوقت نفسه اعترف الطبيب أن ابنته البالغة من العمر ١٢ عاما لديها أكثر من محمول وتستخدمه بكثرة، وهو لا يستطيع أن يمنعها، وهو ما يسبب انزعاجه الشديد وقلقه عليها.

وفي تقرير آخر خرج من معهد البحوث العصبية التشخيصية (ماربيلا) لمجموعة من العلماء الأسبان في إبريل ٢٠٠٤ تبين أن مكالمة المحمول التي تستغرق دقيقتين فقط تسبب اضطرابا في الموجات الكهربائية الطبيعية في المخ لمدة ساعة.

أما عن استخدام التليفون المحمول أثناء الحمل أو بالقرب من المولود في الأشهر الأولى بعد الولادة، فهناك دراسات بواسطة (د. روبرت كين) تؤكد زيادة نسبة حدوث مرض (التوحد اوتيزم) نتيجة التعرض بكثرة للموجات الكهرومغناطيسية، وقد لوحظ من خلال الدراسة ارتفاع نسبة الإصابة بمرض التوحد ٥ - ٤ من بين كل عشرة آلاف طفل لتصبح واحد لكل ٥٠٠ طفل، والشيء المثير حقا أن الموجات تؤثر أيضا على جهاز المناعة الذي لم يكتمل نموه بعد في هذه السن المبكرة، أما أطباء الأسنان في بريطانيا فقد حذروا من زيادة وقت التحدث عبر التليفون المحمول لأنه قد يكون له تأثير على زيادة نسبة سرطان الفم عند شريحة المراهقين، وأن زيادة تأثير الموجات الكهرومغناطيسية للمحمول





يـزداد خاصة عند الذين يركبون في أسنانـهم معادن لتقويم الأسنان. ولعل تحذيرنا اليوم لا ينبغي بالضرورة أن يستتبـعه قرار حاسم بحظر استخدام المحمول فهو غير ممكن ويكاد يكون مستحيلاً، إلا أنه صيحة تحذير للأهل وللشباب لكيلا يستخدموا المحمول في السن الصغيرة، وإذا اضـطر الكبار إلى استخدامه فلأقل وقت ممكن، وفي أضيق الحدود، وبالشروط التالية:

أ - ينبـغي أن يقتصر استخدام الموبايل على الأمور المهمة والطوارئ فقط لا أن يكون وسيلة لـلرغي والمناقشات الـطويلة، وتكمـلة المناقشات على تليفون أرضي قريب.

ب - ينبغي ألا تزيد مدة المكالمة على دقيقتين.

جـ - ينبغي ألا يوضع الموبايل في الجيب سواء في الجاكت أو البنطلون.

د - يـنبغي ألا يوضع المـوبايل في الحزام أو في غلاف به معدن، لأن ذلك يزيد من نسبة امتصاص الموجات الكهرومغناطيسية.

هـ - يجب ارتداء سماعات من نوعية معينة عند الكلام بحيث يظل الموبايل بعيدًا عن الرأس والجسم.

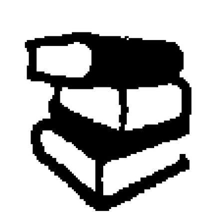
و - حاول استخدام الرسائل بدلاً من المكالمات بقدر الإمكان.

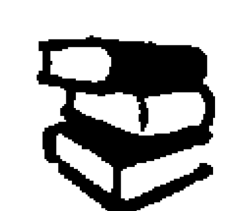
ز - ينبغي عدم اسـتخدام المحمول في الأماكن المغلقة مثل المصعد أو داخل السيارة. حـيث تخرج من التليفـون المحمول آنذاك موجات أقوى لكي تتم عملـية الاتصال، ويتم امـتصاص جزء كبيـر منها من خلال جسم الإنسان وخلاياه.

ح - لا تحاول استخدام الموبايل عندما تكون إشارة الشبكة على أول شرطة لنفس السبب السابق.

ط - عندمـا تشتري (موبايل) ينبغي أن تـبحث في كتالوج التشغيل الخاص عما يسمى SAR وهو اختصار لنسبة الامتصاص النوعية التي تحدث من خلال امتصاص الجسم لما يـصدر عن الموبايل من طاقة وإشعاع، وكلما كانت هذه النسبة أقل، كان ذلك أفضل» - من صحيفة الأهرام، ٣ ديسمبر ٢٠٠٦.

٢ - ادرس مقال آخر من اختيارك.

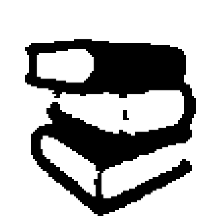




كتب أخرى للمؤلفة

- العودة إلى القطيع (قصص)
- دليلك للتعامل مع الضغط النفسي (ترجمة)
- تحليل النظم (ترجمة)
- طبعا أحبك (شعر)
- دليلك للتعامل مع الخوف (ترجمة)
- الجانب المظلم من الحب (ترجمة)
- الحب من بعيد (رواية)
- السعادة الزوجية بعد الإنجاب (ترجمة)
- يكفي يا دندن (قصص أطفال)
- يمكنك تغيير حياتك (ترجمة)
- خماسي نادر (قصص أطفال)
- رسالة إلى صديق (شعر)





يدور هذا الكتاب حول عملية الكتابة، وجميع ما يضمه من تحليل وشرح ونقاشات فنية لنماذج متعددة لا يأتي إلا في سياق مساعدة القارئ على إيجاد طريقة لوضع الأفكار على الورق - أي أن تجد طريقتك فنحن متفردون، ولا يمكن أن تصلح العملية لكل منا بنفس الطريقة، مثلما لا يمكن أن تكون هناك عشر قواعد للعب التنس مثل المحترفين، ولا ست عشرة قاعدة لعزف البيانو كأمهر العازفين ولكن من خلال البحث والتنقيب وفحص الطرق التي اتبعها الكتاب الناجحون، نجد أن هناك مراحل معينة يتم الرجوع إليها، وهي تكفي لأن تجعلنا قادرين على تبين خطوات عامة يتبعها معظم الكتاب، ونادرًا ما تكون هذه المراحل متتالية، مثلما هي في هذا الكتاب فعادة ما يراوح الكاتب ما بين الخلف والأمام، والمقدمة والوسط، في عملية فوضوية ومرتدة إلى الوراء، ولكن، متى ما تم فهم العملية كعملية ضرورية لنا جميعًا، نعمل من خلالها، يمكننا تحرير قدراتنا الكامنة الخلاقة



